الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام



الروض الأنف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء الخامس

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت : ٨٦٤٢٤٠

توزيع
مكتبة العلم بجدة
حي الشغر
ت : ٦٨٧٧٠١٤

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء الخامس من السيرة وشرحها « الروض الأنف » للامام السهيلي والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن الوكيل

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفْدُ نَصارى نَجْران ، ستُّون راكبا ، فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم ، فى الأربعةَ عَشَر منهم ثلاثةُ نفر إليهم يئول أمْرُهم : العاقب ، أميرُ القوم وذو رَأيهم ، وصاحب مَشُورتهم ، والذى لايُصْدِرون إلا عن رأيه ، واسْمُه : عبد المسيح ، والسيد لهم : ثِمَالُهم ، وصاحبُ رَحْلهم ومُجْتَمعهم ، واسْمُه :الأَيْهَم، وأبو حارثة ابن عَلْقمة ، أحدُ بنى بَكْر بن وائل ، أسْقُفُهم وحَبْرهم وإمامهم ، وصاحب مِدْرَاسِهم .

منزلة أبى حارثة عند ملوك الروم

وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم ، ودَرَس كتبهم ، حتى حَسُن علمه فى دينهم ، فكانت مُلوكُ الرّوم من النّصرانيّة قد شرّفوه وموّلوه وأخْدموه ، وبَنَوْا له الكنائس ، وبَسطوا عليه الكرامات ، لِمَا يَبْلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم.

السبب فى إسلام كرز بن علقمة

فلما رجعوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نَجْرانَ ، جَلس أبو حارثةَ على بَغْلة له موجِّها، وإلى جَنْبه أخٌ له ، يقال له : كُوز بن علقمة ـ قال ابن هشام:

ويقال : كُرْز ـ فعثرت بَغْلَةُ أبي حارثة ، فقال كُوز : تَعِسَ الأَبْعَدُ : يريد : رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . فقال له أبو حارثة : بل أنت تَعَسْتَ ! فقال : ولِمَ يا أخي ؟ قال : والله إنه للنَّبِيُّ الذى كنا ننتظر ، فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال : ماصنع بنا هؤلاء القومُ ، شرّفونا وموّلونا وأكْرمونا ، وقد أبَوْا إلا خِلافَه ، فلو فعلتُ نَزَعوا منّا كلّ ماترى . فأضمر عليها منه أخوه كوز بن عَلْقمة ، حتى أسلم بعد ذلك . فهو كان يُحدّث عنه هذا الحديث فيما بلغنى .

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس منهم

قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نَجْران كانوا يتوراثون كتبا عندهم . فكلّما مات رئيسٌ منهم ، فأفضَتِ الرياسةُ إلى غيره ، خَتم على تلك الكُتب خاتما مع الخواتم التى كانت قبله ولم يَكْسِرها ، فخرج الرئيسُ الذى كان على عهد النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَمْشى ، فعثر ، فقال له ابنُه : تَعَس الأبعدُ ! يريد النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبيّ ، واسمُه فى الوضائع ، يعنى .. الكتب ، فلما مات لم تكن لابنه همّة إلا أن شدَّ فكسر الخواتم ، فوجَد فيها ذِكر النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم فحسُن إسلامُه وحجّ ، وهو الذى يقول :

إليك تَعْدو قَلِقا وَضينُها مُعْتَرِضاً فى بَطْنِها جَنينُها
مُخالفا دينَ النَّصارى دينُها

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة . وقال هشام بن عُروة : وزاد فيه أهلُ العراق :

مُعْترضاً في بطْنها جَنينُها

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه .

صلاة النصارى إلى المشرق

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جَعْفر بن الزبير ، قال : لما قَدِموا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المدينة ، فدَخلوا عليه مَسْجده حين صلى العصر ، عليهم ثيابُ الحِبَرات ، جُبَب وأرْدية ، في جمال رجال بني الحارث بن كعب . قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفداً مِثلهم ، وقد حانت صلاتُهم ، فقاموا في مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يصلُّون ، فقال رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — دعُوهم ؛ فصلوا إلى المشرق .

أسماء وفد نجران ومعتقدهم ومجادلتهم الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فكانت تَسْمية الأربعةَ عَشَرَ ، الذين يئول إليهم أمرُهم : العاقب ، وهو عبد المسيح ، والسيد وهو الأيهَم ، وأبو حارثة بن عَلْقمة أخو بني بَكْر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونبيه ، وخُويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويُحَنَّس ، في ستِّين راكبا .

. . . .

فكلَّم رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم أبو حارثة بن عَلْقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيِّد ـ وهم من النَّصرانية على دين المَلك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قولُ النَّصرانية .

فهم يحتجُّون فى قولهم : « هو اللهُ » بأنه كان يُحْـيِى الموتى ، ويُبْرِئ الأسقام ، ويُخبر بالغُيوب ، ويَخْلُق من الطين كهيئة الطير ، ثم يَنْفُخ فيه فيكون طائرا ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى : ﴿ ولنجعلَه آيةً للناس ﴾ .

ويحتجُّون فى قولهم : « إنه ولد الله » بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلَّمَ فى المهد ، وهذا لم يصنعه أحدٌ من ولد آدم قبله .

ويحتجُّون فى قولهم : « إنه ثالثُ ثلاثة » بقول الله : فَعَلْنَا ، وأَمرْنَا ، وخَلَقْنَا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومَرْيم . ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ـ فلما كلَّمه الحَبْران ، قال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أسْلِما ، قالا : قد أسلمنا ، قال : إنكما لم تُسْلِما ، فأسْلِما ، قالا : بلى ، قد أسلمنا قبلك . قال : كذبتُما ، يَمْنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتُكما الصليب ، وأكْلُكما الخِنْزير ؛ قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصَمت عنهما رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يُجِبْهما .

. . . .

تفسير ما نزل من آل عمران فى وفد نجران

فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كلِّه ، صَدْرَ سورة آل عِمْران إلى بضع وثمانين آية منها ، فقال جلّ وعزّ : ﴿ الم اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ . فافتتح السورة بتَنْزيه نفسه عمَّا قالوا ، وتَوْحيده إياها بالخَلْق والأمر ، لاشريك له فيه ، ردًّا عليهم ما ابتدعوا من الكُفْر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجا بقولهم عليهم فى صاحبهم ، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : ﴿ الم اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ ليس معه غيره شريك فى أمره ﴿ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ الحىّ الذى لايموت ، وقد مات عيسى وصُلب فى قولهم . والقيُّوم : القائم على مكانه من سلطانه فى خَلْقه لايزول ، وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به ، وذهب عنه إلى غيره . ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بالحَقّ ﴾ ، أى بالصدق فيما اختلفوا فيه : ﴿ وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ ﴾ : التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله : ﴿ وأَنْزَلَ الفُرْقانَ ﴾ ، أى الفصل بين الحقّ والباطل فيما اختلف فيه الأحزابُ من أمر عيسى وغيره ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ ، وَاللهُ عَزِيزٌ ذو انْتِقامٍ ﴾ ، أى : إن الله منتقم ممّن كفر بآياته ، بعد عِلْمه بها ، ومَعْرفته بما جاء منه فيها : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ ﴾ ، أى قد علم مايُريدون وما يَكيدون وما يُضاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه إلهاً وربًّا ، وعندهم من علمه غيرُ ذلك ، غِرَّةً بالله ، وكفراً به . ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ ﴾ أى : قد كان عيسى ممن

صُوِّر فى الأرحام ، لايدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صُوِّر غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلٰها، وقد كان بذلك المنزل ؟! ثم قال تعالى إنزاها لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه : ﴿ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ ، العزيز فى انتصاره ممّن كفر به إذا شاء،الحكيمُ فى حجّته وعُذْره إلى عباده . ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ ﴾ فيهنّ حُجّة الربّ ، وعِصْمة العبـاد ، ودَفع الخصوم والباطل ، ليس لهنّ تصريف ولا تحريف عما وُضعن عليه ﴿ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ﴾ لهنّ تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهنّ العباد ، كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ، ألاّ يُصرفن إلى الباطل ، ولا يُحرّفن عن الحقّ . يقول عزّ وجلّ: ﴿ فأمّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ ، أى: مَيْل عن الهدى ﴿ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ﴾ ، أى ماتصرّف منه ، ليصدّقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ؛ لتكون لهم حجة ، ولهم على ماقالوا شُبهة ﴿ ابْتِغاء الفِتْنَةِ ﴾ ، أى : اللبس ﴿ وَابْتِغاء تَأْوِيلِهِ ﴾ . ذلك على ما رَكِبوا من الضلالة فى قولهم : خلقنا وقضينا . يقول : ﴿ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾ ، أى : الذى به أرادوا ما أرادوا ﴿ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا ﴾ فكيف يختلف وهو قولٌ واحد، من ربّ واحد؟! ثم ردّوا تأويل المُتشابه على ماعرفوا من تأويل المُحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحـد ، واتّسق بقولهم الكتاب ، وصدّق بعضُه بعضاً ، فنفذت به الحجّة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ، ودَمغ به الكفرَ . يقول الله تعالى فى مثل هذا : ﴿ وَما يَذَّكَّرُ ﴾ فى مثل هذا ﴿ إِلاَّ أُولُو الأَلْبابِ .

. . . .

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا ﴾ : أى لا تُمل قلوبنا ، وإن مِلْنا بأحداثنا . ﴿ وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ ﴾ . ثم قال : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلائِكَةُ وأُولُو العِلْمِ ﴾ بخلاف ما قالوا ﴿ قائماً بالقِسْطِ ﴾ ، أى بالعدل (فيما يريد) ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسلامُ ﴾ ، أى: ما أنت عليه يا محمد : التوحيدُ للربِّ ، والتصديق للرسل . ﴿ وَما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ماجاءَهُمُ العِلْمُ ﴾ ، أى : الذى جاءك ، أى :أن الله الواحد الذى ليس له شريك. ﴿ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بآياتِ اللهِ ، فإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحسابِ * فإِنْ حاجُّوكَ ﴾ ، أى :بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحقّ ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلهِ ﴾ ، أى وحده . ﴿ وَمَنْ اتَّبَعَنِ ، وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ والأُمِّيِّينَ ﴾ الذين لا كتاب لهم ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ، فإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ، وإِنْ تَوَلَّوْا فإِنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ ، وَاللهُ بَصِيرٌ بالعبادِ ﴾ .

ما نزل من القرآن فيما ابتدعته اليهود والنصارى

ثم جمع أهل الكتابَيْن جميعا ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعُوا ، من اليهود والنصارى ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بغيرِ حَقٍّ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ إلى قوله : ﴿ قُلِ: اللَّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ ﴾ ، أى :ربَّ العباد ، والمَلِك الذى لا يقضى فيهم غيرُه ﴿ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشاء ، وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاء ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشاء ،

وَتُذِلُّ مَنْ تَشاء ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ ، أى : لا إله غيرك ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، أى : لا يقدر على هذا غيرك بسُلطانك وقُدْرتك . ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فى النَّهارِ ، وَتُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ ، وتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَى ﴾ بتلك القدرة ﴿ وتَرْزُقُ مَنْ تَشاء بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾ لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت ، أى : فإن كنتُ سلَّطت عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام والخلْق للطير من الطين ، والإخبار عن الغيوب ، لأجعله به آيةً للناس ، وتصديقا له فى نبوّته التى بعثته بها إلى قومه ، فإن من سُلْطانى وقُدْرتى مالم أُعطه تمليكَ الملوك بأمر النبوّة ، ووَضْعها حيث شئت ، وإيلاج الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وإخراج الحىّ من الميت ، وإخراج الميت من الحىّ ، ورزق من شئت من بَرّ أو فاجر بغير حساب ؛ فكلّ ذلك لم أُسَلِّط عيسى عليه ، ولم أُملِّكه إياه ، أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة وبيِّنة ! أن لو كان إلها كان ذلك كلُّه إليه ، وهو فى علمهم يهربُ من الملوك ، ويَنْتقل منهم فى البلاد ، من بلد إلى بلد .

ما نزل من القرآن فى وعظ المؤمنين وتحذيرهم

ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ، ثم قال : ﴿ قُلْ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ ﴾ ، أى : إن كان هذا من قولكم حقًّا ، حباً لله وتعظيما له ﴿ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ، أى : ما مَضى من كفركم ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ : أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ ﴾ فأنتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ ، أى : على كفرهم ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ ﴾ .

ما نزل من القرآن فى خلق عيسى

ثم استقبل لهم أمرَ عيسى: (عليه السلام)، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال: ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ، وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ثم ذكر أمر امرأة عِمْرَان، وقولها: ﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مافِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾، أى: نذرته فجعلته عتيقا، تعبُّدُه لله، لاينتفع به لشىء من الدنيا: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّى، إنك أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قالَتْ: رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى ﴾، أى: ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محرراً لك نذيرة ﴿ وإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ بعد أبيها وأمها.

قال ابن هشام: كفَّلها: ضمَّها.

آيات عن زكريا ومريم

قال ابن إسحاق: فذكَّرها بالنبيّ، ثم قصَّ خبرها وخبر زكريّا، وما دعا به، وما أعطاه؛ إذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم، وقول الملائكة وطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ لها ﴿ يامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العالَمِينَ * يامَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ذلكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾

أى : ما كنت معهم ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أقلامهم : سهامهم ، يعنى قِداحهم التى استهموا بها عليها ، فخرج قِدْح زكريَّا فضمَّها ، فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرىّ .

دعوى كفالة جريج الراهب لمريم

قال ابن إسحاق : كفَّلها هاهنا جُرَيج الراهب ، رجل من بنى إسرائيل نجّارٌ ، خرج السهمُ عليه بحَمْلها ، فحَملها ، وكان زكريَّا قد كفَّلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيل أزمةٌ شديدة ، فعجز زكريَّا عن حَمْلها ، فاستَهَمُوا عليها أيُّهم يكْفُلها ، فخرَج السهمُ على جُرَيج الراهب بكُفولها فكَفَلها . ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ، أى : ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يُخْبِره بخَفِيِّ ما كتموا منه من العِلم عندهم ، لتَحْقيق نُبوّته والحجَّة عليهم بما يأتيهم به ممَّا أخفَوا منه .

ثم قال : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ : الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، أى : هكذا كان أمره ، لا كما تقولون فيه ﴿ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أى عند الله ﴿ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عُمره ، كتقلُّب بنى آدم فى أعمارهم ، صغارا وكباراً ، إلا أن الله خصه

بالـكلام فى مَهْده آيةً لنبوّته ، وتَعْريفا للعباد بمواقع قُدْرته . ﴿ قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لى وَلَدٌ ولَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ؟ قالَ كَذَالِكِ اللهُ يَخْلُقُ مايَشاء ﴾ ، أى يصنع ما أراد ، ويخلُق مايشاء من بشر أو غير بشر ﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا فإِنَّما يَقُولُ له كُنْ ﴾ مما يشاء وكيف شاء ، ﴿ فيَـكونُ ﴾ كما أراد .

ما نزل من القرآن فى بيان آيات عيسى عليه السلام

ثم أخبرها بما يريد به ، فقال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الـكِتابَ والحِـكْمَةَ والتَّوْرَاةَ ﴾ التى كانت فيهم من عَهْد موسى قبله ﴿ والإِنْجِيلَ ﴾ ، كتابا آخر أحدثه الله عزّ وجلّ إليه لم يكن عندهم إلا ذِكْره أنه كائن من الأنبياء بعده ﴿ وَرَسُولاً إلَى بَنِى إسْرائيل أَنّى قَدْ جِئْتُـكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّـكُمْ ﴾ ، أى يحقّق بها نبوّتى ، أنّى رسول منه إليكم ﴿ أنّى أَخْلُقُ لَـكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَـكُونُ طَيْرًا بإِذْنِ اللهِ ﴾ الذى بعثنى إليكم ، وهو ربى وربُّـكم ﴿ وأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأكمه : الذى يولد أعمى . قال رؤبة بن العجّاج :

هَرّجتُ فارتدّ ارتدادَ الأكمهِ

(وجمعه : كمه) . قال ابن هشام : هرّجت : صحت بالأسد ، وجلبتُ عليه . وهذا البيت فى أرجوزة له .

﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ ﴾ أني رسول الله من الله إليكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ ، أي لما سبقني عنها ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أي أخبركم به أنه كان عليكم حراما فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفا عنكم ، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعاته ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ أي تبريا من الذين يقولون فيه ، واحتجاجا لربه عليهم ، ﴿ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ، أي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم به . ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ والعدوان عليه ، ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ ﴾ هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم ﴿ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ، أي هكذا كان قولهم وإيمانهم .

رفع عيسى عليه السلام

ثم ذكر (سبحانه وتعالى) رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ . ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، إذ هموا منك بما هموا ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ .

ثم القصة ؛ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ ﴾ القاطع الفاصل الحقّ ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعمّا اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنّ خبراً غيره . ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ ﴾ فاستمع ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ،أى ماجاءك من الخبر عن عيسى ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ ﴾ ، أى قد جاءك الحقّ من ربك فلا تمترينّ فيه ، وإن قالوا : خُلق عيسى من غير ذَكَر فقد خلقتُ آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذَكَر ، فكان كما كان عيسى لحما ودما ، وشَعْراً وبشراً ، فليس خَلْق عيسى من غير ذَكَر بأعجب من هذا . ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ ﴾ ، أى من بعد ماقصصتُ عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : قال : أبو عُبيدة : نَبْتَهِل : ندعُو باللعنة ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَبا نَعوذُ من شَرِّها يَوْما ونَبْتَهِل

وهذا البيت فى قصيدة له . يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بَهَل الله فلانا ، أى لعنه ، وعليه بَهْلة الله . (قال ابن هشام) : ويقال : بُهلة الله ، أى لعنة الله ، ونبتهل أيضا : نجتهد ، فى الدعاء .

قال ابن إسحاق : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ الذى جئتُ به من الخبر عن عيسى ﴿ لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ من أمره ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ ، وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلاَ يَتَّخِذَ بعضنا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . فدعاهم إلى النَّصَف ، وَقَطَعَ عنهم الحجة .

إباؤهم الملاعنة

فلما أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من الله عنه ، والفَصْلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأُمِر بما أُمر به من مُلاعنتهم إنْ ردّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ؛ فقالوا له : يا أبا القاسم ، دَعْنا نَنْظر فى أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوْا بالعاقِب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : ياعبدَ المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرَفتم إن محمداً لنبيٌّ مُرْسل ، ولقد جاءكم بالفَصْل من خَبر صاحبكم ، ولقد عَلِمتم مالاعَن قومٌ نبياً قطُّ فَبقى كبيرُهم ، ولا نَبَت صغيرُهم ، وإنه للاستئصالُ منكم إن فعلتم ، فان كنتم قد أبيتم إلا إلْف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألاَّ نُلاعِنك ، وأن نَتْركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من

. . . .

أصحابك تَرْضاهُ لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رِضاً .

تولية أبى عبيدة أمورهم

قال محمدُ بن جعفر : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى العشيّةَ أبعثْ معكم القوىّ الأمين قال : فكان عمرُ بن الخطّاب يقول : ما أحببتُ الإمارةَ قطُّ حُبِّى إياها يومئذ ، رجاءَ أن أكون صاحبَها، فرُحْتُ إلى الظُّهر مهجِّراً ، فلما صلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الظهرَ سلَّم ، ثم نَظر عن يمينه وعن يَساره ، فجعلت أتَطاول له لِيرَانى ، فلم يزَلْ يلتمس ببَصره حتى رأى أبا عُبيدة ابن الجرّاح ، فدعاه فقال : اخرُج معهم ، فاقْض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه. قال عمر : فذهب بها أبو عُبيدة .

نبذ من ذكر المنافقين

ابن أبى وابن صيفى

قال ابن إسحاق : وقَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ـ كما حدثنى عاصمُ بن عمر بن قَتادَة ـ وَسَيِّدُ أهلها عبدُ الله بن أُبَىّ ابن سَلول العَوْفى ثم أحدُ بنى الحُبْلَى ، لا يختلف عليه فى شَرَفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قَبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين ، حتى جاء الإسلام ، غيره ، ومعه فى الأوْس رجلٌ ، هو فى قومه من الأوس شريفٌ مُطاع ، أبو عامر عبد عَمْرو بن صَيْفِىّ بن النُّعمان ، أحدُ بنى ضُبَيعة بن زيد ، وهو أبو حَنْظَلة ،

الغسيل يوم أُحُد ، وكان قد ترهَّب فى الجاهليَّة ولَبِس المُسوح ، وكان يُقال له : الراهب . فَشَقِيا بشَرفهما وضَرّهما .

إسلام ابن أُبَىّ

فأمّا عبدالله بنُ أُبَىّ فكان قومُه قد نظَموا له الخَرَز ليتوّجوه ، ثم يُمَلِّكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وهم على ذلك . فلما انصرف قومُه عنه إلى الإسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه مُلْكًا . فلما رأى قومَه قد أبَوْا إلا الإسلام دخلَ فيه كارها مُصِرًّا على نفاق وضِغْن .

إصرار ابن صيفى على كفره

وأما أبو عامر فأبى إلا الكُفْر والفراقَ لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضْعة عشَر رجلا مفارقا للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما حدثنى محمدُ بن أبى أمامة عن بعض آل حَنْظلة بن أبى عامر : لاتقولوا الراهب ولكن قولوا : الفاسق .

مانال ابن صيفى جزاء تعريضه بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفرُ بن عبد الله بن أبى الحَكَم ، وكان قد أدركَ وسَمِع ، وكان راويةً : أن أبا عامر أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال : ماهذا الدّين الذى جئْتَ بِه ؟

فقال : جئتُ بالحنيفية دينِ إبراهيم ، قال : فأنا عليها ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنك لستَ عليها ؛ قال : بلى ، قال : إنك أدخلتَ يامحمد فى الحنيفية ماليس منها ، قال : مافعلتُ ، ولكنى جئت بها بيضاء نقية ؛ قال: الكاذبُ أماته اللهُ طريداً غريبا وحيداً ـ يعرّض برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أى أنك جئتَ بها كذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به . فكان هو ذلك عدوّ الله ، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة خَرج إلى الطائف . فلما أسلم أهلُ الطائف لَحِق بالشام . فمات بها طريداً غريبا وحيداً .

الاحتكام الى قيصر فى ميراثه

وكان قد خرج معه عَلْقمة بن عُلاثة بن عَوف بن الأحْوص بن جعفر بن كلاب ، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى ، فلما مات اختصما فى ميراثه إلى قيصر ، صاحب الرُّوم . فقال قيصر : يرث أهلُ المَدَر أهلَ المدر ، ويرث أهلُ الوَبَر أهلَ الوبر ، فوَرِثه كنانةُ بن عبد ياليل بالمَدر دون عَلْقمة .

هجاء كعب لابن صيفى

فقال كعبُ بن مالك لأبى عامر فيما صنع :

مَعاذَ الله من عَمَلٍ خَبيث ... كَسعْيِك فِى العَشيرة عبدَ عَمْرو

فإما قُلْتَ لى شَرَفٌ ونَخْلٌ ... فقِدْماً بعْتَ إيمانا بكُفْر

قال ابن هشام : ويروى :

فإما قلت لى شرفٌ ومالٌ

قال ابن إسحاق : وأما عبدُ الله بن أُبىّ فأقام على شرفه فى قومه متردّداً، حتى غَلبه الإسلامُ ، فدخل فيه كارها .

خروج قوم ابن أبى عليه وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مُسلم الزُّهرىّ ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن أسامة بن زَيد بن حارثة ، حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ركبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى سَعْد بن عُبادة يعوده من شَكْوٍ أصابَه على حمار عليه إكاف ، فوقه قَطيفة فَدكية مُخْتَطَمة بحبل من ليف ، وأرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفَه قال : فمرّ بعبد الله بن أُبَىّ ، وهو (فى) ظل مُزَاحمٍ أُطُمِه .

قال ابن هشام : مزاحم : اسم الأُطُم .

قال ابن إسحاق : وحوله رجالٌ من قومه . فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَذَمم من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجلّ ، وذكر بالله وحذّر ، وبشر وأنْذر قال : وهو زامٌّ لايتكلم ، حتى إذا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مَقالته ، قال : ياهذا ، إنه لا أحْسَن من حديثك هذا إن كان حقا فاجلس فى بَيْتك فمن جاءك له فحدّثه إياه ، (و) من لم يأتك فلا تَغتَّه به ، ولا تأْته فى مجلسه

بما يَكره منه . قال : فقال عبدُالله بن رَواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين: بَلى ، فاغشَنا به ، وائتنا فى مجالسنا ودُورنا وبُيوتنا ، فهو والله مما نحبّ ومما أكرمنا الله به وهدانا له ، فقال عبد الله بن أُبَىّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى ما يكُنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ لا تزل   تَذِلّ وَيَصرَعْكَ الذين تُصارِعُ

وهل يَنْهض البازى بغير جَناحه   وإن جُذّ يوْما رِيشُه فهو واقع

قال ابن هشام : البيت الثانى عن غير ابن إسحاق .

غضب الرسول صلى الله عليه وسلم من كلام ابن أُبَىّ

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهرىّ ، عن عُروة بن الزّبير ، عن أسامة ، قال: وقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على سَعْد بن عُبادة ، وفى وجهه ماقال عدوّ الله ابن أُبَىّ ، فقال : والله يارسول الله إنى لأرى فى وَجْهك شيئا ، لكأنك سَمِعْتَ شيئا تكرهه ؛ قال : أجل ثم أخبره بما قال ابنُ أُبَىّ : فقال سعدُ : يارسولَ الله ، ارفُق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لَنَنْظِمُ له الخرز لنتوّجه ، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُلْكا .

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرض أبى بكر وعامر وبلال وحديث عائشة عنهم

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة ، وعُمَر بن عبد الله بن عُروة ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قدِمها وهى أوْبأ أرضِ الله من الْحُمَّى ، فأصاب أصحابَه منها بَلاءٌ وسُقم ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم . قالت فكان أبو بكر ، وعامر بن فُهيرة ، و بلال ، مَوْليا أبى بكر ، مع أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أعُودهم ، وذلك قبل أن يُضْرب علينا الحِجاب ، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدّة الوَعْك فدنوتُ من أبى بكر فقلتُ له كيف تَجِدُك يا أبت ؟ فقال :

كلّ امرىء مُصَبَّح فى أهْــله ... والموتُ أدْنى من شِراك نَعْلِه

قالت : فقلت : والله مايدرى أبى ما يقول . قالت : ثم دنوتُ إلى عامر ابن فُهَيْرَة فقلت له كيف تجدُك ياعامر ؟ فقال :

لقــد وجــدتُ الموتَ قبل ذَوْقِه ... إنّ الجبانَ حتفُه من فَوْقه

كلّ امرئ مجاهد بطَوْقه ... كالثّور يَحْمى جِلْده بِرَوْقه

يريد : بطاقته ، فيما قال ابن هشام : قالت : فقلت : والله مايدرى عامر

. . . .

ما يقول! قالت وكان بلال إذا تركته الحمَّى اضطجع بفناء البيت، ثم رفع عَقيرتَه فقال:

ألا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً بفَجٍّ وَحَوْلى إذْخرٌ وَجَليل
وهل أرِدَنْ يوما مياهَ مجنَّةٍ وهل يَبْدُونَ لى شامةٌ وَطفيل

قال ابن هشام: شامة وطَفيل: جبلان بمكة.

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة

قالت عائشة رضى الله عنها: فذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعتُ منهم، فقلت: إنهم لَيَهْذُون وما يَعْقلُونَ من شدّة الحمى. قالت: فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اللهمّ حبِّب إلينا المدينة كما حبّبتَ إلينا مكة، أو أشدّ، وبارك لنا فى مُدّها وصاعها وانقل وباءها إلى مَهْيَعة، ومَهْيَعةُ: الُجحْفة.

ماجهد المسلمين من الوباء

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهرى، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاصى: أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم لما قَدِم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمَّى المدينة، حتى جُهِدوا مرضا، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم؛ حتى كانوا مايصلُّون إلا وهُمْ قعود، قال: فخرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلُّون كذلك، فقال لهم: اعلموا أن صلاةَ القاعد

على النِّصْف من صلاة القائم . قال : فتجشم المُسلمون القيامَ على مابهم من الضُّعْف والسُّقْم التماسَ الفضل .

بدء قتال المشركين

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيَّأ لحربه ، قام فيما أَمَره الله به من جهاد عدوّه ، وقِتال مَنْ أمَره الله به ممَّن يَليه من المُشركين ، مُشركى العَرب ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة .

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

قد تقدَّم أن نجرانَ عُرفت بنَجْرَانَ بن زيْدِ بن يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطَانَ ، وأما أهلها فهم : بنو الحارث بن كعب من مَذْحِج .

تأويل كن فيكون :

ذكر فيه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أبوه يامحمد ، يعنون عيسى ، فأنزل الله تعالى ﴿ إن مَثَلَ عِيسىَ عندَ الله ﴾ إلى قوله : ﴿ كن فيكون ﴾ وفيها نُكْتَة ، فإن ظاهرَ الكلام أن يقول : خلقه من تراب ، ثم قال له : كُن فَكان ، فيعطف بلفظ الماضى على الماضى ، والجواب : أن الفاء تعطِى التَّعْقيبَ والتَّسْبيبَ ، فلو قال : فكان لم تدل الفاء إلا على التسبيب ، وأن القولَ سَبَبٌ للكَوْن ، فلما جاء بلفظ الحال دَلَّ مع التسبيب على استعقاب الكون للأَمْرِ من غير مَهَلٍ ، وأن الأمْرَ بين الكاف والنون ، قال له : كُنْ فإذا

. . . .

هو كائنٌ ، واقتضى لفظُ فِعْلَ الحالِ كَونَه فى الحال، فإن قيل وهى مسألة أخرى : إن آدم مكث دهراً طويلا[١] ، وهو طين صَلْصَالٌ ، وقوله للشىء : كن فيكون يقتضى التعقيب ، وقد خلق السموات والأرضَ فى ستة أيام ، وهى ستة آلافِ سنةٍ[٢] ، فأين قوله . كن فيكون من هذا ؟

فالجواب : ما قاله أهلُ العلم فى هذه المسألة ، وهو أن قول البارى سبحانه : كن يتوجه إلى المخلوقِ مُطْلقا ومقيدا ، فإذا كان مطلقا كان كما أراد لحينِه ، وإذا كان مقيدا بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذى تقيد الأمر به ، فإن قال له : كن فى ألفِ سنة ، كان فى ألف سنة ، وإن قال له : كن فيما دون اللحظة كان كذلك .

تأويل آيات محكمات :

فصل.وذكرصَدْرَسورة آل عِمْرَانَ ، وفسّر منه كثيرا ، فمنهقولهسبحانه : ﴿ منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ وهو مالا يحتمل إلا تأويلا واحدا ، وهو عندى من أحكَمْتُ الفَرسَ بحَكَمَتِه ، أى : منعته من العُدولِ عن طريقه كما قال حسان:

---

(١) من أين جاء بهذا ؟

(٢) لم يرد بهذا حديث صحيح ، ولابن كثير تفسير لقوله تعالى : وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ، أى : هو تعالى لا يعجل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد بالنسبة إلى حلمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر ، وأنه لايفوته شىء ، وإن أمهل وأنظر وأملى ، وهو تفسير جميل يدفع القول بأن اليوم يساوى ستة آلاف سنة ، وثمت أحاديث تدل على أنهـا ستة أيام بأيامنا هذه . وخير للمسلم أن يقف عند الذى ذكر فى القرآن .

. . . .

وَنُحْكِم بالْقَوَافِي مَنْ هَجَانا

أى : نُلجمه فنمنعه ، وكذلك الآية المُحْكَمة لا تتصرف بقارئها التأويلاتُ ، ولا تتعارض عليه الاحتمالاتُ ، وليس من لفظ الحِكْمَة ، لأن القرآنَ كلَّه حِكْمَةٌ وعِلْم . والمتشابهُ يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة ، وطرق متباينة ، وقوله سبحانه : ﴿ كتابٌ أُحْكِمَت آياتُه ﴾ هذا من الحِكْمَة ومن الإحْكَام الذى هو الإتقانُ، فالقرآن كلُّه مُحْكَمٌ على هذا ، وهو كله من هذا الوجه مُتَشَابِهٌ أيضاً ، لأن بعضَه يُشبِه بعضا فى بَرَاعَةِ اللفظ ، وإعجاز النظم ، وَجَزالة المعنى ، وبدائع الحِكْمَة ، فكُلُّه مُتَشَابِهٌ وكلُّه مُحْكَم ، وعلى المعنى الأول: ﴿ منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ ﴿ وأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ ﴾ فأهل الزَّيْغ يَعْطِفون المُتَشَابِه على أهوائهم ويُجَادلون به عن آرائهم ، والراسخُون فى العِلْم يَرُدُّون المتشابه إلى المحكم أخذاً بقول الله تعالى : ﴿ فإن تنازَعْتُم فى شَيْءٍ فَرُدُّوه إلى اللهِ والرسول ﴾ وعِلْماً بأن الكُلَّ من عندِ الله ، فلا يخالف بعضُه بَعْضاً . روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ فأمَّا الذين فى قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فيَتَّبِعُون ماتشابه منه ابتغاء الْفِتْنَة وابتِغاءَ تأويلِهِ ﴾ قال : إذا رأيتم الذين يُجادِلون فيه ، فهم أولئك فاحذَروهم[1] . وللسلَفِ فى معنى

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد ولفظ البخارى عن عائشة قالت : « تلا رسول الله «ص» هذه الآية (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) إلى قوله : (ومايذكر إلا أولوا الألباب) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه ، فأولئك الذين سمى فاحذروهم»

. . . .

المُحْكم ومعنى المتشابه أقوال متقاربة ، إلا أن منهم من يرى الوقفَ على قوله: ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ ويرونه تمام الكلام ، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقولُ الرّاسِخُون في العِلْم[1] ، وهو قول عمر بن عبد العزيز أن الراسخين في العلم لايعلمون التأويل ، وإن علِمُوا التفسير . والتأويلُ عند هؤلاء غيرُ التفسير ، إنما هو عندهم في معنى قوله سبحانه : ﴿يوم يأتي تأويلُه﴾ [2] وطائفةٌ

---

(١) لا يعتد بمثل هذه القراءات التي لا ترد عن طريق سند صحيح قوى .

(٢) التأويل : تفعيل من آل يئول إلى كذا إذا صار إليه ، فالتأويل : التصيير ، وأولته تأويلا : إذا صيرته إليه . وتسمى العاقبة : تأويلا ، لأن الأمر يصير إليها ، وتسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلا لأن الأمر ينتهي إليه ، ومنه قوله تعالى : (هل ينظرون إلا تأويله) فمجيء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفاصيله والجنة والنار ، وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلا لأنها بيان لمقصود الفاعل ، وغرضه من الفعل الذي لم يعرف الرائي له غرضه به ، ومنه قول الخضر لموسى : (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) . فالتأويل في كتاب الله المراد منه : حقيقة المعنى الذي يئول إليه اللفظ ، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج ، فإن الكلام نوعان ، خبر وطلب فتأويل الخبر هو الحقيقة ، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به وتأويل ما أخبر الله به من صفاته العلى ، وأفعاله نفس ماهو عليه سبحانه ، وماهو موصوف به من الصفات العلى . وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور بها وأما التأويل في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث فرادهم به معنى التفسير والبيان . وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من المتكلمين ، فرادهم بالتأويل : صرف اللفظ عن ظاهره ، وهو معنى للتأويل لا يوجد في لغة القرآن انظر ص ١٠ - ١١ مختصر الصواعق المرسلة للامام ابن القيم ط السلفية المكية سنة ١٣٤٨ هـ وإذا كان التأويل بمعنى الحقيقة الموجودة في الخارج وكان بالنسبة =

. . . .

يرين أن قولَه : والراسخونَ مَعْطُوفٌ على ماقبلَه ، وأنهم عالمون بالتأويل ، ويحتجون بما يطول ذكره من أثَر ونظر ، والذى أرتضيه من ذلك مذهبٌ ثالث ، وهو الذى قاله ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، ومعناه كلُّه أن الكلامَ قدتَمَّ فى قوله : ومايعلم تأويلَه إلا اللهُ . والراسخون فى العلم : مبتدأٌ ، لكن لانقول : إنهم لايعلمون تأويله . كما قالت الطائفة الأولى ، ولكن نقول : إنهم يَعْلَمُونه بَردِّ المتشابه إلى المُحْكَم ، وبالاستدلال على الخَفِيِّ بالجَلِيِّ ، وعلى المختلف فيه بالمُتَّفَقِ عليه ، فَتَنْفُذ بذلك الحُجَّةُ ، ويُزاحَ الباطل ، وتعظم درجةُ العالم عند الله تعالى ، لأنه يقول : آمنت به كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّى فكيف يختلف ؟ ! ولما كان العِلْمَان مختلِفين : عِلْم الله ، وعِلْمُ الراسخين فى العِلْم لم يَجُزْ عطفُ : « الراسخون » على ماقبله ، فالله يعلم تأويله العِلْم القَدِيم[1]

= لصفات الله وأسمائه ، هو نفس ما هو عليه سبحانه ، وماهو موصوف به من الصفات ، فإن أحدا لايعلم شيئا من هذا . ولايستطيعه حتى الراسخون فى العلم . أما إذا كان بمعنى التفسير والبيان ، فالراسخون يعلمون ، كتفسير الاستواء بعلو العلى الغفار ، وإذا كان التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره بقرينة مزعومة فهو معنى باطل كتأويل الاستواء بالاستيلاء ، وخرج صاحب هذا التأويل فى زعمه من شنيع إلى ماهو أشد شناعة وغلطا فيها ، وما فى إخبار الله عن نفسه بأنه استوى أثارة من شناعة ، وإلا حكمنا على ربنا بأنه لا يحسن البيان ، أو بأنه يخبر عن نفسه بماليس لوجوده أولمعناه حقيقة ، أو يخبر عن نفسه بما فيه شناعة ، وأما فى الإخبار عنه بأنه استولى ففيه ما فيه ، فيه بهت الله بما لم يقله ، فيه الحكم على الله بأنه غلب يوما على أمره ، فالاستيلاء يفيد المغالبة ، فيه الزعم بأننا أحسن بيانا من الله فى التعبير عن صفاته . ومعاذ الله جل شأنه

(١) لم يرد لا فى القرآن ، ولا فى الحديث الصحيح وصف علم الله بهذه الصفة التى لا توحى إلا بالعفونة .

. . . .

لا بِتذكّر ، ولا بتفكّرٍ ، ولا بِتَدْقيق نظرٍ ، ولا بفحص عن دليل ، فلا يعلم تأويله هكذا إلا اللهُ . والراسخون فى العِلم يعلمون تأويله بالفَحْصِ عن الدليل ، و بتدقيق النظر وتَسْدِيد العِبر ، فهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّر إلا أُولُو الألبابِ ﴾ وهذا معنى كلام ابن إسحاق فى الآية .

احتجاج القسيسين للتثليث :

فصل: وذكر احتجاجَ الأحبارِ والقِسِّيسِينَ من أهلِ نَجْرانَ بقوله عز وجل: خَلَقنا وأمَرْنا وأشباه ذلك ، وقالوا هذا يدل على أنه ثالثُ ثلاثةٍ تعالى اللهُ عن قولهم ، وهذا من الزَّيْغ بالمُتَشَابه ، دون رَدِّه إلى المُحْكَمُ نحو قوله : ﴿ وإلٰهُكُمْ إلٰهٌ واحدٌ ﴾ و : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ والعجب من ضَعف عقُولهم: كيف احْتَجُّوا على محمد بما أُنزِل على محمد ، وهو أعلم بمعنى ما أُنزِل عليه ، لأن هذا اللفظ الذى احتجوا به مَجَاز عربى ، وليس هو لفظ التَّوراة والإنجيل ، وأصل هذا المجاز فى العربية أن الكتاب إذا صَدَر عن حَضْرة مَلِكٍ كانت العبارةُ فيه عن الملكِ بلفظِ الجَمْع دلالةً على أنه كلامُ مَلِكٍ مَتْبُوعٍ على أمرِه ، وقولِه ، فلما خاطبهم اللهُ تعالى بهذا الكتابِ العزيزِ أنزله على مذاهبهم فى الكلام ، وجاء اللفظُ فيه على أسلوبِ الكلام الصَّادِرِ عن حَضْرة المَلِكِ ، وليس هذا فى غير اللسانِ العربى ، ولا يتطرقَ هذا المجازُ فى حُكْمِ العقلِ إلى الكلام القديم ، إنما هو فى اللفظ المنزَّل ، ولذلك نجده إذا أخبر عن قولٍ قاله لنبى قَبلَنا ، أو خاطب به غيرَنا نحو قوله : ﴿ مامَنَعَكَ أَنَ تَسْجُدَ لما خلقتُ بِيدَىَّ ﴾ ولم يقل : خلقنا بأيدينا ، كما قال : مما عملته أيدينا ، وقال حكاية عن وَحْيه لموسى : ﴿ ولِتُصْنَع على

. . . .

عَيْنِى ﴾ ولم يقل : كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ تجرى بأعْيُنِنا ﴾ لأنه أخبر عن قولٍ قاله لم ينزله بهذا اللسانِ العربىِّ ولم يَحْكِ لَفظاً أنزله، وإنما أخبر عن المعنى، وليس المجازُ فى المعنى ، وكذلك لايجوز لعبـــدٍ أن يقولَ ربِّ اغفِروا ، ولا ارْحَمُونِى ، ولا عَلَيْـكُمْ تَوَكَّلتُ ، ولا إليكم أَنَبْتُ ، ولا قالها نَبِىٌّ قَطٌّ فى مناجاته ، ولا نبى فى دعائه لوجهين ، أحدهما : أنه واجب على العبد أن يُشْعِرَ قلبَه التوحيدَ ، حتى يشا كل لفظُه عَقْدَهُ . الثانى : ما قدمناه من سَيْرِ هذا المجاز ، وأن سَبَبه صدورُ الـكلام عن حضرة المِلِك موافَقةً للعرب فى هذا الأسلوب من كلامها ، واختصاصها بعادة ملوكها وأشرافها ، ولا ننظر لقول من قال فى هذه المسألة ، وبذلك رُوجِعوا ، يعنى : بلفظ الجمع ، واحتج بقوله سبحانه خبراً عَمَّن حضره الموتُ من الـكفار إذ يقولُ : رَبِّ ارْجِعُونِ ، فيقال له : هذا خَبَرٌ عَمَّن حضرته الشياطينُ ، ألا ترى قبلَه : وأعوذ بك رَبِّ أن يَحْضُرُونِ ، فإنما جاء هذا حكايةً عمَّن حضرته الشياطينُ ، وحضرته زَبانيةُ العذابِ وجرى على لسانِه فى الموت ما كان يعتاده فى الحياةِ من رد الأمر إلى المخلوقين ، فلذلك خَلَط ، فقال : رَبِّ ، ثم قال : ارْجِعُون[1] ، وإلاَّ فأنت أيها الرجلُ المجيزُ لهذا اللفظِ فى مخاطَبة الربِّ سبحانه : هل قلتَ قَطُّ فى دعائك : ارْحَمُون يارَبِّ ، وارْزُقُون ؟! بل لو سمعتَ غيرَكَ يقولُها لسَطَوْتَ به ، وأما قولُ

---

(١) سبقه إلى هذا ابن جرير الطبرى ، ففيه « وإنما ابتدىء الكلام بخطاب الله جل ثناؤه ، لأنهم استغاثوا به ، ثم رجعوا إلى مسئلة الملائكة الرجوع والرد إلى الدنيا » ونقل عن بعض نحويى الكوفة « قيل ذلك كذلك لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله : (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) فى غير مكان من القرآن ، فجرى هذا على ذاك »

. . . .

مالكٍ وغيرِه من الفقهاء الأمرُ عندنا ، أو رأينا كذا ، أو نَرَى كذا ، فإنما ذلك ، لأنه قول لم ينفرد به ، ولو انفرد به لـكان بِدْعة ، ولم يقصِد به تعظيما لنفسه ، لا هو ولا غيره من أهل الدين والدِّعَة .

احتجاجهم لألوهية عيسى :

وأما احتجاجُ القِسِّيسين بأنه كانَ يحيِي الموتى ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فَيَنْفُخُ فيه، فلو تفكَّروا لأبصروا أنها حُجَّةٌ عليهم ، لأن الله تعالى خَصَّه دون الأنبياء بمعجزاتٍ تُبطِلُ مَقَالَةَ مَنْ كَذَّبه ، وتُبطِل أيضاً مَقَالَةَ مَنْ زعم أنه إلهٌ أو ابنُ الإله واستحال عنده أن يكونَ مخلوقا من غير أب ، فكان نفخُه فى الطين ، فيكونُ طائرا حَيًّا : تنبيها لهم لو عَقَلُوه على أن مَثَلَه كَمَثَل آدمَ خُلِق مِنْ طِين ، ثم نُفِخَ فيه الرُّوحُ ، فكان بَشراً حَيًّا ، فَنَفْخُ الرُّوحِ فى الطائر الذى خَلَقه عيسى من طِينٍ ليس بأَعْجَبَ مِنْ ذلك، الكُلُّ فِعْل الله، وكذلك إحْياؤُه الموتى ، وكلامُه فى المَهْد ، كُلُّ ذلك يدل على أنه مخلوق من نَفْخَةِ رُوح القُدُسِ فى جَيْب أُمِّه ، ولم يُخْلَقْ من مَنِىِّ الرجالِ ، فكان معنى الرُّوح فيه — عليه السلام — أقوى منه فى غيره ، فكانت مُعجزاتُه رُوحانِيَّةً دَّالةً على قوة المناسبةِ بينه وبين رُوح الحياة ، ومن ذلك بقاؤه حَيًّا إلى قُرْب الساعة . ورُوِىَ عن أُبَىٍّ بن كَعْبٍ أنَّ الرُّوح الذى تَمَثَّل لها بشرا هو الرُّوحُ الذى حملت به ، وهو عيسى عليه السلام دخل مِنْ فيها إلى جَوْفها . رَواه الكَشِّى بإسناد حَسَنٍ يرفعه إلى أُبَىٍّ[1]، وخُصَّ بإبراء الأَكْمَه والأَبْرَص ،

---

(١) بدعة توحى إليك بأن وراءها خرفا صليبيا . فالصليبية تزعم هذا . =

. . . .

وفى تخصيصه بإبراء هاتين الآفتين مُشاكلةٌ لمعناه ـ عليه السلام ـ وذلك أن فرقة عَمِيَتْ بصائرهم، فكذَّبوا نبوَّتَه، وهم اليهودُ وطائفةٌ غَلَوْا فى تعظيمه بعد ما ابيضَّتْ قلوبُهم بالإيمان، ثم أفسدوا إيمانَهم بالغلوِّ، فَمَثلهُمْ كَمَثَلِ الأَبْرَصِ ابيَضَّ بياضا فاسدا، ومَثَلُ الآخَرِينَ مَثَلُ الأَكْمَهِ الأعمى، وقد أعطاه اللهُ من الدلائل على الفريقين ما يُبْطِلَ المقالتين(١)، ودلائلُ الحُدُوثِ تُثْبِتُ لَه العُبودِيَّة، وتَنفى عنه الرُّبُوبِيَّة، وخصائصُ مُعْجِزَاتِهِ تنفى عن أُمِّه الرِّيبَةَ وتُثْبِت له ولها النُّبوَّةَ والصِّدِّيقية، فكان فى مَسِيح الهُدَى من الآياتِ ما يُشاكِلُ حالَه، ومعناه حِكْمَةً من الله، كما جَعَل فى الصورةِ الظاهرة من مَسِيح الضَّلَالَة، وهو الأعورُ الدَّجَّالُ مايشاكل حالَه، ويناسب صُورَتَه الباطِنَةَ، على نحو ماشَرَحْنا وبيَّنا فى إملاء أمليناهُ على هذه النُّكْتَةِ فى غير هذا الكتاب والحمد لله.

وضعتها أنثى :

فصل: وذَكر فى تفسير مانزَل فيهم قولَ حَنَّةَ أُمِّ مَرْيَم، وهى بنت ماثان(٢)

= وهدى الله فى الآيات التى ذكرت المحاورة بين الروح المتمثل بشرا وبين مريم تنفى هذا المفهوم الصليبى.

(١) يوجد فى العهد القديم ما يدل على أن الأبرص كان يعيش بين بنى إسرائيل منبوذا من المجتمع محكوما بنجاسته من الكهنة. اقرأ تفصيل أحكامه هو وغيره فى سفر اللاويين لا سيما الإصحاح الثالث عشر منه.

(٢) من أين جاء بهذه الأسماء؟ الخير أن نقف عند الحد الذى بين القرآن.

. . . .

﴿ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُها أُنثَى ﴾ قال بعضُ أهل التأويل : أشارت إلى معنى الحَيْضِ أن الأُنثَى تحيض ، فلا تَخْدُمُ المسجدَ ، ولذلك قال : (وليس الذكر كالأنثى) لأن الذَّكَر لا يَحيضُ ، فهو أبدا فى خِدْمَة المسجد ، وهذه إشارةٌ حَسَنةٌ . فإن قيل : كان القياسُ فى الكلام أن يُقال : وليس الأُنثى كالذكر ، لأنها دُونه ، فما باله بدأ بالذَّكَر ؟ والجواب : أن الأُنثى إنما هى دُون الذَّكَرِ فى نَظَر العَبْدِ لنفْسِه ؛ لأنه يَهْوَى ذُكْرَان البنين ، وهم مع الأموال زينة الحياة الدنيا وأقربُ إلى فتنة العبد ، ونَظَرُ الربِّ للعبد خَيْرٌ من نظره لنفسه ، فليس الذكر كالأُنثى على هذا ، بل الأُنثى أفضلُ فى المَوهِبَة ، ألا تراه يقول سبحانه : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يشاء إناثاً ﴾ فبدأ بذكرهِنَّ قبلَ الذكور ، وفى الحديث : ابدؤوا بالإناثِ ، يعنى : فى الرحمةِ وإدخال السُّرورِ على البنين ، وفى الحديث أيضاً « مَنْ عَالَ جارِيَتَيْنِ دخلتُ أنا وهو الجنةَ كهاتَيْنِ »[1] فترتب الكلامُ فى التنزيلِ على حَسَبِ الأَفضَلِ فى نظر الله للعبد ، والله أعلم بما أراد .

المباهلة

فصل : وذكر دُعاءه عليه السلامُ أهلَ نَجْران إلى المُباهَلَة[2] ، وأنهم

---

(١) رواية مسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه ، وقريب من هذه رواية الترمذى .

(٢) أخرج البخارى بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث =

. . . .

رَضُوا بِبَذْلِ الْجِزْيَةِ والصَّغَارِ ، وأنْ لَا يُلاعِنُوه ، وكذلك رُوِى أن بعضهم قال لبعضٍ : إنْ لاعَنْتُمُوهُ ، وَدَعَوْتُمْ باللَّعنة على الكاذِبِ اضطَرَم الوادى عليكم نارا ، وفى تفسير الكَشّى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . قال : لقد تَدَلَّى إليهم العذابُ ، والذى نَفْسِى بيده لو بَاهَلُونى لاسْتُؤْصِلوا مِنَ عَلَى جَدِيدِ الأَرْضِ .

نكتة : فى قوله : ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأبناءكم ، و [نساءنا ونساءكم] ﴾ بدأ بالأبناء والنساء قبل الأنفس . والجواب : أن أهلَ التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم ، أى لِيَدْعُ بعضُنا بَعْضاً ، وهذا نحو قوله : فَسَلِّمُوا على أنفسكم فى أحد القولين ، أى : يسلم بعضُكم على بعضٍ ، فَبَدَأَ بذكر الأولادِ الذين هم فَلَذُ الأكباد ، ثم بالنساء التى جَعَل بيننا وبينهم مَوَدَّةً ورَحْمَةً ، ثم مَنْ وراءهم مَنْ دُعَاه بعضهم بعضاً ، لأن الإنسانَ لا يدعو نفسه ، وانتظم الكلام على الأسلوب الْمُعْتَادِ فى إعجازِ القرآن . وفى حديث أهلِ نجران زيادةٌ كثيرة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هِشَام ، منها أن راهبَ نَجْرَانَ حين رجع الوفدُ وأخبروه الخبر رحل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسمع منه وأهْدَى إليه القَضِيبَ والْقَعْبَ والْبُرْدَ(١) الذى هو الآن عند خُلفاء بنى العباس يَتَوارَثُونه .

= معنا إلا أمينا فقال : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله «ص» فقال : قم يا أباعبيدة بن الجراح ، فلما قام ، قال رسول الله «ص» « هذا أمين هذه الأمة » ورواه أيضا مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة بنحوه. ومن حديث آخر « لو خرج الذين يباهلون رسول الله «ص» لرجعوا لا يجدون مالا ، ولا أهلا » البخارى والترمذى والنسائى .

(١) البرد : ثوب مخطط ، والقعب : القدح الضخم ، والقضيب : السيف اللطيف الدقيق

سلول :

فصل : وذكر قصة عبد الله بن أُبَيٍّ بن سَلُول ، وسَلولُ : هي أم أُبَيٍّ ، وهي خُزَاعِيَّة ، وهو أُبَيٌّ بن مالك من بني الْحُبْلَى ، واسم الْحُبْلَى : سالم والنَّسَبُ إليه : حُبُلِيٌّ بضمتين ، كرهوا أن يقولوا : حُبْلَوِيٌّ أو حُبْلِيٌّ أو حُبْلَاوِيٌّ على قياس النَّسب ، لأن حُبْلَى وسَكْرَى ونحوهما إذا كانا اسما لرجل ، لم يَجُز في الجمع على حُكم التأنيث ، وكذلك فَعْلَاء بالمد تقول في جمع رجل اسمه : سَلْمَى أو وَرْقَاء الْوَرْقَاوُون والسَّلْمُون ، وهذا بخلاف تاء التأنيث ، فإنك تقول في طَلْحة اسم رجل طَلَحَات ، كما كنت تقول في غير الْعَلَمِيَّة ، لأن التاءَ لا تكون إلا للتأنيث ، والألف تكون للتأنيث وغيره ، فلما كانت ألف التأنيث بخلاف تاء التأنيث في الأسماء والأعلام كان النسب إليها مخالفا للنسب إلى ما فيه ألف التأنيث في غير الأعلام ، غير أن هذا في باب النسب لا يَطَّرِد وإن اطَّرَدَ الجمعُ ، كما قدمنا ، وكانت النُّكتةُ التي خُصَّ بها النسبُ في بني الْحُبْلَى بمخالفة القياس كراهيتَهم لحكم التأنيث فيه لأن الْحُبْلَى وصفٌ للمرأة بالْحَبَل ، فليس كراهيتُهم لبقاء حكم التأنيث فيمن اسمُه سَلْمَى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التأنيث فِيمَنْ اسمُه : حُبْلَى ؛ فلذلك غيَّروا النسبَ ، حتى كأنهم نَسَبوا إلى حُبُل والله أعلم[1] .

---

(١) في اللباب لابن الأثير « الحبلى بضم الحاء المهملة والباء الموحدة . قال أبو علي البغدادي في كتاب التاريخ : فلان الحبلى منسوب إلى حي من اليمن من الأنصار يقال لهم : بنو الحبلى . وذكر سيبويه النحوى : الحبلى بفتح الباء ؛ وقال : هو منسوب إلى بني الحبلى والمشهور بهذه النسبة أبو عبد الرحمن الحبلى من تابعى أهل مصر . » ثم قال ابن الأثير : هذا نص كلام السمعاني لم أسقط منه شيئا ، وهو يدل على أن أبا عبد الرحمن الحبلى من بني الحبلى من الأنصار ، وليس كذلك ، إنما هو منسوب إلى بطن من المعافر ، وهم أيضاً من اليمن ، وأما بنو =

. . . .

وأما سَلُولُ في خزاعة ، وقد تقدم عند ذكر حُبْشِيَّة بن سَلُولٍ فاسمُ رَجُلٍ مصروفٍ ، وأما بنو سَلُول بن صَعْصَعَةَ إخوةُ بنى عامرٍ فهم : بنو مُرَّةَ بنِ صَعْصَعَةَ . وسَلُولُ : أمهم ، وهى بنتُ ذُهْل بن شَيْبَان ، فجميع ما وقع لابن إسحاق فى السِّيَر من سَلُول : ثلاثةٌ : واحدٌ اسمُ رجل مَصْروف ، وثنتيان غيرُ مَصْروفَتين ، وهما اللتان ذكرنا .

الملك فى العرب

وذكر أن الأنصار كانوا قد نظَمُوا الخَرَزَ لعبد الله بن أُبَىٍّ لِيُتوِّجُوه ويُمَلِّكُوه عليهم ، وذلك أن الأنصار يَمَنٌ ، وقد كانت الملوكُ المُتَوَّجُون من اليَمَنِ فى آلِ قَحْطَانَ ، وكان أول من تَتَوَّجَ منهم سَبأُ بنُ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ ، ولم يُتَوَّجْ من العَرَب إلا قَحْطَانِيٌّ كذلك قال أبو عُبَيْدة ، فقيل له : قد تَتَوَّجَ هَوْذَةُ بن عَلى الحنفى صاحبُ اليَمَامَةِ ، وقال فيه الأعشى :

= الحبلى من الأنصار ، فينسب إليهم عبد الله بن أبى مالك بن الحارث بن عبيد ابن مالك بن سالم الحبلى وأم أبى سلول الخزاعية ، ثم قال ابن الأثير : « الحبلى : بضم الحاء وسكون الباء الموحدة وإمالة اللام ، هذه اللفظة لقب سالم بن غنم ابن عوف بن الخزرج بن حارثة قال ابن الكلبى : إنما سمى الحبلى لعظم بطنه » ثم قال ابن الأثير : « قلت وهذه الترجمة أيضاً لفظ السمعانى ولا شك أنه ظن أن سالم ابن غنم بن عوف هو غير الذى تقدم فى الترجمة قبلها ، ولعله اشتبه عليه حيث رأى فى تلك الأولى أن الحبلى منسوب إلى حى من اليمن من الأنصار ورآه هنا أنه لقب سالم ، وهو من الأنصار ، والانصار من اليمن ، ولولا أنه ظن أنهما اثنان لما ترجم عليهما ترجمتين ، والله أعلم » وفى القاموس عن النسب إلى بنى الحبلى « وهو حبلى بالضم وبضمتين ، وكجهنى ».

. . . .

من يرى هَوْذَةَ يَسْجُدُ غيرَ مُتَّئِبٍ ‏ إذا تَعَمَّمَ فوق التاج أو وَضَعَا[١]

وفى الخرزات التى بمعنى التاج يقول الشاعر [لبيد يذكر الحارث بن أبى شِمَر الغَسَّانى] .

رَعَى خَرَزَاتِ المُلْكِ عِشْرِينَ حِجَّةً
وعِشْرِينَ حتى فَادَ والشَّيْبُ شَامِلُ[٢]

وقال أبو عُبَيْدة : لم يَكُن تاجا ، وإنما كانت خَرَزَاتٍ تُنَظَّم ، وكان سببُ تَتَوُّجِ هَوْذَةَ أنه أجار لَطِيمَةً لِكِسْرى منعها مِمَّن أرادها من العرب ، فلما وفد عليه تَوَّجه لذلك ومَلَّكه :

مزاعم أطهر :

فصل : وذكر فى حديث عبد الله بن أُبَىٍّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البيت فى اللسان فى مادة هوذ : « من يلق هوذة يسجد غير متئب » وهذا هو الصواب . واتأب : خزى واستحيا .

(٢) قبل البيت :

وغسان زلت يوم جلق زلة ‏ لسيدها والأريحى الحلاحل

وبعده :

فأضحى كأحلام النيام نعيمهم ‏ وأى نعيم خلتـــه لايزايل

اللسان والأمالى ص ٧٥ ط ٢ حـ . ويعنى بالبيت المذكور فى الروض أنه ساس الملك أربعين سنة ، وقال يقول : مات : أما فاد يفيد : تبختر .

. . . .

مرّ به ، وهو فى ظِلّ مُزاحِم أُطُمِه ، وآطامُ المدينة : سُطُوحٌ[1] ، ولها أسماء ، فمنها مُزَاحِم ومنها الزَّوْرَاء أُطُم بنى الْجُلاَح ، ومنها معرض أُطُمُ بنى ساعدة ، ومنها: فارِعٌ أُطُم بنى حُدَيْـلَة ، ومنها مِسْعَط[2]، ومنها : واقِمٌ ، وفى معرض يقول الشاعر :

ونحن دَفَعْنا عن بُضَاعَةَ كُلِّها ونحن بنينا معرضا فهو مُشْرِفُ
فأصبح مَعْمُوراً طَوِيلاً قَذَالُه وتَخْرَبُ آطامٌ بها وتَقَصَّفُ

وبُضَاعَةُ أرضُ بنى ساعِدَة ، وإليها تُنْسَبُ بئْر بنى بُضَاعَة . والأَجَشُّ وكان بقُبَاء ، والحميم والنواحان ، وهما أُطُمَانِ لبنى أُنَيْف وصِرَار وكان بالجَوَّانِيَّة والرَّيَّان والشَّبْعَانُ وهو فى تَمْع . ورَاتِج والأَبْيض ، ومنها عاصم والرَّعْلُ[3] وكان لحُضَيْر بن سِمَاك ، ومنها خَيْطٌ وواسط وحُبَيْش ، والأغلب ومنيع ، فهذه آطامُ المدينة ذكر أكثرها الزبيرُ ، والاطُمُ : اسم مأخوذ من ائْتَطَم : إذا ارتفع وعلا ، يقال : ائْتَطَم عَلَيَّ فـلانٌ إذا غَضِب وانْتَفَخ ، والأطمات : : نيران معروفة فى جبالٍ لا تَخْمُدُ فيها ، تأخذ بأعنان السماء ، فهى

---

(١) جمع القلة آطام ، والكثرة : أطوم وأطم . والمفرد : أطمة ، وهو كل بيت مربع مسطح ، أو الحصن المبنى بالحجارة .

(٢) فى الأصل مسعط والتصويب من وفاء الوفاء وهى أطم لبنى حديلة غربى مسجد أبى بن كعب ص ٣٧٤ ــ ٢ .

(٣) ضبطها البكرى بفتح الراء ، وكذا صاحب المراصد ، وفى وفاء الوفا السمهودى بكسر الراء ، وقال : أطم بمنازل عبد الأشهل ص ٣١٢ ــ ٢

. . . .

أبداً باقية ، لأنها فى معادِنِ الكبريت ،وقد ذكر المسعودى منها جملة ، وذكر مواضعها ، وقول عبد الله بن أبى :

مَتَى ما يَكُن مَوْلاكَ خَصْمُكَ لا تَزَل   تَذِلَّ وَيَصْرَعْكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ

يقال : إن ابن أُبَىّ تمثل بهما ، ويقال : إنهما لخفَافِ بن نُدْبَة وخُفَافُ هو : ابنُ عَمْرو بن الشَّرِيد أحدُ غِرْبانِ[1] العَرَبِ ، وأُمُّه . نُدْبَةُ ، ويقال فيها : نَدْبَة ، ونُدْبَة ، وهو سلمى .

وذكر فى حديث عبدِ الله أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل على سَعْد بن عُبادَةَ يعوده ، وفى رواية يونس زيادة ، فيها فقه قال : كان سعدُ قد دعاه رجلٌ من الليل فخرج إليه فضربه الرجلُ بسيف فأشْوَاه[2] ، فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم يعوده من تلك الضَّرْبة ، ولامه على خروجه ليلا ، وهذا هو موضع الفقه .

وعك أبى بكر وبلال وعامر

فصل : وذكر حديث عائشةَ حين وُعِكَ أبو بكر ، وبلالٌ وعامرُ بن فُهَيْرَةَ ، وما أجابوها به من الرَّجَز فيذكر أن قول عامر :

---

(١) غربان العرب : سودانهم . والأغربة فى الجاهلية : عنترة وخفاف ، وأبو عمير بن الحباب ، وسليك بن السلكة . وهشام بن عقبة بن أبى معيط إلا أنه مخضرم . ومن الإسلاميين : عبد الله بن خازم ، وعمير بن أبى عمير ، وهمام ابن مطرف ، ومنتشر بن وهب ، ومطر بن أوفى ، وتأبط شرا ، والشنفرى وحاجز غير منسوب .

(٢) لم يصب منه مقتلا .

. . . .

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقِه(١)

إنه لِعَمْرِو بن مَامَةَ ، وفى هذا الخبر وما ذُكِرَ فيه من حَنِينِهِم إلى مكة ماجُبِلَتْ عليه النفوسُ من حُبِّ الوطن والحنين إليه ، وقد جاء فى حديث أُصَيْلٍ الغِفَارِيِّ(٢) ، ويقال فيه : الهُذَلِي أنه قَدِم من مكة ، فسألته عائشةُ : كيف تركت مَكَّة يا أُصَيْلَ ؟ فقال: تركتُها حين ابيَضَّتَ أباطِحُها ، وأَحْجَنَ ثُمَامُها ، وأَغْذَقَ إذْخِرُها ، وأَمْشَرَ سلَمُها ، فاغْرَوْرَقَتْ عينا رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال: لاتُشَوِّقنا يا أُصَيْلُ ، ويروى أنه قال له : دَعِ القُلوبَ تَقِرُّ(٣) وقد قال الأول :

ألا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بوادى الخُزَامَى حَيْثُ رَبَّتْنِى أَهْلِى

بلاد بها نِيطَتْ عَلَىَّ تمائِمِى ... وقُطِّعْنَ عَنِّى حِينَ أدركَنِى عَقْلِى

وأما قول بلال :

---

(١) الحديث فى البخارى وغيره .

(٢) هو ابن عبد الله أو ابن سفيان ، وقيل فى نسبه الخزاعى أيضاً .

(٣) لم يرو هذا أحد من أصحاب الكتب الستة ، وإنما رواه الخطابى فى غريبه وأبو موسى فى الذيل ، والجاحظ فى كتاب البيان. وأحجن الثمام : خرجت حجنته أى خوصه أو بدا ورقه ، وأعذق الإذخر : خرج ثمره ، وأمشر سلمها : المشرة : شبه خوصة تخرج فى العضاة ، وفى كثير من الشجر . يقال مشر الشجر ، ومشر وأمشر .

. . . .

بِفَجٍّ وحَوْلى إذْخِرٌ وجَلِيلُ

فَفَجٌّ موضع خارج مكة به مُوَيْهٌ يقول فيه الشاعر :

ماذا بِفَجٍّ من الإشْرَاقِ والطِّيبِ ومِنْ جَوَارٍ نَقِيَّاتٍ رَعَابِيبِ(٢)

و بِفَجٍّ اغتسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مُحْرِم ، والإِذْخِرُ من نبَات مكة . قال أحمد بن داودَ وهو أبو حَنِيفة الدينورى صاحب كتاب النبات : الإذْخِرُ فيما حكى عن الأعراب الأُوَلِ له أصلٌ مُنْدفِقٌ وقُضْبَانٌ دقَاقٌ ، وهو ذَفِر الرِّيح ، وهو مِثْل الأصْل أصْل الْكَوْلاَن إلاَّ أنه أعْرَضُ كُعوباً(٣) ، وله ثمرة كأنها مَكَاسِح الْقَصَبِ(٤) إلاَّ أنها أرقُّ وأصغر . قال أبوزِياد : الأَذْخِرُ يُشَبَّه فى نباته بنبات الأَسَلِ الذى تُعْمَل منه الْحُصْرُ ، ويُشْبِه نباتُه الغَرَز ، و الغَرَزُ ضَرْبٌ من الثُّمَام ، واحدته : غَرَزة ، ويُتَّخَذ من الغَرَز

---

(١) رواية البخارى وياقوت : بواد بدلا من فج ، وتروى : فخ كما جاء فى اللسان والمراصد وكما روى الخشنى عن أبى حنيفة اللغوى والهمدانى فى صفة جزيرة العرب ، وفى كتابه مختصر البلدان ، وياقوت فى كتابه المشترك وصفا : وفى النهاية لابن الأثير ، وقال عنه : « موضع عند مكة ، وقيل : واد دفن به عبد الله بن عمر ، وهو أيضاً ماء أقطعه النبى « ص » وعظيم بن الحارث المحاربى ».

(٢) جارية رعبوب ورعبوبة ، ورعبيب الحسنة الغضة الطويلة الحلوة الناعمة . .

(٣) هو البردى . وفى المحكم : نبات ينبت فى الماء مثل البردى ، وهو بفتح الكاف ، وقد تضم .

(٤) مكاسح : جمع : مكسحة المكنسة .

. . . .

الفَرَابيلَ والأذْخِرِ أرَقُّ منه ، والإذْخِر يُطحَن فيدخل فى الطيب ، وقال أبو عَمْرو : وهو من الجَنَبةِ ، وقلَّما تنبت الإذْخِرَةُ مُنْفَرِدَةً ، وقال فى الجَلِيل عن أبى نصر : إن أهل الحجاز يُسَمُّون الثُّمَامَ الجَلِيل ، ومعنى الجَنَبَةِ التى ذكر أبو عَمْرو : وهو كل نبات له أصول ثابتة ، لاتذهب بذهابِ فَرْعه فى القَيْظ ، وتُلْقَحُ فى الخريف ، وليست كالشَّجَر الذى يَبقى أصلُه وفرعُه فى القيظ ، ولا كالنَّجْم الذى يذهب فرعُه وأصلُه ، فلا يعود إلاَّ زرِّيعَتُه جانبَ النَّجْم والشَّجَر ، فَسُمِّى جَنَبَةً(١) ، ويقال لِلجَنَبَةِ أيضاً : الطريفة ، قاله أبو حنيفة . وَمِجَنَّة سَوقٌ من أسواق العرب بين عُـكَاظ وذِى المَجازِ ، وكلها ، أسواق قد تقدم ذكرُها . ومِجَنَّة يجوز أن تـكون مَفْعَلَة وفَعلة ، فقد قال سيبويه : فى المِجَنِّ إن ميمه أصلية ، وأنه فِعل ، وخالفه فى ذلك الناسُ وجعلوه مِفعلا ، من جَنَّ إذا ستر ، ومن أسواقهم أيضا حُبَاشَةُ ، وهى أبعد من هذه ، وأما شَامَة وطَفِيلُ ، فقال الخَطَّابى فى كتاب الأعلام فى شَرْح البخارى : كنت أحْسَبُهما جَبَلين ، حتى مررتُ بهما ، ووقفت عليهما فإذا هما عَيْنَان من ماء ، ويقوِّى قول الخطابى إنهما عَيْنان قَوْل كُثَيِّرٍ :

وماأنْسَ مِ الأَشْيَاءِ لا أنْسَ مَوْقِفاً لنا ، ولها بالخَبْتِ خَبْتِ طَفِيل(٢)

---

(١) الجنبة: عامة الشجر التى تتربل فى الصيف ، أو ما كان بين الشجر والبقل .

(٢) من قصيدة أولها :

ألا حييا ليلى أجد رحيلى وآذن أصحابى غداً بقفول

والقصيدة بطولها فى الأمالى ، وقد ورد بيت السهيلى هكذا :

تواهقن بالحجاج من بطن نخلة ومن عزور والخبت خبت طفيل

. . . .

والخَبْتُ : مُنْخَفَضُ الأرض .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مَكَّةَ ، وبارِكْ لنا في مُدِّها وصاعِها[1] يعني الطَّعَامَ الذي يُكال بالصَّاع ، ولذلك قال في حديث آخر : « كيلوا طعامَكم يُبَارَكْ لكم فيه »[2] ، وشكا إليه قومٌ سُرْعةَ فناءِ طعامِهم ، فقال: أتَهِيلون أم تَكِيلُون ؟ فقالوا : بل نَهيل ، فقال : كِيلُوا ولا تَهِيلُوا[3] ومن رواه : قُوتُوا طعامَكم يُبَارَكْ لكم فيه[4] ، فمعناه عندهم : تصغير الأرْغِفَةِ ، وهكذا رواه البزار من طريق أبي الدَّرْدَاء ، وذَكَر في تفسيره ماقلناه ، وذكر أبو عُبَيْد : المُدَّ في كتاب الأموال ، أعني مُدَّ المدينة فقال : هو رِطْلٌ وثُلُث ، والرِّطْلُ : مائةٌ وثمانيةٌ وعِشرون دِرْهَمًا ، والدِّرْهَمُ خمسون حَبَّةً وخُمسَانِ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : وأنْقُلْ حُمَّاها : ، واجعلها بمَهْيَعَة ، وهي الجحْفَةُ ، كأنه عليه السلام لم يُرِدْ إبعاد الحُمَّى عن جميع أرضِ الإسْلَام .

---

(١) في مسلم : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد ، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها ، وحول حماها إلى الجحفة ، وفي البخاري « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد . اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا ، وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٢) البخاري وأحمد وابن ماجة .

(٣) يقول ابن اثير في النهاية : « كل شيء أرسلته إرسالا من طعام أو شراب . أو رمل فقد هلته هيلا . يقال : هلت الماء ، وأهلته إذا صببته وأرسلته .

(٤) الطبراني وهو ضعيف وقد سئل الأوزاعي عنه فقال : صغر الأرغفة

. . . .

ولو أراد ذلك لقال: انقُلْ حُمَّاها ، ولم يَخُصَّ موضعا ، أو كان يَخُصُّ بلادَ الـكفر ، وذلك ــ والله أعلم ــ لأنه قد نَهَى عَن سَبِّ الْحُمَّى وَلَعْنِها فى حديث أم الْمُسَيَّب[1] وأخبر أنها طَهورٌ ، وأنها حَظُّ كلِّ مؤمن من النار[2] ،

---

(١) روى مسلم فى صحيحه عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب ، أو أم المسيب ، فقال : « مالك تزفزفين ؟ قالت الحمى ، لا بارك الله فيها ، فقال : لاتسبي الحمى ، فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد »وفى رواية : ترفرفين . والمعنى متقارب . فالمقصود : الرعدة التى تحصل للمحموم . ومن البين هنا أن أم المسيب قالت : لا بارك الله فى الحمى ، فهو دليل ضيق نفس وبرم بالحمى ، فأريد لها اللياذ بالصبر والجلد . بدليل ماورد . حديث رواه الطبرانى عن فاطمة الخزاعية أنها قالت : « عاد النبى «ص» امرأة من الأنصار ، وهى وجعة ، فقال : لها : كيف تجدينك ؟ قالت : بخير ، إلا أن أم ملدم قد برحت بى ، فقال النبى «ص» : اصبرى ، فإنها تذهب خبث ابن آدم ، كما يذهب الكير خبث الحديد » وأم ملدم كنية الحمى والميم الأولى مكسورة زائدة. وألدمت عليه الحمى : دامت ، وبعضهم يقولها بالذال المعجمة .

(٢)ورد ذلك فى حديث رواه أحمد « الحمى كير من جهنم ، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من جهنم » وعند الطبرانى « الحمى من فيح جهنم وهى نصيب المؤمن من النار » وورد وصفها بأنها طهور فى حديث رواه أحمد وابن حبان والطبرانى قيل فيه إن أم ملدم ــ وهى الحمى استأذنت على رسول الله «ص» فأمر بها إلى أهل قباء ، فأصابهم منهاعنتشديد ، فشكوا إلى النبى «ص » ، فقال : ماشئتم : إن شئتم دعوت الله ، فكشفها عنكم ، وإن شئتم أن تكونوا لكم طهورا ؟ قالوا : أو تفعله ؟ قال : نعم قالوا : فدعها » .

وأقول : لا يتصور مسلم فى رسول الله «ص» ــ وهو بالمؤمنين رءوف رحيم كما وصفه الله ــ يطلب من الله أن ينقل مثل هذا المرض الذى يرهق ، ويوهن من قوة الجماعة الإسلامية إلى بلد إسلامية أبدا . وتدبر أن الله قال له=

. . . .

فجمع بين الرِّفق بأصحابه فدَعَا لهم بالشِّفَاء منها ، وبَيَّن أنْ لاَ يَحْرَمُوا أيضاً الأَجْر فيما يُصِيبوا منها ، فلم يُبْعِدها كُلَّ البُعْد .

وأما مَهْيَعَةُ ، فقد اشتد الوباء فيها بسبب هذه الدعوة ، حتى قيل : إن الطائر يَمُرُّ بغدير خُمَّ فيَسْقَم ، وغدير خُمَّ فيها ، ويقال : إنها ، ما وُلِد فيها مَوْلُود فبلَغ الْحُلُمَ ، وهى أرضُ نُجْعَةٍ(١) لا تُسْكَن ، ولا يُقام فيها إقامة دائمة فيما بلغنى والله أعلم .

وذكر تحريمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وفى غير هذه الرواية عن ابن إسحاق عن شُرَحْبِيل بن سعدٍ ، قال : كنت أصطاد فى حَرَم المدينة بالوَقَاقِيص ، وهى شِبَاكُ الطَّير ، فاصطدت نُهَساً ، فأخذه زيدُ بنُ ثابتٍ ، وصَكَّ فى قَفَاىَ ، ثم أرسله .

وذكر حديثَ عبدِ الله بن عَمْرو ، وقولَه عليه السلام : صلاةُ القاعِد

= حين دعا على من آذوه : ليس لك من الأمر شىء ، فكيف بمن ناصروه وعزروه؟ ولقد ورد عنه فى حديث رواه مسلم وأبو داود وابن خزيمة فى صحيحه : « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء ، فيستجيب لكم » فكيف يدعو على أهل جحفة ، أو على أهل قباء ؟ ماذنب أهل البلدين ؟ ، وهل يتفق هذا مع الخلق العظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم إن هدى الإسلام يؤكد أن على الإنسان أن يسعى فى سبيل أن يشفيه الله من مرضه ، وأن يضرع إلى الله بهذا فى كل أوقات مرضه .

(١) النجعة : طلب الكلأ ومساقط الغيث . وماسبق عن جحفة كلام لا يصح أن يكتب ، ولا أن يردد

. . . .

على النِّصْفِ من صَلَاةِ القائم حين رآهم يُصلُّون قُعُوداً من الوَعْكِ ، قال فتجَشَّم الناسُ القيامَ على ما بهم من السُّقْم : وهذا الحديث بهذا اللفظ يقوِّى ماتأوَّله الخطابى فى صلاةِ القاعد أنها على النِّصْفِ من صَلاةِ القائم ، ثم قال الخطَّابى : إنما ذلك للضَّعيفِ الذى يستطيع القيامَ بكُلْفَةٍ ، وإن كان عاجزا عن القيام البَتَّةَ ، فصلاتُه مثلُ صَلاةِ القائم ، وهذا كلُّه فى الفريضَةِ ، والنافلةِ ، وخالف أبو عُبَيْد فى تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلةِ فى حال الصِّحة ، واحتَجَّ الخطَّابى بحديث عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ ، وفيه : وصَلاتُه قائما على النِّصفِ من صلاته قاعدا ، قال : وقد أجمعت الأمة أنْ لا يُصَلِّىَ أحدٌ مُضْطَجِعاً إلاَّ مِنْ مَرَضٍ ، فدل على أنه لم يُرِدْ بهذا الحديث كلِّه إلا المريضَ الذى يَقْدِر على القيام بكُلْفة ، أو على القُعُود بمشقة ، ونسب بعضُ الناس النَّسَوِىَّ إلى التَّصْحِيفِ فى هذا الحديثِ ، وقالوا إنما هو وصلاته نائما على النِّصْفِ من صلاته قاعدا ، فتوهمه النَّسَوِىُّ قائما ، أى مُضْطَجِعا ، فترجَم عليه فى كتابه : باب صَلاةِ النائم ، وليس كما قالوا ، فإن فى الرواية الثانية : وصلاةُ النائم على النِّصْفِ من صلاة القاعد ، ومثل هذا لا يَتَصَحَّف ، وقولُ الخطابى : أجمعت الأمَّةُ على أن المُضْطَجِعَ لا يُصَلِّى فى حالِ الصِّحَّةِ نافلةً ولا غيرَها ، ووافقه أبو عُمَر على ادِّعاء الإجماع فى هذه المسألة ، وليست بمسألة إجماعٍ كما زَعَما ، بل كان مِنَ السَّلَف مَنْ يُجيز للصحيح أن يَتَنَفَّلَ مُضطجِعاً ، منهم الحَسَنُ البَصْرى ، ذكر ذلك أبو عيسى التِّرْمِذىّ فى مصنفه .

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدّم عن عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زيادُ بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين، حين اشتدّ الضحاء ، وكادت الشمس تعتدلَ ، لِثِنْتى عشْرة ليلةً مضتْ من شهر ربيع الأوّل ، وهو التاريخ ، (فيما) قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابنُ ثلاث وخَمْسين سنة ، وذلك بعد أن بَعثه الله عزّ وجلّ بثلاثَ عشْرة سنة ، فأقام بها بقيّة شهر ربيع الأوّل ، وشهرَ ربيع الآخر ، وجمادَيَيْن ، ورجباً ، وشعبان ، وشهرَ رمضان ، وشوّالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجة ـ وولى تلك الحجّة المشركون ـ والمحرّمَ ، ثم خرج غازيا فى صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مَقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعدَ بن عُبادة .

غزوة ودان

وهى أول غزواته عليه الصلاة والسلام

موادعة بنى ضمرة والرجوع من غير حرب

قال ابن إسحاق : حتى بلغ وَدَّان ، وهى غزوة الأبْواء ، يريد قريشا وبنى ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مَناة بن كِنانة ، فوادَعته فيها بنو ضَمْرة ، وكان الذى وادَعه منهم عليهم مَخْشِى بن عمرو الضَّمْرى ، وكان سيدَهم فى زمانه

. . . .

ذلك . ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية صفر ، وصدرا من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها .

سرية عبيدة بن الحارث

وهى أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى مُقامه ذلك بالمدينة عُبَيدةَ بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف بن قُصَىّ فى ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز ، بأسفل ثنيَّة المُرة ، فلقى بها جَمْعا عظيما من قُريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد بن أبى وقّاص قد رَمى يومئذ بِسَهم ، فكان أوّل سهم رُمى به فى الإسلام .

من فر من المشركين الى المسلمين

ثم انصرف القومُ عن القوم ، وللمسلمين حامية . وفرّ من المُشركين إلى المسلمين المِقْدادُ بن عمرو البَهْرانى ، حليفُ بنى زُهْرة ، وعُتْبة بن غَزْوان ابن جابر المازنى ، حليف بنى نَوْفل بن عبد مناف ، وكانا مُسْلِمين ، ولكنهما خَرجا ليتوصَّلا بالكفّار . وكان على القوم عِكْرمةُ بن أبى جَهْل .

قال ابن هشام : حدثنى ابن أبى عَمْرو بن العَلاء ، عن أبى عمرو المدنىّ :

أنه كان عليهم مِكْرَز بن حَفْص بن الأَخْيف ، أحد بنى مَعِيص بن عامر بن لُؤىّ بن غالب بن فِهْر .

شعر أبى بكر فيها

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، فى غَزْوة عُبيدة ابن الحارث ـ قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبى بكر رضى الله عنه :

أمِن طَيْفِ سَلْمى بالبِطاح الدّمائثِ ... أرِقْتَ وأمرٍ فى العَشيرة حادثِ

تَرَى من لُؤىٍّ فِرْقَةً لا يصدّها ... عن الكُفر تذكيرٌ ولا بَعْثُ باعثِ

رَسُولٌ أتاهُمْ صادِقٌ فتَكَذَّبُوا ... عليه وقالوا : لستَ فينا بماكثِ

إذا ما دَعَوْناهم إلى الحقّ أدْبَرُوا ... وهَرُّوا هَريرَ المُجْحَرَات اللَّواهث

فكَمْ قد متَتْنا فيهمُ بقَرابَةٍ ... وتَرْكُ التُّقى شىءٌ لهمْ غيرُ كارثِ

فإنْ يَرْجعوا عن كُفرهم وعُقوقهم ... فما طَيبات الحِلّ مثلُ الخبائث

وإنْ يَرْكبوا طُغْيانهم وضلالَهم ... فليسَ عذابُ الله عنهم بلابِث

ونحن أناسٌ من ذُؤابة غالب ... لنا العزُّ منها فى الفُروع الأثائث

فأُولِى بربّ الرّاقِصاتِ عشيّةً ... حَراجيجُ تَخْدِى فى السَّريح الرثائث

كأُدْم ظِباء حولَ مكّةَ عُكَّفٍ ... يَرِدْن حياضَ البئر ذاتَ النَّبائث

لئن لم يُفيقوا عاجلاً من ضَلالهم ... ولَسْتُ إذا آلَيْتُ قَولاً بِحانِثِ

لَتَبْتَدِرَنَّهُمْ غارةٌ ذاتُ مَصْدَقٍ ... تُحرّم أطهار النِّساء الطَّوامث

تُغادر قتلى تَعْصِب الطيرُ حولهم ... ولا تَرأفُ الكفارَ رأفَ ابن حارث

فأبلغ بنى سَهم لديك رسالةً ... وكلَّ كَفورٍ يبتغى الشرَّ باحث

فإنْ تَشْعَثوا عِرضى على سُوءِ رأيكم ... فإنى من أعراضكم غيرُ شاعث

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمى فقال :

أمِنْ رَسْمِ دارٍ أقفرتْ بالعثاعِث ... بكيتَ بعينٍ دمعُها غيرُ لابثِ

ومِن عَجَبِ الأيَّام والدَّهرُ كلُّه ... له عجبٌ من سابقاتٍ وحادث

لجيشٍ أتانا ذى عُرامٍ يَقُوده ... عُبيدةُ يُدْعى فى الهياج ابنَ حارث

لِنترُكَ أصناما بمكَّةَ عُكَّفا ... مَوَاريثَ مَوْرُوثٍ كريمٍ لِوَارِث

فلمَّا لَقيناهم بسُمْرٍ رُدَيْنيةٍ ... وجُرْدٍ عِتاقٍ فى العَجاج لَوَاهِث

وبيضٍ كأنَّ المِلحَ فوق مُتُونها ... بأيدى كُماة كاللُّيُوث العوائث

نُقيم بها إصْعار مَنْ كان مائلاً ... ونشفى الذُّحُولَ عاجلاً غيرَ لابث

فكفوا على خَوْف شديدٍ وهَيْبة ... وأعجبهم أمرٌ لهم أمرُ رائث

ولو أنَّهم لم يفعلُوا ناحَ نِسوَةٌ ... أيامَى لهم ، مِنْ بين نَسْءٍ وطامِث

وقد غُودرتْ قَتلى يُخَبِّر عنهمُ ... حَفِىٌّ بهم أو غافلٌ غيرُ باحث

فأبلغ أبا بَكْرٍ لديكَ رسالةً ... فما أنت عن أعراضِ فِهْرٍ بماكث

ولمَّا تَجِبْ منى يمينٌ غليظة ... تُجدِّد حرْبا حَلْفَةً غيرَ حانِث

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحداً ، وأكثرُ أهل العلم بالشعر يُنكر هذه القصيدة لابن الزِّبَعْرَى .

شعر ابن أبى وقاص فى رميته

قال ابن إسحاق : وقال سعد بن أبى وقاص فى رَمْيته تلك فيما يذكرون :

أَلا هَل أتى رسولَ الله أنى حَمَيْتُ صحابَتى بصُدور نَبْلى

أذُود بها أوائلَهم ذياداً بكلّ حُزُونة وبكلّ سَهْل

فمَا يَعْتَدُّ رامٍ فى عَدُوّ بسَهْم يا رسول الله قَبْلى

وذلكَ أنَّ دينَك دينُ صِدْقٍ وذُو حَقّ أتيتَ به وعَدل

يَنجَّى المُؤمنون به ، ويُجزى به الكفَّار عند مقام مَهْل

فمَهْلاً قد غَوِيتَ فلا تَعِبْنى غَوىّ الحىّ ويحك يابن جَهْل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكِرها لسَعْد .

أول راية فى الإسلام كانت لعبيدة

قال ابن إسحاق : فكانت رايةُ عُبيدة بن الحارث — فيما بلغنى — أوّل راية عقدَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام ، لأحد من المسلمين . وبعضُ العلماء يزعُم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بَعثه حين أقبل من غزوة الأبْواء ، قبل أن يصِل إلى المدينة .

سرية حمزة إلى سيف البحر

ما جرى بين المسلمين والكفار

وبعث فى مَقامه ذلك ، حَمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سِيف البَحْر ،

من ناحية العِيص ، فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد . فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاث مائة راكب من أهل مكة . فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمرو الجُهنى . وكان مُوادِعا للفريقين جميعا ، فانصرف بعضُ القوم عن بعضٍ ، ولم يكن بينهم قتال .

كانت راية حمزة أول راية فى الإسلام وشعر حمزة فى ذلك

وبعضُ الناس يقول : كانت رايةُ حمزة أوّل راية عقدها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين . وذلك أن بعثه وبَعْث عُبيدة كانا معا ، فشُبِّه ذلك على الناس . وقد زعموا أن حمزة قد قال فى ذلك شعراً يَذْكر فيه أنّ رايته أول راية عقدها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فإنْ كان حمزة قد قال ذلك ، فقد صَدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقا ، فالله أعلم أىّ ذلك كان . فأمّا ما سمعنا من أهل العلم عندنا . فعُبيدة بن الحارث أوّل من عُقد له . فقال حمزة فى ذلك ، فيما يزعمون :

قال ابن هشام : وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضى الله عنه :

ألا يا لَقَوْمى للتحلُّم والجَهْلِ ... وللنَّقْص من رأى الرّجال وللعقْلِ
وللرّاكِبينا بالمَظالِمِ لم نَطَأْ ... لهم حُرُماتٍ من سَوَامٍ ولا أهْلِ
كأنّا تَبَلْناهم ولا تَبْلَ عندَنا ... لهم غيرُ أمرٍ بالعَفاف وبالعَدْلِ
وأمرٍ بإسلامٍ فلا يقبلونه ... ويَنْزِل منهم مِثْلَ مَنْزِلة الهَزْلْ

فما بَرِحوا حتى انتَدبْتُ لغارة ... لهم حيث حلُّوا أبتغى راحة الفَضْلِ .
بأمرِ رسول الله ، أوّل خافِقٍ ... عليه لواءٌ لم يكن لاحَ من قبلى .
لواءٌ لدَيْه النَّصرُ من ذى كرامة ... إلهٍ عزيزٍ فعلُه أفضلُ الفِعْل .
عشِيَّةَ ساروا حاشِدِين وكلُّنا ... مَراجله من غَيْظِ أصحابِهِ تَغلى .
فلمَّا تَراءينا أناخُوا فعقَّلوا ... مَطايا وعقَّلنا مدَى غَرَضِ النَّبْل
فقُلْنا لهم : حبل الإله نَصِيرنا ... وما لكم إلا الضَّلالةُ مِن حَبْل
فثار أبو جَهْل هنالك باغِياً ... فخابَ وردَّ اللهُ كَيْدَ أبى جَهْل
وما نحنُ إلا فى ثَلاثين راكبا ... وهُمْ مِئتان بعد واحدةٍ فَضْلِ
فَيا لَلُؤَىّ لا تُطيعُوا غُوَاتَكم ... وفيئُوا إلى الإسلامِ والمَنهجِ السَّهْلِ
فإنى أخافُ أن يُصَبَّ عليكُم ... عذابٌ فتدعوا بالنَّدامة والثُّكلِ .

شعر أبى جهل فى الرد على حمزة

فأجابه أبو جهل بن هشام ، فقال :

عجِبتُ لأسبابِ الحفيظة والجهل ... وللشَّاغبين بالخِلافِ وبالبُطْل
وللتَّارِكينَ ما وجَدْنا جُدُودَنا ... عليه ذوى الأحساب والسُّؤْدد الجَزْل
أتوْنا بإفْكٍ كىْ يُضِلُّوا عقولَنا ... وليس مُضِلًّا إفكُهم عقلَ ذى عقل
فقُلْنا لهمْ : ياقومنا لا تخالفوا ... على قومكم إنَّ الخلافَ مدى الجَهْل
فإنكم إن تَفعَلوا تدعُ نسوةٌ ... لهنَّ بواكٍ بالرَّزيَّةِ والثُّكْل
وإن تَرْجِعوا عمَّا فعلتم فإننا ... بنو عمِّكم أهلُ الحفائِظِ والفَضْل

فقالوا لنا : إنَّا وَجَدْنا محمداً رِضاً لذوى لأحلام منا وذى العَقْل

فلمَّا أبَوْا إلا الخلافَ وزيَّنوا جِماعَ الأُمور بالقَبِيح مِنَ الفِعل

تَيَمَّمتهُمْ بالسَّاحِلَيْنِ بغارةٍ لأَتْرُكهم كالعَصْف ليس بذى أصْل

فورَّعنى مَجْدِى عنهم وصُحْبتى وقد وَازَرُونى بالسُّيوف وبالنَّبْل

لإلٍّ علينا واجبٍ لانضيعه أمينٌ قواه غير مُنْتَكِثِ الحَبْل

فلولا ابنُ عَمْرو كنتُ غادرتُ منهم مَلاحم للطَّير العُكُوف بلا تَبْل

ولكنَّه آلى بإلٍّ فقلَّصت بأيمانِنا حدُّ السيوف عن القَتل

فإنْ تُبْقِنى الأيَّامُ أرْجِعْ عليهم ببيضٍ رِقاق الحدِّ مُحْدَثة الصَّقْلِ

بأيْدى حُماةٍ مِن لُؤَىِّ بن غالب كِرام المساعى فى الجُدوبة والمَحْل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبى جهل .

غزوة بواط

قال ابن إسحاق . ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول يريد قريشا .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائبَ بن عثمان بن مَظْعون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُواط ، من ناحية رَضْوَى ، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يَلق كيداً ، فلبث بها بقيَّةَ شهر ربيع الآخر ، وبعض جمادى الأولى.

غزوة العشيرة

أبو سلمة على المدينة

ثم غزا قريشا ، فاستعمل على المدينة أبا سَلمة بن عبد الأسد ، فيما قال ابن هشام .

الطريق إلى العشيرة

قال ابن إسحاق : فسلك على نَقْب بنى دِينار ، ثم على فَيْفاء الخَبار ، فنزل تحت شجرة ببَطْحاء ابنِ أزْهرَ ، يقال لها : ذات الساق ، فصلى عندها . فثَمَّ مسجدُه صلى الله عليه وسلم ، وصُنع له عندها طعامٌ ، فأكل منه ، وأكل الناس معه ، فموْضع أثافى البُرْمة مَعْلوم هنالك ، واستُقِىَ له من ماء به ، يقال له : المُشْتَرِب ، ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فترك الخَلائِق بيسار ، وسلك شُعْبَة يقال لها : شُعْبَة عبد الله ، وذلك اسمُها اليوم ، ثم صَبَّ لليسار حتى هَبطَ يَلْيَل ، فنزل بمُجْتمعه ومُجتمع الضَّبُوعة ، واستقى من بِئْر بالضَّبُوعة ، ثم سلك الفَرْش : فَرْشَ مَلَل ، حتى لَقِى الطَّرِيقَ بصُخَيْرات اليمام ، ثم اعتدل به الطريقُ ، حتى نزل العُشيرة من بطن يَنْبُع . فأقام بها جُمادى الأولى وليالى من جُمادى الآخرة ، وادع فيها بنى مُدْلِج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة ، ثم رَجَع إلى المدينة ، ولم يَلْق كيداً .

تكنية على بأبى تراب

وفى تلك الغَزْوة قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام ما قال ·

قال ابن إسحاق : فحدّثنى يزيد بن محمد بن خُثَيْم المُحاربى ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن محمد بن خيثم أبى يزيد ، عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلىّ بن أبى طالب رفيقين فى غَزْوة العَشِيرة ، فلما نَزَلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها ، رأينا أُناسا من بنى مُدْلج يَعملون فى عَيْن لهم وفى نَخْل ، فقال لى علىٌّ بن أبى طالب : يا أبا اليَقْظَان ، هل لك فى أن تأْتى هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قال : قلت : إن شئت ؛ قال : فجئناهم ، فنَظَرْنا إلى عملهم ساعةً ، ثم غَشِيَنا النَّومُ . فانطلقتُ أنا وعلىّ حتى اضطجعنا فى صُور من النخل ، وفى دَقْعاء من التراب فنمنا ، فوالله ما أَهَبَّنا إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحرّكنا برِجْله . وقد تَترَّبْنا من تلك الدَّقْعاء التى نِمْنا فيها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب : مالَكَ يا أبا تُراب ؟ لما يَرى عليه من التراب ، ثم قال : ألا أُحدّثكما بأشْقى الناس رَجُلَيْن ؟ قلنا : بلى يارسولَ الله ، قال : أُحَيْمر ثَمود الذى عَقَر النّاقة ، والذى يَضْرِبك ياعلىّ على هذه — ووضع يده على قَرْنه — حتى يَبُلّ منها هذه . وأخذ بلحْيته .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سَمّى علياً أبا تراب ، أنهُ كان إذا عَتب على فاطمة فى شىء لم يكلّمها ، ولم يَقُل لها شيئا تكرَهه ، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه .

. . . .

قال : فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرَف أنه عاتِبٌ على فاطمة ، فيقول : مالك يا أبا تراب ؟ فالله أعلم أىّ ذلك كان .

سرية سعد بن أبي وقاص

ذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب

قال ابن إسحاق : وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة سَعْد بن أبي وقاص ، في ثمانية رَهْط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرّار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

قال ابن هشام : ذكر بعضُ أهل العلم أن بَعْثَ سَعْد هذا كان بعد حمزة

غزوة سفوان

وهى غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : ولم يُقِمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قَدِم من غَزْوة العُشَيْرة إلا ليالى قلائل لا تبلغُ العَشر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفهرى على سَرْح المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، واستعمل على المدينة زيدَ بن حارثة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ واديا ، يقال له : سَفْوان ، من ناحية بدْر ، وفاته كُرْزُ بن جابر ، فلم يُدْركه ، وهى غزوةُ بدر الأولى . ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام بها بقيّةَ جمادى الآخرة ورجباً وشعبان

سرية عبد الله بن جحش

ونزول : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ ﴾

كتاب الرسول له

وبَعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن جَحْشِ بن رئاب الأسدى، فى رجب، مَقْفَلَه من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رَهْط من المُهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسيرَ يومين ثم ينظر فيه، فيمضى لما أمره به، لا يَستكره من أصحابه أحداً .

وكان أصحابُ عبد الله بن جَحْش من المهاجرين . ثم من بَنى عَبْد شمس ابن عبد مناف : أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شَمس ؛ ومن حلفائهم: عبد الله بن جَحْش، وهو أمير القوم، وعُكَّاشة بنِ مِحْصَن بن حُرْثان، أحد بنى أسد بن خُزَيمة، حليف لهم . ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف : عُتْبة ابن غَزْوان بن جابر، حليف لهم . ومن بنى زُهْرة بن كلاب : سعدُ بن أبى وقّاص . ومن بنى عَدِىّ بن كعب عامر بن ربيعة، حليف لهم من عَنْز ابن وائل، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثَعْلبة بن يربوع، أحد بنى تميم، حليف لهم، وخالد بن البُكَير، أحد بنى سَعْد بن لَيْث، حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فهر : سُهَيْل بن بيضاء :

فلما سار عبد اللهُ بن جَحْش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه : إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نَخْلة، بين مكة والطائف، فترصّد

بها قريشا وتعلَّم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخلة ، أرصُد بها قريشا ، حتى آتيَه منهم بخبر ؛ وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم . فمن كان منكم يريد الشَّهادةَ ويرغب فيها فلْينطَلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأمَّا أنا فماضٍ لأمر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فمضى ومضى معه أصحابُه ، لم يتخلَّف عنه منهم أحد .

وسَلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمَعْدن ، فوق الفُرُع ، يقال له : بحران ، أضلَّ سعدُ بن أبى وقَّاص ، وعُتْبة بن غزْوان بعيراً لهما ، كانا يَعْتقبانه . فتخلَّفا عليه فى طلبه . ومضَى عبدُ الله بن جَحش وبقيَّةُ أصحابه حتى نزل بنخْلة ، فمرَّت به عيرٌ لقريش تحْمل زبيبا وأدَما ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو ابن الحَضْرمى .

الخلاف حول نسب الحضرمى

قال ابن هشام : واسم الحَضْرمى : عبد الله بن عبَّاد ، ويقال : مالك ابن عبَّاد أحد الصَّدِف ، واسم الصَّدِف : عمرو بن مالك ، أحد السَّكُون ابن أشرس بن كِنْدة ، ويقال : كِنْدى .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة ، وأخوه نَوْفل بن عبد الله المَخْزُومِيان ، والحكم بن كَيْسان ، مولى هشام بن المُغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فأشرف لهم عُكاشة بن مِحْصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا عُمَّار ، لا بأس عليكم منهم . وتشاور القوم فيهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب فقال القومُ والله لئن تركتم القومَ هذه الليلةَ ليدخلنّ الحرم ، فليمتنعُنّ منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلُنَّهم فى الشهر الحرام ؛ فتردّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجَّعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قَدَروا عليه منهم ، وأخْذِ ما معهم . فرمى واقدُ بن عبد الله التَّميمى عمرو بنَ الحَضْرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمانَ بن عبد الله ، والحكم بن كَيْسان ؛ وأفلتَ القومَ نوفلُ بنُ عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبدُ الله بنُ جَحْش وأصحابه بالعير وبالأسيرين ، حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غَنِمْنا الخمس وذلك أنْ يَفْرض الله تعالى الخمسَ من المغانم — فعزَل لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه .

الرسول صلى الله عليه وسلم يستنكر القتال فى الشهر الحرام

قال ابن إسحاق : فلما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ قال : ما أمرتُكم بقِتال فى الشهر الحرام . فوقَّف العِير والأسيرين . وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئا ؛ فلما قال ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سُقط فى أيدى القوم ، وظنُّوا أنهم قد هَلكوا ، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش قد استحلّ محمد وأصحابُه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسرُوا فيه الرجال ؛ فقال من يردّ عليهم من المُسلمين، ممَّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان .

وقالت يهود - تفاءلُ بذلك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الحضرمىّ قتله واقدُ بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحربِ ؛ والحضرمى ، حضرت الحرب ؛ وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لالهم .

ما نزل من القرآن فى فعل ابن جحش

فلما أكثر الناسُ فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَسْئَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرامِ قِتَالٍ ، فِيهِ ، قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وكُفْرٌ بِهِ ، وَالمَسْجِدِالحَرمِ ، وإخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أكْبَرُ عِنْدَ اللهِ ﴾ أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهلُه ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿ وَالفِتْنَةُ أكْبَرُ مِنَ القَتْلِ ﴾ : أى قد كانوا يفتنون المُسلم فى دينه ، حتى يردُوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبرُ عند الله من القتل ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقاتِلونَكم حتى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إن اسْتَطاعُوا ﴾ : أى ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غيرَ تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرّج الله تعالى عن المُسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَقِ قبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرَيْن ،

وبعثت إليه قريشٌ فى فِداء عثمان بن عبد الله والحكَم بن كَيْسان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا نُفْديكموها حتّى يقدَم صاحبانا — يعنى سعدَ ابن أبى وقاص ، وعُتبة بن غزْوان — فانّا نخشا كم عليهما ، فان تقتلوهما ، نقتلْ صاحبَيْكم . فقَدم سعدٌ وعُتبة ، فأفداهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم .

فأما الحكم بن كَيْسان فأسْلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل يوم بئر مَعونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فَلحِق بمكّة ، فمات بها كافراً .

فلما تجلّى عن عبدالله بن جَحْش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طَمِعُوا فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله : أنَطْمَع ، أن تكون لنا غزوة نُعْطَى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ إنّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فوضعهم الله عزّ وجلّ من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث فى هذا عن الزهرى ويَزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جَحْش : أن الله عزّ وجلّ قسم الفىء حين أحلّه ، فجعل أربعةَ أخماس لمن أفاءه الله ، وخُمسا إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جَحْش صنع فى تلك العير .

قال ابن هشام : وهى أوّل غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمى

أوّل من قتله المسلمون ، وعثمانُ بن عبد الله ، والحكم بن كَيْسان أوّل من أسَر المسلمون .

ما قيل من شعر فى هذه السرية

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه فى غزوة عبد الله ابن جَحْش ، ويقال : بل عبدُ الله جَحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحل محمدٌ وأصحابُه الشَّهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال ـ قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جَحْش :

تَعُدّون قتلاً فى الحرام عظيمةً ... وأعْظَمُ منه لو يَرى الرُّشْدَ راشد

صدودُكم عما يقول محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله ُ راءٍ وشاهد

وإخْراجكم من مسجد الله أهلَه ... لِئلا يُرى لله فى البَيْت ساجد

فإنا وإنْ عَيَّرْتمونا بقَتْله ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد

سَقينا من ابن الحضرمى رماحَنا ... بنَخْلةَ لما أوقدَ الحربَ واقد

دما وابنُ عبد الله عثمان بيننا ... يُنازعه غُلّ من القدّ عانِد

صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ويقال : صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

تاريخ الهجرة ، وغزوة ودّان

ذكر قدومَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينةَ يوم الاثنين فى شهر ربيع ، وقد قدَّمنا فى باب الهجرة ماقاله ابنُ الكَلْبيِّ وغيرُه فى ذلك ، وفى أى شهر كان قدومُه من شُهُور العَجَم .

وذكر أنه أقام بالمدينة بقية شهر ربيعٍ الأول وشهر ربيعٍ الآخر ، وجُمَادَيْن وكان القياسُ أن يقول : وشَهْرَىْ جُمَادَى ، أو يقول : وبقيةَ ربيعٍ وربيعاً الآخر ، كما قال فى سائر الشهور ، ولكن الشهر إذا سميته بالاسم العَلَم لم يكن ظَرْفا ، وكانت الإقامةُ أو العمل فيه كُلِّه إلا أنْ تقولَ شَهْر كذا ، كما تقدم من كلامنا على شَهْر رَمَضَانَ فى حديث المَبْعَثِ ، وكذلك قال سِيبَوَيْه ، فقولُ ابن إسحاق : جُمَادَيْن وَرَجَباً مستقيم على هذا الأصل .

وقوله : بقية شهر ربيعٍ ، فلأن العملَ والإقامة كان فى بعضِه : فلذلك لم يقل : بقية ربيع الأوّل ، لكنه قال : وشهر ربيع الآخر ليزدَوِجَ الكلامُ ويُشاكل ماقبله ، وهذا كلُّه من فصاحتِه رحمه الله أو من فصاحة مَنْ كانَ قَبلَه إن كان رواه على اللفظ .

وقوله : وجُمَادَيْن وَرَجَباً . كان القياسُ أن يقول : والجُمَادَيْن بالألِف واللام ، لأنه اسمٌ عَلَم ، ولا يثنى العَلَم ، فيكون معرفةً إلا أن تُدْخِلَ عليه الألِفَ واللام ، فتقول : الزَّيْدَان والعُمَران ، لكنه أجراه بفصاحته مجرى أبَانَيْن وقَنَوَيْن ، وكل واحد من هذين اسمٌ لجبلَين ، ولا تدخله الألِفُ واللام ، لأن

. . . .

تعريفه لم يَزُلْ بالتَّثنية ، لأنهما أبداً امتلا زمان ، فالتثنية لازمةٌ لهما مع العَلَمِيَّة بخلاف الآدَميين ، ولما كان جُمادَيان شَهْرَيْن مُتكارِهَيْن جعلهما فى الزمان كأَبانَيْنِ فى المكان ، ولم يجعلهما كالزَّيْدَين والعُمَرَيْن اللذين لاتلازُمَ بينهما، وهذا كلامُ العرب . قال الحُطَيْئَةُ :

باتت له بكَثِيب جَرْبَةَ ليلة وَطْفاء بين جُمادَيْن دَرُور

فإن قلت : فقد قالوا : السِّماكَين فى النجوم ، وهما متلازمان ، وكذلك السرطان ، قلنا : إنما كان ذلك لوجود معنى الصفة فيهما ، وهو عنده من باب الحارث ، والعباس فى الآدميين ، وأكشف سرَّ العلَمية فى الشهور والأيام وتقسيم أنواع العلمية ، والمراد بها فى موضع غير هذا ، وإنما أعجبتنى فصاحةُ ابن إسحاق فى قوله : بقيةَ شهر كذا وشهر كذا وجُمادَيْن ورجباً وشَعْبانَ ونزَّل الألفاظَ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها ، رحمه الله .

غزوة عبيدة بن الحارث :

وذكر فى غزوة عُبَيْدَةَ ولقائه المشركين : وعلى المشركين مِكْرَز بن حَفْصِ بن الأَخْيَفِ ، هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم . وذكر ابن ماكولا فى المؤتلف والمختلف عن أبى عبدة النسابة أنه كان يقول فيه مَكْرَز بفتح الميم ، وكأنه مِفْعَلٌ أو مَفْعَل من الكَرِيز ، وهو الأَقِطُ[1] وكذلك ذكر هو وغيره فى الأَخيف ههنا أنه بفتح الهمزة وسكون الخاء ، وكان ابن ماكولا وحده

---

(١) الأقط : لبن محض يجمد حتى يستحجر ويطبخ ، أو يطبخ به .

. . . .

يقول فى الأُخَيفِ من بنى أُسَيْدِ بن عَمْرو بن تَمِيم ، وهو جد الخَشْخَاشِ التميمى : أُخَيْف بضم الهمزة وفتح الخاء ، وقال الدارقطنى : أَخْيَف كما قالوا فى الأول .

شرح القصيدة المنسوبة إلى أبى بكر وقصيدة ابن الزبعرى وأبى جهل :

فصل : وذكر ابن إسحاق القصيدةَ التى تُعْزَى إلى أبى بكر ، ونقيضَتها لابن الزِّبَعْرَى ، والزِّبَعْرَى فى اللغة السَّيِّء الخُلُق[1]، يقال: رجل زِبَعْرَى ، وامرأة زِبَعْرَاة ، والزِّبَعْرَى أيضاً البعير الأَزَبُّ الكثير شَعَرِ الأُذُنَين مع قِصَرٍ ، قاله الزبير . وفى هذا الشعر أو الذى بعده ذكر الدَّبَّة وهو الكَثِيبُ من الرَّمْل ، وأما الدُّبَّة بضم الدال فإنه يقال : جرى فُلان على دُبَّة فُلان أى على سُنَّتِه وطريقته ، والدَّبَّة أيضاً ظرف للزيت[2] ، قال الراجز :

ليث بالعنف عِفَاص الدَّبَّة

والدِّبَّة بكسر الدال هيئةُ الدبيب ، وليس فيها ما يشكل معناه .

وقوله :

تَخْذِى فى الشَّرِيج الرَّثائث

---

(١) فى الاشتقاق : رجل زبعرى : إذا كان غليظا كثير الشعر ، وامرأة زبعراة : غليظة كثيرة شعر الجسد .

(٢) الدبة الذى هو الموضع الكثير الرمل يضرب مثلا للدهر الشديد ، يقال وقع فلان فى دبة من الرمل ، لأن الجمل إذا وقع فيه تعب .

. . . .

السريح : شِبْه النعل تلبسه أخفافُ الإبل ، يريد : أن هـــذه الإبلَ الحَرَاجِيجَ ، وهى الطِّوال تَحْذِى أى : تُسرع فى سَرِيح قد رَثَّ من طُول السير . قال الشاعر :

دَوَامِى الأَيْدِ يَخْبِطن السريحا

وذكر العَثَاعِث ، واحدها : عَثْعَث ، وهو من أكرم منابت العشب ، قاله أبو حنيفة ، وفى العَيْن : العَثْعَث ظَهْرُ الكَثِيب الذى لا نبات فيه .

وذكر ابنُ هشام أن قوما من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكونَ هذه القصيدةُ لأبى بكر ، ويشهد لِصِحَّةِ مَنْ أنكر أن تكونَ له ما رَوَى عبدُ الرَّزاق عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِىِّ عن عُرْوَة عن عائشة قالت « كَذَبَ مَنْ أخبركم أنَّ أبا بكرٍ قال بيتَ شعرٍ فى الإسلام » رواه محمدٌ البخارى عن أبى المتوكل عن عبد الرزاق(١) . وقول ابن الزِّبَعْرى : بين نَسْءٍ وطَامِث ، والنَّسْءُ : حمل المرأة فى أوله ، والطَّامِثُ مَعْرُوفٌ(٢) يقال نُسِئَتْ المرأةُ [نَسأً] إذا تأخر حَيْضُها من أجل الحَمْل(٣) . من كتاب العين

وقولُ أبى بكر : رَأْبَ(٤) ابن حارث . يعنى : عُبَيْدَةَ بنَ الحارثِ ابن عبد المطلب .

---

(١) كذلك ذكر أبو ذر الخشنى فى شرحه للسيرة . (٢) الحائض .

(٣) فى القاموس : النسء بالتثليث : المرأة المظنون بها الحمل كالنسوء ، أو التى ظهر حملها ، ونسئت المرأة : تأخر حيضها عن وقته ، فرجى أنها حبلى .

(٤) فى السيرة : رأف من الرأفة . وإليك معانى بعض ماترك السهيلى من=

. . . .

أسماء ممنوعة من التنوين :

وقول أبي جهل :

وورَّعَني مَجْدِيٌ عنهم وصُحْبَتِي

ترك صَرْف مَجْدِي[1]، لأنه علَم، وترْك التنوين في المعارف كلها أصلٌ لا يُنوَّن.

=قصيد أبي بكر وابن الزبعرى ننقله من شرح أبي ذر. الدمائث : الرمال اللينة . هروا : وثبوا كما تثب الكلاب .المجحرات : يعني : الكلاب التي أحجرت وألجئت إلى مواضعها . اللواهث : أي التي أخرجت ألسنتها وتعبت أنفاسها . متتنا : اتصلنا . غير كارث : غير محزن . الفروع الأثايث : الكثيرة المجتمعة . أولي : أحلف وأقسم . الراقصات : يعني الإبل ، والرقص :ضرب من المشي .حراجيج: مفردها : حرجوج — وقد فسرها السهيلي — وتروى عنا جيج : أي الحسان السريح : قطع جلود تربط على أخفاف الإبل مخافة أن تصيبها الحجارة . الرثايث يعني : البالية الخلقة . أدم ظباء : السمر الظهور البيض البطون . عكف : مقيمة. النبائث : جمع نبيثة ، وهي تراب يخرج من البئر إذا نقيت . تعصب الطير : تجتمع . تشعثوا : تغيروا وتفرقوا لاأث : محتبس ويروى لابث ، أي : غير ما كث . عرام : كثرة وشدة . الهياج : الحرب ، سمر : رماح ، وزدينة : امرأة تنسب إليها الرماح . جرد : القصيرات الشعر أو السريعة . والعجاج : الغبار عوائث : مفسدات . أصعار أو أصغاء : أميل . الذحول : جمع ذحل : طلب الثأر . رائث : بطيء . أيامى : ليس لهم أزواج . حفي : كثير السؤال .

شرح أبيات سعد : الحزونة : الوعر من الأرض . سيف البحر : ساحله . العيص : موضع ، وأصل العيص منبت الشجر

شرح قصيدة حمزة : السوام : الإبل المرسلة في المرعى . بتلنام : عاذ ينام . والبتل : العداوة ، ويقال طلب الثأر . المراجل : جمع مرجل: القدر .

(١) هو مجدي بن عمرو الجهني .

. . . .

مُضْمَرٌ ولا مُبْهَمٌ ، ولا ما فيه الألف واللام ولا مضاف ، وكذلك كان القياس في العَلَم ، فإذا لم يُنَوَّن في الشِّعْر فهو الأصل فيه ، لأن دخولَ التنوين في الأسماء إنما هو علامة لانفصالها عن الإضافة ، فما لا يُضاف لا يَحتاج إلى تنوين ، وقد كشفنا سرَّ التنوين وامتناع التنوين والخَفْضِ مما لا يَنصرِف في مَسْئَلةٍ أفردناها في هذا الباب ، وأتينا فيها بالعَجَبِ العُجَابِ ، والشواهدُ على حذف التنوين في الشعر من الاسم العلَم كثيرةٌ جداً ، فتأمله في أشعار الـ[illegible] والذى [illegible]از تجدْها ، وغرضُنا في شرح هذه الأشعار الواردة في كتاب السيرة أن نشرح منها ما استَغْلَق لفظُه جدًّا ، أو غَمضَ إعرابُه على شَرْطنا في أول الكتاب .

رواية شعر الكفرة :

لكني لا أعرِض لشيء من أشعار الكَفَرة التي نالوا فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شعر مَنْ أسلم وتَابَ كضِرَار وابن الزِّبَعْرى ، وقد كرِه كثيرٌ من أهل العلم فعل ابن إسحاق في إدخاله الشعرَ الذى نِيلَ فيه من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومِن الناس مَن اعتذر عنه : قال حكاية الكُفْرِ ليسَ بكفر والشعرُ كلامٌ . ولا فرقَ أن يُروى كلامُ الكفَرة ومُحَاجّتُهم للنبي صلى الله عليه وسلم وردُّهم عليه مَنْثوراً وبين أن يُروَى منظوماً ، وقد حكى ربُّنا سبحانه في كتابه العزيزِ مقالاتِ الأُمم لأنبيائها ، وما طَعَنوا به عليهم ، فما ذُكِر من هذا على جهة الحكاية نظماً أو نثراً فإنما يُقصَد به الاعتبارُ بما مضى ، وتذَكُّرُ نعمة الله تعالى على الهدَى ، والإنقاذ من العمَى . وقد قال عليه السلام : « لأن يَمتَلىء جَوْفُ أحدِكم قَيْحاً خيرٌ له من أن يَمتَلِىء

. . . .

شِعْراً»[1] وتأوّلته عائشةُ رضى الله عنها فى الأشعار التى هُجِى بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنكرت قولَ مَنْ حمله على العُموم فى جميع الشعرِ ، وإذا قلنا بما رُوِى عن عائشةَ فى ذلك ، فليس فى الحديث إلا عيب امتلاءِ الجوفِ منه . وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية ، أو الاستشهاد على اللغة ، فلم يدخل فى النهى ، وقد رد أبو عُبَيْد على من تأوّل الحديثَ فى الشعر الذى هُجِى به الإسلامُ ، وقال : رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرامٌ ، فكيف يُخَصُّ امتلاء الجوف منه بالذم ، وعائشة أعلم ، فإن البيتَ والبيتين والأبيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنثور الذى ذَمُّوا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا فرق وقول عائشة الذى ، قدمناه ذكره ابن وَهْبٍ فى جامعه ، وعلى القول بالإباحة ، فإن النفسَ تَقْذَرُ تلك الأشعارَ وتبغضها وقائليها فى الله ، فالإعراض عنها خيرٌ من الخَوْضِ فيها والتتبع لمعانيها .

غزوة بواط

وبُوَاطٌ جَبَلان فَرْعان لأصْل ، وأحدُهما : جَلْسِىٌّ ، والآخر غَوْرِىٌّ ، وفى الجَلْسِى بنو دِينارٍ [موالى بنى كُلَيْب بن كثير] يُنْتَسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مَرْوَان[2] .

---

(١) متفق عليه ، ورواه أيضا أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة

(٢) ما بين قوسين من معجم ما استعجم الذى نقل عنه السهيلى ، ويقول البكرى عن دينار إنه كان طبيبا لعبد الملك بن مرون .

. . . .

ذكر فيه استخلافَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على المدينةِ السائبَ ابنَ مَظْعُونٍ ، وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْبِ بن حُذَافَة بن جُمَح ، شهد بدراً فى قول ابن إسحاق ، ولم يذكره موسى بن عُقْبَة فى البَدْرِيِّين ، وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخى هذا ، فشهد بدراً فى قول جميعهم إلا ابن الكلبى ، وقتل يوم اليمامة شهيداً[1] .

غزوة العشيرة

يقال فيها : العُشَيْرَة والعُشَيْراء وبالسين المهملة أيضاً العُسَيْرَة والعُسَيْراء ، أخبرنى بذلك الإمامُ الحافظُ أبو بكر رحمه الله ، وفى البخارى : أن قَتَادَةَ سُئِل عنها فقال : العُشَيْر[2] ، ومعنى العُسَيْرة والعُسَيْراء ، أنه اسم مُصَغَّر من العُسْرَاء والعُسْرَى ، وإذا صغر تصغير التَّرْخيم قيل : عُسَيْرَة ، وهى بقلة تكون أُذَنَةً أى عَصِيفَة ، ثم تكون سِحَاء ، ثم يقال لها العُسْرى . قال الشاعر :

---

(١) كان ابن الكلبى يقول إن البدرى هو السائب بن مظعون عم السائب بن عثمان جرح السائب بن مظعون فى غزوة اليمامة ، ومات من جرحه وهو ابن بضع وثلاثين سنة .

(٢) رواه البخارى بسنده عن أبى إسحاق : كنت إلى جنب زيد بن أرقم ، فقيل له : كم غزا النبى « ص » من غزوة . قال : تسع عشرة ، قيل : كم غزوت أنت معه ؟ قال : سبع عشرة . قلت : فأيهم كانت أول ؟ قال : العسيرة أو العشير . فذكرت لقتادة قال : العشيرة . لكن ورد فى عدة روايات أخرى أن الغزوات إحدى وعشرون ، فلعله فاته اثنان لصغر سنه ، أو لعله عد اثنتين واحـــدة . بضم قريظة إلى الأحزاب ، أو ضم الطائف إلى حنين . والذى سأل قتادة هو شعبة . ورواية الترمذى : أيتهن ، فيكون الخطأ فى : أيهم إما من البخارى ، أو من شيخه عبد الله =

. . . .

وما مَنَعناها الماء إلا ضَنَانَةً بأطْرَافِ عُشْرَى شَوْكُها قد تَخَدّدَا

ومعنى هـــذا البيت كمعنى الحديث : « لا يُمْنَعُ فَضْلُ الماءِ ليُمْنَعَ به الـكَلأُ[1] » وأما العُشَيْرَة بالشين المنقوطة ، فواحدة العُشَر مُصَغَّرَة .

وذكر فيها الضَّبُوعَة ، وهو : اسم موضع ، وهو فَعُولَة من ضَبَعَتِ الإبلُ : إذا امرّت أضْباعَها فى السَّيْر[2] وفى الضَّبُوعَةِ نزل عند شَجَرة ، يقال لها : ذات السَّاق ، وابتنى ثَمّ مَسْجِداً ، واسْتَسْقَى من ماءٍ هنالك يقال له المشيرب كذلك جاء فى رواية البَكَّائى وغيرِه عن ابن إسحاق .

وذكر فيه مَلَلاً ، وهو اسم موضع يقال : إنه إنما سُمّى مَلَلاً ؛ لأن الماشى إليه من المدينة لا يبلغه إلاّ بعد جهد ومَلَلٍ ، وهو على عشرين ميلا من المدينة ، أو أكثر قليلا . وذكر الخَلائِقَ وهى آبار معلومة[3] .

ورواها غير أبى الوليد الخَلائِقَ بخاء منقوطة ، وفسرها بعضهم :

= ابن محمد المسندى ، أو من شيخه وهب بن جرير . ووقع فى الترمذى أن الغزوة : العشير أو العسير . وقول قتادة هو الذى اتفق عليه أهل السير .

(١) فسره ابن الأثير بقوله « هو نقع البئر المباحة ، أى : ليس لأحد أن يغلب عليه ، ويمنع الناس منه حتى يحوزه فى إناء ويملكه » وفسر « لا يمنع فضل الماء » فقط بقوله : « هو أن يسقى الرجل أرضه ، ثم تبقى من الماء بقية لا يحتاج إليها ، فلا يجوز له أن يبيعها ولا يمنع منها أحداً ينتفع به . هذا إذا لم يكن الماء ملكه ، أو على قول من يرى أن الماء لا يملك » .

(٢) أى أسرعت فى السير .

(٣) قال أبو ذر الخشنى : آبار لقريش والأنصار .

. . . .

جمع خَلِيقَة وهى البئر التى لا ماء فيها[1] ، وأكثر روايات الكتاب على هذا فالله أعلم .

وذكر فَرْشَ مَلَلٍ ، والفَرْشُ فيما ذكر أبو حنيفة : مكانٌ مُسْتَوٍ تَنْبُتُه العُرْفُطُ والسَّيَالُ والسَّمُرُ يكون نحوا من ميل أو فَرْسَخ ، فإن أنبت العُرْفُطَ وحده فهو وَهْطٌ ، وإن أنبت الطَّلْحَ وحده ، فهو غَوْلٌ وجمعه غيلان على غير قياس ، وإن أنبت النَّصِىَّ والصِّلِّيَانَ ، وكان نحوا من ميلين قيل له : لُمِعَة .

تكنية على بأبى تراب :

وذكر حديثين فى تكنية على بأبى ترابٍ ، وأصح من ذلك ما رواه البخارى فى جامعه : وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجده فى المسجد نائما وقد تَرِب جنبُه ، فجعل يَحُثُّ الترابَ عن جنبه ، ويقول : قم أبا تراب ، وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبا لفاطمة ، وهذا معنى الحديث ، وما ذكره ابن إسحاق من حديث عَمَّار مخالف له ، إلا أن يكونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين ، مَرَّةً فى المسجدِ ، ومَرَّةً فى هذه الغزوة ، فالله أعلم .

أشقى الناس

وذكر أشقى الناس قال : وهو أُحَيْمِرُ ثمود الذى عَقَر ناقةَ صالحٍ واسمه :

---

(١) قال أبو ذر : والخليقة أيضا موضع فيه مزارع ونخل وقصور لقوم آل الزبير .

. . . .

قُدَارُ بن سالف وأُمُّه قُدَيْرَة وهو من التسعة رَهْطٍ المذكورين فى سورة النمل ، وقد ذكرت أسماءهم فى كتاب التعريف والإعلام .

موادعة بنى ضمرة

وذكر مُوادَعَتَه لبنى ضَمْرَةَ ، وهم بطن من كنانة ، ثم من بنى لَيْثٍ ، وهم بنو غِفَارٍ وبنو نُعَيْلَةَ بنى مُلَيْل[1] ، بن ضمرة ، وكانت نسخةُ الموادَعة فيما ذكر غيرُ ابن إسحاق « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ من محمد رسول الله لبنى ضَمْرَة ، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وإن لهم النصر على من رَامَهم إلاَّ أنْ يُحاربوا فى دين الله مَابَلَّ بحرٌ صُوفَةً ، وإن النبى إذا دعاهم لنصره ، أجابوه ، عليهم بذلك ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله ، ولهم النصر على مَنْ بَرَّ منهم واتَّقى »

سرية عبد الله بن جحش

صحة الرواية بالمناولة

وهو المُجَدَّعُ فى الله ، وسيأتى حديثُه فى غَزْوة أُحُدٍ وتَرْجَم البخاريُّ على هذا الحديث فى كتاب العِلم احتجاجا به على صحة الرواية بالمُنَاوَلة ، لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ناول عبدَ الله بن جَحْشٍ كتابَه ، ففتحه بعد يومين فعمل على مافيه. وكذلك العالم إذا ناول التلميذَ كتابا جاز له أن يَرْوِى.

---

(١) فى القاموس : مليك

. . . .

عنه مافيه، وهو فِقْهٌ صحيح ، غير أن الناسَ جعلوا المُنَاوَلَةَ اليوم على غير هذه الصورة يأتى الطالبُ الشيخَ ، فيقول : ناولنى كتبك ، فيناوله ثم يُمْسِك متاعَه عنده، ثم ينصرف الطالبُ ، فيقول : حدَّثنى فلانٌ مُنَاوَلَةً ، وهذه رواية لاتصح على هذا الوجه ، حتى يذهب بالكتاب معه ، وقد أذن له أن يُحَدِّثَ بما فيه عنه ، وممن قال بصحة المناولة على الوجه الذى ذكرناه مالكُ بن أنسٍ ، روى إسماعيلُ ابن صالح عنه أنه أخْرَجَ لهم كتبا مَشْدُودَةً ، فقال : هذه كتبي صححتها ورويتها ، فارْوُوها عنى ، فقال له إسماعيل بن صالح : فنقول : حدثنا مالكٌ ؟ قال : نعم ، روى قصةَ إسماعيلَ هذه الدَّارَقُطنىُّ فى كتاب رُوَاة مالك رحمه الله .

اولاد الحضرمي :

وذكر عَمْرو بن الحَضْرَمِىّ ، وكانوا ثلاثةً : عَمْراً وعامرا والعَلَاءَ ، فأما العلاء فمن أفاضل الصحابة ، وأختهم الصَّعْبَةُ أم طَلْحَة بن عُبَيْد الله ، وكانت قبل أبيه عند أبى سفيان بن حَرْب ، وفيها يقول حين فارقها :

وإنى وصَعْبَةَ فيما نرى ... بعيدان والوُدُّ ودٌّ قريب
فإن لا يكنْ نَسَبٌ ثاقِبٌ ... فعند الفتاة جَمالٌ وطيبْ
فيال قصى ألا تعجبون ... إلى الوَبْرِ صار الغزالُ الرَّبيبْ

وفى نسب بَنى الحَضْرَمِىِّ اضطراب ، فقد قيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل : هو عبد الله بن عَمّاد بن ربيعة ، وقيل ابن عَيَّاد ، وابن عبَّاد بالباء ، والذى ذكره ابن إسحاق أصح ، وهم من الصَّدِف ، ويقال فيه : الصَّدِف بكسر

. . . .

الدال ، قاله ابن دُرَيْد ، والصَّدِفُ : مالك بن مُرَتِّع بن ثَوْر[1] وهو كِنْدَة وقد قدمنا ماقيل فى اسم كِنْدَة وفى معناه فى المبعث ، وقد قيل فى الصَّدِف هو ابن سَمَّال بن دُعْمِى بن زياد بن حَضْرَمَوْت ، وقيل فى حَضْرَمَوْت : إنه من ولد حِمْيَر بن سَبَأ ، وقيل : هو ابن قَحْطَانِ بن عابر[2] ، والله أعلم .

حكمة تحريم القتال في الأشهر الحرم

وذكر الشهرَ الحرامَ، وما كان من أهل السَّرِيَّةِ فيه ، وأنه سُقِط فى أيديهم لِما أصابوا فيه من الدَّم ، وذلك أن تحريمَ القتال فى الأشهرِ الحُرُم كان حُكماً معمولا به من عهد إبراهيمَ وإسماعيلَ ، وكان من حُرُمات الله ، ومما جعله مَصْلَحَة لأهلِ مكَّة ، قال الله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرام قياماً للناس والشهرَ الحرامَ ﴾ المائدة : ٩٧ وذلك لما دعا إبراهيمُ لذرِّيته بمكة ، إذ كانوا بوادٍ غيرِ ذى زَرْعٍ أن يجعلَ أفئدةً من الناس تَهْوِى إليهم، فكان فيما فُرِض على الناس من حَجِّ البيت قِواماً لمصلحتهم ومماشِهم ، ثم جعل الأشهرَ الحرمَ أربعةً : ثلاثةً سَرْداً ، وواحداً فردا ، وهو رَجَب ، أما الثلاثة

---

(١) فى جمهرة ابن حزم : والصدف هم فى بنى حضرموت ، وهو الصدف ابن أسلم بن زيد بن مالك بن زيد بن حضرموت الأكبر . وقال عن العلاء هو ابن عبد الله بن عبدة ، بن ضماد ، بن مالك . وقال أبو ذر الخشنى : عبد الله ابن عناد ص ٤٣٠ جمهرة . وفى القاموس عن مرتع « وكمحسن أو محدث لقب عمرو بن معاوية بن ثور جد لامرىء القيس بن حجر ، ولقب به ، لأنه كان يقال له : أرتعنا فى أرضك ، فيقول : قد أرتعت مكان كذا ، وكذا » .

(٢) وقيل هو ابن يقظان أخى قحطان ص ٤٢٩ الجمهرة .

غزوة بدر الكبرى

عير أبي سفيان

قال ابن إسحاق. ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حَرْبٍ مقبلاً من الشام فى عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارةٌ من

فليأمنَ الحجاجُ واردين إلى مكّةَ ، وصادرين عنها شَهْرا قبل شهر الحج ، وشهرا بعده قدرما يصل الراكبُ من أقصى بلاد العرب ، ثم يرجعُ ، حكمةً من الله، وأما رَجَبُ فللعُمّار يأمنون فيه مُقْبلين وراجعين نِصْفُ الشهر للإقبال ، ونصْفه للإياب ، إذ لا تكون العُمْرَةُ من أقاصى بلادِ العرب كما يكون الحجُّ، ألا تَرَى أنا لا نعتَمِر من بلاد المغرب ، فإذا أردنا عُمْرةً فإنما تكون مع الحج ، وأقصى منازل المُعْتَمِرين بين مَسيرة خَمْسَةَ عَشَرَ يوما ، فكانت الأقوات تأتيهم فى المواسم ، وفى سائر العام تنقطع عنهم ذُؤْبانُ العربِ وقُطّاعُ السُّبُل ، فكان فى رجب أمانٌ للسالكين إليها مصلحةً لأهلها ونظرا من الله لهم دبَّره وأبقاه من مِلّةِ إبراهيم لم يُغَيَّر حتى جاء الإسلامُ ، فكان القتال فيه مُحرَّما كذلك صَدْراً من الإسلام ، ثم أباحته آيةُ السيف ، وبقيت حُرْمةُ الأشهر الحرم لم تُنْسَخ ، قال الله سبحانه : ﴿ منها أربعةٌ حُرُمٌ فلا تَظْلِموا فيهن أنفسَكم ﴾ التوبة : ٣٦ ، فتعظيمُ حُرْمتها باقٍ ، وإن أُبيح القتال ، وقد روى عن عطاء أن تحريمَ القتال فيها حكم ثابت لم يُنْسخ ، وقد تقدم فى باب نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكْرُ سَعْدِ رَجَب ، وهو أول من سَنّه للعرب فيما زعموا .

تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، منهم مَخْرمة بن نوفل ابن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام .

ندب المسلمين للعير وحذر أبي سفيان

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم .

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مُسْلم الزُّهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبدُ الله بن أبي بكر ويزيد بن رُومان عن عُروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس ، كلٌّ قد حدّثني بعضَ هذا الحديث فاجتمع حديثُهم فيما سُقْت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي سُفيان مُقْبِلاً من الشام ، ندَب المسلمين إليهم وقال هذه عِيرُ قُريش فيها أموالُهم فاخْرُجوا إليها لعلّ الله يُنْفِلُكموها . فانتدب الناسُ فخفّ بعضُهم وثقُل بعضُهم ، وذلك أنهم لم يظنُّوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلقى حَرْبا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبارَ ويسأل مَنْ لَقى من الرُّكبان تخوُّفا على أمرِ الناس . حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان : أن محمداً قد استَنْفر أصحابَه لك ولعيرك فحَذِر عند ذلك . فاستأجر ضَمْضَم بن عَمْرو الغفاريّ ، فبَعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتِيَ قُريشا فيَستنفرَهم إلى أموالهم ويُخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه . فخرج ضَمْضم بن عَمْرو سريعا إلى مكة .

. . . .

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحاق : فأخبرنى من لا أتّهم عن عِكْرِمة عن ابن عباس ، ويزيد ابن رُومان ، عن عُروة بن الزُّبير ، قالا : وقد رأت عاتكةُ بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضَمْضَم مكة بثلاث ليال ، رُؤيا أفزعتها . فبعثتْ إلى أخيها العباس ابن عبد المطلب فقالت له : يا أخى ، والله لقد رأيت الليلة رُؤيا أفظعتنى ، وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرّ ومُصيبة ، فاكْتم عنى ما أحدّثك به ؛ فقال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ راكبا أقبل على بَعير له ، حتى وقف بالأبْطح ، ثم صَرخ بأعلى صوته : ألا انفِرُوا يا آل غُدُرُ لمصارِعكم فى ثلاث ، فأرى الناسَ اجتمعوا إليه ؛ ثم دخل المسجدَ والناسُ يَتْبعونه ، فبينما هم حوله مَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غُدُرُ لمصارعكم فى ثلاث : ثم مَثَل به بعيرُه على رأس أبى قبَيس فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تَهْوِى ، حتى إذا كانت بأسفلِ الجبل ارفضّت ، فما بقى بيتٌ من بيوت مكة ، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقة ؛ قال العباس : والله إن هذه لرُؤيا ، وأنتِ فاكتميها ، ولا تَذكريها لأحد .

ذيوع الرؤيا وما أحدثت بين أبى جهل والعباس

ثم خرج العباس ، فلقى الوليدَ بن عُتبة بن رَبيعة ، وكان له صديقا ، فذكرها له ، واستَكْتمه إياها . فذكرها الوليدُ لأبيه عُتبة ، ففشا الحديثُ بمكة ، حتى تحدّثت به قرَيش فى أنديتها .

قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برُؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فَرَغْت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغتُ أقبلتُ حتى جلستُ معهم ، فقال لى أبو جهل : يابنى عبد المطلب ، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النبيّة ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال: تلك الرؤيا التى رأت عاتكةُ ؛ قال : فقلت : ومارأت؟ قال : يا بنى عبد المطلب ، أما رَضيتم أن يتنبّأ رجالُكم حتى تتنبّأ نساؤكم ، قد زَعمتْ عاتكةُ فى رؤياها أنه قال: انفُروا فى ثلاث، فسنتربّص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقًّا ماتقول فسيكون ، وإن تمض الثلاثُ ولم يكن من ذلك شىء ، نَكتُبْ عليكم كتابا أنكم أكذبُ أهل بيت فى العَرب . قال العبّاس : فوالله ما كانَ منى إليه كبيرٌ ، إلا أنى جحدتُ ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئا : قال . ثم تفرّقنا .

فلما أمسيتُ ، لم تبق امرأةٌ من بَنى عبد المطلب إلا أتَتْنى ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يَقَع فى رجالكم ، ثم قد تَناول النساءَ وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غِيَرٌ لشىء مما سمعتَ ، قال : قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان منى إليه من كبير . وايمُ الله لأتعرّضن له ، فإن عاد لأكْفِيَنَّكُنّه .

قالت : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رُؤيا عاتكة ، وأنا حَدِيد مُغْضَب أُرَى أنى قد فاتنى منه أمرٌ أحبّ أن أُدْركه منه . قال: فدخلتُ المسجدَ فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرّضه ، ليعودَ لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفا ، حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، حديدَ النظر . قال : إذ خرج نحو باب

المسجد يشتد . قال : فقلت فى نفسى : ماله لعنه الله ، أكلّ هذا فَرَقٌ منى أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع مالم أسمع : صوت ضَمْضم بن عَمْرو الغفارى ، وهو يَصرخ ببَطْن الوادى واقفا على بعيره ، قد جَدّع بعيره ، وحوّل رَحْله ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يامعشر قريش ، اللطيمةَ اللَّطيمَةَ ، أموالُكم مع أبى سفيان قد عَرضَ لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تُدْركوها ، الغَوْثَ الغَوْثَ . قال : فشَغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الأمر .

قريش تتجهز للخروج

فتجهّز الناس سِراعاً ، وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحَضْرمى ، كلا والله ليعلمَنّ غيرَ ذلك . فكانوا بين رجلَيْن ، إما خارج وإما باعثٌ مكانَه رجلاً . وأوْعَبت قريشٌ ، فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ .

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، وبعث مكانه العاصِى بن هشام ابن المُغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفْلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزئَ عنه ، بعثه فخرج عنه ، وتخلّف أبو لهب .

خروج عقبة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح : أن أُميّة بن خَلف كان أجمع القُعودَ ، وكان شيخا جليلا جَسِيما ثقيلا ، فأتاه عُقْبة بن أبى معيط ، وهو جالس فى المَسجد بين ظَهرانَىْ قومه ، بِمجْمَرَةٍ يحملها ، فيها نار ومِجْمَر حتى

وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا على اسْتَجْمِرْ ، فإنما أنت من النساء ؛ قال : قَبحَكَ الله وقَبَحَ ماجئتَ به ، قال : ثم تجَهز فخرج مع الناس .

ما وقع بين قريش وكنانة

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم ، وأجمَعُوا المسيرَ ، ذكروا ما كان بينهم وبين بَنى بكر بن عبدمَناة بن كِنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خَلْفنا ، وكانت الحربُ التى كانت بين قُريش وبين بنى بَكر - كما حدثنى بعض بنى عامر بن لُؤَىّ ، عن محمد بن سعيد بن المُسَيَّب - فى ابن لِحَفْص بن الأخْيَف ، أحد بنى مَعِيص بن عامر بن لُؤَىّ ، خرج يَبْتغى ضالة له بضَجْنان ، وهو غلام حَدَث فى رأسه ذُؤابة ، وعليه حُلَّة له ، وكان غلاما وضيئا نظيفا ، فمرّ بعامر بن يَزيدَ بن عامر بن المُلَوّح ، أحد بنى يَعْمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، وهو بضَجْنان ، وهو سيدُ بنى بكر يومئذ ، فرآه فأعجبه ؛ فقال : من أنت ياغلام ؟ قال : أنا ابنٌ لِحَفْص ابن الأخْيَف القُرَشى . فلما ولّى الغلام ، قال عامر بن زيد : يابنى بكر ، مالكم فى قُريش من دم ؟ قالوا : بلى والله ، إن لنا فيهم لدماء ؛ قال ما كان رجلٌ ليقتل هذا الغلام برَجُله إلا كان قد استوفى دمَه : قال : فتبعه رجلٌ من بنى بكر فقتله بدم كان له فى قُريش ؛ فتكلَّمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد : يامعشر قريش قد كانت لنا فيكم دماء ، فما شئتم . إن شئتم فأدُّوا علينا مالَنا قِبَلكم ، ونؤدّى مالكُمْ قِبَلنا ، وإن شئتم فإنما هى الدماء : رجلٌ برجل ، فتجافَوْا عمّا لكم قِبَلنا ، ونتجافى عمّا لنا قِبَلكم ، فهان ذلك الغلامُ على هذا

الحىّ من قريش ، وقالوا : صدق ، رجلٌ برجل . فَلَهَوْا عنه ، فلم يطلبوا به .

قال : فبينما أخوه مِكْرَز بن حَفْص بن الأخْيَف يسير بمَرّ الظَّهران ، إذْ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر المُلَوِّح على جمل له ، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به ، وعامرٌ متوشّح سيفه ، فعلاه مكْرز بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بطْنه بسيفه ، ثم أتى به مكة ، فعلّقه من الليل بأستار الكعبة . فلما أصبحت قريشٌ رأوا سيفَ عامر بن يزيد بن عامر معلّقا بأستار الكعبة ، فعرفوه ، فقالوا : إن هذا لسيفُ عامر بن يزيد ، عدا عليه مكْرز بن حَفْص فقتله ، فكان ذلك من أمرهم . فبينماهم فى ذلك من حربهم ، حَجز الإسلام بين الناس ؛ فتشاغلوا به ، حتى أجمعت قريشٌ المسير إلى بدر ، فذكروا الذى بينهم وبين بنى بكر فخافوهم .

وقال مِكْرَزُ بن حَفْص فى قتله عامراً :

لَمَّا رأيتُ أنّهُ هُوَ عامرٌ ... تَذَكَّرْتُ أشْلاءَ الحبيبِ المُلَحَّب

وقُلْتُ لنفسى : إنّهُ هُوَ عامرٌ ... فلا تَرْهبيه،وانظُرى أىَّ مَرْكب

وأيقنتُ أنى إن أُجَلِّله ضرْبةً ... متى ما أُصِبْه بالفُرافِر يَعْطَب

خَفَضْتُ له جأشى وألقيتُ كَلْكَلى ... على بَطلٍ شاكى السِّلاح مُجرَّبِ

ولم أكُ لمّا التفّ رُوعى ورُوعه ... عُصارةَ هُجنٍ من نِساءٍ ولا أب

حللتُ به وِتْرى ولم أنسَ ذَحْلَه ... إذا ما تناسَى ذَحله كلُّ عَيْهب

قال ابن هشام : الفَرافِر فى غير هذا الموضع : الرجل الأضبط ، وفى هذا

الموضع : السيف. والعَيْهب : الذى لاعقل له ، ويقال : تيس الظباء وفحل النعام. قال الخليل : العيهب : الرجل الضعيف عن إدراك وتره .

الشيطان وقريش

وقال ابن إسحاق :وحدثنى يزيد بنُ رومان ، عن عُروة بن الزبير ، قال. لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بَكر ، فكاد ذلك يَثْنيهم ، فتبدّى لهم إبليسُ فى صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانةُ من خلفكم بشىءٍ تكرهونه ، فخرجوا سراعا .

خروجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ليال مضت من شهر رمضان فى أصحابه ـ قال ابن هشام : خرج يوم الاثنين لثمان ليال خلَوْن من شهر رمضان ـ واستعمل عمرو بن أمّ مَكتوم ـ ويقال اسمه : عبد الله ابن أمّ مَكتوم أخا بنى عامر بن لُؤَىّ ، على الصلاة بالناس ، ثم ردّ أبا لُبابة من الرَّوحاء ، واستعمله على المدينة .

اللواء والرايتان

قال ابن إسحاق :ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ـ قال ابن هشام : وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وكان أمامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سَوْداوان ، إحداهما مع علىّ بن أبى طالب ، يقال لها : العُقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

إبل المسلمين إلى بدر

قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتَقبوها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىّ ابن أبى طالب ، ومَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنَوِىّ يَعْتَقِبون بعيرا ، وكان حمزةُ ابن عبد المطلب ، وزَيْد بن حارثة ، وأبو كَبْشَة ، وأنَسَة ، مَوْليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يَعْتَقِبون بعيراً ، وكان أبو بكر ، وعُمر ، وعبد الرحمن ابن عَوْف يَعْتَقبون بعيراً .

قال ابن إسحاق : وجعل على السَّاقة قَيْسَ بنَ أبى صَعصعة أخا بنى مازن بن النجّار . وكانت رايةُ الأنصار مع سَعْد بن مُعاذ ، فيما قال ابن هشام .

الطريق إلى بدر

قال ابن إسحاق : فسلك طريقَه من المدينة إلى مكة ، على نَقْب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الُحليفة ، ثم على أولات الجَيْش .

قال ابن هشام : ذات الجَيْش .

قال ابن إسحاق : ثم مرّ على تُرْبان ثم على مَلَل ، ثم على غَميس الحَمام

من مَرَيَيْنِ ، ثم على صُخَيْرات اليمَام ، ثم على السَّيالة ، ثم على فَجّ الرَّوْحاء ، ثم على شَنُوكة ، وهى الطريق المُعْتدلة ، حتى إذا كان بِعِرْق الظُّبْيَة – قال ابن هشام : الظُّبْيَةُ : عن غير ابن إسحاق – لقُوا رجلا من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبرا ، فقال له الناس : سلِّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفيكم رسولُ الله؟ قالوا : نعم ، فسلَّم عليه ، ثم قال : إن كنتَ رسول الله فأخبرنى عمَّا فى بطن ناقتى هذه قال له سَلَمَةُ بن سَلَامة ابن وَقْش : لا تسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقْبِلْ علىّ فأنا أُخبرك عن ذلك . نزوتَ عليها ، ففى بطنها منك سَخْلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مَهْ ، أفْحَشْتَ على الرجل ، ثم أعرض عن سَلَمة .

ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَجْسج ، وهى بئر الرَّوحاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان بالمُنْصَرف ، ترك طريقَ مكة بيَسار ، وسلك ذات اليمين على النَّازِيَةَ ، يريد بدراً ، فسلك فى ناحية منها ، حتى جزَعَ واديا ، يقال له رُحقان ، بين النازية وبين مَضيق الصَّفْراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبّ منه ، حتى إذا كان قريبا من الصفراء ، بعث بَسْبَس بن عمرو الجُهَنىّ ، حليفَ بنى ساعدة ، وَعَدِىَّ بن أبى الزَّغْباء الجُهنى ، حليفَ بنى النجَّار ، إلى بدر يَتَحَسَّسان له الأخبار ، عن أبى سُفيان بن حَرْب وغيره . ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقدقدِمَها . فلما استقبل الصَّفْراء ، وهى قرية بين جَبلين ، سأل عن جَبَلَيْهما ما اسماهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما ، هذا مُسْلِح ، وللآخر : هذا مُخرِئ وسأل عن أهلهما ، فقيل : بنو النار وبنو

حُراق ، بطنان من بنى غِفار فـكَرِههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلِهما . فتركهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والصَّفْراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له : ذَفِرَان ، فجزع فيه ، ثم نزل .

قول أبى بكر وعمر والمقداد فى الجهاد

وأتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليَمنَعوا عِيرهم ، فاستشار الناسَ ، وأخبَرَهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصدّيق ، فقال وأحسن . ثم قام عمرُ بن الخطّاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المِقْداد بن عمرو فقال : يارسول الله ، امْضِ لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فقاتلا ، إنَّا هٰهنا قاعدُونَ ﴾ . ولـكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون ، فوالذى بعثك بالحقّ لو سِرْت بنا إلى بَرْك الغِماد لجالدْنا معك من دونه ، حتى تَبْلُغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له به .

الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير الأنصار

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشِيرُوا علىَّ أيها الناس . وإنما يريد الأنصارَ ، وذلك أنهم عَددُ الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعَقبة ، قالوا : يارسول الله : إنا بُرآء من ذِمَامِك حتى تَصِل إلى ديارنا ، فإذا وصلتَ إلينا ، فأنت فى ذِمَّتنا نَمْنعك ممَّا نمنع منه أبناءنا ونِساءنا . فـكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّف ألاّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نَصره إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوّه، وأنْ ليس عليهم أن يَسير بهم إلى عدوّ من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قال له سعدُ بن مُعاذ: والله لكأنك تريدُنا يا رسولَ الله؟ قال أجل، قال: لقد آمَنّا بك وصدّقناك، وشَهِدنا أن ماجئتَ به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عُهودنا ومواثيقنا، على السَّمع والطاعة، فامض يارسول الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذى بَعثك بالحقّ، لو استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخُضْتَه لخضْناه معك، ما تخلَّف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوّنا غدا، إنا لَصُبُرٌ فى الحرْب، صُدُقٌ فى اللّقاء. لعلّ الله يُريك منّا ماتقرُّ به عينُك، فسِرْ بنا على بَرَكة الله. فسُرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقول سَعْد، ونَشَّطه ذلك؛ ثم قال: سيرُوا وأبْشروا، فإن الله تعالى قد وَعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظُر إلى مَصارع القوم.

تفرق أخبار قريش

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِرَانَ، فسلك على ثنايا. يقال لها الأصافِر؛ ثم انحطّ منها إلى بلد يقال له: الدَّبّة، وترك الحَنّان بيمين، وهو كَثِيب عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريبا من بَدْر، فركب هو ورجلٌ من أصحابه.

قال ابن هشام: الرجل هو أبو بكر الصدّيق.

قال ابن إسحاق كما حدثنى محمد بن يحيى بن حَبَّان : حتى وقف على شَيْخ من العَرَب ، فسأله عن قُريش ، وعن محمد وأصحابه ، ومابلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أُخْبركما حتى تُخْبِرانى مِمَّن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صَدَق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى فيه قُريش . فلما فرغ من خبره ، قال : ممَّن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ، أمن ماء العراق ؟

قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ سُفيان الضَّمْرى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث عليَّ بن أبى طالب ، والزُّبَيْرَ بن العوَّام ، وسعدَ بن أبى وقاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبر له عليه — كما حدثنى يزيدُ ابن رُومان ، عن عُروة بن الزُّبير — فأصابوا رَاوِيةً لقُرَيْش فيها أَسْلَمَ غلام بنى الحجَّاج ، وعَرِيضٌ أبو يَسَار ، غلام بنى العاص بن سَعيد ، فأتَوْا بهما فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فقالا : نحن سُقَاة قُريش ، بعثونا نَسْقيهم من الماء . فكَرِه القومُ خبرَهما ، ورَجَوْا أن يكونا لأبى سُفْيان ، فضربوهما . فلما أذْلَقوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله

صلى الله عليه وسلم وسجَد سَجدَتيه ، ثم سلّم ، وقال إذا صَدَقا كم ضَربتموهما، وإذا كذَبا كم تركتموهما، صَدَقا والله إنهما لقريش ، أخبرانى عن قُريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى ـ والكثيب : العَقَنقَل ـ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالا : كثيرٌ ، قال : ما عِدَّتُهم ؟ قالا : لا نَدْرى ، قال كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم ؟ قال : يوما تسعا ، ويوما عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القومُ فيما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمَن فيهم من أشراف قُريش ؟ قالا : عُتْبة ابن رَبيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البخْتَرىّ بن هشام ، وحَكيم بن حِزام ، ونَوْفل بن خُوَيلد ، والحارث بن عامر بن نَوْفل، وطُعَيْمة بن عَدىّ بن نوفل، والنَّضْر بن الحارث ، وزَمعَة بن الأسْوَد ، وأبو جهل بن هِشام ، وأُمَيَّة بن خَلَف ، ونُبَيه، ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج ، وسُهَيْل بن عمرو ، وعَمْرو بن عبد وُدّ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ،فقال هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذَ كَبدها .

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبَس بن عمرو ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء قد مَضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تلّ قريب من الماء ، ثم أخَذا شَنًّا لهما يَسْتقيان فيه ، ومَجْدِىُّ بنُ عَمْرو الجُهَنىّ على الماء . فسمع عدىّ وبَسْبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما يَتلازمان على الماء ، والمَلْزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتى العير غداً أو بعد غد ، فأعملُ لهم ، ثم أقضيك الذى لك. قال مَجْدىّ : صدقتِ ثم خلّص بينهما . وسمع ذلك عدىّ وبَسبس ، فجلسا

على بَعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبراه بما سمعا .

نجاة أبي سفيان بالعير

وأقبل أبو سفيان بن حَرْب ، حتى تقدم العير حذَراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمَجْدىّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ، فقال : مارأيت أحداً أنكره ، إلا أنى قد رأيتُ راكبين قد أناخا إلى هذا التلّ ، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَها ، فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففتّه ، فإذا فيه النّوى ، فقال : هذه والله عَلائف يَثْرب . فرجَع إلى أصحابه سريعا ، فضرب وَجْهَ عِيرِه عن الطريقِ فساحَل بها ، وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

رؤيا جهيم بن الصلت

وأقبلت قريشٌ ، فلما نزلوا الُجحْفة ، رأى جُهَيم بن الصّلْت ابن مَخْرمة ابن المطّلب بنِ عبدَ مناف رُؤْيا ، فقال : إنى رأيتُ فيما يرى النائم ، وإنى لبين النائم واليَقظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ؛ ثم قال : قتل عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو الحَكَم بن هشام ، وأُميّة بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدّد رجالا ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قريش ، ثم رأيتُه ضرب فى لَبّة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْح من دمه .

. . . .

قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبيٌّ آخر من بني المُطَّلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

كان أبو سفيان لا يريد حربا

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرَزَ عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتَمنعوا عِيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجَّاها الله ، فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هِشام : والله لا نَرْجع حتى نَرِد بدراً — وكان بدر مَوْسِما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سُوقٌ كلَّ عام — فنُقيم عليه ثلاثا ، فنَنْحَرَ الجُزُر ونُطْعم الطعام ، ونُسْقى الخمر ، وتَعْزِف علينا القِيَان ، وتسمع بنا العربُ وبمسيرنا وجَمْعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضُوا .

رجوع بني زهرة

وقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثَّقَفي ، وكان حَليفا لبني زهرة وهم بالجُحْفة : يابني زُهْرة ، قد نجَّى الله لكم أموالكم ، وخلَّص لكم صاحبَكم مَخْرَمَةَ بن نَوْفل ، وإنما نَفَرْتُم لتَمنعوه وماله ، فاجعلوا لي جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضَيْعة ، لا مايقول هذا ، يَعني أبا جهل : فرجعوا ، فلم يَشْهَدْها زُهْرِيّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعا .

ولم يكن بَقِيَ من قريش بَطْنٌ إلا وقد نَفر منهم ناسٌ ، إلا بني عديّ بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحد ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخْنَس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القَبيلتين أحدٌ ، ومشى القوم . وكان بين

طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا :
والله لقد عرفنا يابنى هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم لمع . محمد فرجع
طالب إلى مكة مع من رجع . وقال طالب بن أبى طالب :

لاهُمَّ إمَّا يَغزُوَنَّ طالبْ فى عُصْبة مُحالفٌ مُحاربْ
فى مِقْنب من هذه المَقانب فليكن المسلوبَ غيرَ السَّالب
وليكن المغلوبَ غير الغالب

قال ابن هشام : قوله فليكن المسلوب ، وقوله : ولكن المغلوب عن
غير واحد من الرواة للشعر .

منزل المسلمين ومنزل قريش

قال ابن إسحاق : ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوى من
الوادى ، خَلْف العَقَنْقَل وبطن الوادى، وهو يَلْيَل، بين بَدْرٍ وبين العَقَنْقَل،
الكثيب الذى خلفه قُريش ، والقُلُب ببدر فى العُدْوة الدنيا من بَطْن يَلْيَل
إلى المدينة . وبعث الله السماء ، وكان الودى دَهْسا ، فأصاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه منها ما لبَّد لهم الأرضَ ولم يَمنعهم عن السير ، وأصاب قريشا
منها ما لم يَقْدِروا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
يُبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بَدْر نزل به .

مشورة الحباب

قال ابن إسحاق : فحُدِّثت عن رجال من بنى سَلمة ، أنهم ذكروا : أن

الُحباب بن المنذر بن الجَمُوح قال : يارسول الله ، أرأيتَ هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلَكه الله ليس لنا أن نتقدّمه ، ولا نتأخَّر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال : يارسول الله ، فإنّ هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فَننزله ، ثم نعوّر ما وراءه من القُلُب ، ثم نبْنى عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نُقاتل القَوم ، فنَشْرَب ولا يشربون ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأى . فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم – ومَنْ معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نَزَل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فعُورت ، وبنى حَوْضا على القَليب الذى نزل عليه فمُلِئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

بناء العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث : أن سَعْدَ بنَ معاذ قال : يانبىّ الله ، ألا نَبْنى لك عَرِيشا تكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلْقى عدوّنا ، فان أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأُخرى ، جلستَ على رَكائبك ، فَلحِقْت بمَنَ وراءنا ، فقد تخلّف عنك أقوامٌ ، يانبىّ الله ، ما نحنُ بأشدَّ لك حبًّا منهم ، ولو ظَنُّوا أنك تلقى حربا ما تخلَّفوا عنك ، يَمنعك الله بهم ، يناصحونك ويُجاهدون معك : فأثنى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير . ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَريشٌ ، فكان فيه .

ارتحال قريش

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ ، فأقبلتْ ، فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تَصوَّب من العَقَنْقَل — وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى — قال : اللهمَّ هذه قُريش قد أقبلت بخُيلائها وفَخْرها ، تُحادّك وتكذّب رسولَك ، اللهمّ فنَصْرَك الذى وعدتنى ، اللهمّ أحِنْهم الغداةَ .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — (وقد) رأى عتبةَ بن رَبيعة فى القوم على جمل له أحمر — إن يكن فى أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطيعوه يَرْشُدوا .

وقد كان خُفاف بن أيماء بن رَحَضة الغِفارىّ ، أو أبوه أيماء بن رَحَضة الغِفارىّ ، بعث إلى قريش ، حين مرُّوا به ، ابنا له بجزائره أهْداها لهم ، وقال : إن أحْبَبتم أن نُمدّكم بسلاح ورجال فعَلْنا . قال : فأرسَلُوا إليه مع ابنه : أن وصَلَتْك رحم ، قد قضيت الذى عليك ، فلَعَمْرى لئن كنّا إنما نُقاتل الناسَ فما بنا من ضَعْف عنهم ، ولئن كنّا إنّما نُقاتل الله ، كما يزعم محمّدٌ ، فما لأحد بالله من طاقة .

فلما نزل الناسُ أقْبَل نفرٌ من قريش حتى وَرَدُوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حَكِيم بن حِزام ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعُوهم . فما شَرِب منه رجلٌ يومئذ إلا قُتل ، إلا ما كان من حَكِيم بن حزام ، فإنه

لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسُن إسلامه . فكان إذا اجتهد فى يمينه ، قال : لا والذى نجَّانى من يوم بدر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار وغيرُه من أهل العلْم ، عن أشياخ من الأنصارِ ، قالوا : لما اطمأنّ القوم ، بعثوا عُمَير بن وَهْب الُجمَحىّ فقالوا : احزُر ، لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجالَ بفرسه حولَ العسكر ثم رجع إليهم ، فقال ثلاثُ مائة رجل ، يزيدون قليلا أو يَنقُصُون ، ولكن أمْهِلُونى حتى أنظُر أللقوم كِمينٌ أو مَدَد ؟ قال : فضرب فى الوادى حتى أبْعد ، فلم يَرَ شيئا ، فرجع إليهم فقال : ما وجدتُ شيئا ، ولكنى قد رأيتُ ، يامعشرَ قُريش ، البَلايا تحمل المَنَايا ، نواضح يَثْرِب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم مَنعة ولا مَلْجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرَى أن يُقتَل رجلٌ منهم ، حتى يَقتل رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ؟ فرَوْا رأيكم .

فلما سمع حَكِيم بن حِزَام ذلك مشى فى الناس ، فأتى عُتْبةَ بن ربيعة ، فقال يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قُرَيش وسيِّدُها ، والمُطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذْكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حَكيم ؟ قال : ترْجع بالنَّاس ، وتَحْمل أمرَ حليفك عَمْرو بن الحَضْرمى ، قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك ، إنما هو حليفى ، فعلىّ عَقْلُه وما أُصِيبَ من ماله ، فأْتِ ابن الحَنْظَليَّة .

نسب الحنظلية

قال ابن هشام : والحَنْظَلِيَّة أم أبى جهل ، وهى أسماء بنت مُخَرِّبة ، أحد بنى نَهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تَمِيم ـ فانى لا أخشى أن يَشْجُرَ أمرَ الناس غيرُه ، يعنى أبا جهل بن هشام . ثم قام عُتبة ابن ربيعة خطيبا ، فقال : يامعشرَ قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقَوْا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجلُ ينظر فى وجه رجل يَكره النَّظر إليه ، قَتل ابن عَمِّه أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غيرَ ذلك ألفاكم ولم تَعرَّضُوا منه ماتريدون .

قال حَكِيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدتُه قد نَثَل دِرْعا له من جِرابها ، فهو يَهْنِئها قال ابن هشام : يهيئها ـ فقلتُ له : يا أبا الحكم إنّ عُتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا ، للذى قال ، فقال : انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه ، كلاَّ والله لانَرْجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعُتبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أَكَلةُ جَزُور ، وفيهم ابنُه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى ، فقال : هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيتَ ثأرَك بعينك ، فقُم فأَنْشُدْ خُفْرتَك ، ومقتل أخيك .

فقام عامر بن الحَضْرمىّ فاكتشف ثم صرخ : واعَمْراه ، واعَمْراه ،

. . . .

فحميت الحربُ وحَقِب الناس ، واستَوْسقوا على ماهم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأيُ الذى دعاهم إليه عُتبةُ .

فلما بلغ عتبةَ قولُ أبى جهل « انتفخ والله سحره » ، قال : سيعلم مُصفِّرُ استِه من انتفخ سَحْرُه ، أنا أم هو ؟ .

قال ابن هشام : السَّحْرُ : الرئة وما حولها مما يَعْلق بالحُلْقُوم من فوق السُّرة . وما كان تحت السُّرة ، فهو القُصْب ، ومنه قوله : رأيت عمرو بن لُحَىّ يجُرُّ قُصْبه فى النار : قال ابن هشام : حدثنى بذلك أبو عُبَيْدَة .

ثم التمس عُتبة بيضةً ليُدْخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجَيْش بَيْضةً تَسَعُه من عِظم هامَتِهِ ، فلما رأى ذلك اعتَجَر على رأسه بِبُرْد له .

مقتل الأسود المخزومى

قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسد المَخْزومى ، وكان رجلا شَرِسا سَيِّئ الخُلق ، فقال : أعاهد الله لأَشْربنَ من حَوْضهم ، أو لأهْدِمنَّه ، أولأموتَنّ دونه ، فلماخرج خرج إليه حمزةُ بن عبدالمطَّلب ، فلما التقيا ضربه حمزةُ فأطَنَّ قَدَمَه بنِصْف ساقه ، وهو دون الحوْض ، فوقع على ظهره تَشْخُب رجلُه دَما نحو أصحابه ، ثم حَبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد (زعم) - أن يُبرّ يَمينه ، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله فى الحوض.

دعاء عتبة إلى المبارزة

قال : ثم خرج بعد عُتبة بن ربيعة ، بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد ابن عتبة ، حتى إذا فَصل من الصفّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتْية من الأنصار ثلاثة ، وهم : عَوْف ، ومُعوّذ ، ابنا الحارث — وأمهما عفْراء — ورجل آخر ، يقال : هو عبد الله بن رَواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا رهط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادَى مُناديهم يا محمد ، أخْرِج إلينا أكْفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قُم يا عُبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة وقمْ يا علي ، فلما قاموا دَنَوْا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عُبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليّ : عليّ ، قالوا : نعم ، أكْفاء كرام . فبارَزَ عُبيدة ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة (بن) رَبيعة ، وبارز حمزَةُ شَيْبَة ابن ربيعة ، وبارز عليّ الوليدَ بن عتبة . فأما حمزة فلم يُمْهِل شيبةَ أنْ قتله ؛ وأما عليّ فلم يُمْهِل الوليد أن قتله ؛ واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضَرْبتين ، كلاهما أثْبت صاحبَه ؛ وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عُتبة فذَفَّفا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة : أن عُتبة بن ربيعة قال للفِتْية من الأنصار ، حين انتسبوا : أكفاء كِرام ، إنما نريد قومنا .

التقاء الفريقين

قال ابن إسحاق : ثم تزاحف الناس ودَنا بعضُهم من بعض ، وقد أمر

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يَحمِلوا حتى يأمرهم ، وقال : إن أكتنفَكم القوم فانضحُوهم عنكم بالنَّبْل ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في العَريش ، معه أبو بكر الصدّيق .

فكانت وَقْعة بدر يوم الجمعة صَبيحةَ سبعَ عشرةَ من شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الُحسين .

ابن غزية وضرب الرسول له في بطنه بالقدح

قال ابن إسحاق : وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان عن أشياخ من قومه : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عدّل صُفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْح يُعدِّل به القومَ ، فمرّ بسَوَّادِ بن غَزِيَّة ، حليفِ بني عَدِيّ ابن النجار ــ قال ابن هشام : يقال ، سَوَّاد ؛ مثقلة ، وسَوَاد في الأنصار غير هذا ، مخفف ــ وهو مُسْتَنْتِل من الصَّفّ ــ قال ابن هشام : ويقال : مُسْتَنْصِل من الصفّ ــ فطعن في بَطْنِه بالقِدْح ، وقال : استَو ياسَوَّاد ، فقال : يارسول الله أوْجَعْتني وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، قال : فَأَقِدْنِي . فكشف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : استَقِد ، قال : فاعْتَنَقَه فقَبَّل بطنَه : فقال : ماحملك على هذا ياسَوّاد ؟ قال : يارسولَ الله ، حضَر ما تَرى ، فأردتُ أن يكون آخرُ العهد بك أن يَمَسّ جِلْدى جِلْدَك . فدعا له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له .

مناشدة الرسول ربه النصر

قال ابن إسحاق : ثم عدّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصفوفَ ، ورجع إلى العَريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصدّيق ، ليس معه فيه غيرُه ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يُناشِد رَبَّه ماوَعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهمّ إن تَهلِكْ هذه العِصابةُ اليومَ لا تُعْبَد ، وأبو بكر يقول : يانبيّ الله : بعضَ مُناشَدَتك رَبَّك ، فإنّ الله مُنْجزٌ لك ما وعَدك . وقد خَفَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَفْقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : أبْشِرْ يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله . هذا جبريل آخذٌ بعنان فَرَسٍ يقوده ، على ثَناياه النَّقْع .

أول قتيل

قال ابن إسحاق : وقد رُمى مِهْجَعٌ ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتِل ، فكان أوّلَ قتيل من المسلمين ، ثم رُمِى حارثةُ بن سُراقة ، أحد بنى عدىّ ابن النجّار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهم فأصاب نحرَه ، فقُتل .

تحريض المسلمين على القتال

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرّضهم ، وقال : والذى نفسُ محمد بيده ، لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتَل صابراً مُحتَسِباً ، مُقبِلا غيرَ مُدبِر ، إلا أدخله اللهُ الجنةَ . فقال عُمَير بن الحُمَام ، أخو بنى سَلمة ، وفى يده تمرات يأكلهنّ : بَخٍ بَخٍ ، أفما بينى وبين أن أدخلَ الجنّة إلا أن يَقتلنى

هؤلاء ؟ ثم قذف التَّمرات من يده وأخذ سيفَه ، فقاتل القومَ حتى قُتل .

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عَفراء قال : يارسول الله ، ما يُضحِك الربَّ من عبده ، قال : غَمْسه يدَه فى العدو حاسراً . فَنزع دِرْعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزهرىّ ، عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُعَير العُذْرىّ ، حليف بنى زُهرة ، أنه حدثه : أنه لمَّا التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل بن هشام : اللهمّ أقْطَعُنا للرحم، وآتانا بما لا يُعرف ، فأحْنِهِ الغَدَاةَ . فكان هو المُسْتَفْتِح .

رمى الرسول للمشركين بالحصباء

قال ابن إسحاقَ : ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنة من الحصْباء فاستقبل قريشا بها ، ثم قال :شاهتِ الوجوه ، ثم نَفَحَهم بها ، وأمر أصحابَه ، فقال : شُدُّوا ، فكانت الهزيمةُ ، فقتل اللهُ تعالى مَنْ قَتل من صَناديدِ قُريش ، وأَسَر من أسر من أشرافهم . فلما وضع القومُ أيديهم يأسِرُون ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العَرِيش ، وسعدُ بن مُعاذٍ قائم على باب العَرِيش ، الذى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، مُتَوشِّحاً السيفَ، فى نفرٍ من الأنصار يحرُسُون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّة العدوّ ، ورأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم – فيما ذُكر لى – فى وجه

سَعْدِ بن مُعاذ الكراهيةَ لما يَصْنعُ الناسُ ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله لكأنك ياسعدُ تكره ما يصنع القوم ، قال : أجَلْ والله يارسول الله ، كانت أوّل وقعة أوقعها اللهُ بأهلِ الشِّرك . فكان الإثخانُ في القتل بأهل الشِّرك أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال.

نهى النبي أصحابه عن قتل ناس من المشركين

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن مَعْبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عبّاس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرِهم قد أُخْرِجوا كَرْهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُله ، ومن لقي أبا البَخْتَرِيّ بن هشام ابن الحارث ابن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب ، عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله ؛ فانه إنما أُخْرِج مُسْتكرها . قال: فقال : أبو حُذيفة : أنقتُل آباءنا وأبناءنا وإخوتَنا وعشيرتنا . ونترك العبّاس ، والله لَئِنْ لقيتُه لأُلحِمَنَّهَ السيفَ ـ قال ابن هشام : ويقال : لأُلجمنّه (السيف) ـ قال : فبلغت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر ابن الخطّاب : يا أبا حفص ـ قال عمر : والله إنه لأول يوم كنّاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حَفْص ـ أيُضرب وجهُ عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ؟ فقال عمر : يارسول الله ، دعني فَلأَضْرِب عُنُقَه بالسيف ، فوالله لقد نافَق . فكان أبو حُذَيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة

التى قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفا ، إلا أن تكفِّرها عنى الشهادة .
فقُتِل يوم اليمامة شهيداً .

قال ابن إسحاق : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البَخْتَرِىّ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلُغه عنه شىء يكرهه ، وكان ممّن قام فى نَقْض الصحيفة التى كتبت قريشٌ على بنى هاشم وبنى المُطَّلب . فلقيه المُجَذَّرُ بن ذِيادٍ البَلَوِىّ ، حليف الأنصار ، ثم من بنى سالم بن عَوْف ، فقال المُجَذَّرُ لأبى البَخْتَرِىّ : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نهانا عن قَتْلِك ـ ومع أبى البَخْتَرِىّ زَمِيلٌ له قد خرج معه من مكة ، وهو جُنَادَةُ بن مُلَيْحَة بنت زُهَيْر بن الحارث بن أسد ؛ وجنادة رَجُلٌ من بنى لَيْث . واسمُ أبى البَخْتَرِى : العاص ـ قال : وزميلى ؟ فقال له المُجَذَّر : لا والله ، ما نحن بتاركى زَميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدَك ؛ فقال : لا والله ، إذن لأموتَنَّ أنا وهو جميعا ، لا تتحدّث عنى نساء مكة أنى تركت زَميلى حِرْصاً على الحياة . فقال أبو البَخْتَرِىّ حين نازله المجذَّر ، وأبى إلا القتال ، يرتجز :

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زميلَه حتى يموتَ أو يَرى سَبيلَه

فاقتتلا ، فقتله المُجَذَّرُ بن ذِياد . وقال المجذّر بن ذِيادٍ فى قتْله أبا البَخْتَرى :

إمّا جهِلتَ أو نَسِيتَ نَسبي ... فأَثْبِتِ النِّسبة أنى من بَلِي

الطَّاعنين برماحِ اليزَنِي ... والضَّاربين الـكَبْشَ حتى يَنْحنِي

بَشِّر بيُتْم من أبوهُ البَخْتَرِيّ ... أو بَشِّرنْ بمثلها مِنِّي بنِي

أنا الذى يُقال أصْلِي من بَلِي ... أطعَنُ بالصَّعْدة حتى تَنْثَنِي

وأعْبِطُ القِرْن بعَضْب مَشْرَفِي ... أُرْزِمَ للموْتِ كإرْزَام المَرِي

فلا ترى مُجَذَّرا يَفرِى فَرِى

قال ابن هشام: « المرى » عن غير ابن إسحاق. والمرِىّ: الناقة التى يُستنزل ابنها على عسر.

قال ابن إسحاق: ثم إن المجذَّر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: والذى بعثك بالحق لقد جهدتُ عليه أن يَستأسر فآتيك به، (فأبى) إلا أن يُقاتلنى، فقاتلتُه فقتلتُه.

قال ابن هشام: أبو البخترى: العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

مقتل أمية بن خلف

قال ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال ابن إسحاق: وحدثنيه أيضا عبدالله بن أبى بكر وغيرهما، عن عبدالرحمن ابن عوف قال: كان أمية بن خَلف لى صديقا بمكة، وكان اسمى عَبْدَ عمرو، فتسمَّيْت، حين أسلمت، عبدَ الرحمن، ونحن بمكة، فكان يَلقانى إذ نحن بمكة فيقول: ياعَبْدَ عَمْرو، أرغبت عن اسم سَمَّاكَه أبواك؟ فأقول: نعم،

فيقول : فإنى لا أعرف الرحمٰن ، فاجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به ، أمَّا أنت فلا تُجيبنى باسمك الأوّل ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، قال : فكان إذا دعانى : ياعَبْد عمرو ، لم أجبه . قال : فقلت له : يا أبا على ، اجعل ماشئت ، قال : فأنت عبدُ الإله ؟ قال : فقلت : نعم ، قال : فكنت إذا مررتُ به قال : ياعبد الإله فأُجيبه ، فأتحدّث معه . حتى إذا كان يومَ بدر ، مررتُ به وهو واقِفٌ مع ابنه ، على بن أُمَيَّة ، آخذ بيده ، ومعى أَدْرَاع ، قد استَلَبْتُها ، فأنا أحملها . فلما رآنى قال لى : ياعَبْدَ عمرو ، فلم أُجِبْه ؛ فقال : ياعبد الإله ؟ فقلت : نعم ،قال : هل لك فِىَّ ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعم ، ها الله ذا ، قال : فطرحتُ الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : مارأيت كاليوم قطّ ، أما لكم حاجة فى اللبن ؟ (قال) : ثم خرجت أمشى بهما .

قال ابن هشام : يريد باللبن ، أن من أسَرَنى افتديتُ منه بإبل كثيرة اللبن .

قال ابن إسحاق: حدثنى عبدُ الواحد بن أبى عَوْن ، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد الرحمن بن عَوْف ، قال : قال لى أُميَّة بن خَلَف ، وأنا بينه وبين ابنه ، آخذٌ بأيديهما : ياعبد الإله ، من الرجُل منكم المُعْلَمَ بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطّلب ؛ قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ؛ قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى — وكان هو الذى يعذّب بلالا بمكة على ترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رَمْضاء مكة إذا حَميت ، فيُضْجِعه

على ظهره ، ثم يأمر بالصَّخرة العظيمة فتوضع على صَدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تُفارقَ دين محمد ، فيقول بلال : أحَدٌ أحَد . قال : فلما رآه ، قال رأس الكُفْر أُمَيَّةُ بن خَلَف ، لانجوتُ إن نجا . قال : قلت : أى بلال ، أبأَسيرىّ قال : لانجوتُ إن نجا . قال : قلت : أتسمع يابن السَّوْداء ، قال : لانجوت إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأس الكُفر أميَّة بن خَلَف ، لانجوتُ إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتّى جعلونا فى مثل المُسْكَة وأنا أذبُّ عنه . قال : فأَخْلَف رجلٌ السيفَ ، فضرب رِجْلَ ابنه فوقع ، وصاح أميَّة صيحة ماسمعتُ مثلَها قط : قال : فقلت انجُ بنفسك ، ولا نجاء بك فوالله ما أغنى عنك شيئا . قال : فهبرُوهما بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالا ، ذهبت أدْراعى وفجعنى بأسيرىّ .

شهود الملائكة وقعة بدر

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث عن ابن عباس قال : حدثنى رجل من بنى غِفار ، قال أقبلت أنا وابن عمّ لى حتى أصْعدنا فى جبل يُشْرف بنا على بَدْر ، ونحن مُشْركان ، ننتظر الوَقْعة على من تكون الدَّبْرة، فننتهب مع من ينتهب . قال : فبينا نحن فى الجبل ، إذ دنتْ منا سحابةٌ ، فسمِعنافيهاحَمْحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أَقْدِمْ حَيْزُومُ ، فأما ابنُ عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانَه ، وأما أنا فكِدْت أهلِك ، ثم تماسكتُ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بَنى ساعدة عن أبى أُسَيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرا ، قال ، بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليومَ ببدر ومعى بَصرى لأريتُكم الشِّعب الذى خرجت منه الملائكةُ ، لا أشكّ فيه ولا أتمارى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن رجال من بنى مازن بن النجَّار ، عن أبى داود المازنى ، وكان شهد بدراً ، قال : إنى لَأَتْبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضرَبه ، إذ وقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفت أنه قد قتله غيرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن مِقْسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضا قد أرسلوها على ظُهورهم ، ويوم حُنَين عمائم حُمْرا .

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن على بن أبى طالب قال : العمائمُ : تيجان العرب ، وكانت سِيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرْخَوها على ظُهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صَفْراء .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لا أتهم عن مِقْسَم ، عن ابن عبّاس ، قال : ولم تُقاتِل الملائكةُ فى يوم سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سِواه من الأيام عَدَداً ومَدداً لا يَضربون .

• • • • • • • • • • • •

مقتل أبى جهل

قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يَرْتجز ، وهو يقاتل ويقول :

ما تَنْقِمِ الحَرْبُ العَوانُ مِنِّى بازِلُ عامَيْن حديثٌ سِنِّى

لمثل هــذا وَلَدَتْنى أُمِّى

شعار المسلمين ببدر

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أَحَدٌ أَحَدٌ .

عود إلى مقتل أبى جهل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر بأبى جَهْل أن يُلتمس فى القَتْلى .

وكان أوّلَ من لَقِى أبا جهل ، كما حدثنى ثَورُ بن يزيد عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، وعبد الله بن أبى بكر أيضا قد حدثنى ذلك ، قالا : قال مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، أخو بنى سَلِمة : سمعتُ القومَ وأبو جهل فى مثل الحَرَجة — قال ابن هشام : الحَرَجة : الشجر الملتف . وفى الحديث عن عمر بن الخطّاب : أنه سأل أعرابيًّا عن الحَرَجة ؛ فقال : هى شجرة من الأشجار لا يوصل إليها — وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلَص إليه . قال : فلما سمعتُها جعلتُه من شأنى ، فَصَمَدْتُ نحوه ، فلما أمكننى حملتُ عليه ، فضربتُه ضربة أطنّت قدمه

بنصف ساقه ، فوالله ماشبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تَطِيح من تحت مِرْضَخة النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضربنى ابنه عِكْرِمةُ على عاتقى ، فَطَرح يدى فتعلَّقتْ بجلدة من جَنْبى ، وأجْهَضَنى القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامَّةَ يومى ، وإنى لأسْحبُها خَلْفى ، فلما آذتْنى وضعتُ عليها قَدمى ، ثم تمطيتُ بها عليها حتى طرحتُها .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان .

ثم مرَّ بأبى جَهل وهو عَقِيرٌ ، مُعَوِّذ بن عَفْراء ، فضربه حتى أثْبتَه ، فتركه وبه رمقٌ . وقاتل مُعَوِّذ حتى قُتل ، فمر عبدُ الله بن مَسعود بأبى جهل ، حين أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْتمس فى القتْلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — انظروا ، إن خَفِى عليكم فى القَتْلى ، إلى أثر جرْح فى رُكبته ، فإنى ازدحمتُ يوما أنا وهو على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ، ونحن غلامان ، وكنتُ أشفَّ منه بيَسير ، فدفعتُه فوقع على ركبتيه ، فُجحِش فى إحداهما جَحْشا لم يزل أثرُه به . قال عبد الله بن مَسْعود : فوجدته بآخر رَمَق فعرفتُه ، فوضعتُ رِجْلى على عُنقه — قال : وقد كان ضَبَث بى مرَّةً بمكة ، فآذانى ولَكَزنى ، ثم قلت له : هل أخزاك الله ياعدوَّ الله ؟ قال : وبماذا أخزانى ، أعْمَدُ من رجل قتلتموه ، أخْبِرْنى لمن الدائرةُ اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله .

قال ابن هشام : ضَبَثَ : قبضَ عليه ولَزِمه . قال ضابئُ بن الحارث البُرْجمىّ :

. . . .

فأصبحتُ مما كان بَيْنى وبينَكم من الودّ مثلَ الضابثِ الماءَ باليدِ

قال ابن هشام : ويقال : أعارٌ على رجل قتلتموه ، أخْبِرْنى لمن الدائرةُ اليوم ؟

قال ابن إسحاق : وزعم رجال من بنى مَخْزوم ، أن ابن مَسْعودٍ كان يقول :

قال لى : لقد ارتقيتَ مُرْتَقى صَعْبا يارُوَيْعِىَ الغنم ، قال : ثم احتززتُ رأسَه ثم جئتُ به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، هذا رأسُ عدو الله أبى جهل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آللهِ الذى لا إله غيره - قال : وكانت يمينَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم - قال : قلت نعم ، والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمِد الله .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة وغيرُه من أهل العلم بالمغازى : أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومرّ به : إنى أراك كأنّ فى نفسك شيئا ، أراك تظن أنى قتلتُ أباك ، إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتْله ، ولكنى قتلتُ خالى العاصَ بن هشام بن المُغيرة ، فأما أبوك فإنى مررتُ وهو يبحث بحثَ الثور بروْقه فحدتُ عنه ، وقصَدَ له ابنُ عمِّه على فقتله .

. . . .

غزوة بدر

وبَدْر : اسم بئرٍ حفرها رجلٌ من غِفارٍ ، ثم من بنى النار منهم ، اسمه : بَدْر ، وقد ذكرنا فى هذا الكتابِ قول مَنْ قال : هو بَدْرُ بن قُرَيْشِ بن يَخْلُد الذى سميت قريشٌ به . وروَى يونسُ عن ابنِ أبى زكريا عن الشَّعْبِيِّ قال : بدر : اسمُ رجل كانت له بدر .

تحسس الأخبار :

فصل : وذكر أبا سُفيانَ ، وأنه حين دنا من الحِجاز ، كان يتحسَّسُ الأخبارَ . التَّحَسُّسُ بالحاء : أن تَتَسَمَّع الأخبارَ بنفسك ، والتَّجَسُّسُ بالجيم : هو أن تفحَصَ عنها بغيرك ، وفى الحديث « لا تجَسَّسُوا ، ولا تحَسَّسُوا(١) » .

رؤيا عاتكة :

وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذى رأته يصرخ بأعلى صوته : يا لَغُدُرِ !! هكذا هو بضم الغين والدال جمع غدُور ، ولاتصح روايةُ من رَوَاه : يا لَغُدَرِ بفتح الدال مع كسرى الراء ، ولافتحها ، لأنه لاينادى واحدا ، ولأن لام الاستغاثة لاتدخل على مثل هذا البناء فى النداء ، وإنما يقول : يا لَغُدُرُ انفروا وتحريضاً لهم ، أى : إن تخلَّفتم ، فأنتم غُدُرٌ لقومكم وفتحت لامُ الاستغاثة ، لأن المنادَى قد وقع موقع الاسم المضمَر ، ولذلك بنى ، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهى لام جر فُتحت كما تفتح لامُ الجر إذا دخلت على المُضمَرات ،

---

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود ومالك .

. . . .

هذا قول ابن السراج ، ولأبي سعيد السِّيرافي فيها تعليلٌ غير هذا كرِهنا الإطالة بذكره ، وهذا القول مبني في شرح يا غُدَر إنما هو على رواية الشيخ ، وما وقع في أصله ، وأما أبو عُبَيدة ، فقال في المصنف : تقول ياغُدَرُ ، أي : ياغادر ، فإذا جمعت قلت يا آل غُدَرَ[1] ، وهكذا والله أعلم . كان الأصل في هذا الخبر ، والذي تقدم تغيير .

وقوله ، ثم مثل به بعيرُه على أبي قبَيْس ، سُمِّي هذا الجبل أبا قبَيْسٍ برجل هلك فيه من جُرْهُم اسمُه قبَيْسُ بن شالخ ، وقع ذكره في حديثِ عَمْرو بن مُضَاضٍ ، كما سُمِّي حُنَين الذي كانت فيه حُنَيْن بحُنَيْن بن قَالية بن مِهْلَايِل[2] ، أظنه كان من العمَاليق ، وقد ذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم .

معنى اللياط :

وذكر حديث أبي لهبٍ ، وبعثه العاصِيَ بنَ هِشَام ، وكان لاط له بأربعة آلاف دِرْهَمٍ . لاط له : أي أرْبَى له ، وكذلك جاء اللِّيَاطُ مُفَسَّرا في غريب الحديث للخَطَّابي ، وهو قوله عليه السلام في الكتاب الذي كتبه لثقيف : وما كان لهم من دَيْن لارَهْن فيه فهو لِيَاطٌ مُبَرَّأ من الله . وقال أبو عُبَيْدٍ :

---

(١) في اللسان : « يقال في الجمع : يال غدر »

(٢) هو في سفر التكوين : مهللئيل وضبطوه فيه بفتح الميم وسكون الهاء ، وفتح اللام الأولى وسكون الثانية ، وهو ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم كما ذكر في السفر ، وفي معجم البكري عن حنين : سمي بحنين بن قاينة بن مهلاييل .

. . . .

وسمى الربا لِيَاطاً ، لأنه مُلصَقٌ بالبيع ، وليس ببيع ، وقيل للربا لِيَاطاً لأنه ، لاصقٌ بصاحبه لا يَقضِيه ، ولا يُوضَع عنه ، وأصل هذا اللفظ من اللُّصُوقِ .

الجمرة والألوّة :

وعَزَمَ أُمَيَّةُ بنِ خَلَفٍ على القعود ، وأنَّ عُقْبَةَ بنَ أبى مُعَيْطٍ جاءه بِمجْمَرةٍ فيها نار ومِجْمَر ، وقال : استَجْمِرْ فإنما أنت من النساء . المِجْمَرَةُ : هى الأداةُ التى يُجْعَل فيها البَخُور ، والمِجْمَر هو البَخُور نفسُه ، وفى الحديث فى صفة أهل الجنة مَجَامِرُهم الأُلُوَّة[1] ، فهذا جمع مِجْمَر لا مِجْمَرة ، والأُلُوَّةُ : هى العُود الرَّطب ، وفيها أَرْبَعُ لُغَاتٍ أُلُوَّة وأَلُوَّة ، ولُوَّة بغــير ألف ولِيَّة ، قاله أبو حنيفة .

وذكر فى شعر مِكْرَزٍ :

تذكرت أشلاءَ الحبيب المُلَحَّب

شرح شعر مكرز :

الأشلاء : أعضاء مُقَطَّعة ، والمُلَحَّب من قولهم : لَحَّبْتُ اللحم إذا قطعته طولا ذكره صاحب العين .

وذكر فى شعر مِكْرَزٍ :

---

(١) ورد هذا فى حديث متفق عليــه ، ويراها الأصمعى كلمة فارسية ، وأبو منصور يراها هندية . وجمع ألوة : ألاوية .

. . . .

متى ما أجَلَّه الفُرَافِرِ يَعْطَبِ[١]

وقد فسر ابن هشام الفُرَافِرَ ، وقال : هو اسم سيف ، وهو عندى من فَرْفَرَ اللحمَ إذا قطعه أنشد أبو عُبَيْد :

كَكَلْبِ طَسْمٍ وقد تَرَبَّبَه يَعُلُّه بالحَلِيبِ فى الغَلَس

أنحَى عليه يوما يُفَرْفِرُهُ إنْ يَلِغْ فى الدِّماء يَنْتَهِس

ويُرْوَى : يُشَرْشِرُه . والعَيْهبُ الذى لا عَقْل له ، ويقال لذَكَر النَّعَم عَيْهَب[٢] .

مواضع نزل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم :

وذكر عِرْق الظُّبْيَة ، والظُّبْيَةُ : شجرةٌ شِبْه القَتَادَة يُسْتَظَلُّ بها ، وجمعها ظبيان ، وكذلك ذكر السَّيَالَة فى طريق بدر ، والسَّيَالُ شَجَرٌ ، ويقال : هو عِظَامُ السَّلَم ، قاله أبو حنيفة .

وذكر النَّازِيَة ، وهى رَحْبَةٌ واسعة فيها عِضَاةٌ ومُروج[٣] .

وذكر سَجْسَجاً ، وهى بالرَّوْحاء ، وسميت سَجْسَجاً ، لأنها بين جَبَلين ،

---

(١) هى فى نسخ السيرة التى بين يدى : متى ما أصبه .

(٢) فى شرح السيرة للخشنى : والغيهب بالغين المعجمة الغافل الناسى وبالعين الرجل الضعيف عن طلب وتره ويروى هنا بالوجهين ص ١٥٤

(٣) العضاة جمع عضاهة : أعظم الشجر أو كل ذات شوك ، ومروج : جمع مرج : الموضع ترعى فيه الدواب

. . . .

وكلُّ شيء بين شَيْئَين ، فهو : سَجْسَجٌ . وفى الحديث : إن هواء الجَنّة سَجْسَجٌ ، أى : لا حَرٌّ ولا بَرْدٌ ، وهو عندى من لفظ السَّجَاج ، وهو اللبَن غيرُ خَالِصٍ ، وذلك إذا أكثر مزجه بالماء ، قال الشاعر :

وَيَشْرَبُها مَزْجًا ويَسْقِى عِيَالَه سَجاجًا كأَقْرابِ الثَّعالِب أَوْرَقَا

وهذا القول جارٍ على قياس مَن يقول : إن الثَّرْتَارَةَ من لفظ : الثَّرَّة ، ورَفْرَفْتُ من لفظ : رَفَفْتُ إلى آخر الباب .

وذكر الصَّفراء ، وهى واد كبير .

أنساب :

وذكر بَسْبَسَ بن عَمْرو الجُهَنِىّ ، وعَدِىَّ بن أبى الزَّغْباء حين بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتَحَسَّسان الأَخْبارَ عن عِير قُريش ، وفى مُصَنف أبى داود : بَسْبَسَة مكان بَسْبَسٍ وبعض رواة أبى داود يقول بُسَيْسَة بضم الباء : وكذلك وقع فى كتاب مسلم[1] ونسبه ابن إسحاق إلى جُهَيْنة ، ونسبه

---

(١) فى الإصابة عن بسبسة « وهو بموحدتين مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة ثم مهملة مفتوحة ، ويقال له : بسبس بغير هاء وهو قول ابن إسحاق وغيره ، شهد بدرا باتفاق ، ووقع ذكره فى صحيح مسلم من حديث أنس ، قال : بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبسة عينا ينظر ماصنعت عير أبى سفيان ، فذكر الحديث فى وقعة بدر ، وهو بموحدتين وزن فعلله ، وحكى عياض أنه فى مسلم بموحدة مصغرة ، ورواه أبو داود ووقع عنده بسيبسة بصيغة التصغير ، وكذا قال ابن الأثير أنه رآه فى أصل ابن مندة . لكن بغير هاء . والصواب الأول » . وفى جمهرة ابن حزم : بسبس ص ٤١٥ .

. . . .

غيره إلى ذُبْيَان ، وقال : هو بَسْبَس بن عَمْرو بن ثَعْلَبَة بن خَرَشَة بن عَمْرو ابن سَعْد بن ذُبْيان[١] ، وأما عدى بن أبى الزَّغْبَاء ، واسم أبى الزغباء : سنان ابن سُبَيْع بن ثَعْلَبة بن رَبِيعه بن بُذَيْل ، وليس فى العرب بُذَيْلٌ بالذال المنقوطة غير هذا ، قاله الدَّارَقُطْنى ، وهو بُذَيْلُ بن سَعْد بن عَدِىّ بن كاهل بن نَصْر ابن مالك بن غَطَفَان بن قيس بن جُهَيْنَةَ ، وجهينةُ : وهو ابن سُود بن أسلُم بضم اللام بن الحَافِ بن قُضَاعَة ، قال موسى بن عُقْبَة : عَدِىٌّ بن أبى الزَّغْبَاء حَليف بنى مالك بن النَّجَّار مات فى خلافة عُمَر ، وكان قد شهد بدراً وأُحُداً والخَنْدَقَ مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم .

النطير وكراهية الاسم القبيح :

وذكر أنه عليه السلام مر بجَبَلين ، فسأل على اسميهما ، فقيل له : أحدهما مُسْلِحٌ والآخرُ مُخْرِئٌ ، فَعَدل عن طريقهما ، وليس هذا من باب الطِّيَرَةِ[٢] ، التى نَهَى عنها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — ولكن من بابِ كراهية

(١) زاد فى الإصـابة بعد خرشة : « بن زيد » وبعد ذبيان : بن رشدان ابن غطفان ، بن قيس بن جهينة ، وفى جمهرة ابن حزم كما فى الروض ، ثم ذكر بعد رشدان : ابن قيس بن جهينة ، فأسقط غطفان ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : ما يتشاءم به من الفأل الردىء ، وقد روى أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حسن صحيح : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك : ومامنا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » . ومعنى : ومامنا إلا أى : ومامنا إلا وقد وقع فى قلبه شىء من ذلك ، ولكن الله يذهبه ذلك عن قلب كل من يتوكل عليه . وذكر البخارى أن قوله : ومامنا إلى آخره من كلام ابن مسعود مدرج غير مرفوع .

. . . .

الاسم القبيح ، فقد كان عليه السلامُ يكتب إلى أمرائه إذا أبْرَدْتُم إلىّ بريداً فاجعلوه حَسَن الوَجْه حَسَن الاسم ، ذكره البزار من طريق بُرَيْدَة ، وقد قال في لِقْحَةٍ : من يَحْلُب هذه ؟ فقام رجل : فقال أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسْمك ؟ فقال: مُرَّةُ ، فقال : اقعد ، حتى قال آخرهم : اسمي : يَعيشُ ، قال : احلُبَ . اختصرت الحديثَ وفيه زيادةٌ رواها ابنُ وهب ، قال : فقام عمر : فقال : لا أدرى أقول أم أسكت ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ، فقال له : قد كنت نَهَيْتَنا عن التَّطَيُّر ، فقال عليه السلام : ما تَطَيَّرتُ ، ولكني آثرْتُ الاسمَ الحَسَنَ ، أو كما قال عليه السلام . وقد أمليتُ في شَرْح حديث المُوَطَّأ في الشُّؤم ، وأنه إن كان ففي المرأة والفَرَسِ والدارِ تحقيقا وبيانا شافيا لمعناه ، وكَشْفاً عن فِقْهِهِ لم أرَ أحــدا ـ والحمدُ لله ـ سَبَقني إلى مثله .

جبلا مسلح ومخرئ

وهذان الجبلان لتسميتهما بهذين الاسمين سببٌ ، وهو أن عَبْداً لبني غِفارٍ كان يَرْعى بهما غنما لسيده ، فرجع ذات يوم عن المرعى ، فقال له سيده : لم رجعتَ ؟ فقال : إن هذا الجبل مسلح للغنم ، وإن هذا الآخر مخرئ[1] ، فسُمِّيا بذلك . وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن الوَقَشِيّ .

---

(١) ولكن موضع الخرء يقال له مخرأة — بفتح الميم والراء ، ومخراة بدون همزة ، ومخرأة ـ بفتح الميم وضم الراء .

. . . .

برك الغماد :

وذكر قول المِقْداد : ولو بلغت بنا بِرْكَ الْغِمَادِ ، وجدتُ في بعض كتبِ التفسير أنها مدينة الْحَبَشةِ [(١)].

تعوير قلب المشركين

وذكر القُلُبَ التي احْتَفَرها المشركون لِيَشْربوا منها ، قال : فأمر بتلك القُلُبِ فَعُوِّرَتْ ، وهي كلمة نبيلة ، وذلك أن القُلُبَ لما كان عَيْناً جعلها كَعَين الإنسان ، ويقال في عَيْن الإنسان : عُرْتُها فعارت ، ولا يقال : غَوَّرْتُها ، وكذلك قال في القُلُبِ عُورَتْ بسكون الواو ولكن لما رد الفعل لما لم يُسَمَّ فاعلُه ضُمَّت العين ، فجاء على لغة من يقول: قُول الْقَوْل وبُوعَ المتاعُ [(٢)] ، وهي

---

(١) ضبطها البكري في معجمه فقال : « برك بكسر أوله وإسكان ثانيه ، وهو في أقاصي هجر إلا أنه منضاف إليها . هو برك الغماد الذي ورد في الحديث الغاد بالغين المعجمة تضم وتكسر لغتان بعد ميم وألف ودال مهملة » وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ٢٠٤ ط ١٩٥٣ « وهو أقصى حجر باليمن » وقال ياقوت في المشترك وضعا والمفترق صقعا « باب برك ثمانية مواضع بكسر الباء وسكون الراء وكاف . الأول موضع بناحية اليمن في نصف الطريق بين مكة وزبيد ، ثم ذكر باقي المواضع . وفي المراصد موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : بلد باليمن ، وهو أقصى حجر باليمن »

(٢) يستشهد النحاة على هذه اللغة ببيت رؤبة :

ليت ، وهل ينفع شيئاً ليت ليت شبابا بوع فاشتريت

وقد ورد في كتب النحاة هكذا على حين يروى في ديوان رؤبة باللغة الفصحى ، أي : بيع بدلا من بوع

=

. . . .

لغة هُذَيل وبنى دُبَيْر من بنى أسَد وبنى فقعس ، وبنو دُبَيْرٍ هو تصغير أَدْبَر على التَّرخيم ، وإن كانت لغةً رديئة ، فقدحسُنَت هنا للمحافظة على لفظ الواو ، إذ لو قالوا : عيرت فأميتت الواو ، لم يعرف أنه من الْمَوْر إلا بعد نظر ، كما حافظوا فى جمع عيد على لفظ الياء فى عيد فقالوا : أَعْيَاد ، وتركوا القياس الذى فى ريح وأَرْوَاح على أن أرياحا لغة بنى أسد كى لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين ، وإن كان من الْعَوْدَة ، وقِسْ على هذا القول ، وصحة الواو فيه ، وكما حافظوا على الضمة فى سبُّوح وقُدُّوس ، وقياسه : أن يكون على فَعُّول بفتح الفاء كَتَنُّوم وشَبُّوط[1] وبابه ، ولكن حافظوا على الضَّمَّتَيْن ، ليَسلَم لفظُ القُدس والسُّبحَات وسُبْحان الله يَسْتَشْعِر المتكلمُ بهذين الاسمين معنى القُدس ، ومعنى سُبْحَانَ من أول وَهْلَة ، ولما ذكرناه كثيرة نظائرُ يُخرجنا إيرادُها عن الغَرَضِ .

= كما استشهد الأشمونى بقول الراجز :

حوكت على نيرين إذ تحاك   تختبط الشوك ، ولاتشاك

على حين يروى باللغة الفصحى : حيكت .

والفعل الثلاثى المعل الوسط يجوز فى فائه ثلاثة أشياء : الكسر ، الإشمام ، الضم بشرط أمن اللبس . والإشمام هو الإتيان بحركة بين الضم والكسر على الفاء ، بأن يؤتى بجزء من الضم قليل سابق ، وجزء من الكسرة كثير لاحق . ويسمى القراء هذا : روحا ، وقد قرى فى السبعة بالإشمام . قيل وغيض . وأفصح اللغات الكسر ، ثم الإشمام ، والضم : أردؤها . وقدأورد ابن مالك اللغات الثلاثة فى ألفيته .

(١) تنوم : شجرة أو حبة ، والشبوط : نوع من السمك .

. . . .

تفسير كلمات

وذكر قول أبى جَهْل: قم فانْشُدْ خُفْرَتَك ، أى : اطلب من قُرَيْش الوفاء بخُفْرَتِهم لك ، لأنه كان حليفا لهم وجارا ، يقال : خَفَرْتُ الرجلَ خُفْرَةً إذا أجَرْته ، والخَفِير . المُجِير . قال [عدىُّ بن زيد] العِبَادىّ .

مَنْ رأيْتَ الأيامَ خَلَّدْنَ أمْ مَنْ ذا عليه من أنْ يُضَامَ خَفِيرُ[1]

وقوله : حَقِبَتْ الحربُ ، يقال : حَقِبَ الأمْرُ إذا اشتد ، وضاقت فيه المسالكُ ، وهو مُسْتَعَارٌ من حَقِبَ البعيرُ إذا اشْتَدَّ عليه الحَقَبُ وهو الحزام الأسفل ، وراغ حتى يَبْلُغَ ثِيلَه[2] ، فضاق عليه مسلكُ البَوْل .

وقول عُتْبَةَ فى أبى جَهْلٍ : سيعلم مُصَفِّرُ اسْتِهِ من انتفخ سَحْرُه . السَّحْرُ والسُّحْرُ الرِّئَةُ ، والسَّحَرِ أيضاً بفتح الحاء ، وهو قياسٌ فى كل اسْمٍ على فَعْل إذا كانَ عينُ الفعل حَرْفَ حَلْقٍ[3] ، أن يجوز فيه الفتحُ ، فيقال فى الدَّهْر : الدَّهَر ، وفى اللحْم : اللَّحَم ، حتّى قالوا فى النَّحْو النَّحَو ، ذكرها ابن جِنِّى ، ولم يعتمِدوا على هذا التحريك الذى من أجل حَرْف الحَلْقِ لما كانِ لِعِلَّةٍ ،

---

(١) سبقت قصيدته التى منها هذا البيت فى الجزء الأول . والبيت فى الأغانى: «من رأيت المنون » ص ١١٥ المجلد الثانى ط لبنان .

(٢) بالكسر وبالفتح شىء بين رجلى البعير الخلفيتين يستحى من ذكره تستطيع لمح معناه .

(٣) هى حروف الهجاء التى تخرج عند النطق من الحلق ، وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء .

. . . .

فلم يقلبوا الواو من أجله ألفا حين قالوا : النَّحو والزَّهد ، ولو اعْتَدُّوا بالفتحة ، لقلبوا الواو ألفا ، كما لم يَعْتَدُّوا بها فى : يَهَب ويَضَع ، إذ كان الفتحُ فيه من أجْلِ حَرْف الحَلْقِ ، ولو اعْتَدُّوا به ، لرَدُّوا الواو فقالوا : يَوْضَع ويَوْهَب ، كما قالوا : يَوْجَل .

من قبائل أبى عذرها وماداء أبى جهل

وقوله مُصَفِّر استِه : كلمةٌ لم يَخترعها عُتْبَةُ ، ولا هو بأبى عُذْرِها ، قد قيلت قبله لقَابُوس بن النُّعْمان ، أو لقابوس بن المنذر ، لأنه كان مُرَفَّها لا يغزو فى الحروب ، فقيل له : مُصَفِّر استِه ، يريدون : صُفْرة الخَلُوقِ والطِّيبِ ، وقد قال هذه الكلمة قيسُ بن زُهَيرٍ فى حُذَيفة يوم الهَبَاءَةِ ، ولم يقل أحد إن حُذَيفة كان مَسْتُوهاً ، فإذاً لا يَصِحُّ قولُ من قال فى أبى جهل مِنْ قولِ عُتْبة فيه هذه الكلمة : إنه كان مَسْتُوها والله أعلم .

وسادةُ العَرَب لا تستعمل الخَلُوقَ والطِّيبَ إلَّا فى الدَّعَةِ والخَفْضِ وتَعيبُه فى الحرب أشدَّ العَيْب ، وأحسب أن أبا جَهْل لما سَلِمت العيرُ ، وأراد أن يَنْحَرَ الجَزُورَ ، ويشربَ الخمر ببدرٍ ، وتَعْزِفَ عليه القِيَانُ بها استعمل الطيبَ أو هَمَّ به ، فلذلك قال له عُتْبةُ هذه المقالة ، ألا ترى إلى قول الشاعر فى بنى مَخْزُوم :

وَمِنْ جَهْلٍ أبو جَهْلٍ أخُوكُمْ ... غزا بَدْراً بِمجْمَرةٍ وتَوْرِ

يريد : أنه تَبَخَّر وتَطَيَّب فى الحرب .

. . . .

وقوله : مُصَفِّر استِه[1] إنما أراد مُصَفِّرَ بَدَنِه ، ولـكنه قصد المبالغة في الذَّمِّ فخص منه بالذكر ما يَسُوؤه أن يُذْكر .

حول سواد بني غزية

فصل ، وذكر قصةَ سوادِبن غَزِيَّة حين مر به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مُسْتَنْتِلٌ أمامَ الصَّفِّ ، قال ابن هشام : ويقال : مُسْتَنْصِلٌ . قوله مُسْتَنْتِلٌ أمام الصف ، يقـال استَنْتَلْتُ واستَنْصَلْتُ وأبْرَنْدَعْتُ وابْرَنْتَيْتُ بالراء المهملة وبالزاى ، هٰـكذا تَقَيَّد في الغريبِ المصنف ، كل هذا إذا تقدَّمْتَ . سَوَادُ هذا بتخفيف الواو[2] ، وكل سَوَاد في العرب ، فـكذلك بتخفيف الواو وفتح السِّين ، إلا عَمْرو بن سَوَّادٍ أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ من شيوخ الحديث ، وسُوَاد بضم السين ، وتخفيف الواو ، هو ابن مرى بن إرَاشَةَ ابنِ قضَاعة ثم من بَلِيٍّ حلفاءِ الأنصار ، ووقع في الأصلِ من كلام ابن هشام سَوَّاد مثقلة ابن غَزِيَّة ، وهو خَطأ ، إنما الصواب ماتقدم ، وسَوَاد هذا هو عامل رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على خَيْبر الذي جاءه بتَمْرٍ جَنِيبٍ ، ذكره مالكٌ في المُوَطَّأ ولم يُسَمِّه .

وقول ابن هشام مُسْتَنْصِلٌ ، معناه : خارجٌ من الصَّفِّ من قولك :

---

(١) يقول أبو ذر الخشني : « العرب تقول هذا القول للرجل الجبان ، ولا تريد به التأنيث » ص ١٥٧ .

(٢) وابن هشام يقول إن الواو مثقلة . وقد قيده بالتخفيف — كما ذكر أبو ذر الخشني — الدارقطني وعبد الغني ص ١٥٧ . وقول ابن هشام خطأ كما سيبين السهيلي .

. . . .

نَصَّتْ الرمحَ إذا أخرجت ثَعْلَبَه(١) من السِّنَانِ .

نفسير بعض مناشدتك :

وذكر قول أبى بكرٍ بعضَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ ، فإن الله مُنْجِزٌ لك ماوَعَدَكَ ، رواه غير ابن إسحق كذلك مَنَاشَدَتَكَ ،وفسره قاسمٌ فى الدلائل ، فقال : كذلك قد يُرادُ بهـا معنى الإغرَاءِ والأمرُ بالـكَفّ عن الفِعل ، وأنشد لجرير :

[تقول وقد تراحمت المطايا] كَذَاكَ القول إنَّ عليك عَيْنا(٢) .

أى : حَسْبُكَ من القول ، فدعه ، وفى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأنجشة يا أنجشه رُوَيْدكَ سَوْقَكَ بالقَوارير ، وأورده مرّةً أخرى فقال فيه شوْقَكَ(٣) وإنما دخله معنى النصب كما دخل : عليك زَيْداً معنى النصب ، وفى

---

(١) الثعلب هنا : طرف الرمح الداخل فى جبة السنان . ونصل من الأضداد تدل على الإخراج والإدخال فى هذا المعنى .

(٢) فى الأصـــل لجهير والتصويب من المواهب وكذلك الشطر الأول ص ٤٢٢ حـ ١ المواهب : وقد خطأ الحافظ من زعم أن كذاك تصحيف لكفاك . ورواية كذاك وردت فى رواية مسلم وسنن أبى داود والترمذى .

(٣) روى أبو داود الطيالسى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : كان أنجشة يحدو بالنساء ، وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ، فإذا أعقب الإبل قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة رويدك سوقك بالقـــوارير . ورواه الشيخان مختصرا عن طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس . ورواه مسلم من طريق سليمان بن طرخان التيمى عن أنس قال : كان للنبى « ص » حاد يقال له :=

. . . .

دونك ، لأنك إذا قلت دونكَ زَيْدًا وهو يطلبه فقد أعلمته بمكانه فكأنك قلت : خذه ، ومسألةُ كذاك من هذا الباب لأنك إذا قلت : كذاك القول أو السير ، فكأنك قلت : كذاك أمَرْتُ فا كْفُفْ ودَعْ ، فأصل البابين واحد وهو ظرف بعده ابتداء ، وهو خبر يتضمن معنى الأمر أو الإغراء بالشىء ، أو تركه ، فنصبوا بما فى ضِمْنِ الكلام ، وحَسُنَ ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظى إلى مَعْنَوِىٍّ ، وإنما عَدَلوا عن مَعْنَوِىٍّ إلى معنوى ، ولو أنهم حين قالوا: دونَك زيدا يلفظون بالفعل فيقولون استقر دونك زيد ، وهم يريدون الإغراءَ به والأمر بأخذه لَمَا جاز النصبُ بوجه ، لأن الفعل ظاهر لَفْظِى ، فهو أقوى من المعنوى .

معنى مناشدة أبي بكر

فصل : وفى هذا الحديث من المعانى أن يقال : كيف جعل أبو بكر يأمرُ رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكَفِّ عن الاجْتِهادِ فى الدعاء ، ويقوِّى رجاءَه ويُثَبِّتُه ، ومقامُ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المقام الأحمدُ

= أنجشة ، فقال له النبي «ص» رويدك سوقك بالقوارير . وهناك خلاف حول شخصية أنجشة . وقد شبه النساء بالقوارير من الزجاج لأنه يسرع إليها الكسر ، وكان أنجشة يحدو وينشد القريض والرجز ، فلم يأمن أن يصيبهن أويقع فى قلوبهن حداؤه ، فأمره بالكف عن ذلك . وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت فى المشى واشتدت ، فأزعجت الراكب ، وأتعبته ، فنهاه عن ذلك ، لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة ، وسميت القارورة بهـذا لاستقرار الشراب فيها » ابن الأثير » .

. . . .

ويقينُه فوق يقينِ كل أحدٍ ، فسمعت شيخَنا الحافظ[١] ـ رحمه الله ـ يقول في هذا : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف ، وكان صاحبه في مقام الرَّجاء ، وكلا ، المقامين سواء في الفَضْلِ ، لا يريد[٢] أن النبيَّ والصِّدِّيقَ سَوَاء ، ولكن الرجاءَ والخوفَ مقامان لابد للإيمانِ منهما ، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرَّجاء لله ، والنبيُّ عليه السلامُ كان في مقام الخوفِ من الله ، لأن لله أن يفعل ما شاء ، نخاف أن لا يُعْبَدَ اللهُ في الأرضِ بعدها ، نخوفه ذلك عبادةٌ . وأما قاسم بن ثابت ، فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا ، وقال : إنما قال ذلك الصِّدِّيقُ مَأْوِيَةً للنبي عليه السلامُ ورِقَّةً عليه ، لما رأى من نَصَبِه في الدعاء والتَّضرُّع حتى سقط رداؤه عن مَنْكِبَيْه ، فقال له : بعضَ هذا يارسول الله ، أي : لِمَ تُتْعِبُ نفسَك هذا التعبَ ، واللهُ قد وعدك بالنصر ، وكان رقيقَ القلب شديد الإشفاق على النبي صلى الله عليه وسلم[٣] .

---

(١) يعني القاضي أبا بكر بن العربي .

(٢) يعني شيخه ابن العربي ، وهي في الأصل : نريد ، والتصويب من المواهب ص ٤٢٠ ج ١ .

(٣) القول الأول قول الصوفية ، والمقام عندهم كما عرفه القشيري في رسالته : ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف ، فمقام كل أحد : موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشتغل بالرياضة له ، وقد عرف أبو علي الدقاق الخوف بقوله : الخوف ألا تعلل نفسك بعسى وسوف . وعرفوا الرجاء بقولهم : ثقة الجود من الكريم الودود ، ولهما تعريفات أخرى غير هذا . وأقول : لا يمكن أن ينفصل الرجاء عن الخوف ولا الخوف عن الرجاء أبداً في قلب المسلم ، والمسلم الحق يغمر قلبه الرجاء ، والخوف معاً في كل أحواله . والصوفية يشترطون على « الدرويش » أو التابع =

. . . .

= ألا يرتقى من مقام إلى آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام ! ! ثم قالوا : ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود ! ! يعنون الشهود الإلهى ! ! أفيتفق هذا مع روح الإسلام ؟ ، وكيف يعيش الإنسان فى مقام الخوف وحده ؟ ولا ينتقل إلى مقام الرجاء إلا بشهود ؟ ؟ . وكيف نظن بالنبى العظيم صلى الله عليه وسلم مثل هذا الظن ؟

إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدرك تماما حقيقة الموقف ، وكان على بينة مما يترتب على الهزيمة والنصر ، أكثر وأعظم من أبى بكر ، فاتقدت مشاعره بهذا الإدراك خوفا ورجاء ، أما أبو بكر فقد هبط إدراكه للأمر عن الأفق الرفيع الأسمى الذى تألق فوقه إدراك الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما شغله عن الموقف قليلا ، أو شغله من الموقف حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما قال رضى الله عنه وأرضاه . ولقد أبدع الحافظ فى الفتح ، وهو يفسر قوله «ص» إن تهلك هذه العصابة لا تعبد : « وإنما قال ذلك لأنه علم أنه خاتم النبيين ، فلو هلك هو ومن معه حينئذ ، لم يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان ، ولاستمر المشركون يعبدون غير الله » وهو يبين تماما كيف كان الرسول «ص» ينظر إلى الموقف . . وفى مسلم أن النبى قال هذا الكلام أيضاً يوم أحد . أما المناشدة . فنى البخارى فى المغازى أن أبا بكر قال : حسبك . وفى التفسير : وقد ألححت على ربك . وفى مسلم : يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ماوعدك . وقد فسر الخطابى المناشدة بقوله : لايجوز أن يتوهم أحد أن أبابكر كان أوثق بربه من النبى «ص» فى تلك الحال ، بل الحاصل للنبى على ذلك شفقته على أصحابه ، وتقوية قلوبهم ، لانه كان أول مشهد شهده ، فبالغ فى التوجه والدعاء والابتهال ، لتسكن نفوسهم عند ذلك ، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال أبو بكر ما قال ، كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر فى نفسه من القوة والطمأنينة ص ٢٣١ حـ ٧ فتح البارى ط عبد الرحمن محمد .

. . . .

جهاد النبي في المعركة :

قال المؤلف : وأما شِدَّةُ اجتهاد النبي – صلى الله عليه وسلم – ونصبه فى الدعاء فإنه رأى الملائكة تَنْصَبُ فى القتالِ وجبريل على ثناياه الغُبَارُ ، وأنصارُ الله يخوضون غِمَارَ الموْتِ . والجهادُ على ضَرْبين : جهادٌ بالسيف ، وجهادٌ بالدُّعَاء ، ومن سُنَّةِ الإمام أن يكونَ من وراء الجُنْدِ لايقاتلُ معهم ، فكان الكلُّ فى اجتهاد وجِدٍّ ، ولم يكن لِيُرِيحَ نفسَه من أحدِ الجِدَّين والجَهادين ، وأنصارُ الله وملائكته يجتهدون ، ولا لِيُؤْثِرَ الدَّعَةَ ، وحزبُ الله مع أعدائِه يَجْتَلِدُون .

المفاعلة :

وقوله بعض مُنَاشَدَتِكَ رَبَّك ، والمفاعَلة لا تكون إلا من اثنين والرَّبُّ لايَنْشُد عَبْدَه ، فإنما ذلك لأنها مُناجاة للرَّبِّ ، ومحاولة لأَمْرٍ يريده ، فلذلك جاءت على بناء المفاعَلة ، ولابُدَّ فى هذا البابِ من فِعْلين لفاعِلين ، إمَّا مُتَّفِقَيْن فى اللفظ ، وإمَّا مُتَّفِقَيْن فى المعنى ، وظن أكثرُ أهلِ اللغة أنها قد تكون من واحدٍ نحو : عاقبت العبدَ وطارَقْتُ النَّعْلَ ، وسافرتُ ، وعافاه الله ، فنقول : أمَّا عاقبتُ العبدَ فهى مُعَامَلَةٌ بينك وبينه ، عامَلَك بالذنب ، وعاملْته بالعُقوبة ، فأُخِذ لفظُها من العقوبة ، ووزنُها من المُعاوَنة ، وأما طارقتُ النعل ، فمن الطرق وهو القوة ، فقد قَوَّيْتها وقَوَّتْك على المَشْيِ ، فلفظُها من الطرْق ، وبناؤُها على وزن المُعاوَنة والمُقاوَاة ، فهذا اتِّفاقٌ فى المعنى ، وإن لم يكن فى اللفظ ، وأما سافر الرجلُ فمن سَفَرْتَ : إذا كَشَفْتَ عن وَجْهِك ، فقد

. . . .

سَفَر لقوم ، وسَفَرُوا له ، فهذه مُوافقةٌ فى اللفظ والمعنى ، وأما المعافاة ، فإن السيد يُعْفِى عبدَه من بَلَاء فيُعْفِى العبدُ سَيِّدَه من الشَّكْوَى والإلحاح ، فهذه موافقـــة فى اللفظ ، ثم تضاف إلى الله سبحانه اتساعا فى الـكلام ، ومجازاً حسناً .

عصب وعصم :

فصل : وذكر قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا جبريلُ على ثَنَايَاه النَّقْعُ ، وهو الغُبَارُ ، وفى حديث آخر أنه قال : رأيته على فَرَسٍ له شَقْراء ، وعليه عِمَامَةٌ حَمْراء ، وقد عَصَمَ بِثَنِيَّتِه الغُبَارُ ؛ قال ابن قتيبة : عَصَمَ وعَصَبَ بمعنى واحد ، يقال : عَصَب الريقُ بفيه ، إذا يَبِسَ وأنشد (١) :

يَعْصِبُ فاهُ الريقُ أىَّ عَصْبِ   عَصْبَ الُجبَابِ بشفاه الوَطْبِ

---

(١) الرجز لأبى محمد الفقعسى كما فى اللسان وشرح إصلاح المنطق للتبريزى . . وفى إصلاح المنطق لابن السكيت : العصب — بفتح فسكون مصدر عصب الريق بفيه يعصب عصبا إذا يبس ، وقد عصب فاه الريق . قال ابن أحمر :

حتى يعصب الريق بالفم

ثم روى بيت الفقعسى ثم قال : والجباب ما اجتمع على فم الوطب مثل الزبد من لبن الإبل ، فالجباب للابل مثل الزبد للغنم ص ٤٦ ط دار المعارف وانظر الأمالى حـ ١ ص ٢٧ ط ٢ وسمـــط اللآلى ص ١٢٥ وفيه « وعصب الريق يكون من الجبن فى مواطن الحرب ومن الحصر والعى فى مواطن الجدال» وانظر نوادر أبى زيد الأنصارى ص ٢١ وزاد عن الجباب « وربما دهن به الأعراب » ولم ينسب البيت إلى أحد . وعصب بفتح الصاد وكسرها كما فى اللسان .

. . . .

وخالفه قاسم بن ثابت ، وقال : هو عُصم من العَصِيم والعُصْم ، وهى كالبقية تبقى فى اليد وغيرها من لَطْخ حِنَّاء أو عَرَق أو شَىْء يَلصَق بالعُضْو ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : أعطى عُصْمَ حِنَّائك ، أى ما سَلَتَت من حِنَّائها ، وقَشَرَتْه من يدها .

حديث عمير بن الحمام :

فصل : وذكر حديثَ عُمَيْر بن الحُمَام بن الجَمُوح بن زيد بن حرام حين ألقى التَّمَرَاتِ من يده ، وقال : بَخْ بَخْ ، وهى كلمة ، معناها التعجب ، وفيها لغات بخْ بسكون الخاء وبكسرها مع التنوين ، وبتشديدها مُنوَّنَةً ، وغير مُنوَّنة ، وفى حديث مسلم والبخارى : أن هذه القصة كانت أيضاً يوم أُحُدٍ لكنه لم يُسم فيها عُمَيْرا ، ولا غيره فالله أعلم .

حديث عوف بن عفراء :

وقول عَوْف بن عَفْراء : ما يُضْحِك الرَّبَّ من عبده يارسول الله ؟ قد قيل فى عَوْف : عَوْذ بالذال المنقوطة ، ويقوى هذا القولَ أن أخويه : مُعاذٌ ومُعوِّذٌ .

ضحك الرب :

ويضحك الربَّ ، أى يُرْضيه غاية الرضى ، وحقيقته أنه رِضًى معه تبشيرٌ وإظهار كرامةٍ ، وذلك أن الضَّحِكَ مُضَادٌّ للغَضَبِ ، وقد يَغْضَب السيدُ ، ولكنه يعفو ويُبْقى العَتْبَ ، فإذا رَضِى ، فذلك أكثر من العفو ، فإذا ضَحِك فذلك غاية الرِّضى ؛ إذ قد يَرْضَى ولا يُظْهِر مافى نفسه من الرِّضى ، فعبَّر عن

. . . .

الرِّضى وإظهاره بالضَّحك فى حَقِّ الربِّ سُبْحانه مَجازاً وبلاغةً ، وتَضْميناً لهذه المعانى فى لَفْظٍ وَجيز ؛ ولذلك قال عليه السلام فى طَلْحة بن البَرَاء : اللهم الْقَ طَلْحَةَ يَضْحَكُ إليك ، وتضحك إليه ، فمعنى هذا : الْقَه لِقاء مُتَحابَّيْن مُظْهِرَيْن لما فى أنفسهما من رِضًى ، ومَحَبَّةٍ ، فإذا قيل : ضَحِك الربُّ لفلانٍ ، فهى كلمة وجيزة تتضمن رِضًى مع محبة وإظهار بِشْرٍ وكرامة ، لا مَزيدَ عليهما ، فهى من جوامع الْكَلِمِ التى أُوتِيهاَ عليه السلام (١) .

---

(١) لا يمر بخاطر مسلم ولا فكره حين يسمع بالضحك منسوبا إلى الله سبحانه ما يمر بخاطره أو فكره حين يسمع به منسوبا إلى البشر ، ولا يتصور مسلم أن صورة الضحك البشرى ، وما يستلزم ، وما يحدث حين يكون يمكن أن ينسب إلى الله سبحانه ، فهذا ضحك البشر ، وذاك ضحك الله الذى ليس كمثله شىء ، ولهذا نقف عن تأويله بشىء آخر حين يصح نقلا نسبته إلى الله جل وعلا . وأصل الضحك لغة : يفيد الانكشاف والبروز ، وكل من أبدى عن أمر كان مستورا . قيل : قد ضحك . كما تقـــول : ضحكت الأرض بالنبات إذا ظهر فيها ، وانفتق عن زهره وهو لا يستلزم انبساط الوجه وتكشر الأسنان إلا حين يكون منسوبا إلى البشر . أما حين ينسب إلى الله سبحانه ، فلا يستلزم شيئا مما نسب إلى الخلق ، لأنه جل شأنه الخالق . هذا ولم يرد نسبة الضحك فى القرآن إلى الله سبحانه . وإنما ورد فى الحديث مثل : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا فى سبيل الله ، فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل ، فيقاتل فى سبيل الله ، فيستشهد » البخارى ومسلم . وكقوله صلى الله عليه وسلم للأنصارى وامرأته اللذين استضافا رجلا ، : « لقد ضحك الله الليلة — أو عجب من فعالكما » من حديث رواه البخارى ومسلم . وانظر ص ٤٦٧ الأسماء والصفات لأبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، مطبعة السعادة .

. . . .

شرح كلام أبي البختري والمجذر

فصل : وقول أبي البَخْتَرِيِّ أنا وزميل . الزَّميلُ : الرَّدِيفُ ، ومنه : ازْدَمَلَ الرجُلُ بحمله إذا ألقاه على ظهره ، وفي مُسْنَد الحارثِ عن ابن مسعود ، قال : كنا نَتعَاقَبُ يومَ بدْرٍ ثلاثةً على بَعِير ، فكانَ عِليٌّ وأبو لُبابَةَ زَميلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا كانت عُقْبَتُه ـ عليه السلام ـ قالا له ارْكَبْ ، ولنَمْشِ عنكَ يارسول الله ، فيقول : ما أنتما بأقوى على المشي مني ، ولا أنا بأغْنَى عن الأجرِ منكما .

وقول المُجذَّر : كإرْزَام المَرِيّ . المَرِيُّ : الناقة تُمْرَى للحَلَبِ ، أى تُمْسَحُ أخلافُها . وإرْزَامُها : صَوْتُها وهَدْرُها ، وقد تقدم الفرق بين أرْزَمَتْ ورَزَمَتْ[1] .

---

(١) في اللسان : رزمت الناقة ترزم وترزم بضم الزاى أو كسرها رزوما ورزاما بالضم : قامت من الإعياء والهزال فلم تتحرك فهي رازم ، وأرزمت الناقة إرزاما : وهو صوت تخرجه من حلقها لايفتح به فم ، وإليك بعض معاني قصيدة المجذر : الرماح اليزنى : المنسوبة إلى ذى يزن ، وهو ملك من ملوك اليمن . والكبش : رئيس القوم . والصعدة : عصا الرمح ، ثم يسمى الرمح : صعدة . وأعبط : أقتل والعبط : القتل من غير سبب ، والقرن : المقاوم في الحرب . والعضب : السيف القاطع . والمشرفى : منسوب إلى المشارف وهي قرى بالشام . وفي كتاب العين أن المرى هي الناقة الغزيرة اللبن . يفرى فرى : أتى بأمر عجيب « عن أبي ذر الخشني في شرح السيرة » .

. . . .

تفسير ها الله وهيبر وه:

وقول عبد الرحمن بن عوف لِأُمَيَّةَ : هَا الله ذَا[١] . ها : تنبيهٌ ، وذا إشارة إلى نفسه ، وقال بعضهم : إلى القسَم ، أي : هذا قسمى ، وأراها إشارةً إلى المُقْسِم ، وخَفَضَ اسم الله بحرفِ القسَم أضمَره ، وقام التنبيهُ مقامه ، كما يقوم الاستفهام مقامَه ، فكأنه قال : هأَنذَا مُقْسِم ، وفصل بالاسم المقسَم به ، بين ها وذا ، فعلم أنه هو المقسِم فاستُغْنِيَ عن أنا ، وكذلك قول أبى بكر : لاهَا اللهِ ذا .
وقول زُهَيْر :

تَعَلَّمَنْ هَا لَعَمْرُ اللهِ ذا قَسَماً[٢]

---

(١) هى فى النسخة المطبوعة مع الروض : ها الله ذا .
(٢) بقيته . فاقصد بذرعك وانظر أين ينسلك .

« وإذا دخلت ها على الله ففيه أربعة أوجه أكثرها : إثبات ألف ها ، وحذف همزة الوصل من الله فيلتقى ساكنان : ألف ها ، واللام الأولى من : الله ، وكان القياس حذف الألف ، لان مثل ذلك إنما يغتفر فى كلمة واحدة كالضالين ، أما فى كلمتين فالواجب الحذف ، نحو ذا الله وما الله ، إلا أنه لم يحذف فى الأغلب ههنا ليكون كالتنبيه على كون ألف ها من تمام ذا ، فان « ها الله ذا » بحذف ألف ها ربما يوهم أن الهاء عوض عن همزة الله كهرقت فى أرقت ، وهياك فى إياك .
والثانية وهى المتوسطة فى القلة والكثرة — ها الله ذا « بحذف ألف ها للساكنين كما فى ذا الله ، وما الله » ولكونها حرفا كلا ، وما وذا .
والثالثة — وهى دون الثانية فى الكثرة — إثبات ألف ها ، وقطع همزة الله مع كونها فى الدرج .
والرابعة : حكاها أبو على — وهى أقل الجميع — هأ لله بحذف همزة الوصل وفتح ألف ها للساكنين بعد قلبها همزة ، كما فى الضألين ، ودأبة . قال الخليل :=

. . . .

أكد بالمصدر قَسَمَه الذى دل عليه لفظه المتقدم .

وقوله : هَبَرُوه بأسيافهم من الْهَبْرَة وهى القطعة العظيمة من اللحم ، أى قطعوه .

وذكر قول الغِفَارِىّ حين سمع تَحَمْحَمَةَ الخيلِ فى السَّحابة، وسَمِع قائلا يقول : اقْدُمْ حَيْزُومْ . اقْدُمْ بضم الدال ، أى أَقْدِمَ الخيلَ،وهو اسمُ فرسِ جِبْرِيلَ ،

= ذا من جملة جواب القسم ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، أى الأمر ذا،أوفاعل: أى ليكونن ذا ، أولا يكون ذا ، والجواب الذى يأتى بعد نفيا أو إثباتا نحو : ها الله ذا لأفعلن ،أولا أفعل بدل من الأول ، ولا يقاس عليه ، فلا يقال : ها الله أخوك أى لأنا أخوك ونحوه .وقال الأخفش : ذا من تمام القسم، إماصفة لله ، أى الله الحاضر الناظر . أو مبتدأ محذوف الخبر ، أى ذا قسمى ، فبعد هذا إما أن يجيء الجواب ، أو يحذف مع القرينة ، الرضى فى شرح كافية ابن الحاجب جـ٢ ص ٣١٢ أما معنى التعبير ، فقد ذكر الرضى أن معناها القسم ، ثم ذكر الاختلاف حول الهاء ، فقال : « وإذا حذف حرف القسم الأصلى أعنى : الباء ، فإن لم يبدل منها ، فالمختار النصب بفعل القسم ، ويختص لفظة الله بجواز الجرمع حذف الجار بلا عوض ، نحو : الكعبة لأفعلن ، وتختص لفظة الله بتعويض ها، أو همزة الاستفهام من الجار وكذا يعوض من الجارفيها قطع همزة اللهفى الدرج ، فكأنها حذفت للدرج ، ثم ردت عوضا من الحرف ، وجار الله جعل هذه الأحرف بدلا من الواو ، ولعل ذلك لاختصاصها بلفظة الله كالتاء ، فاذا جئت بهاء التنبيه بدلا ، فلا بد أن تجيء بلفظة ذا بعد المقسم به ، نحو : لاها الله ذا ، وإى ها الله ذا . . والظاهر أن حرف التنبيه من تمام اسم الاشارة . . قدم على لفظ المقسم به عند حذف الحرف ليكون عوضا منه ، حـ٢ ص ٣١١ ، ٣١٢ شرح الكافية وانظر ص ٢١٣ جـ ٢ شرح الشافية للرضى . وقد نقلنا كلام الكافية من هامش الشافية للمحققين .

. . . .

وهو فَيْعُول من الحَزْم ، والحَيْزُوم أيضاً أعلى الصدر ، فيجوز أن يكون أيضاً سُمِّي به ؛ لأنه صَدْرٌ لخيل الملائكة ، ومتقدِّم عليها ، والحيـاة أيضاً فرسٌ أخرى لجبريلَ لا تمس شيئاً إلَّا حَيِيَ ، وهي التي قَبَض من أثرها السامريُّ ، فألقاها في العجلِ الذي صاغَه مِن ذَهَبٍ ، فـكان له خُوارٌ ، ذكره الزَّجَّاج(١) .

---

(١) ليس لما نقله عن الزجاج حجة وقبض السامري بتفسير المفسرين شيء لا يسنده حديث ولا عقل . . والقرآن لم يأت بذكر لفرس : لا لجبريل في الآية ، وإنما أتى بقوله سبحانه : (فقبضت قبضة من أثر الرسول) هكذا بأداة التعريف ، التي تفهمنا أنه رسول معروف ، ولم يكن ثم غير هارون وموسى ، كيف عرف السامري جبريل ؟ وكيف قبض القبضة ؟ وكيف ينسب إلى فرس أنه يجعل كل شيء يمر عليه حيا؟ والسامري نسبة إلى شامر. والشين في العبرية يغلب أن تكون سينا في العربية ، وشامر معناها: حارس. واليهود والنصارى يتهمون هارون عليه السلام بأنه هو الذي صنع لهم العجل ، ففي الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج ورد : ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم ، وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالإزميل ، وصنعه عجلا مسبوكا ، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه » هذه صورة من صور تحريف الكلم عن مواضعه ، فقد رفع اسم السامري ، ووضع مكانه اسم هارون . ولا يتصور إنسان سوى اليهود والنصارى ومن في قلبه مس يهودية أو نصرانية أن نبيا عظيما كهارون يتردى في هذه الوثنية التي أرسله الله بتدميرها !! . ولكنهم قوم يفترون على الله الكذب ، وقد بهتوا سليمان بعبادة الأصنام ، وداود بالزنا والقتل غيلة .

وقد يكون العجل الذي جاء به السامري عجلا حقيقيا ، ويكون معنى « من » في

. . . .

نسب أبي داود المازني :

فصل : وذكر أبا داود الْمَازنى وقوله : لقد أَتْبَعْتُ رَجُلاً من المشركين ، فسقط رأسُه قبل أن أَصِلَ إليه . اسم أبى داود هذا عَمْرُو ، وقيل : عُمَيْر بن عامر[1] ، وهذا هو الذى قتل أبا الْبَخْتَرِىِّ بن هِشَام ، وأخذ سيفَه فى قول طائفة من أهل السِّيَر غير ابن إسحاق وقال ابن إسحاق قتله الْمُجَذَّرُ كما تقدم.

لغويات

وقول مُعَاذِ بن عَمْرو فى مَقْتَل أبى جَهْلٍ : ماشَبَّهت رِجْلَه حين طاحَتْ

= قوله سبحانه (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار) يكون معناها على البدل . ويكون المعنى أن السامرى خدع بنى إسرائيل ، فأخذ منهم حليهم ، ثم أخرج لهم عجلا حقيقيا بدلا من الحلى الذى أخفاه لنفسه ، وهذا يتفق مع التحريق والنسف ، لأن الحلى تصهر ، ولاتذرى ، وتظل جسدا كما هى ، أو يكون السامرى قد صنع العجل بطريقة خاصة تجعله يحدث ذلك الخوار ، ويكون الحلى نوعا مما يحرق ويذرى .

أما القبضة التى قبضها ، فقد قال فيها الشيخ عبد الوهاب النجار ما يأتى : « إنه قبض قبضة من أثر الرسول ، أى تعليمه وأحكام التوحيد التى جاء بها الرسول — وهو موسى — فنبذتها ، أى ألقيتها ، وأهملتها ، وكذلك سولت لى نفسى » وهو رأى يحق أن نذكر فيه ، فكل آراء المفسرين حول هذا تعتمد على خرافة قبض السامرى من فرس جبريل ! ! ورأى يبنى على أسطورة يجب أن ينبذ

(١) عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن ابن النجار « الإصابة عن ابن البرقى » وقد ذكره مسلم والنسائى والطبرى وابن الجارود وابن السكن وأبو أحمد ، كلهم ذكروه بكنيته : أبى داود ، وبعضهم كناه بأبى دؤاد بتقديم الهمزة على الألف.

. . . .

إِلَّا بالنَّوَاة تَطِيحُ من تحت الْمِرْضَخَةِ . طاحت : ذهبت ، ولا يكون إلا ذَهَابَ هَلَاكٍ ، والْمِرْضَخَةُ . كالإِرْزَبَّة[1] يُدَقّ بها النوى لِلْعَلف ، والرَّضْحُ بالحاء مُهْمَلة : كَسْرُ اليابس ، والرَّضْخُ كَسْر الرَّطْبِ ، ووقع فى أصل الشيخ الْمِرْضَحَة بالحاء والخاء معاً ، ويدل على أنه كسر لما صلب ، وأنشد قول الطائى :

أَتَرْضَحُنى رَضْحَ النَّوى وهى مُصْمِتٌ
ويأكُلُنى أَكْلَ الدَّبَا وهو جائع

وإنما نحتجوا[2] بقول الطائى ، وهو حَبِيبُ بن أَوْس لعلمه ، لا لأنه عَربى يُحتجُّ بلغته[3] .

الغلامان اللذان قتلا أبا جهل :

وذكر الغلامين اللَّذَيْن قتلا أبا جَهْل ، وأنهما مُعاذُ بن عَمْرو بن الْجَمُوح

---

(١) الإرزبة أو المرزبة : عصية من حديد .

(٢) لعلها نحتج أو : احتجوا .

(٣) قال أبو النجم :

بكل وأب للحصى رضاح ليس بمصطر ولا فرشاح

الوأب : الشديد القوى والمصطر : الضيق ، والفرشاح : المنبطح . ومن رجز أبى جهل وهو يقاتل : البازل : الذى خرج نابه وهو فى ذلك السن تكتمل قوته . والرجز يقال إنه ليس لأبى جهل وإنما تمثل به .

ومن معانى حديث قتل أبى جهل : أطنت قدمه : أطارت قدمه . وأجهضنى القتال : غلبنى واشتد على .

. . . .

ومُعَوِّذ بن عَفْراء ، وفى صحيح مسلم أنهما مُعاذ بن عفراء ومُعاذُ بن عَمْرو بن الجَمُوح ، وعَفْراء هى بنت عُبَيْدِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُبَيْدِ بن ثَعْلَبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار عُرِفَ بها بنو عَفْراء(١) وأبوهم الحارث بن رِفَاعَةَ بن سَوَاد على اختلاف فى ذلك ، ورواية ابن إدريس عن ابن إسحاق ، كما فى كتاب مسلم ، قال أبو عُمَر : وأصحُّ من هذا كلِّه حديثُ أنسٍ حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : من يأتينى بخبر أبى جَهْلٍ ، الحديث ، وفيه أن ابنى عفراء قتلاه .

وقولُ أبى جهل : أعْمَدُ من رجل قتلتموه ، ويُرْوَى قتله قومُه ، أى : هل فوق رجلٍ قتله قومه(٥) ، وهو معنى تفسير ابن هشام ، حيث قال : أى ليس عليه عارٌ ، والأول : تفسير أبى عُبَيْدٍ فى غريب الحديث ، وقد [أنشد] شاهدا عليه :

[تُقَدِّمُ قَيْسٌ كُلَّ يوم كَرِيهَةٍ ... ويُثْنَى عليها فى الرخاء ذُنُوبُها]

(١) فى جمهرة ابن حزم : ص ٣٢٩ عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبد بن ثعلبة بن غـــنم بن مالك . وفى الإصابة : عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن سواد بن غنم ، ويقال : ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وذكرها ابن حبيب فى المبايعات ، وهى والدة معاذ ومعوذ وعوف بنى الحارث يقال لكل منهم ابن عفراء . وعفراء هذه لها خصيصة لا توجد لغيرها ، وهى أنها تزوجت بعد الحارث البكير بن ياليل الليثى ، فولدت له أربعة : إياسا وعاقلا وخالدا وعامرا ، وكلهم شهدوا بدرا وكذلك إخوتهم لأمهم بنو الحارث ، فانتظم من هذا أنها امرأة صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدرا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٥) فى اللسان منسوبا إلى أبى عبيدة أن معناه : هل زاد على سيد قومه ، هل كان إلا هذا . . وقال شمر : هذا استفهام ، أى : أعجب من رجل قتله قومه . قال الأزهرى : كان الأصل : أأعمد من سيد فخففت إحدى الهمزتين .

. . . .

وأعمدُ من قوم كفاهُمْ أخوهُمْ صِدَامَ الأعادى حين فُلّتْ نُيوبُها(١)

قال المؤلف رضى الله عنه : وهو عندى من قولهم عَمِدَ البعيرُ يَعْمَدُ : إذا انفسَخَ سَنَامُه ، فهلك ، أى أهْلَكُ من رَجُل قتله قومُه ، وما ذكره ابن إسحاق من قول أبى جهل هذا ، وما ذكروه أيضاً من قوله لابن مسعود : لقد ارتقيتَ مُرْتقى صَعْباً يارُوَيْعى الغنم . مُرْتقى صَعْباً يعرض ماوقع فى سِيَر ابن شِهَابٍ وفى مغازى ابن عُقْبَةَ(٢) أن ابنَ مَسْعُودٍ وجده جالسا لايتحرك ، ولايتكلم فَسَلبه دِرْعَه ، فإذا فى بدنه نُكَتٌ سُودٌ ، فحل تَسْبِغَةَ البَيْضةِ(٣) ، وهو لايتكلم ، واخْتَرَطَ سَيفَه يعنى سيفَ أبى جهل فضرب به عنقه ، ثم سأل رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حين احتمل رأسه إليه عن تلك النُّكَتِ السُّود التى رآها فى بدنه ، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته ، وأن تلك آثارُ ضَرَبَاتِ الملائكة ، وروى يونس عن أبى العُمَيْسِ ، قال : أرانى القاسمُ بنُ عبدِ الرحمن سيفَ عبدِ الله بن مَسْعود ، قال : هذا سيفه

---

(١) البيت منسوب إلى ابن ميادة ، ونسبه الأزهرى إلى ابن مقبل ، وقد زدت البيت من اللسان . ويفسره الخشنى بما يأتى منسوب إلى سراج بن ... يريد أكبر من رجل قتلتموه على سبيل التحقير منه لفعلهم به ، ص ١٦٠ .

(٢) قال عنها مالك : مغازى موسى بن عقبة أصح المغازى ص ١٨٢ ح ٢ السيرة الحلبية

(٣) التسبغة بكسر الباء وفتحها : ماتوصل به البيضة من حلق الدرع فتستر العنق ، وهى تسابغ وتسبغ أيضا . والبيضة الخوذة .

. . . .

أبي جهل حين قتله فأخذه فإذا سيفٌ قصير عريض فيه قَبائِـعُ فضة[1] وحَلَق فِضَّةٍ قال أبو عُمَيْسٍ ،فضرب به القاسمُ عنقَ ثَوْر فقطعه ، و ثَلَم فيه ثَلْماً ، فرأيت القاسمَ جَزِع من ثَلْمِه جزَعا شديداً .

إضمار حرف الجر :

وقول النبي عليه السلام آلله الذي لا إله إلا هو ، بالخفضِ عند سيبويه وغيره ، لأن الاستفهامَ عوضٌ من الخافضِ عنده ، وإذا كنت مُخبراً قلت : الله بالنصب لايجيز المُبَرِّد غيرَه ، وأجاز سيبويه الخفضَ أيضاً لأنه قَسَمٌ ، وقد عرف أن المقسَم به مخفوضٌ بالباء أو بالواو ، ولا يجوز إضمار حروف الجر إلا في مثل هذا الموضع ؛ أو ما كثرُ استعمالُه جداً كما روى أن رُؤْبَةَ كان يقول ، إذا قيل له كيف أصبحت ؟ خَيْرٍ عافاكَ اللهُ[2] .

وقول النبي — صلى الله عليه وسلم — في أبي جهلٍ حين ذكر مزاحَمَتَه له في مَأْدُبة عبدِ اللهِ بن جُدْعَان ، وقد تقدم في المولد التعريفُ بعبدِ الله بن جُدعان وذكرنا خبرَ جفْنته ، وسبب غناه بعد أن كان صُعْلُوكا بأتم بيان .

---

(١) جمع قبيعة وهي التي تكون على رأس قائم السيف أو ما تحت شاربي السيف

(٢) التقدير : على خير ، أو بخير ، ومثل هذا يقتصر فيه على السماع ، ومنه قول الفرزدق :

إذا قيل : أي الناس شر قبيلة ... أشارت كليب بالأكف الأصابع

أي إلى كليب ، ومنه قول الشاعر :

وكريمة من آل قيس ألفته ... حتى تبذخ فارتقى الاعلام

أي : إلى الاعلام .

ويطرد إضمار حرف الجر في ثلاثة عشر موضعا تنظر في كتب النحو . يقول ابن مالك في ألفيته :

وقد يجر بسوى رب لدى ... حذف ، وبعضه يرى مطردا

خبر عكاشة بن محصن

قال ابن إسحاق : وقاتَل عُكّاشَةُ بن مِحْصَن بن حُرْثان الأسديّ ، حليف بنى عبد شمس بن عبد مناف ، يومَ بدر بسَيْفه حتى انقطع فى يده ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جِذْلا من حَطب ، فقال : قاتل بهذا يا عُكّاشَةُ ، فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزّه ، فعاد سيفا فى يده طويلَ القامة ، شديد المَتْن ، أبيض الحديدة ، فقاتَل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى : العَوْن . ثم لم يزل عنده يَشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل فى الردّة ، وهو عنده ، قَتله طُلَيحة بن خُوَيلد الأسدى ، فقال طُليحة فى ذلك :

فما ظنُّكم بالقوم إذ تَقتلونهم ... أليسُوا وإن لم يُسْلموا برجال
فإن تك أذاودٌ أُصِبْن ونِسوةٌ ... فلن تَذهبوا فِرْغًا بقَتْل حِبال
نَصَبْت لهم صدرَ الحِمالة إنها ... معاوِدةٌ قِيلَ الكُماة نَزَال
فيوما تراها فى الجِلال مَصُونةً ... ويوما تَراها غيرَ ذات جِلال
عشيَّةَ غادرتُ ابن أقْرَم ثاويا ... وعُكّاشة الغَنْمِىَّ عند حِجال

قال ابن هشام : حِبالَ : ابن طُلَيحة بن خُويلد . وابن أقْرَم : ثابت بن أقرم الأنصارى .

قال ابن إسحاق وعُكّاشة بن مِحْصَن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل الجَنّة سبعون ألفا من

أمتى على صورة القمر ليلة البَدْر ، قال : يارسول الله ، ادعُ الله أنَ يجعلنى منهم؛ قال : إنك منهم ، أو اللهمّ اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار . فقال : يارسول الله ، ادعُ الله أنَ يجعلنى منهم ، فقال : سبقك بها عُكّاشة وبردَت الدعوةُ .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا عن أهله : منّا خيرُ فارس فى العرب ؛ قالوا : ومن هو يارسول الله ؟ قال : عُكّاشة بن مِحْصَن ، فقال ضرار بن الأزْور الأسدى : ذاك رجل منّا يارسول الله ؛ قال : ليس منكم ولكنّه منّا للحِلْف .

حديث بين أبى بكر وابنه عبد الرحمن يوم بدر

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر الصديق ابنَه عبدَ الرحمن ، وهو يومئذ مع المُشركين ، فقال : أين مالى يا خَبيث ؟ فقال عبد الرحمن :

لم يَبْق غيرُ شِكّة ويَعْبُوبْ وصارِمٌ يَقتل ضُلّال الشِّيبْ

فيما ذُكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدى .

طرح المشركين فى القليب

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان عَنْ عُرْوة بن الزُّبير عن عائشة ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يُطرَحوا فى القَليب طُرِحوا فيه ، إلا ما كان من أُميّة بن خَلَف ، فإنه انتفخ فى دِرْعه

فملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزايل لحمُه ، فأقرّوه ، وألقَوا عليه ماغيَّبه من التراب والحجارة . فلمَّا ألقاهم فى القَلِيب ، وقف عليهم رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، فقال : ياأهل القَلِيب ، هل وجدتم ماوَعدكم ربُّكم حقًّا ؟ فإنى وجدتُ ماوعدنى ربى حقًّا ؟ قالت : فقال له أصحابه : يارسول الله ، أتُكلِّم قوما موتى ؟ فقال لهم : لقد علموا أن ماوعدهم ربُّهم حقا .

قالت عائشة : والناس يقولون : لقد سَمعوا ما قلتُ لهم ، وإنما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد علموا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُمَيْدُ الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم من جَوْف الليل وهو يقول : ياأهل القليب ، ياعُتبَةُ بن ربيعة ، وياشَيْبةُ بن ربيعة ، ويا أميَّةُ بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد من كان منهم فى القليب : هل وجدتم ماوعد ربُّكم حقًّا ؟ فإنى قد وجدتُ ماوعدنى ربى حقا ؟ فقال المسلمون : يارسول الله ، أتنادى قوما قد جَيَّفوا ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لايستطيعون أن يُجيبونى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المَقالة : ياأهل القَليب ، بئس عَشِيرةُ النبيّ كنتم لنبيِّكم ، كذّبتمونى وصدّقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتُمونى ونَصرنى الناس ؛ ثم قال : هل وجدتم ماوَعدكم ربُّكم حقا ؟ للمقالة التى قال .

شعر حسان فيمن ألقوا فى القليب

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت :

عرفتُ ديارَ زَينبَ بالكَثيبِ ... كخطّ الوَحْى فى الوَرَق القَشيبِ

تَداوَلُها الرِّياحُ وكل جَوْنٍ ... من الوَسْمىّ مُنْهمِرٍ سَكوبِ

فأمسَى رسمُها خَلَقًا وأمسَتْ ... يَبابًا بعد ساكِنِها الحبيبِ

فَدَعْ عنكَ التّذَكُّرَ كلَّ يومٍ ... ورُدَّ حرارةَ الصَّدْرِ الكَئيبِ

وخبِّر بالذى لاعيبَ فيه ... بصِدْقٍ غيرِ إخْبارِ الكَذُوبِ

بما صنَعَ المليكُ غداةَ بدرٍ ... لنا فى المُشْركين من النَّصيبِ

غداةَ كأنّ جَمْعَهم حِراءٌ ... بدَت أرْكانُه جُنْحَ الغُروبِ

فلاقَيْناهمُ منّا بجَمْعٍ ... كأُسْدِ الغابِ مُرْدانٍ وشِيبِ

أمامَ محمّدٍ قد وَازَرُوهُ ... على الأعداء فى لَفْحِ الحُروبِ

بأيديهم صَوارِمُ مُرْهَفاتٌ ... وكلُّ مجرَّبٍ خاظِى الكُعوبِ

بنُو الأوْسِ الغَطارفُ وازرَتْها ... بنو النجّار فى الدّين الصليبِ

فغادَرْنا أبا جَهْلٍ صَرِيعا ... وعُتْبَةَ قد تركنا بالجَبُوبِ

وَشَيْبَةَ قد تَرَكنا فى رجالٍ ... ذوى حسبٍ إذا نُسِبوا حَسيبِ

يُناديهم رسول الله لمّا ... قَذَفناهُمْ كَباكِبَ فى القَليبِ

ألم تجِدُوا كلامى كان حَقًّا ... وأمْرُ الله يأخذُ بالقُلوبِ ؟

فما نَطَقُوا ، ولو نطقُوا لقالوا : ... صدقتَ وكنتَ ذا رأىٍ مُصيبِ !

. . . .

قال ابن إسحاق : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يُلقوا في القليب ، أُخِذ عُتبةُ بن ربيعة ، فسُحِب إلى القَليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — في وجه أبي حُذَيفة بن عُتبة ، فإذا هو كَئيب قد تغير لونه ، فقال : يا أبا حُذيفة ، لعلَّك قد دخَلك من شأن أبيك شيء ؟ أو كما قال صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : لا ، والله يارسول الله ، ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنتُ أعرِف من أبي رأيا وحلْما وفضلا ، فكنت أرجو أن يَهْديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرتُ مامات عليه من الكفر ، بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحْزنني ذلك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْر ، وقال له خيرا .

من نزل فيهم : (إن الذين توفاهم الملائكةُ ظالمي أنفسهم)

وكان الفِتْية الذين قُتلوا ببدر ، فنزل فيهم من القرآن ، فيما ذُكر لنا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ فِتيةً مُسمَّين . من بني أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصيّ : الحارث بن زَمْعَة بن الأسود بن ابن عبد المطَّلب بن أسد .

ومن بني مخزوم : أبو قَيْس بن الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر ابن مَخْزُوم ، وأبو قَيْس بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى جُمَح : علىُّ بن أُميَّة بن خَلَف بنِ وَهْب بن حُذافة بن جُمَح .

ومن بنى سَهم : العاصُ بنُ مُنبه بن الحجَّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سَعد ابن سهم .

وذلك أنهم كانوا أسلموا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حَبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة وفَتنوهم فافتتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بَدرْ فأُصيبوا به جميعا .

ذكر الفىء ببدر

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر بما فى العَسْكر ، مما جَمع الناسُ ، فجمع ؛ فاختلف المُسلمون فيه ، فقال من جَمَعَه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويَطلبونه : والله لولا نحن ما أصَبْتموه لنحن شَغَلْنا عنكم القوم حتى أصبْتم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافةَ أن يُخالِفَ إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحقَّ به منا ، والله لقد رأينا أن نَقتل العدوّ إذ مَنحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نأْخذ المَتاع حين لم يكن دونه من يَمنعه ولكنَّا خِفْنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كرَّةَ العدوّ ، فقُمنا دونه ، فما أنتم بأحَقّ به منا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سُليمان بن موسى ، عن مَكحول ، عن أبى أُمامة الباهلى ـ واسمه صُدَىّ ابن عَجْلان فيما قال ابن هشام ـ قال : سألت عُبادة بن الصَّامت عن الأنفال ،

فقال : فينا أصحابَ بدر نزلت حين اختلفنا فى النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقُنا ، فنزعه الله من أيْدينا ، فجعَله إلى رسوله ، فقسّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاء يقول : على السواء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن أبى بكر ، قال : حدثنى بعض بنى ساعدة عن أبى أُسيد الساعدىّ مالك بن ربيعة ، قال : أصبتُ سيفَ بنى عائذ المَخزوميين الذى يسمَّى المَرْزُبان يوم بدر ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردّوا ما فى أيديهم من النَّفَل ، أقبلتُ حتى ألقيتُه فى النَّفَل . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَمنع شيئا سُئِله ، فعرَفه الأرقمُ ابن أبى الأرقم ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .

بعث ابن رواحة وزيد بشيرين

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفَتْح عبدَ الله ابن رَواحة بشيرا إلى أهل العاليــة ، بما فَتح الله عزّ وجلّ على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيدَ بن حارثة إلى أهل السَّافلة . قال أُسامة بن زيد : فأتانا الخبرُ — حين سوّينا التراب على رُقَيّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى كانت عند عثمان بن عفّان . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خَلّفنى عليها مع عُثمان — أن زيدَ بن حارثة قد قَدِم . قال : فجئته وهو واقف بالمصلى قد غَشِيَه الناس ، وهو يقول : قُتِل عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمْعَة بن الأسود ، وأبو البَختَرِىّ

. . . .

والعاصُ بن هشام ، وأُمَيَّة بن خَلَف ، و نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج . قال: قلت: يا أَبَتِ ، أحقّ هذا ؟ قال : نعم ، والله يابنىّ .

قفول رسول الله من بدر

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ، ومعه الأُسارى من المُشركين ، وفيهم عُقبة بن أبى مُعَيط، والنَّضر بن الحارث، واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه النَّفَل الذى أُصيب من المشركين، وجعل على النَّفَل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النَّجَّار ؛ فقال راجز من المسلمين ـ قال ابن هشام : يقال : إنَّهُ عَدِىّ بن أبى الزَّغْباء :

أَقِمْ لهَا صُدُورَها يابَسْبَسُ ليس بذى الطَّلْح لها مُعَرَّسُ

ولا بصَحْراء غُمَيرٍ مَحْبَسُ إنَّ مَطايا القوم لاتُخَيَّسُ

فَحَمْلُها على الطَّرِيقِ أكْيَسُ قد نصر اللهُ وفرَّ الأَخْنَسُ

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حتى إذا خرج من مَضِيق الصَّفراء نزل على كَثِيبٍ بين المَضِيق وبين النَّازية ـ يقال له : سَيَر ـ إلى سَرْحة به . فقسّم هنالك النَّفَل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالرَّوحاء لَقِيه المسلمونُ يهنِّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سَلَمة بن سلامة ـ كما حدثنى عاصم بن عمر بنِ قتادة ، ويَزيد بن رُومان : ما الذى تُهنِّئوننا به ؟

فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلعا كالبُدْن الْمُعَقَّلة ، فنحرناها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أى ابن أخى ، أولئك الْمَلأُ .

قال ابن هشام : الملأ : الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر وعقبة

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفْراء قُتِل النَّضر بن الحارث ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعضُ أهل العلم من أهل مكة .

قال ابن إسحاق : ثم خرج حتى إذا كان بعِرْق الظَّبْيةِ قُتل عُقْبة بن أبى مُعَيط .

قال ابن هشام : عِرْق الظَّبْية عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والذى أسَرَ عُقْبة : عبدُ الله بن سَلِمة أحدُ بنى العَجْلان .

قال ابن إسحاق : فقال عُقْبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقَتْله فمن للصِّبْية يامحمد ؟ قال : النار . فقَتله عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح الأنصارى ، أخو بنى عمرو بن عوف ، كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر .

قال ابن هشام : ويقال قتله علىّ بن أبى طالب فيما ذكر لى ابن شهاب الزهرى وغيرُه من أهل العلم .

. . . .

قال ابن إسحاق : ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هند، مولى فَرْوة بن عَمْرو البَياضى بحَميت مملوء حَيْسا .

وقال ابن هشام : الحَميتُ : الزِّقّ ، وكان قد تخلَّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان حجَّام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكِحوه ، وانكِحوا إليه ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينةَ قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أسعد بن زُرَارة ، قال : قدِم بالأسارَى حين قدِم بهم ، وسَوْدةُ بنت زَمْعَةَ زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم عند آل عَفْراء ، فى مَناحتهم على عَوْف ومُعوِّذ ابنى عفراء ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب .

قال : تقول سَوْدة : والله إنى لعندهم إذ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى، قد أُتِى بهم قالت : فرجعت إلى بيتى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يَزيد سُهَيل بن عمرو فى ناحية الُحجرة ، مجموعةً يداه إلى عُنقه بحَبْل قالت : فلا والله ماملكت نَفْسِى حين رأيت أبا يَزيد كذلك أن قلت : أى أبا يزيد : أعطيتم بأيديكم ، ألا مُتُّم كراما ، فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : ياسودة ، أعلى الله ورسوله تحرّضين ؟ قالت :

قلت : يارسول الله ، والذى بعثك بالحقّ ، ماملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ماقلت .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نُبيه بنُ وَهْب ، أخو بنى عبد الدار . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأُسارى فرّقهم بين أصحابه ، وقال: استَوْصُوا بالأُسارى خيراً . قال : وكان أبو عَزِيز بن عُمَير بن هاشم ، أخو مُصْعَبِ بن عُمَيْر لأبيه وأمه فى الأُسَارَى .

قال : فقال أبو عزيز : مرّ بى أخى مُصْعب بن عمير ورجلٌ من الأنصار يَأْسِرنى ، فقال : شُدَّ يدَكَ به ، فان أمَّه ذاتُ مَتاع ، لعلَّها تَفْديه منك ، قال : وكنت فى رَهْطٍ من الأنصار حين أقبلوا بى من بَدْر ، فكانوا إذا قدّموا غَداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز ، وأكلوا التَّمر ، لوصيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقَعَ فى يدِ رجل منهم كسرة خبْز إلا نَفَحنى بها . قال : فأستحيى فأردّها على أحدهم ، فيردّها على مايمسها .

بلوغ مصاب قريش إلى مكة

قال ابن هشام : وكان أبو عَزيز صاحبَ لواء المشركين ببدر بعد النَّضر ابن الحارث ، فلما قال أخوه مُصْعب بن عمير لأبى اليَسَر ، وهو الذى أسره ، ما قال قال له أبو عَزيز : يا أخى ، هذه وَصاتُك بى ، فقال له مُصْعب : إنه أخى دونك . فسألت أمُّه عن أغلى مافُدِى بهقرشىّ ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعث بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها .

قال ابن إسحاق : وكان أوّل من قدم مكةَ بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الُخزاعىّ ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : قُتل عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأُميَّة بن خلف ، وزَمَعة بن الأسود ، ونُبيه ومنبِّه ابنا الحجَّاج ، وأبو البَختري بن هشام ؛ فلما جعل يُعدّد أشراف قريش ؛ قال صَفْوان بن أُميَّة ، وهو قاعد فى الحِجْر : والله إن يَعقل هذا فاسئلوه عنى ؛ فقالوا : مافعل صَفْوان بن أميَّة ؟ قال : هاهو ذاك جالسا فى الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عبّاس ، عن عكْرمة مولى ابن عبّاس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعبَّاس بن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دَخَلنا أهل البيت ، فأسلم العبَّاس وأسلمت أمُّ الفضل وأسلمت وكان العبّاس يهاب قومَه ويكره خِلافهم وكان يكْتم إسلامَه ، وكان ذا مال كثير متفرّق فى قومه ، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر ، فبعث مكانَه العاصى بن هشام بن المُغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلا بَعث مكانَه رجلاً ، فلما جاءه الخبرُ عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجَدْنا فى أنفسنا قوّةً وعزّاً . قال : وكنت رجلاً ضعيفا ، وكنت أعمل الأقداح . أنحتُها فى حُجْرة زَمْزم ، فوالله إنى لجالسٌ فيها أنْحت أقداحى ، وعِندى أم الفَضْل جالسةٌ ، وقد سرّنا ماجاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رِجليه بِشَرّ ، حتى جلس على طُنُب الُحجْرة ، فكان ظهره إلى ظهرى ، فبينما هو جالسٌ إذ قال الناسُ : هذا

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ـ قال ابن هشام : واسم أبى سفيان المغيرة ـ قد قدم قال : فقال أبو لهب : هَلُمّ إلىّ ، فعندك لعمرى الخبرُ ، قال : فجلس إليه والناسُ قيامٌ عليه ، فقال : يابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال : والله ماهو إلا أن لَقينا القومَ فمنَحْناهم أكتافَنا يقُودوننا كيف شاءوا ، ويأسِرُوننا كيف شاءوا ، وايمُ الله مع ذلك مالُمْت الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خيْل بُلْق ، بين السماء والأرض ، والله ما تُليق شيئا ، ولايقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفَعْت طُنُب الحُجرة بيدى ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ؛ قال : فرفع أبو لهب يده فضَرب بها وجهى ضربةً شديدة . قال : وثاورْتُه فاحتَملنى فضرب بى الأرض ، ثم برك علىّ يَضْربنى ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أمُّ الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة ، فأخذته فضربته به ضربةً فلَعت فى رأسه شجَّةً مُنْكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيدُه فقام ، مُوَلِّيا ذليلا ، فوالله ماعاش إلا سَبْعَ ليالٍ حتى رماه الله بالعَدَسة فقتلْته .

نواح قريش على قتلاهم

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : ناحت قريشٌ على قتْلاهم ، ثم قالوا : لاتفعلوا فيبلُغَ محمداً وأصحابَه ، فيشْمتوا بكم ؛ ولا تبعثوا فى أسرائكم حتى تستأنوا بهم لايأرب عليكم محمد وأصحابه فى الفداء . قال : وكان الأسود بن المطّلب قد أُصيب له ثلاثة من ولده ، زَمَعة بن الأسود ، وعَقيل بن الأسود ، والحارث بن زَمعة ، وكان يحبّ أن يبكىَ على بَنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لغلام له .

وقد ذهب بصره : انظرُ هل أُحلّ النَّحْب ؛ هل بكتْ قُريش على قتلاها ؟ لعلى أبكى على أبى حكيمة ، يعنى زمعة ، فإن جوفى قد احترق قال : فلما رجع إليه الغلامُ قال : إنما هى امرأة تبكى على بَعير لهـا أضلّته . قال : فذاك حين يقول الأسود :

أتبْـكى أن يَضلّ لهـا بعيرٌ ويَمنعها من النَّوم السُّهودُ
فَلا تَبْـكى على بَكْر ولـكن على بَدْرٍ تَقاصَرَتِ الُجدُودُ
على بَدْرٍ سَرَاةِ بنى هُصَيْصٍ ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبى الوليد
وبَكِّى إن بكيتِ على عَقِيلٍ وبَكِّى حارثا أسَدَ الأُسود
وبكِّيهم وَلا تَسَمى جميعـا وما لأبى حَـكِيمةَ مِنْ نَديد
ألا قد ساد بعـدَهُم رجالٌ ولولا يومُ بَدْر لم يَسُودوا

قال ابن هشام : هذا إقواء ، وهى مشهورة من أشعارهم ، وهى عندنا إكفاء . وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ماهو أشهر من هذا .

قال ابن إسحاق : وكان فى الأُسارى أبو وَداعة بن ضُبَيرة السهمى ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إنّ له بمكة ابنا كَيِّسا تاجراً ذا مال ، وكأنَّكم به قد جاءكم فى طَلَب فداء أبيه ؛ فلما قالت قريشٌ لاتعجلوا بفداء أسرائكم لا يَأْرَب عليكم محمدٌ وأصحابُه ، قال المُطَّلِبُ بن أبى وَدَاعَةَ ـ وهو الذى كان رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عَنى : صَدقتم ، لاتعجلوا ، وانسلّ من الليل فقَدِم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به .

أمر سهيل بن عمرو وفداؤه

(قال) : ثم بعثتْ قُريشٌ فِي فِداء الأسارى ، فقدِم مِكْرزُ بن حَفص ابن الأخْيف فى فداء سُهَيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالكُ بن الدُّخْشُمِ ، أخو بنى سالم بن عَوْف ، فقال :

أسَرْتُ سُهَيْلاً فَلا أبْتَغِى أسيراً به مِن جميع الأُمَمْ
وخِنْدِفُ تَعـلم أنَّ الفتى فتاها سُهَيْلٌ إذا يُظَّلَمْ
ضربتُ بذى الشَّفر حتى انثنى وأكْرهت نفسى على ذى العَلَمْ

وكان سُهَيْلٌ رجلاً أعْلَمَ من شَفته السُّفلى .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينـكر هذا الشعر لمالك بن الدُّخْشُم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عَمْرو بن عَطاء ، أخو بنى عامر بن لُؤىّ : أن عمر بنَ الخطاَّب قال لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، دَعْنى أنْزِعْ ثَنِيَّتَىْ سُهَيل بن عمرو ، ويَدْلعُ لسانُه ، فلا يقوم عليك خَطيبا فى موطن أبداً ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيُمَثِّل الله بى وإن كنتُ نبيا .

قال ابن إسحاق وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث : إنه عسَى أن يقوم مقاما لاتذمُّه .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثَ ذلك المقام فى موضعه إن شاء الله تعالى .

. . . .

قال ابن إسحاق فلما قاولهم فيه مِكْرَزُ وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هاتِ الذى لنا ، قال : اجعلوا رِجْلى مكان رِجله ، وخلّوا سبيلَه حتى يبعث إليكم بِفدائه ، فخلّوا سبيل سُهيل ، وحبَسوا مِكْرزا مكانَه عندهم ، فقال مِكْرز :

فَدَيتُ بأذوادٍ ثمانٍ سِباَ فَتى   ينالُ الصَّمِيمَ غُرْمُها لا الْمَوَالِيا

رَهنتُ يدى والمال أيسرُ من يَدى   علىَّ ، ولكنى خَشِيت المَخازيا

وقلت سُهَيلٌ خَيْرُنا فاذهبُوا به   لأبْنائنا حتى نُدِير الأمانيا

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لِمِكْرَز .

أسر عمرو بن أبى سفيان وإطلاقه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى بَكْر ، قال : كان عمرو بن أبى سُفيان بن حَرْب ، وكان لبنت عُقبة بن أبى مُعَيط — قال ابن هشام : أم عمرو بن أبى سُفيان بنت أبى عَمْرو ، وأخت أبى مُعَيط بن أبى عمرو — أسيراً فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسرَى بَدْر .

قال ابن هشام : أسره علىُّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال : فقيل لأبى سفيان: افْدِ عمْراً ابنك ،قال : أيُجْمع علىَّ دَمى ومالى ! قتَلوا حَنظلة ، وأفْدِى عَمْراً ! دعوه فى أيْديهم يُمْسكوه مابدا لهم .

قال : فبينما هو كذلك ، مَحْبوسٌ بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

إذ خرج سَعْد بن النُّعْمان بن أكّال ، أخو بنى عمرو بن عَوف ثم أحدُ بنى مُعاوية معتمراً ومعه مُرَيَّة له ، وكان شيخا مسلما ، فى غَنم له بالنّقيع : فخرج من هنالك معتمراً ، ولا يَخْشى الذى صُنع به ، لم يظنَّ أنه يُحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً : وقد كان عَهِد قريشا لا يَعْرضون لأحدٍ جاء حاجًّا ، أو معتمراً إلا بخير ، فعدَا عليه أبو سُفيان بن حَرب بمكة فَحَبَسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرهطَ ابنِ أكّال أجيبوا دُعاءهُ   تعاقدتم لا تُسْلِموا السّيدَ الكَهْلا

فإنَّ بنى عَمْرو لئامٌ أذِلّةٌ   لئن لم يَفُكّوا عن أسيرهم الكَبْلا

فأجابه حسّان بن ثابت فقال :

لو كان سعدٌ يوم مكّة مُطْلَقا   لأكثرَ فيكم قبلَ أن يُؤْسَر القَتْلا

بِعَضْب حُسام أوْ بِصَفْراء نَبْعَة   تحِنّ إذا ما أُنبِضَت تَحْفِزُ النَّبْلا

ومشى بنو عَمْرو بن عَوْف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبره ، وسألوه أن يُعطيهم عمرو بن أبى سُفيان فيَفُكّوا به صاحبَهم ، ففعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فبعثوا به إلى أبى سُفيان ، فخلَّى سبيلَ سعد .

أسر أبى العاص بن الربيع

قال ابن إسحاق : وقد كان فى الأسارَى أبو العاص بن الربيع ابن عبد العُزى بن عبد شَمْس ، خَتَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته زَينب .

. . . .

قال ابن هشام : أسره خِراش بن الصِّمَّة ، أحد بنى حَرام .

سبب زواج أبى العاص من زينب

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكّة المَعدودين : مالاً ، وأمانة ، وتجارةً ، وكان لهالة بنت خُوَيلد ، وكانت خديجةُ خالَته . فسألت خديجةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يزوّجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ، وذلك قبل أن يَنزل عليه الوحى ، فزوّجه ، وكانت تَعُدُّه بمنزلة ولدها . فلما أكرم الله رسولَه صلى الله عليه وسلم بنبوّته آمنت به خديجةُ وبناتهُ ، فصدّقْنَه ، وشَهِدْن أنَّ ما جاء به الحقّ ، ودِنَّ بدِينه ، وثبت أبو العاص على شِرْكه .

سعى قريش فى تطليق بنات الرسول من أزواجهن

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد زوّج عُتْبةَ بن أبى لهب رُقَيّة ، أو أمّ كُلثوم . فلمَّا بادَى قُريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم قد فَرّغتم محمداً من همّه ، فردُّوا عليه بَناته ، فاشغَلوه بهنّ . فمشوْا إلى أبى العاص فقالوا له : فارِقْ صاحبتَك ونحن نزوّجك أىّ امرأة من قُريش شِئتَ ، قال : لا والله ، إنّى لا أفارق صاحبتى ، وما أحبّ أنّ لى بامرأتى امرأةً من قريش . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه فى صِهْره خيراً ، فيما بلغنى . ثم مشَوْا إلى عُتْبة بن أبى لهب ، فقالوا له : طلِّق بنتَ محمد ونحن نُنْكحك أىّ امرأة من قريش شِئْت ، فقال : إن زوجتمونى بنت

أبان بن سعيد بن العاص ، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها . فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامةً لها ، وهواناً له ، وخلَفَ عليها عثمانُ بن عفّان بعده .

أبو العاص عند الرسول وبعث زينب فى فدائه

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يُحِلّ بمكة ولا يحرّم ، مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين أسلمتْ وبين أبى العاص بن الربيع ، إلا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يَقدِر أن يفرّق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شِرْكه، حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صارت قريش إلى بدر ، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأُصيب فى الأسارَى يومَ بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة قالت : لما بعث أهلُ مكة فى فداء أسرائهم ، بعثت زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فِداء أبى العاص بن الرَّبيع بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجةُ أدخلتها بها على أبى العاص حين بَنَى عليها ، قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقّ لها رقّةً شديدةً وقال: إن رأيتم أن تُطلِقوا لها أسيرَها ، وتردّوا عليها مالها ، فافعلوا ، فقالوا : نعم يارسولَ الله . فأطلقوه ، وردّوا عليها الذى لها .

* * * * * * * * * * * * *

خروج زينب إلى المدينة

تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحباها

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه، أو وَعَد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، أن يخلِّىَ سبيلَ زينب إليه، أو كان فيما شَرَط عليه فى إطلاقه، ولم يَظْهَر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُعْلم ماهو، إلا أنه لمّا خرج أبو العاص إلى مكة وخُلِّىَ سبيلُه، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانَه، فقال: كُونا ببَطْن يَأْجِجَ حتى تمرّ بكما زينب، فتَصْحباها حتى تَأْتيانى بها، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بَدْر بشهر أو شَيْعِه، فلمّا قَدِم أبو العاص مكّة أمرها باللُّحوق بأبيها، فخرجت تجهَّز.

هند تحاول تعرف أمر زينب

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر، قال: حُدِّثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهَّز بمكة لِلُحُوقِ بأبى لقيتْنى هِنْدُ بنت عُتبة، فقالت: يابنت محمد، ألم يبلغنى أنَّكِ تُريدين اللُّحوقَ بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أى ابنة عمِّى، لاتفعلى، إن كانت لك حاجةٌ بمتاع ممَّا يَرْفُق بك فى سفرك، أو بمال تَتَبلَّغين به إلى أبيك، فإن عندى حاجَتك، فلاتضْطَنى منى، فإنه لايدخل بين النساء مابين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتَفْعل، قالت: ولكنى خِفْتُها، فأنكرتُ أن أكون أُريد ذلك، وتجهزت.

ما أصاب زينب من قريش عند خروجها ومشورة أبي سفيان

فلمَّا فرغتْ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قدَّم لها حَمُوها كِنانةُ بن الرَّبيع أخو زَوْجها بعيراً ، فرَكِبَته ، وأخذ قوسَه وكِنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقُودُ بها ، وهى فى هَوْدج لها . وتحدَّث بذلك رجالٌ من قُريش ، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طُوى ، فكان أوَّلَ من سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المُطَّلب بن أسد بن عبد العُزّى ، والفِهْرِيّ ، فروّعها هبّار بالرمح وهى فى هَوْدجها ، وكانت المرأةُ حاملا ـ فيما يزعمون ـ فلما ريعتْ طَرحتْ ذا بَطْنها وبَرَك حموها كنانةُ ، ونثر كِنانته ، ثم قال : والله لا يدنو منى رجلٌ إلا وضعتُ فيه سهما ، فتَكَرْكر الناسُ عنه . وأتى أبو سفيان فى جِلَّة من قُريش فقال : أيها الرجل ، كُفَّ عنَّا نَبْلك حتى نكلِّمك ، فكَفَّ ؛ فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانيةً ، وقد عرفتَ مُصيبتنا ونَكْبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظنّ الناسُ إذا خرجتَ بابنته إليه علانيةً على رءوس الناس من بين أظهرنا أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا عن مُصيبتنا التى كانت ، وأنّ ذلك منّا ضعْف ووَهْن ، ولعمرى ما لنا بحَبْسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا فى ذلك من ثُؤْرة ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصواتُ ، وتحدّث الناس أن قد رَدَدْناها ، فسُلَّها سِرًّا ، وألحِقها بأبيها ؛ قال : ففعل . فأقامت ليالىَ ، حتى إذا هدأت الأصواتُ خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقَدِما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . .

شعر لأبي خيثمة فيما حدث لزينب

قال ابن إسحاق : فقال عبدُ الله بن رَوَاحة ، أو أبو خَيْثمة ، أخو بَنِى سالم بن عَوْف ، في الذى كان من أمر زينب ، قال ابن هشام : هى لأبى خَيْثمة :

أتانى الذى لا يَقْدُرُ النّاسُ قَدْرَه ... لزينبَ فيهم من عُقوق ومَأْثَمِ
وإخراجُها لم يُخْزَ فيها محمّد ... على مَأْقِط وبيننا عِطْر مَنْشِمِ
وأمْسَى أبو سُفْيان من حِلْفِ ضَمْضَم ... ومِنْ حَرْبنا فى رَغْم أنفٍ ومَنْدم
قَرَنَّا ابنَه عَمْرا ومَوْلى يَمينِه ... بذى حَلَقٍ جَلْد الصَّلاصل مُحْكَمِ
فأقسمتُ لا تَنْفك منّا كتائبُ ... سُراةُ خَميسٍ فى لهَام مُسَوَّم
نَزوعُ قُرَيشَ الكُفْرَ حتى نَعُلّها ... بخاطمةٍ فوق الأُنوف بمَيْسَم
نُنزّلهم أكناف نجْدٍ ونَخْلة ... وإنْ يُتْهِموا بالخيل والرَّجْل نُتْهِم
يدَ الدّهْر حتى لا يُعوَّجَ سِرْبُنا ... ونُلحِقهم آثار عادٍ وجُرْهُم
ويَنْدَم قومٌ لم يُطيعوا محمّداً ... على أمرهم وأىّ حينَ تَنَدُّم
فأبْلِغْ أبا سُفْيان إمّا لَقِيته ... لئن أنت لم تُخْلِصْ سجوداً وتُسْلِم
فأبْشِرْ بخِزْى فى الحياة مُعَجَّل ... وسِرْبال قارٍ خالداً فى جهنّم

قال ابن هشام : ويروى : وسربال نار .

الخلاف بين ابن إسحاق وابن هشام فى مولى يمين أبى سفيان

قال ابن إسحاق : ومولى يمين أبى سفيان ، الذى يعنى : عامر بن الحضرمى ، كان فى الأسارى ، وكان حِلْف الحضرمىّ إلى حَرْب بن أميّة .

قال ابن هشام : مولى يمين أبى سفيان ، الذى يعنى : عقبة بن عبد الحارث ابن الحضرمى ، فأما عامر بن الحضرمى فقُتِل يوم بدر .

شعر هند وكنانة فى خروج زينب

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هندُ بنت عُتبة ، فقالت لهم :

أفى السِّلْم أعْياراً جَفاء وغِلْظةً ... وفى الحرب أشباهَ النِّساء العَوارِكِ

وقال كِنانةُ بن الرَّبيع فى أمر زَيْنب ، حين دَفَعها إلى الرَّجُلين :

عَجِبْتُ لهبَّار وأوْباش قَوْمه ... يُريدون إخْفارى ببنت مُحَمَّد

ولستُ أُبالى ماحَيِيتُ عَديدَهم ... وما استجمعتْ قَبْضاً يَدِى بالمُهَنَّد

الرسول يحل دم هبار

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حَبيب ، عن بُكَير بن عبد الله ابن الأشجّ ، عن سليمان بن يَسار ، عن أبى إسحاق الدَّوْسى ، عن أبى هُرَيرة ، قال : بَعَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً أنا فيها ، فقال لنا : إن ظَفِرتم بهبَّار بن الأسْود ، أو الرجل (الآخر) الذى سبق معه إلى زينب — قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق الرجل فى حديثه (وقال : هو نافع بن عبد قيس) فحرِّقوهما بالنار. قال : فلمَّا كان الغدُ بعث إلينا ، فقال : إنى كنت أمَرْتكم بتَحْريق هذين الرجلَيْن إن أخذتموها ، ثم رأيتُ أنه لا ينبغى لأحد أن يعذِّب بالنار إلا الله ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما .

. . . .

إسلام أبى العاص بن الربيع

استيلاء المسلمين على تجارة معه وإجارة زينب له

قال ابن إسحاق : وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زَيْنب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حين فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيلَ الفَتح خَرج أبو العاص تاجراً إلى الشأم، وكان رجلا مأمونا ، بمال له وأموال لرجال من قريش ، أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا ، لقيته سَرِيّةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابُوا ما معه ، وأعْجَزَهم هاربا ، فلما قَدِمَتِ السَّرِيّةُ بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخَل على زينْب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها، فأجارتْه ، وجاء فى طَلب ماله ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبح ـ كما حدثنى يزيد ابن رُومان ـ فكَبّر وكبّر الناس معه ، صرختْ زينب من صُفّة النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرتُ أبا العاص بن الرَّبيع . قال : فلما سلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سَمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أما والذى نفس محمد بيده ماعلمتُ بشىء من ذلك حتى سمعتُ ماسمعتم ، إنه يُجير على المُسلمين أدْناهم . ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بُنَيَّة ، أكْرِمى مثواه ، ولا يَخلُصنّ إليك ، فإنك لاتحِلين له .

المسلمون يردون عليه ماله ثم يسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السَّرِيَّة الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منّا حيثُ قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تُحْسِنوا وتردّوا عليه الذي له ، فإنّا نحبّ ذلك ، وإن أبيتم فهو فَيْء الله الذي أفاء عليكم ، فأنتم أحقّ به ؛ فقالوا يا رسول الله ، بل نردّه عليه ، فردّوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتي بالدّلو ، ويأتي الرجل بالشَّنَّة وبالإداوة ، حتى إن أحدهم ليأتي بالشِّظاظ ، حتى ردّوا عليه مالَه بأسره ، لا يفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدى إلى كلّ ذي مال من قُريش ماله ، ومن كان أبْضَع معه ، ثم قال : يا معشر قُريش ، هل بَقِي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا . فجزاك الله خيراً ، فقد وجَدْناك وفيًّا كريما قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والله مامَنعني من الإسلام عنده إلا تَخَوُّفُ أنْ تظنُّوا أني أردت أن آكل أموالَكم ، فلما أدّاها الله إليكم وفرغتُ منها أسْلمتُ . ثم خرج حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زوجته ترد إليه

قال ابن إسحاق : وحدثني داود بن الحُصَين عن عِكْرِمة عن ابن عباس قال : ردّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينبَ على النِّكاح الأول لم يُحْدِث شيئا (بعد ست سنين) .

مثل من أمانة أبي العاص

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن أبا العاص بن الرَّبيع لما قَدم من الشام ومعه أموالُ المُشركين ، قِيل له : هل لك أن تُسْلِم وتأخذ هذه الأموالَ ، فإنها أموالُ المُشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ما أبدأُ به إسلامى أنْ أخُون أمانتى .

قال ابن هشام : وحدثنى عبدُ الوارث بن سَعيد التَّنُّورِى ، عن داود ابن أبى هِنْد ، عن عامر الشَّعْبي ، بنحو من حديث أبى عُبيدة ، عن أبى العاص .

الذين أطلقوا من غير فداء

قال ابن إسحاق : فكان ممن سُمّى لنا من الأُسارى ممَّن مَنّ عليه بغير فِداء ، من بَنى عَبْد شمس بن عبد مناف : أبو العاص بن الرَّبيع بن عبدالعُزَّى ابن عبد شمس مَنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه . ومن بنى مخزوم بن يقظة : المُطَّلب ابن حَنْطَب بن الحارث بن عُبيدة بن عُمر بن مَخزوم ، كان لبعض بنى الحارث ابن الخزْرج ، فتُرِكَ فى أيديهم حتى خلَّوا سبيلَه . فلَحِق بقومه .

قال ابن هشام : أسره خالد بن زيد ، أبو أيُّوب الأنصارى ، أخو بنى النجَّار .

قال ابن إسحاق : وصَيْفيُّ بن أبى رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن

مخزوم ، تُرِكَ فى أيدى أصحابه ، فلمّا لم يَأْتِ أحدٌ فى فدائه أخذُوا عليه ليبعَثَنّ إليهم بفِدائه ، فخلَّوْا سبيله ، فلم يَفِ لهم بشىء ، فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

وما كان صَيْفِيٌّ لِيُوفِىَ ذمَّةً ... قَفَا ثَعْلَبٍ أعيا ببعضِ المَوارِدِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأبو عَزّة ، عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أُهَيْب بن حُذافة ابن جُمَح ، كان محتاجا ذا بنات ، فكلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، لقد عرفتَ مالىَ من مالٍ ، وإنى لذو حاجة ، وذو عِيال ، فامْنن علىَّ ؛ فمَنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذَ عليه ألاَّ يُظاهر عليه أحداً . فقال أبو عَزة فى ذلك ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكر فضلَه فى قومه :

مَنْ مُبَلِّغٌ عنى الرّسولَ محمّداً ... بأنك حقٌ والمَليكُ حَميـدُ

وأنت امرؤٌ تَدْعو إلى الحقِّ والهُدى ... عليك من الله العظيم شَهيد

وأنت امْرُؤٌ بُوِّئْتَ فينا مَباءةً ... لها دَرجاتٌ سَهْلة وصُعود

فإنّك مَنْ حارَبْتَه لَمُحارَبٌ ... شَقِىٌ ومَن سالَمْته لَسعيد

ولكن إذا ذُكِّرْتُ بدراً وأهلَه ... تأوَّبَ مابى : حَسْرةٌ وقعود

ثمن الفداء

قال ابن هشام : كان فداء المشركين يومئذ أربعةَ آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا من لاشىء له ، فمَنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه .

. . . .

خبر عكاشة بن محصن

يقال فيه عُـكَّاشَةُ بالتشديد والتخفيف ، وهو من عَـكَشَ على القوم إذ حَمَلَ عليهم ، قاله صاحبُ العين ، وقال غيره العُـكَاشَةُ [والعُـكَّاش] العنكبوت ، وأما سَيْفُه الذى كان جِزْلاً من حَطَبٍ ، فقد قيل إنه لم يزل مُتَوارَثاً عند آل عُـكَاشَة ، وقد روى مثل قول عكاشة فى السيف عن عَبْد الله ابن جَحْش ، وسيأتى ، ذكرها عند غزوة أحد ، وأما قوله :

فإن يذهبوا فِرْغاً بقتل حِبَالِ

فالفِرْغُ أن يُطَلَّ الدمُ ، ولا يطلب بثأره ، وحِبالُ : هو ابن أخى طُلَيْحَة لا ابنُه ، وهو حِبال بن مَسْلَمَة بن خُوَيْلِد ، ومَسْلَمَةُ : أبوه هو الذى قَتَل عُـكَّاشَةَ ، اعتنقه مَسْلَمَةُ وضَرَبه طُلَيْحَةُ على فَرَسٍ ، يقال لها : اللِّزَام ، وكان ثابتٌ على فرس يقال لها : المُحَبَّر ، وقِصَّتُه مشهورة فى أخبار الرِّدَّة .

وذكر الواقدى فى الردة بعد قوله :

فَيَوْماً تراها فى الجلال مَصُونة   ويوما تراها فى ظِلالِ عَوَال

إلى آخر الشعر .

وذكر فى الخبر أن عُـكَّاشة وثابتَ بن أَقْرَم البَلَوِىَّ حليفى الأنصار كانا فى جيش خالد حين نَهَد إلى طُلَيْحة ، فاستقدما أمام جيش خالد للمسلمين ،

. . . .

فرقما فى خيل لطُلَيْحة ، وهو فيهم ، فاستشهدا معاً ، وذلك فى يوم بُزَاخَة[1] ،
كذلك قال كل من ألف فى السِّيَر إلاّ سليمان التَّيمْى ، فإنه ذكر أنَّ عُـكَاشَة
قتل فى سَرِيَّة بعثها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى أسَد ، والأول
هو المعروف .

سبقك بها عكاشة :

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لعُـكَّاشَةَ حين قال : ادعُ الله يارسول
الله أن يجعلَنى منهم ، فدعا له ، ثم قام رجل آخر ، فقال : ادْعُ الله أن يجعلنى
منهم ، فقال : سَبَقَك بها عُـكَّاشة[2] . هـكذا الحديثُ فى الصِّحاح ، وزاد
ابن إسحاق : وبَرَدَت الدعوة .

وذكر أبو عُمر النَّمَرِىُّ عن بعض أهل العلم ، ولم يُسَمِّهم أن الرجل الذى
قيل له : سَبَقَك بها عُـكَّاشة كان مُنافقا ، ولذلك لم يَدْع له رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم. قال المؤلف : وهذا لا يصح ؛ لأن فى مُسْنَد البَزَّار من طريق
أبى صالح عن أبى هُرَيْرَةَ فى هذا الحديث قال : فقام رجل من خيار المهاجرين ،
فقال : ادْعُ الله أن يجعلَنى منهم ، قال ابن بَطَّالٍ معنى قوله : سبقك بها
عكاشة ، أى : سبقك بهذه الصفةِ التى هى صفةُ السبعين ألفا ، تَرْكُ التَّطَيُّر

---

(١) بزاخة : قال الأصمعى : هى ماء لطيء ، وقال أبو عمرو الشيبانى : ماء لبنى أسد « معجم البكرى ، المراصد » .

(٢) وهو فى البخارى ومسلم ، وقد صارت الكلمة مثـلا يضرب للسبق فى الأمر

. . . .

ونحوه، ولم يقل : لستَ منهم ، ولا على أخلاقهم بحسن أدبه عليه السلام ، وتَلَطُّفِه فى الكلامُ [و] لاسِيَّمَا مَع أصحابه الكرام .

قال المؤلف رضى الله عنه ـ والذى عندى فى هذا أنها كانت ساعةَ إجابة عَلِمها عليه السلام ، فلما انقضت ، قال للرجل ماقال، يبين هذا حديثُ أبى سعيد الخُدْرِىِّ ، فإنه قال فيه بعد ذكر عُكَّاشة ، فقام رجل آخر ، فقال : ادْعُ الله أن يجعلنى منهم ، فقال : اللهم اجعله منهم ، ثم سكتوا ساعةً يتحدثون ، ثم قام الثالث ، فقال ادع الله أن يجعلنى منهم،فقال : سَبَقَكَ بها عُكَاشَة ، وصاحبه، ولو قلتَ لقلتُ ، ولوقلتُ لوَجَبَتْ ، وهى فى مسند ابن أبى شَيْبَة ، وفى مسند البزار أيضاً . ويقوى هذ المعنى أيضاً رواية ابن إسحاق ، فإنه زاد ، فقال فيها سبقك بها عُكَّاشة وبَرَدَتْ الدعوة ، فقِف على ماذكرته فى تفسير حديث عكاشة ، فإنه من فوائد هذا الكتاب . وممن لم يشهد بدراً لعُذْرٍ ، وهو من النُّقَباء سَعْدُ بن عُبَادَة سَيِّدُ الخَزْرَج ، لأنه نَهَشَته حَيَّةٌ ، فلم يستطع الخروج، هذا قول القُتَبِيِّ ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ، ولا ابن عُقْبَة فى البَدْرِيِّين، وقد ذكره طائفةٌ فيهم ، منهم ابن الكلبى وجماعة .

نداء أصحاب القليب

مسألة نحوية :

وقوله عليه السلام : ياعُتْبَةُ بن رَبيعَة ، وياشَيْبَة بن ربيعة : الحديث ، يجوز ياشَيْبَةُ بن رَبيعة ، بضم التاء ونصب النون وبنصبهما جميعاً ، أما من يقول:

. . . .

جاءني زيدٌ ابن فلان بالتنوين ، فهو الذي يقول : يا زيدُ ابن بضم الدال ، ويكتب ابن بالألف على هذا ، ومن يقول جاءني زيدُ بنُ بلا تنوين ، فهو الذي يقول في النداء يا زيدَ بن بنصب الدال ، ويكتب ابنا بغير ألف ، لأنه جعل الابن مع ماقبله إسما واحدا ، فعلى هذا تقول ياحارث ابن عمرو فتكتبه بألف ، لأنك أردت ياحارثُ بالضم ، لأنك لو أردت يا حارثَ بن بالنصب لم ترخِّمه ، لأنه قد صار وسط الاسم ، وقد جعله سيبويه بمنزلة قولك : أمرأ ، وكذلك قوله : ويا أباجهل بن هشام إن نوّنت اللام من أبي جهل كتبته الابن بألف ، وإن لم تنوِّنه كتبته بغير ألف .

وذكر إنكارَ عائشة أن يكون عليه السلام قال : لقد سَمِعوا ما قلت ، قالت : وإنما قال : لقد عَلِموا أن الذى كنت أقول حق . قال المؤلف : وعائشة لم تحضر وغيرُها ممن حَضر أحفظُ للفظه عليه السلام ، وقد قالوا له : يارسول الله أتخاطب قوما قد جَيَّفُوا أو أجيفوا[1] ، فقال : ما أنتم بأسْمَعَ لما أقولُ منهم ، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين ، جاز أن يكونوا سامعين ؛ إما بآذان رءوسهم إذا قلنا : إن الروحَ يُعاد إلى الجسد أو إلى بعض الجسد عندالمُساءلة ، وهو قول الأكثرين من أهل السُّنّة ، وإمّا بأذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجُّه السؤال إلى الروح ، من غير رجوع منه إلى الجسد ، أو إلى بعضه ، وقد روى أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه : ﴿ وما أنتَ بمُسْمِع مَنْ في القُبور ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ أفأنت تُسْمِعُ الصُّمَّ أو تَهْدى

---

(١) أى أنتنوا ، أو صاروا جيفا .

. . . .

العُمْىَ ﴾ أى : إن الله هو الذى يهدى ويوفق ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب ، لا أنت ، وجعل الكفار أمواتا وصمّا على جهة التشبيه بالأموات ، وبالصّم ، فالله هو الذى يُسْمِعهم على الحقيقة ، إذا شاء لا نبيّه ، ولا أحد ، فإذاً لا تعلّق بالآية من وجهين ، أحدهما : أنها إنما نزلت فى دُعاء الكفار إلى الإيمان .

الثانى أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم ، وصدق اللهُ فإنه لا يُسْمِعهم إذا شاء إلا هو ، ويفعل ماشاء وهو على كل شىء قدير (١) .

---

(١) ليس الأمر هنا أمر حضور السيدة عائشة القصة أو عدم حضورها ، وإنما الأمر عقيدة تتعلق بعالم الغيب ، ويفرض على كل معرفتها الإيمان بها عن بينة . والسيدة عائشة رضى الله عنها ، وإن لم تكن قد حضرت القصة ، فالرواية تؤكد أنها علمت بها مشافهة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بدليل توكيدها الكلام ، وقد كانت حقا كما وصفها الإسماعيلى «كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم مالا يزيد عليه ، ولعلها سمعت هذا الحديث يردد ، فسألت عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلمت منه ما قاله حينئذ ، فنفت ما نفت ، وأثبتت ما أثبتت والآية القرآنية التى استشهدت بها نص قاطع فى النفى الذى قالت به السيدة عائشة ، وعلى فرض صحة أن الآية فيها مجاز ، وأنها تنفى السماع عن الكفار المشبهين بمن فى القبور ، أقول : على فرض صحة هذا ، فإن هذا التفسير يؤكد صحة فهم السيدة عائشة توكيدا قويا ، فلولا ثبوت أن الرسول صلى الله عليه وسلم لايسمع من فى القبور ما صح تشبيه الكفار بالموتى فكأن المعنى إن هؤلاء الكفار كالموتى ، وأنت لاتسمع الموتى ، وهم فى قبورهم فكذلك لاتستطيع إسماع هؤلاء ، ولكن ماذا يقول السهيلى فى قوله سبحانه : (فإنك لاتسمع الموتى ، ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) فهنا موتى وصم ، وقد نفى الله إسماع نبيه للصنفين ، وفى هذا تصويب لفهم السيدة =

. . . .

من معانى شعر حسان :

فصل : وذكر شعر حسان وقال فيه :

كَخَطِّ الوَحْى فى الوَرَق القَشِيب

القشيبُ فى اللغة : الجديدُ ، ولا معنى له فى هذا البيت ، لأنهم إذا وصفوا الرسومَ وشبَّهوها بالكُتْبِ فى الورق ، فإنما يصفون الخط حينئذ بالدُّرُوسِ والامِّحاء ، فإن ذلك أدل على عَفَاء الديار وطُمُوس الآثار ، وكثرةُ ذلك فى الشعر تغنى عن الاسْتِشْهاد عليه ، ولكن منه قول النابغة :

[وقفت فيها أُصَيْلَانا أسائلها عيت جوابا وما بالرَّبع من أحد
إلا الأوارى لأياما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلَد [1]]

وقول زُهَيْر :

[وقفت بها من بعد عشرين حِجَّةً] فَلَأْياً عَرَفْتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ [2]

= عائشة ، وإثبات أنه هو الحق ، والعلم هنا لا يثبت السمع من الرسول وإنما يثبت أن علمهم من الله سبحانه دون أن يسمعوا شيئا من الرسول « ص » نفسه .

(١) لم يكن فى الروض غير قوله : لأياما أبينها . فرأيت ذكر البيتين ليتم المعنى .

(٢) لم يكن فى الروض غير الشطرة الثانية . وأصيلانا تروى : أصيلالا ، أو : أصيلاكى . والأوارى : جمع آرية وهى الآخية التى تشد بها الدابة . واللأى : الجهد ، والنؤى : الحفيرة حول البيت والخيمة تمنع السيل والمطر . والجلد : الأرض يصعب حفرها .

. . . .

وقال آخر :

وإلاَّ رُسُوم الدارِ قَفْراً كأنها سُطُورٌ محاها الباهِلِيُّ بن أَصْمَعَا

ولكن أراد حسان بالقشيب هاهنا الذى خالطه ما يُفسِده ، إمَّا مِن دَنَسٍ ، وإما من قِدَمٍ ، يقال : طَعَامٌ مُقَشَّب ، إذا كان فيه السُّمُّ . وقال الشاعر : [خُوَيلد بن مرة أبو خِراشٍ الْهُذَلِىُّ] :

[به نَدَعُ الْكَمِىَّ على يديه] نخر تخالُه نَسْراً قَشِيبا[1]

معناه : مَسْمُوم ، لأنالقِشْبَ هو السم[2] قاله ابن قُتَيْبَة فى تفسير حديثٍ آخرُ من يخرج من النار ، وفيه قَشَبَنِى ريحُها ، وأحرقنى ذكاها . وقال أبو حنيفة فى القِشْبِ هو : نبات رَطْبٌ مَسْمُوم يُنْصَب لسباع الطير فى لحم ، فإذا أكلته ماتت ، قال : والعرب يُجَنِّبونه ماشيتَهم فى المرعى، كى لاتُحَطِّمَه ، فيفوحَ من ريحِه مايقتلها ، فقوله فى البيت الذى استشهد به القُتبىُّ : تخاله نَسْراً قشيبا ، أى : نَسْراً أكل ذلك القِشب فى اللحم والله أعلم ، قال : والألْبُ أيضاً ، ضَرْبٌ من القِشْبِ ، إن وجدت ريحَه سباعُ الطير عَمِيت وصَمَّت ، وإن أكلته ماتت ، قال : والضِّجَاجُ أيضاً : كلُّ نباتٍ مَسْموم .

---

(١) فى الأصل : فخر تخالهنسراً قشيبا . فأكملت وغيرت من اللسان . وهناك بيت قبــله .

ولولا نحن أرهقه صهيب حسام الحد مطردا خشيبا

(٢) وهو أيضا الخلط وسقى السم والإصابة بالمكروه المستقذر والافتراء واكتساب الحمد أو الذم والإفساد واللطخ بالشــىء والتعيير وإزالة العقل وصقل السيف .

. . . .

معنى إلقائهم فى القليب :

فصل : فإن قيل: مامعنى إلقائهم فى القَلِيبِ ، ومافيه من الفقه؟ قلنا : كان من سُنَّته عليه السلامُ فى مَغازيه إذا مر بجيفَة إنسانٍ أمر بدَفنِه لا يَسأَلُ عنه مؤمنا، كان أو كافراً ، هكذا وقع فى السُّنَنِ للدَّارَقُطنِى ، فإلقاؤُهم فى القَليبِ من هذا البابِ ، غير أنه كرِه أن يَشُقَّ على أصحابه لكثرة جِيَفِ الكفار أن يأمرَهم بدفنهم ، فكان جرُّهم إلى القَلِيبِ أَيْسَرَ عليهم ، ووافق أن القليبَ حفره رجلٌ من بنى النار ، اسمه : بَدْرٌ، فكان . فألاً مقدّماً لهم ، وهذا على أحد القولين فى بدرٍ، والله أعلم.

عود إلى شعر حسان :

وفى شعر حسان أيضاً :

بنو الأوسِ الغَطارِفِ وازرتْها

ولو قال آزرتْها بالهمز لجاز ، وكان من الأَزْر ،وفى التنزيل (فآزره) أى : شَدَّ أزْرَه ، وقوّاه ، ولكن أراد حسان معنى الوَزِير ، فإنه سمى وَزِيراً من الوِزْرِ ، وهو الثِّقل ، لإنه يَحْمِلِ عن صاحبه ثِقْلاً ويُعينه ، وقيل هو من الوَزَرِ ، وهو الملجأ ، لأن الوزِيرَ يلجأ إلى رأيه ، وقد ألفيْته فى نسخة الشيخ أبى بَحْر : آزَرَتْها مُصْلَحا بغير واو إلَّا أنَّ وازرتْها وزنه : فَاعَلت ، وآزرت وزنه أفْعَلتُ .

. . . .

وقوله :

وعُتْبَةَ قد تركنا بالجُبُوبِ

معنى الجبوب :

الجُبُوب اسمٌ للأرضِ ، لأنها تُجَبُّ أى تحفر وتَجُبُّ من دُفِن فيها ، أى تقطعه ، وهذا القول أولى ، لأنهم قالوا جَبُوبٌ مثل : صَبُور وشَكُور فى المؤنث ، ولم يقولوا جَبُوبة ، فيكون من باب حَلُوبة ورَكُوبة ، ويدخلون فيها الألفَ واللام تارةً ، فيقولون : الجَبُوب ، كما فى هذا البيت ، وتارة يجعلونه اسماً عَلَماً ، فيقولون : جَبُوب ، مثل شَعُوب ، قال الشاعر :

بَنَى على قلبى وعينى مَكَانَه ثوَى بين أحجارٍ رَهِينَ جَبُوبِ

ومنه قيل : جَبَّانٌ وجَبَّانَةَ للأرض التى يُدْفَنُ فيها الموتى ، فهو فَعْلَان من الجَبِّ والجَبُوب ، وهو قولُ الخليل فى معنى الجَبَّانِ ، وغيرُه يجعله فَعَّالاً من الجُبْن .

مرة أخرى شعر حسان :

وقوله :

خاطى الكُعُوب

أى مُكتنِز الكُعُوب قَوِيُّها [والكُعُوب : عُقَد القناة] ، وقولُ حَسَّان: الغَطَارِف ، أراد : الغَطَارِيف كما تقدم فى شعر الجُرْهُمِيِّ :

. . . .

تَطلُّ بهـا أَمْنا وفيها العَصافِر

أراد العصافير ، وحذف الياء ضرورة .

تفسير قول ابن أبي بكر :

فصل : وذكر قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لابنه يوم بدر أين مالى ياخبيثُ ، فقال :

لم يَبْق إلا شِكَّةٌ[1] ويَعْبُوبْ

الشِّكَّةُ : السلاحُ ، واليَعْبُوبُ من الخيلِ : الشديدُ الجَرْى ، ويقال : الطويلُ ، والأَوَّلُ أصَحُّ ، لأنه مأخوذ من عُبَابِ الماء ، وهو شِدَّةُ جَرْيه ، ويقال للجَدْوَلِ الكثير الماء : يَعْبُوبٌ ، وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم فَرَسٌ اسمه : السَّكْب وهو من سَكَبْتُ الماء[2] ، فهذا يقوى معنى اليَعْبُوبِ ، وذكر غير ابن إسحاق أنَّ عبدَ الرحمن بن أبى بكر قال لأبيه بعد ما أسلم : يا أبَتِ لقد أهْدفتَ لى يوم بدر مِراراً فَصَدَفْتُ عنك ، فقال لله لو كنتَ أهْدَفْتَ لى أنت ما صَدَفْتُ عنك[3] .

---

(١) فى السيرة : غير شكة .

(٢) يصف صاحب القاموس الفرس المنسوب إلى النبى «ص» بقوله «وكان كميتا أغر محجلا مطلق اليمنى» ويقال بفتح السين أيضا . ويقال سكب الماء فسكب هو سكوبا .

(٣) فى النهاية لابن الأثير يقال : «أهدف له الشىء واستهدف إذا دنا منه وانتصب له مستقبلا» وفيه ضفت بدلا من صدفت و«معناها : عدلت وملت»

. . . .

العرس والعريش :

فصل : وذكر تنازُعهم فى النفل ، وما احتجت به الطائفةُ الذين كانوا يَحْمُون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العَريش ، والعَريشُ : كلُّ ما أظلَّك وعلاك من فوقك ، فإن علوته أنت فهو عَرْشٌ لك ، لا عَرِيش ، والعَريش أيضا فيما ذَكر أبو حَنيفة أرْبع نخلات أو خمس فى أصل واحد .

بنو عابد وبنو عائذ :

وذكر قول أبى أُسَيْدٍ : وَجَدْتُ يومَ بدر سيف بنى عابدٍ الذى يقال له المَرْزُبَان . بنو عابدٍ فى بنى مَخْزُوم ، وهم بنو عابدِ بنِ عبدِ اللهِ بن عُمَرَ بنِ مَخزوم ، وأما بنو عائذٍ بالياء والذال المعجمة ، فهم بنو عائذِ بن عِمْرَان بنِ مَخزُوم رَهطُ آل المُسَيَّب ، والأولون رَهْطُ آل بنى السائب .

حول القسم :

وأما قوله : فقسمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن بَوَاءٍ يقول : على سَوَاءٍ ، فقد رواه أبو عُبَيْدٍ فى الأموال ، فقال فيه : فقسمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن فُوَاقٍ ، وفسره ، فقال : جعلَ بعضَهم فوقَ بعضٍ ، أى فضَّل فى القسم مَنْ رأى تفضيلَه ، وفى غريب الحديث قولا آخر ، وهو أن معنى عن فُوَاق : السُّرْعة فى القسم كفُوَاق الناقة ، ورواية ابن إسحاق أشهر وأثْبَتُ عند أهل الحديث (١)

(١) فواق بضم الفاء وفتحها ، وفى النهاية لابن الأثير : قسمها فى قدر فواق

. . . .

سبب نزول اول الانفال :

وفى الحديث الذى ذكره أبو عُبَيْد أن سَعْدَ بن أبى وقَّاصٍ ، قال : قتلتُ يوم بدر العاصِيَ بن سَعيد بن العاصى ، وأخذتُ سيفَه ، وكان يقال له : ذو الكَتِيفَة . فأتيت به رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقُلت : يارسول الله ، نَفِّلْنيه ، فأمرنِي أن أجعلَه فى القَبَضِ[1] ، فأخذنى مالا يعلمه إلا الله ، فقلت : قُتِل أخى عُمَيْرٌ وأُخِذَ سَلَبِى فأنزل الله ﴿ يَسْئَلُونَكَ عن الأَنْفَال ﴾ الآية ، فأعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السيفَ[2] ، قال أبو عُبَيْد وأهل السِّيَر يقولون : قَتَل العاصِيَ بنَ سعيد علىٌّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه .

= ناقة ، وهو ما بين الحلبتين من الراحة . . . وعن هاهنا بمنزلتها فى قولك : أعطيته عن رغبة وطيب نفس ، لأن الفاعل وقت إنشاء الفعل إذا كان متصفا بذلك كان الفعل صادرا عنه لا محالة ومجاوزا له .

(١) القبض بفتح القاف والباء : المقبوض .

(٢) رواه الإمام أحمد ، وروى أيضاً بسنده عن سعد بن مالك ، قال : قلت يارسول الله قد شفانى الله اليوم من المشركين ، فهب لى هذا السيف فقال : إن هذا السيف لا لك ، ولا لى ضعه . قال : فوضعته ، ثم رجعت ، فقلت : عسى أن يعطى هذا السيف من لا يبلى بلائى قال : فإذا رجل يدعونى من ورائى قال : قلت قد أنزل الله فى شيئا ؟ قال : كنت سألتنى السيف ، وليس هو لى وإنه قد وهب لك ، فهو لك ، قال : وأنزل الله هذه الآية : (يسئلونك عن الأنفال ، قل : الأنفال لله والرسول) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح ، ورواه على نحو آخر مسلم . وروى فى أسباب نزولها أشياء أخرى .

. . . .

عقبة بن ابى معيط :

فصل : وذكر أن رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتلَ عُقْبَةَ بن أبى مُعَيطٍ ، قال وكان الذى أَسَرَهُ عبد الله بن سَلِمَةَ ، وسَلِمَةُ هذا بكسر اللام ، وهو سَلِمَةُ بن مالك أحدُ بنى العَجْلَانَ بَلَوِيّ بالنَّسب أنصارى بالحِلْف ، قُتِل يومَ أُحُدٍ شهيداً وأما عُقْبَةُ بن أبى مُعَيْطٍ ، فاسم أبى مُعَيطٍ أَبَانَ بن أبى عَمْرو ، واسْمُه ذَكْوَانُ بن أُمَيَّة ، يقال : كان أُمَيَّةُ ، قد ساعَى(١) أَمَةً أو بَغَتْ أَمَةٌ له ، فجاءت بأبى عَمْرو ، فاسْتَلْحَقَه بحكم الجاهلية ؛ ولذلك قال عُمَرُ بنُ الخطَّاب ـ رضى الله عنه ـ لعُقْبَةَ حين(٢) قال : أَأُقْتَلُ من بين قُرَيْشٍ صَبْراً ، فقال عُمَر : حَنَّ قِدْحٌ ليس(٣) منها ، يُعَرِّضُ بنَسَبه ، وذلك أن القِداح فى المَيْسر ربما جُعِل معها قِدْحٌ مستعار قد جُرِّب منه الفَلَحُ واليُمْنُ فَيُسْتَعار لذلك ، ويُسَمَّى . المَنيحَ ، فإذا حُرِّكَ فى الرِبابَةِ مع القِداح تَميزَّ صوته لمخالفة جَوْهَرِه جَوْهَرَ القداح ، فيقال حينئذ : حَنَّ قِدْحٌ ليس

(١) ساعى الأمة : طلبها للبغاء ، وفجر بها

(٢) فى النهاية لابن الأثير أنه قال ذلك للوليد بن عقبة الذى ولاه عثمان الكوفة وأعمالها .

(٣) هو مثل يضرب إلى رجل ينتمى إلى نسب ليس منه ، أو يدعى ما ليس منه فى شىء ، والقدح بالكسر أحد سهام الميسر . وأبو عمرو بن أمية قد تزوج امرأة أبيه زوجة إياها ابنها أبو العاص بن أمية أخوه لأبيه ، وكان نكاحا ينكحه الجاهلية ص ٩٩ نسب قريش

. . . .

منها ، فتمثّل عُمَرُ بهذا المثَل ، يريد أن عُقْبَةَ ليس من قُرَيش[١] ، وكذلك رُوى أن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قال حينَئذٍ : إنما أنتَ يَهُودِيٌّ من أهل صَفُّورِيَةَ[٢] ، لأن الأمَة التى وَلَدت أباه كانت ليهودِيٍّ من أهلِ صَفُّورِيَةَ ، واسمُها : تَرْنَى ، قاله القُتَبِيُّ[٣] ، وكذلك قال دَغْفلُ بنُ حَنْظَلَةَ النَّسَّابة لمعاويةَ حين سأله : هل أدركت عبدَ المطلب ؟ فقال : نعم أدركته شَيْخا وَسيما قَسيما جَسيما يحُفُّ به عَشَرَةٌ مِنْ بنيه كأنهم النجوم ، قال : فهل رأيت أميَّةَ ابن عبد شمس ؟ قال : نعم رأيته أخَيْفِشُ أزَيْرِقُ[٤] دِمياً ، يقوده عبدُه ذَكْوَانُ ، فقال : ويْحَكَ ذاك ابنُه أبو عمرو ، فقال دَغْفَلٌ : أنتم تقولون ذلك.

الطعن فى نسب بنى أمية :

قال المؤلف :

وهذا الطعن خاص بنسب عُقْبَةَ من بنى أمية ، وفى نَسَب أُميَّة نفسه مقالة

---

(١) جعله ابن دريد فى الاشتقاق من رجال قريش ، وكذلك المؤرخ ابن عمرو السدوسى .

(٢) كورة وبلدة من نواحى الأردن بالشام قرب طبرية .

(٣) يقال للأمة والبغى : ترنى كحبلى ، وترنى وابن ترنى: ولد البغى ، ويجوز أن تكون ترنى من رنيت : إذا أديم النظر إليها . يقال : إن أمية جد أبيه خرج إلى الشام ، فوقع على يهودية لها زوج من صفورية فولدت ذكوان المكنى أباعمرو ، وهو والد أبى معيط على فراش اليهودى ، فاستلحقه بحكم الجاهلية .

(٤) أخيفش تصغير أخفش والخفش فساد فى العين يضعف منه نورها ، والغمض دائما من غير وجع والزرقة خضرة فى سواد العين ، وقيل : هو أن يتغشى سوادها بياض . وقيل : الزرق تحجيل يكون دون الأشاعر ، أو بياض لا يطيف بالعظم كله ، ولكن وضح فى بعضه .

. . . .

أخرى تعم جميع الفَصِيلة ، وهى ما رُوى عن سَفِينَة[١] مَوْلى أمِّ سَلَمَةَ حين قِيل له : إن بنى أُمَيَّة يزعمون أن الخِلَافَةَفيهم ، فقال : كذبت استاهُ بنى الزَّرْقَاء ، بل هم مُلوك ، ومن شر الملوك ، فيقال : إن الزَّرْقَاء هذه هى [أُمُّ] أُمَيَّة بن عَبْدِ شَمْسٍ[٢] ، واسمها أَرْنبُ ، قاله الأَصْبَهانِىّ فى كتاب الأمثال ، قال : وكانت فى الجاهلية من صَوَاحِبِ الرايات[٣] .

قال المؤلف رضى الله عنه : وقد عَفَا اللهُ عن أمرِ الجاهِلِيَّة ، ونهى عن الطعن فى الأنساب ، ولو لم يجب الكفُّ عن نَسَبِ بنى أمية إلا لموضع عُثْمان ابن عَفَّان رضى الله عنه ، لكان حَرًى بذلك .

أبو هند الحجام :

فصل وذكر أبا هند الحجّام ، وأنه اتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) وقيل : هو مولى رسول الله « ص » واسمه مهران .

(٢) كلمة أم غير موجودة بالأصل ، والسياق يفرضها وفى نسب قريش أن أم أمية هى نفجة بنت عبيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ص ٩٧ وفى السدوسى أن اسمها تعجز ابنة عبيد بن رؤاس بن كلاب الخ ص ٣٠

(٣) يرى الشهرستانى أنها امرأة كان يختلف إليها النفر فى الجاهلية ، وكلهم يواقعها فى طهر واحد ، فإذا ولدت ألزمت الولد أحدهم وهذه تدعى : المقسمة ويرى غيره أن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات ، يدخل عليها الكثير ، فإذا حملت ووضعت جمعوا لها ، ودعوا القافة ، فيلحقونه بشبهه . ولهذا لا يمكن تصديق ما زعمه الإصبهانى ، وهو يرمى عن فارسيته التى تحاول النيل من أشراف العرب

. . . .

مُنْصَرَفَهُ من بَدْرٍ . أبو هند اسمُه : عبدُ الله ، وهو مولى فَرْوَةَ بن عَمْرو البَيَاضِيّ ، وأما طيبة(١) الحَجَّام فهو مَوْلى بنى حارثة ، واسمه : نافع ، وقيل : دُنَيْر وقيل مَيْسَرَةُ ، ولم يشهد بدراً .

أسارى بدر

ذكر فيهم أبا عَزِيز بن عُمَيْرٍ حين مرّ به ، وهو أسيرٌ على أخيه مُصْعَبٍ ، فقال مُصْعَبٌ للذى أسره : اشْدُدْ يديك(٢) به وذكر الحديث .

قال المؤلف رحمه الله : وقد تقدم فى باب الهجرة خبرُ إسلام مصعب ، وما كانت أمُّه تصنع به ، وأرجأت التعريف به وبإخوته إلى هذا الموضع ، فأما أبو عَزِيز ، فاسمه زُرَارَةُ ، وأمه التى أرسلت فى فدائِه أم الخُنَاسِ بنت مالك العامرية ، وهى أم أخيه مُصْعَبٍ ، وأخته هند بنت عُمَيْر ، وهند هى أم شَيْبَةَ ابن عُثْمانَ حاجبِ الكعبة ، جد بنى شَيْبَةَ أسلم أبو عَزِيزٍ ، وروى الحديث ، وأسلم أخوه أبو الروم ، وأبو يَزِيدَ ، ولا خَفَاءَ باسلام مُصْعَبٍ أخيه ، وغلط الزُّبَيْر بن بَكَّار ، فقال : قُتل أبو عزيز يومَ أُحُدٍ كافراً ، ولم يصح هذا عند أحَدٍ من أهل الأخبار ، وقد روى عنه نُبَيْهُ بنُ وهب وغيره ، ولعلَّ المقتول بأحُدٍ كافراً أخٌ لهم غيره .

---

(١) الصواب : أبو طيبة ، واسمه كما قال السهيلى نافع أو ميسرة وكنيته كما قدمت : أبو طيبة ، وقد ثبت ذكره فى الصحيحين أنه حجم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أنس وجابر وغيرهما .

(٢) فى السيرة : شد يدك .

. . . .

خبر أبي رافع حين قدم فل قريش

اسم أبي رافع : أسلَمُ[1] ، وقال ابنُ مَعينٍ اسمُه إبراهيمُ ، وقيل اسمه : هُرْمُزُ ، وكان عبداً قِبْطِياً للعباس ، فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم العباسُ وبَشَّر أبو رافع رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — بإسلامه ، فأعتقه ، فكان مولى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقيل : كان عبداً لبني سعيد ابن العاصى ، وهم عشرة فأعتقوه إلا خالدَ بنَ سعيد ، فإنه وَهَبَ حِصَّتَه فيه للنبي — صلى الله عليه وسلم — فأعتقه النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — والأول أصح توفى فى قول الواقدى قبل مقتل عثمان بيسير .

ام الفضل وضربها لأبي لهب :

وذكر أبا لهب وضربه لأبي رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أمّ الفَضْلِ له وضربها لأبي لهب ، وأمُّ الفَضْلِ هى لُبَابَةُ الكُبرى بنتُ الحارث [بن حَزْن ابن بُجَيْرِ بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة] الهلاليَّة أختُ مَيْمُونة ، وأختها لبابَةُ الصُّغْرى أمُّ خالدُ بنُ الوليد ، ولدت أمُّ الفضل من العباس سبعةً نُجباء قال الشاعر :

ما وَلَدَتْ نجيبةٌ من فَحْلِ ... كَسَبْعَةٍ من بَطْنِ أمِّ الفَضْلِ

---

(١) وقيل : سنان ، وقيل : يسار ، وقيل : صالح ، وقيل : عبدالرحمن ، وقيل : قزمان ، وقيل : يزيد ، وقيل : ثابت . قال ابن عبد البر : أشهر ماقيل فى اسمه : أسلم ، وقال مصعب الزبيرى : اسمه إبراهيم ، ولقبه بريه ، وهو تصغير إبراهيم .

. . . .

وهم عَبْد الله وعُبَيْد الله ، وعبدُ الرحمن ، والفضل ، ومَعْبدُ ، وقُثَم [1] ، ويقال فى السابع : كَثِيرُ بنُ العباس ، والأَصَحُّ فى كثِير أن أمَّه رُومِيَّة ، ولم تلد أمُّ الفضل من العباس إلَّا مَنْ سَمَّيْنا وأختاً لهم ، وهى أمُّ حَبِيبٍ ، وقد ذكرها ابن إسحاق فى رواية يونس [بن بكير] ، وذكر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ رآها وهى طِفْلةٌ تَدِبُّ بين يديه ، فقال : إن بلغتْ هذه وأنا حَيٌّ تَزَوَّجتُها ، فقُبِض عليه السلامُ قبل أن تَبْلُغ فتزوجها سُفْيانُ بن الأسود

---

(١) هذا رأى محمد بن حبيب فى المحبر ص ٤٠٩ . وقد ذكر مصعب الزبيرى لها ستا هم الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم ، ومعبد وأم حبيب . وللعباس من غيرها الحارث وأمه من هذيل ، وكثير وتمام وأمهما : أم ولد ، وآمنة لأم ولد ، وصفية لأم ولد . والمؤرخ السدوسى يذكر له ثلاثة أولاد : وفى نهاية الأرب للقلقشندى أنه كان للعباس تسعة أولاد منهم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم وعبد الرحمن ومعبد وأمهم لبابة ثم تمام وكثير والحارث ولم يذكر أمهم ص ١٤٣ ط ١٩٥٩ لأبى العباس أحمد القلقشندى وكذلك ذكر فى كتابه قلائد الجمان ص ١٥٦ . وقد زدت فى نسب لبابة ما ورد فى نسب قريش للزبيرى ، وحذف من نسب قريش ص ٢٧ للسدوسى ص ٣٢ أما ابن دريد فى الاشتقاق فذكر أنهم أحد عشر ابنا وعد منهم من أسماؤهم : عبدان وصبح ومسهر ومعبد ، والعجيب أنه لم يذكر منهم عبد الله . هذا وقد كان العباس يحمل تماما ويقول :

تموا بتمام فصاروا عشره يارب فاجعلهم كراما برره
واجعل لهم ذكرا وأنم الثمره

ويذكر ابن حبيب ص ٤٦ فى المحبر أن قثما كان يشبه النبى ، وأن العباس كان يرقصه بقوله :

أيا بنى يا قــــثم أيا شبيه ذى الكرم

. . . .

ابن عَبْد الأسد [بن هلال بن عبد الله بن عمرو] الْمَخْزُومى فولدت له رِزْقاً ولُبَابَةَ[١] .

وذكر ابن إسحاق أن أبا لَهَب حين ضربته أمُّ الفضل بالعَمُود على رأسه قام منكسراً ، ولم يَلْبَثْ إلا يسيراً ، حتى رماه الله بالعَدَسَةِ فقتله .

وذكر الطَّبَرِيُّ فى كتابه أن العَدَسة قَرْحَة كانت العَرَب تَتَشَاءمُ بها ، ويَرَوْن أنها تُعْدِى أشَدَّ العَدوَى ، فلما رُمِيَ بها أبو لَهَبٍ ، تباعد عنه بنُوه ، فبقى ثلاثا لا تُقْرَبُ جنازتُه ، ولا يُدْفَنُ ، فلما خافوا السُّبَّة دفعوه بعود فى حفرته ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه[٢] وقال ابن إسحاق فى رواية يُونُس لم يَحْفُروا له ، ولكن أُسْنِد إلى حائطٍ وقُذفت عليه الحجارةُ من خَلْف الحائط ووُرِيَ[٣] وذكر أن عائشة كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطّت

---

(١) فى كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى ذكر أن اسم زوجها الأسود ابن سفيان بن عبد الأسد الخ . وفى الإصابة : الأسود بن سنان ، وفى كتاب النسب أنها ولدت للأسود : رزقا وعبد الله .

(٢) نص تعبير الطبرى فى تاريخه « فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن فى بيته . وكانت قريش تتقى العدسة وعدوتها كما يتقى الناس الطاعون ، حتى قال لهما رجل : ويحكما ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيبانه ، فقالا : إنا نخشى هذه القرحة الخ » ص ٤٦٢ ح ٢ الطبرى ط المعارف . وقد عرف ابن الأثير فى النهاية العدسة بقوله بثرة تشبه العدسة تخرج فى مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالبا .

(٣) نص تعبير الطبرى : « فما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار ، وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه » =

. . . .

وجهها[١] ، وفى صحيح البخارى أن بعضَ أهله رآه فى المنام فى شَرٍّ رحيبةٍ[٢] ، وهى الحالةُ ، فقال : مالقيتُ بعدَكم ، يعنى . راحةً ، غير أنى سُقيتُ فى مِثْل هذه بعِتْقِى ثُوَيْبَةَ ، هكذا فى رواية الأصيلى عن أبى زيد، وفى رواية غيره ، قال: مالقيتُ بعدكم راحة ، غير أنى سُقِيت فى مثل هذه ، وأشار إلى النُّقْرَه بين السَّبَّابة والإبهام ، بعِتقى ثُوَيْبَةَ[٣] ، وفى غير البُخَارِى أن الذى رآه من أهله هوأخوه العباس ، قال : مكثت حَوْلاً بعد موتِ أبى لهب لَا أراه فى نوم ، ثم رأيته فى شَرٍّ حال ، فقال : مالقيتُ بعدكم رَاحَةً إلا أن العذابَ يخفف عنى كُلَّ

= ص ٤٦٢ ح ٢ . وأولاد أبى لهب هم : عتبة ومعتب أسلما يوم الفتح وثبتا يوم حنين ، وأختهما درة لها صحبة ، وهى من المهاجرات ، وأما عتيبة فقتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام ؛ وقد روى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح بين عتبة ومعتب يقول للناس : هذا أخواى وابنا عمى — فرحا بإسلامهما — استوهبتهما من الله ، فوهبهما لى .

(١) قال الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية . قال البرهان : الظاهر أن ذلك لنتنه ، فكأنه كان يظهر من قبره إهانة له أبدا ، ويحتمل أن ملها ذلك لكونه محل عذاب ، كما فعل — صلى الله عليه وسلم — حين مر بالحجر ، فغطى وجهه بثوبه واستحث راحلته ، إشارة إلى التباعد عنه ، ص ٤٥٢ ح ١ .

(٢) فى رواية الشيخين : خيبة ، فقد أخرجا عن عروة قال أعتق أبو لهب ثويبة ، فأرضعت رسول الله « ص » فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله فى النوم بشر خيبة ، فقال له : ماذا لقيت ؟ قال : لم ألق بعدكم رخاء .

(٣) التى أرضعت النبى صلى الله عليه وسلم : قال أبو نعيم : لاأعلم أحداً أثبت إسلامها ، وفى طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تسلم ماتت سنة سبع مرجع النبى « ص » من خيبر . وكانت خديجة تكرمها وهى ملك أبى لهب ، وسألته أن يبيعها لها فامتنع ، فلما هاجر النبى « ص » أعتقها .

. . . .

يوم اثنين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولِدَ يوم الإثنين ، وكانت ثُوَيْبَةُ قد بَشَّرته بمولده ، فقالت له : أشَعَرْتَ أن آمِنَةَ وَلَدَتْ غُلاما لأخيك عبدِ الله ؟ فقال لها : اذهَبِي ، فأنتِ حُرَّةٌ ،فنفعه ذلك[١] ، وهو فى النار كما نفع أخاه أبا طالب ذَبُّهُ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو أهون أهلِ النار عذاباً ، وقد تقدم فى باب أبى طالب أن هذا النفع إنما هو نُقصَانٌ من العذابِ ، وإلا فَعَمَلُ الـكافر كلُّه مُحْبَطٌ بلا خِلافٍ ، أى : لايجده[٢] فى ميزانه ، ولا يدخل به جَنَّةً ، وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصل ثُوَيْبَةَ من المدينة ويُتْحِفُها ؛ لأنها كانت أرضعته ، وأرضعت عمَّه حمزةَ ، ولما افتتح مكة سأل عنها ، وعن ابن لها اسمه : مَسْرُوحٌ ، فأخبر أنهما قد ماتا[٣] .

---

(١) هو لم يعتقها إلا بعد الهجرة ، وليس للمشرك عند الله عمل فكل عمله حابط . يقول سبحانه (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين) الزمر : ٦٥ وقال : (ومن يكفر بالايمان ، فقد حبط عمله) المائدة : ٥ وقال (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) هود : ١٥ ١٦ هذه الآية تؤكد أن هؤلاء يوفون أعمالهم فى الدنيا ، أما فى الآخرة فليس لهم من جزاء إلا النار . والاستثناء هنا لا يدع شيئا من ظن أو توهم حول هذا . كما تؤكد أن ما صنعوا فى الدنيا حابط عند الله ، وأن ما عملوه كان باطلا .

(٢) إن نقصان العذاب ثواب ورحمة ، فكيف لا يجد شيئا فى ميزانه ، ثم ينال ثوابا ورحمة .

(٣) مات ابنها قبلها . ويقول الحافظ فى الإصابة : « ولم أقف فى شىء من الطرق على إسلام ابنها مسروح ، وهو محتمل »

. . . .

ضبيرة :

وذكر المُطَّلِبَ بنَ أبى وَدَاعَةَ بن ضُبَيْرَةَ ، وقد ذكر الخطابى عن العَنْبَرِىّ أنه يقال فيه : ضُبَيْرَة بالضاد المعجمة ، واسم أبى ضُبَيْرة : عَوْفٌ .

ابن الدخشم :

وذكر مالكَ بن الدُّخْشُم [بن مِرْضَخةَ] ويقال فيه : الدُّخَيْش ، ويقال فيه : ابن الدُّخَيْش(١) ويقال : إنه الذى سارَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من الأنصار ، فلم يدر ماسارَّه به حتى جَهَر النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يستأذنه فى قَتْلِهِ ، وهو فى حديث الموطأ ، والذى سارَّه هو عِتْبانُ بنُ مالك(٢) ، وقد برأ النبى صلى الله عليه وسلم مالكَ بنَ الدُّخْشُم من النفاق ، حيث قال : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قالوا : بَلَى ، قال أليس يُصَلِّى ؟ قالوا : بَلَى ، فقال فى حديث الموطأ : أولئك الذين نهانى الله عنهم ، وقال

---

(١) جعله ابن دريد من الخزرج ، أما الحافظ فى الفتح ، فيقول إنه من بنى عوف بن عمرو بن عوف الأنصارى الأوسى .

ملحوظة : ذكر ابن هشام عن البيت الأخير من قصيدة الأسود الدالية أن فيه إقواء . قال أبو ذر الخشنى عن هذا « هو الذى سماه إكفاء أكثر الناس من أهل القوافى يسميه : إقواء ، والإقواء عندهم : اختلاف الحركات ، والإكفاء : اختلاف الحروف فى القوافى » ص ١٦٣ .

(٢) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم ابن عوف بن عمرو بن عوف بن عوف بن الخزرج الأنصارى الخزرجى السالمى وحديثه فى الصحيحين ، وأنه كان إمام قومه بنى سالم

. . . .

فى حديث مُسْلِم : فإن الله قد حرّم على النارِ من قال لا إله إلّا الله يبتغى بها وَجْه الله .

حول شعر مكرز :

وذكر مِـكرز، وقد تقدم فى اسم مِـكْرَزٍ أنه يقال بكسر الميم وفتحها ، ولـكن لا يُرْوَى فى السيرة إلا بالـكسر .

وقول مِـكْرَز :

فَدَيتُ بأذْوَادٍ ثِمَانٍ سِبَافَتِيّ

بكسر الثاء من ثِمَانٍ ، لأنه جمع ثمين ، مثل سَمِين وسمان[١] .

أبو العاصى بن الربيع :

وذكر أبا العاصِى بن الرّبيع بن عبد العُزّى ، واسم أبى العاصى : لَقِيطٌ ، وقيل فيه : هاشم وقيل مِهْشَم[٢] ، وقيل هشَيم ، وهو الذى يقول فى أهله زَيْنَبَ بنتِ رَسُولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان بالشام تاجراً حين قالها :

---

(١) يقول الخشنى : من رواه ثمان بكسر الثاء ، فعناه ، غالية الثمن ، ومن رواه بفتح الثاء ، فهو من العدد ص ١٦٤ .

(٢) تقال بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الشين ، أوبضم الميم وفتح الهاء وكسر الشين الثقيلة . وكان يلقب جرو البطحاء والأمين ، ومن أسمائه أيضاً : ياسر أو قاسم .

. . . .

ذكرت زينبَ لما يَمَّمَتْ إضماً[1] فقلتُ: سَقْياً لشخصٍ يسكن الحَرَما

بنت الأمين جزاها اللهُ صالحةً وكلُّ بَعْلٍ سيُثْني بالذى عَلِما

ولدت له زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمَامَةَ وعَلياً ، مات علىٌّ وهو صغير ، وتزوج أُمَامَةَ علىُّ بن أبى طالب ، وتزوجها بعده المغيرةُ بن نَوْفَلٍ[2] ، وهى التى جاء فيها الحديثُ رواه عَمْرو بن سليم الزُّرَقِى عن أبى قَتَادَةَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى ، وهو حامل أُمَامَةَ بنت زينب الحديث[3] قال عَمْرو بن سليم : كانت تلك الصلاةُ صلاةَ الصبح ، هكذا رواه [عبد الملك بن عبد العزيز] بن جُرَيْج عن ابن عِتَابٍ عن عَمْرو ابن سليم ، ورواه ابن إسحاق فى غير السِّيرة عن الْمَقْبرى عن عَمْرو بن سليم ، فقال فيه : فى إحدى صلاتى الظهر أو العصر ، وكان الذى أسر أبا العاصى من الأنصار عبدُ الله بن جُبَيْر ، ذكره غير ابن إسحاق ، وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عُتْبَة بن أبى لهب ، وأمُّ كُلثوم تحت عُتَيْبَة ،

---

(١) يقول البكرى فى معجمه عن إضم : واد دون المدينة أو جبل لأشجع وجهينة أو واد لهم . وفى المراصد : ماء تطؤه الحاج بين مكة واليمامة عند السمينة ، وقيل هو الوادى الذى فيه مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الخ .

(٢) تزوجها على بعد موت خالتها فاطمة لوصية منها ، وقد زوجها له الزبير ، وتزوجها المغيرة بوصية من على ص ٢٠٥ حـ ٢ السيرة الحلبية .

(٣) حديث صلاة الرسول « ص » وهو يحمل أمامة موجود فى الصحيحين وقد ماتت أمامة عند المغيرة ، فليس لزينب عقب .

. . . .

فطلقاها بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين(١) نزلت { تَبَّتْ يدا أبى لَهَبٍ }
فأما عُتَيْبَة ، فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يُسَلِّط الله عليه كَلْباً من كلابه فافترسه الأسدُ من بين أصحابه ، وهم نيام حوْله ، وأما عُتْبَةُ ومُعَتِّب ابنا أبى لهب ، فأسلما ولهما عقب .

وقوله فى خبر هندٍ فلا تَضْطَنِي منى . تَضْطَنِي ، أى : لا تَنْقَبِضِى عنى وشاهدُه [قَوْلُ الطِّرِمّاح بن حكيم] :

إذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ والده اضْطَنَى ولا يَضْطَنِى من شَتْمِ أهلِ الفضائِلِ(٢)

هكذا وجدتُه فى حاشية الشيخ ، وقد رُوى هذا البيت فى الحماسة : يَضَّنِى بالضاد المعجمة ، وكأنه يفتعل من الضنى وهو الضعف .

---

(١) أنظر ص ٢٢ كتاب نسب قريش للمصعب الزبيرى .

(٢) البيت من قصيدة الطرماح بن حكيم أولها

لقد زادنى حبا لنفسى أننى بغيض إلى كل امرىء غير طائل
وإنى شقى باللئام ولا ترى شقيا بهم إلا كريم الشمائل

وهى فى الحماسة : يضطنى كما روى السهيلى البيت ، لا كما قال بعده . وقد شرح بما يأتى : اضطنى افتعل من الضنى أى أنه يضنى إذا ذكر صنيع والده لقبحه ومع هذا يشتم أهل الفضائل ولا يضنى منه . ويقول الخشنى فى شرح السيرة فى تفسير تضطنى : من رواه بالضاد والنون المخففة . فمعناه : لا تختفى ولا تستحى وأصله : الهمز ، يقال : اضطنأت المرأة : إذا استحيت ، فحذف الهمزة تخفيفا . ومن رواه : تظطنى فهو من ظننت التى بمعنى : اتهمت ، أى : لاتتهمنى ولاتسترب منى .

. . . .

اتباع قريش لزينب :

فصل : وذكر خروجَ زينبَ بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة ، واتباع قريش لها ، قال : وسبق إليها هبَّارُ بن الأسْوَدِ والفِهْرِيُّ ، ولم يُسمِّ ابنُ إسحاق الفِهْرِيَّ ، وقال ابنُ هشام : هو نافع بن عَبْدقيس ، وفي غير السيرة أنه خالدُ بن عبد قيس ، هكذا ذكره البزار فيما بلغني .

وذكر أن زَيْنبَ حين رَوَّعها هَبَّارُ بن الأسود أَلْقَتْ ذَا بَطْنها ، وزاد غير ابن إسحاق أنه نَخَسَ بها الراحلة فسقطت على صَخْرَةٍ ، وهي حامل فهلك جَنِينُها ، ولم تزل تُهْرِيقُ الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد إسلام بَعْلِها أبي العاصي .

وذكر الزبير أن هَبَّارَ بن الأسْوَدِ لما أسلم وصحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان المسلمون يَسُبُّونه بما فعل ، حتى شكا ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : سُبَّ من سَبَّك يا هَبَّار ، فكف الناسُ عن سَبِّه بعد. ولدت زَيْنَبُ [أمامة] وهي التي جاء فيها الحديث رواه عَمْرو بن السليم ابن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزُّرَقِيّ عن أبي قَتَادَة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يُصَلِّي وهو حاملٌ أُمَامَةَ بنتَ زينبَ الحديث . قال عَمْرو بن سليم إلى آخر ما تقدم قريباً .

تفسير قصيدة أبي خيثمة :

وذكر شعر ابن رَوَاحَة ، وقيل بل قالها أبو خيثَمَة ، وفيها :

على مَأْقِطٍ وبيننا عِطْرُ مَنْشَمِ

. . . .

المَأقِط : مُعترك الحرب[١] ، وعِطرُ مَنْشَم كناية عن شدة الحرب ، وهو مَثَلٌ ، وأصلُه ـ فيما زعموا ـ أن مَنْشَم كانت امرأةً من خُزَاعَةَ تبيع العطر والطيب ، فيُشتَرى منها للموتى ، حتى تشاءَموا بها لذلك ، وقيل : إن قوما تحالفوا على الموتِ ، فغمسوا أيديهم فى طيب مَنشَم المذكورةِ تأكيداً للحِلْفِ ، فضرب طيبُها مثلا فى شدة الحرب ، وقيل: مَنْشَمُ امرأة من غُدَانَةَ ، وهو بطن من تميم ، ثم من بنى يربوع بن حَنظَلة وأن هذه المرأةَ هى صاحبةُ يَسارٍ الذى يقال له يَسَار الكواعب ، وأنه كان عبداً لها ، وأنه راودها عن نفسِها ، فقالت له : أمْهِلْ حتى أُشمَّك طيبَ الحرائر ، فلما أمكنها من أنفِهِ أنحَتْ عليه بالموسى حتى أوْعَبَتْه[٢] جَدْعًا ، فقيل فى المثل. لاقى الذى لاقى يَسارُ الكَوَاعِب ، فقيل : عِطر مَنْشَم[٣]

---

(١) المأقط : الضيق فى الحرب ، وقال ابن سراج : المأقط : موضع الحرب غير مهموز من المقط وهو الضرب «الخشنى ص ١٦٥».

(٢) استأصلته .

(٣) اختلف الرواة فى لفظ هذا الاسم ومعناه واشتقاقه ، وفى سبب المثل فانه يقال : منشم بفتح الشين وكسرها ومشأم . وفى معناه قال أبو عمرو بن العلاء إن المنشم هو الشر بعينه ، وزعم غيره أنه شىء يكون فى سنبل العطر يسميه العطارون : قرون السنبل ، وهو سم ساعة ، وقيل إن المنشم ثمرة سوداء منتنة وقيل اسم امرأة ، وأما اشتقاق منشم فقالوا إنه اسم موضوع كسائر الأسماء الأعلام . وقيل هو اسم وفعل ، فأصله : من شم ، فحذفوا الياء الثانية وجعلوا الأولى حرف إعراب ، وقيل : هو من نشم فى كذا إذا بدأ فيه . وهناك اختلاف فى سبب المثل مذكور فى كتب الأمثال ، وقد تقدم فى الجزء الأول ذكر يسار .

. . . .

وفى الشعر :

بذى حلَقٍ جَلْد الصَّلاصِل مُحكمَ

يعنى : الفُلَّ ، والصَّلاصِل جمع : صَلْصلَة ، وهى صَلْصَلَةُ الحديد .

وذكر قول هند بنتِ عُتْبة لِفَلِّ قُرَيْش حين رجعوا من بدر .

أَفِى السِّلْمِ أَعْياراً جَفَاءً وغِلْظَةً وفى الحرب أشباهَ النساءِ العَوارِكِ[1]

يقال : عرَكَتْ المرأةُ ودَرَسَت وطَمَثتْ إذا حاضت ، وقد قيل أيضاً يقال : ضَحِكَتْ إذا حاضت ، وتأول عليه قوله تعالى ﴿[وامرأتُه قائمة] فَضَحِكَتْ فَبَشَّرناها بإسْحَاقَ ﴾ وقد قيل أيضا : يقال : أَكْبَرَتِ المرأةُ إذا حاضت ، وحمل بعضُهم عليه قولَه تعالى : ﴿ أَكْبَرْنَه وقَطَّعن أيديَهُنَّ ﴾ والهاء على هذا القول من أَكْبَرْنه عائدةٌ على المصدر ، وهو تأويلٌ ضعيف ، ونَصَبَ أَعْيَاراً على الحال ، والعامل فيه فِعلٌ مُختزَلٌ لأنه أقام الأعْيَار مقام اسم مشْتَقٍّ ، فكأنه قال : أفى السِّلم بُلداء جُفَاةً مثل الأعْيارِ ، ونصب جفاء وغِلْظةً نَصْبَ المصدرِ الموضوع مَوْضع الحال ، كما تقول : زيد الأسَدُ شِدَّةً ، أى يماثله مماثلة شديدة ، فالشدةُ صفة للمُمَاثَلة ، كما أن المشَافَهة صفَة للمُكالمة ، إذا قلت : كَلَّمْتُه مُشَافَهة فهذه حال من المصدر فى الحقيقة ، وتعلُّق حرفِ الجرِّ

---

(١) البيت من شواهد سيبويه فى الكتاب ، وأعيارا وأشباه النساء منصوبان عنده على المصدر ، أما عند السيرافى فمنصوبان على الحال . والأعيار : جمع عير — بفتح العين الحمار أهليا كان أم وحشيا . والجفاء : الغلظة . والفل : القوم المنهزمون ، والاستفهام فى البيت للتوبيخ .

. . . .

من قولها : أفى السِّلم ، بما أدّته الأعيار من مَعْنى الفعل ، فكأنها قالت : أفى السِّلم تَتَبَلَّدُون ، وهذا الفعل المختزَل الناصب للأعيار لايجوز إظهارُه للسر الذى نبهنا عليه فى قول المبرق [عبد الله بن الحارث] :

وَعائِذاً بك أن يعلوا فَيُطغُونِى

أنظره فى الهجرة إلى الحبشة .

رد زينب على زوجها :

وذكر عن داود بن الُحصَيْن عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم ردَّ زينب على أبى العاصى على النكاح الأول ، لم يُحْدث شيئاً بعد سِتِّ سنين ، ويعارض هذا الحديثَ ما رواه عَمْرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جده ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديدٍ ، وهذا الحديث هو الذى عليه العملُ ، وإن كان حديثُ داود بن الُحصَيْن أَصَحَّ إسناداً عند أهل الحديث ولكن لم يَقُلْ به أحدٌ من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام قد كان فرق بينهما ، قال الله تعالى : ﴿ لاهُنَّ حِلٌّ لهم ، ولاهم يَحِلُّون لهن ﴾ ومَنْ جَمَع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول ، أى : على مثل النكاح الأول ، فى الصداق والحباء لم يُحْدث زيادة على ذلك من شرط ، ولا غيره .

. . . .

شعر بلال فى مقتل أمية :

وذكر قتل بلالٍ لأُمَيَّة بن خلف ولم يذكر شعره فى ذلك ، وذكره ابن إسحاق فى غير هذه الرواية وهو :

فلما التقينا لم نُكَذِّب بحملةٍ   عليهم بأسيافٍ لنا كالعقائقِ
ومطرورة حُمْرُ الظُّبَاةِ كأنها   إذا رُفِعتْ أشطانُ ذاتِ الأبارق
بنى جُمَح قد حلَّ قَعْصٌ بشيخكم   على ماء بَدْرٍ رأسِ كلِّ مُنافِقِ
هَجَمْنا عليه الموتَ واشتجرتْ به   مَصاليتُ الأنصارِ غيرُ زَوَاهِق
هَوَى حين لاقانا وفُرِّقَ جَمْعُه   على وجهه فى النار مِن رَأسِ حالِق

وذكر الزبير فى هذا الخبر عن ابن سلام عن حَمَّاد بن سَلَمة أن أميَّة حين أحاطت به الأنصار ، قال : يا أحدٌ رأى ، أما لكُم باللَّبَن حاجةٌ ؟ قال : وكان أميَّة يُذكر بفصاحته ، ومعنى هذا الكلام : هل رأى أحدٌ مثل هذا ، ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مُقَاتِلِ بن سُليمان ، قال : قال النَّضرُ بن الحارث حين نزلت ﴿قل : إنْ كان للرَّحْمن وَلَدٌ فأنا أول العابدين﴾ الزخرف : ٨١ الآية ، وكان النضر قد قال : الملائكة بناتُ الرَّحْمنِ ، فلما سَمِع الآية قال ألا تَرَاه قد صَدَّقنى ، فقال له أميَّة بن خلف ـ وكان أفصح منه ـ لا والله ، بل كَذَّبك ؛ فقال : ما كان للرحمن من ولد ، وروى عن ثَعْلب أنه قال فى قول أمية ، يا أحَدٌ : يا استِفتاحٌ ، ومعناه يا هؤلاء أحدٌ راءٍ .

إسلام عمير بن وهب

صفوان يحرضه على قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بنُ جَعْفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير قال : جلس عُمير بن وهب الُجمحي مع صَفوان بن أُميَّة بعد مُصاب أهل بدر من قُريش في الحِجْر بيَسير ، وكان عُمَير بن وَهْب شيطانا من شياطين قُريش ، وممَّن كان يُؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه ، ويَلْقون منه عَناء وهو بمكة ، وكان ابنُه وَهْب بن عُمير في أسارى بدر .

قال ابن هشام : أسره رفاعة بن رافع أحد بني زُرَيق .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جَعْفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير ، قال : فذكر أصحابَ القَليب ومُصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ في العيش بعدهم خيرٌ ؛ قال له عُمير : صدقت والله ، أمَا والله لولا دَيْنٌ عليّ ليس له عندي قضاء وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيعةَ بعدي ، لركبتُ إلى محمد حتى أقتلَه ؛ فانّ لي قبلهم علّةً : ابني أسيرٌ في أيديهم ؛ قال : فاغتَنَمها صفوان وقال : عليّ دينُك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالُك مع عيالي أواسيهم ما بقُوا ، لا يَسَعُني شيء ويعجز عنهم ؛ فقال له عُمير : فاكتم شأني وشأنك ؛ قال : أفعل .

رؤية عمر له وإخباره الرسول بأمره

قال : ثم أمر عُميرٌ بسَيْفه ، فشُحِذ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدِم المدينَة ؛

فبينا عمرُ بن الخطّاب فى نَفر من المُسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوّهم ، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشّحا السّيف ، فقال : هذا الكلب عدوّ الله عُمير ابن وهب ، والله ماجاء إلا لشرّ ، وهو الذى حرّش بيننا ، وحَزَرنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عُمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يانبيّ الله ، هذا عدوُّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحا سيفَه ؛ قال : فأدْخله علىّ ، قال : فأقبل عُمر حتى أخذ بحِمالة سيفه فى عُنقه فلبَّبه بها ، وقال لرجال ممّن كانوا معه من الأنصار : ادخُلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فانه غيرُ مأمون ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرسول يحدثه بما بينه هو وصفوان فيسلم

فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرُ آخذٌ بحمالة سَيْفه فى عُنقه ، قال : أرْسله ياعمر ، ادنُ يا عُمير ؛ فدنا ثم قال : إنعَموا صباحا ، وكانت تحية أهل الجاهليَّة بينهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيَّتك يا عُمير ، بالسَّلام : تحيَّة أهل الجنَّة : فقال : أما والله يامحمد إنْ كنتُ بها لحديث عهد ؛ قال : فما جاء بك ياعُمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيْدِيكم فأحْسِنوا فيه ؛ قال فما بالُ السيف فى عُنقك ؟ قال : قبّحها الله من سُيوف ، وهل أغنت عنَّا شيئا ؟ قال : اصْدُقنى ، ما الذى جئتَ له ؟

قال : ماجئتُ إلا لذلك ؛ قال : بل قعدتَ أنت وصفوان بن أُميّة فى الحِجْر ، فذكرتما أصحابَ القَليب من قُريش ، ثم قلت : لولا دَينٌ علىّ وعيالٌ عندى لخرجتُ حتى أقتل محمداً ، فتحمّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك ، على أن تقتلنى له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك ؛ قال عُمير : أشهد أنك رسولُ الله ، وقد كنّا يارسول الله نُكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما يَنزل عليك من الوحى ، وهذا أمرٌ لم يحضُره إلا أنا وصَفْوان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المَساق ، ثم شهِد شهادة الحقّ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فقِّهوا أخاكم فى دينه وأقرِئوه القرآن ، وأطلِقوا له أسيرَه ، ففعلوا .

رجوعه إلى مكة يدعو للإسلام

ثم قال : يارسول الله ، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذَى لمن كان على دين الله عزّ وجلّ ، وأنا أحبّ أن تأذن لى ، فأقدَم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى الإسلام ، لعلّ الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذِى أصحابك فى دينهم؟ قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلَحِق بمكة . وكان صفوانُ ابن أميّة حين خرج عُمير بن وهب ، يقول : أبْشروا بوَقْعة تأتيكم الآن فى أيام ، تُنسيكم وقعةَ بدر ، وكان صفوانُ يسأل عنه الرُّكْبان ، حتى قدم راكبٌ فأخبره عن إسلامه ، فحلَف أن لا يكلِّمه أبداً ، ولا يَنْفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة ، أقام بها يَدْعو إلى الإسلام ،

ويؤذى مَنْ خالفه أذًى شديداً ، فأسلم على يديه ناسٌ كثير .

هو أو ابن هشام الذى رأى إبليس . وما نزل فيه

قال ابن إسحاق : وعُمير بن وَهْب ، أو الحارث بن هشام ، قد ذُكر لى أحدهما ، الذى رأى إبليسَ حين نَكَص على عقبيه يوم بدر ، فقال : أينَ ، أىْ سُراق ؟ ومَثَلَ عدوُّ الله فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه . ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لاغالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وإِنى جارٌ لَكُمْ ﴾. فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتَشَبُّهه بسُراقة بن مالك بن جُعْشم لهم ، حين ذكروا مابينهم وبين بَنى بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم . يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتانِ ﴾ ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيد الله بهم رسولَه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوّهم ﴿ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى ما لاتَرَوْنَ ﴾ . وصدق عدوّ الله ، رأى مالم يَرَوْا ، وقال : ﴿ إِنِّى أَخافُ اللهَ ، وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقابِ ﴾ . فذُكِر لى أنهم كانوا يَرَوْنه فى كلّ منزل فى صُورة سُراقة لايُنكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوْردهم ثم أسلمهم.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : نكص : رجع . قال أوْس بن حَجَر ، أحد بنى أُسيْد ابن عَمْرو بن تميم :

نَكَصْتُمْ على أعقابكم يومَ جئتُمُ ... تُزَجُّون أنفالَ الخميس العَرَمْرَمِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

شعر لحسان فى الفخر بقومه وما كان من تغرير إبليس بقريش

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت :

قَوْمى الذين همْ آوَوْا نبيَّهمُ ... وصدَّقوه وأهلُ الأرْض كُفَّارُ

إلا خَصائصَ أقوام همُ سَلَفٌ ... للصَّالحين مع الأنصار أنْصار

مُسْتبشرين بقَسْمِ الله قولُهم ... لمَّا أتاهُمْ كريمُ الأصل مُختار

أهلاً وسهلاً ففى أمْنٍ وفى سَعَة ... نِعْم النَّبىُّ ونِعْم القَسْم والجار

فأنْزلوه بدار لا يُخاف بها ... من كان جارَهم داراً هى الدَّار

وقاسموه بها الأمْوال إذْ قدموا ... مهاجرين وقَسْمُ الجاحدِ النَّار

سِرْنا وسارُوا إلى بَدْر لحَيْنهمُ ... لو يعلمون يَقينَ العِلْم ما ساروا

دلاَّهُمُ بغُرُورٍ ثم أسْلمهم ... إنَّ الخبيث لمن والاهُ غَرَّار

وقال إنى لكم جارٌ فأوْرَدَهم ... شرَّ المَوارد فيه الخزْى والعار

ثم التقَينا فولَّوْا عَن سَراتِهمُ ... منْ مُنْجدين ومنهم فِرْقة غارُوا

قال ابن هشام : أنشدنى قوله « لمـا أتاهم كريم الأصل مختار » أبو زيد الأنصارى .

المطعمون من قريش

من بنى هاشم

قال ابن إسحاق : وكان المُطْعِمون ، من قُرَيش ، ثم من بَنى هاشم بن عبد مناف : العباس بن عبد المطلب بن هاشم .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عَبْد شَمْس بن عبد مناف : عُتبة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس .

من بنى نوفل

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نَوْفل ، وطُعَيمة ابن عَدِىّ بن نوفل ، يعتقبان ذلك .

من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى : أبا البَخْتَرىّ بن هشام بن الحارث بن أسَد ، وحَكيم بن حزام بن خُوَيلد بن أسد ، يَعْتقبان ذلك .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : النُضْر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار .

نسب النضر

قال ابن هشام : ويقال : النضر بنُ الحارث بنِ عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار .

من بنى مخزوم

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : أبا جهل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم .

من بنى جمح

ومن بنى جُمح : أُميَّةَ بنَ خَلف بنِ وهب بن حُذافة بن جُمح .

من بنى سهم

ومن بنى سَهم بن عمرو : نُبَيها ومُنبِّها ابنى الحجَّاج بن عامر بن حُذيفة ابن سَعد بن سَهْم ، يَعْتقبان ذلك .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤىّ : سُهَيل بن عمرو بن عَبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر .

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أنَّه كان مع المُسلمين يوم بدر من الخيْل ، فَرَس مَرْثَد بن أبى مَرْثد الغَنوىّ ، وكان يقال له : السَّبَل ؛

وفرس المِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وكان يقال له : بَعْزَجة ، ويقال : سَبْحة ؛
وفرس الزبير بن العوّام ، وكان يقال له : اليَعْسوب .

خيل المشركين

قال ابن هشام : ومع المشركين مائة فرس .

نزول سورة الأنفال

ما نزل فى تقسيم الأنفال

قال ابن إسحاق . فلما انقضى أمرُ بدر ، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسرها ، فكان مما نَزَل منها فى اختلافهم فى النَّفل حين اختلفوا فيه ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ ، قُلِ الأنْفالُ لِلهِ والرَّسُولِ ، فاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وأطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين ﴾ .

فكان عُبادة بن الصَّامت ـ فيما بلغنى ـ إذا سُئل عن الأنفال ، قال : فينا معشرَ أهل بدر نَزَلت ، حين اختلفنا فى النَّفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقُنا ؛ فردّه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقسّمه بيننا عن بَواء ـ يقول : على السواء ـ وكان فى ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعةُ رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاحُ ذات البين .

ما نزل فى خروج القوم مع الرسول لملاقاة قريش

ثم ذكر القومَ ومسيرَهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف

القومُ أنّ قريشاً قد ساروا إليهم ، وإنما خرجوا يُريدون العِير طمعاً فى الغَنيمة .
فقال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ، وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ : أى كراهية للقاء القوم ، وإنكاراً لمسير قُريش ، حين
ذكروا لهم ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ، وَتَوَدُّونَ
أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ : أى الغنيمة دون الحرب ﴿ وَيُرِيدُ
اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ : أى بالوقعة التى
أوقع بصَناديد قريش وقادتهم يومَ بدر ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ أى لدعائهم
حين نظروا إلى كَثْرة عدوّهم ، وقلّة عددهم ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ بدعاء
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم ﴿ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُرْدِفِينَ ﴾ * ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ : أى أنزلت عليكم الأَمَنة حين
نمتم لاتخافون ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ للمطر الذى أصابهم تلك
الليلة ، فحَبَس المشركين أن يَسْبقوا إلى الماء ، وخلّى سبيل المسلمين إليه
﴿ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ : أى ليذهب عنكم شكّ الشيطان ، لتخويفه إياهم
عدوّهم ، واستجلاد الأرض لهم ، حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سَبقوا إليه
عدوّهم .

ما نزل فى تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر ، وتحريضهم

ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ

آمَنُوا ﴾ : أى آزروا الذين آمنوا ﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ ، وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ ، ثم قال: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ : أى تحريضاً لهم على عدوّهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدَهم الله فيهم ما وعدهم .

ما نزل فى رمى الرسول للمشركين بالحصباء

ثم قال تعالى فى رَمْى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالحَصْباء من يده ، حين رماهم : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ : أى لم يكن ذلك برميتك ، لولا الذى جعل الله فيها من نَصْرك ، وما ألقى فى صدور عدوّك منها حين هزمهم الله ﴿ وَلِيُبْلِيَ المُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا ﴾ : أى ليُعرِّف المؤمنين من نعمته عليهم فى إظهارهم على عدوّهم ، وقلّة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقّه ، ويشكروا بذلك نعمته .

ما نزل فى الاستفتاح

ثم قال : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الفَتْحُ ﴾ : أى لقَوْلِ أبى جهل : اللهمّ أقطَعُنا للرحمِ ، وآتانا بما لا يُعْرف ، فأحِنْه الغداة . والاستفتاح : الإنصاف فى الدعاء .

. . . .

يقول الله جلّ ثناؤه : ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ : أى لقريش ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ﴾ : أى بمثل الوَقْعة التى أصبنا كم بها يوم بدر : ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وإنّ الله مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : أى أن عددَكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تُغنى عنكم شيئا ، وإنى مع المؤمنين ، أنصرهم على من خالفهم .

ما نزل فى حض المسلمين على طاعة الرسول

ثم قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ ، وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ : أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه ، ﴿ وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ : أى كالمنافقين الذين يُظهرون له الطاعة ، ويُسرّون له المعصية ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ : أى المنافقون الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم ، بُكْمٌ عن الخير ، صُمّ عن الحقّ ، لا يعقلون : لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النِّقمة والتَّباعَة ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ ، أى لأنفذ لهم الذى قالوا بألسنتهم ، ولكنّ القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم ﴿ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ما وفوا لكم بشىء مما خرجوا عليه . ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وللرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ ﴾ : أى للحرب التى أعزّكم الله بها بعد الذلّ ، وقوّاكم بها بعد الضعف ، ومَنَعكم بها من عدوّكم بعد القَهر منهم لكم ، ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ، فَآواكُمْ

وأيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى لاتُظْهِروا له من الحقّ مايرضى به منكم ، ثم تُخالفوه فى السرّ إلى غيره ، فان ذلك هلاكٌ لأماناتكم ، وخيانةٌ لأنفسكم . ﴿ ياأيها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً ، ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾ : أى فَصْلا بين الحقّ والباطل ، لِيُظهر اللهُ به حقَّكم ، ويُطفىء به باطِلَ من خالفكم .

ما نزل فى ذكر نعمة الله على الرسول

ثم ذكَّر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه ، حين مَكر به القومُ لِيَقْتُلُوهُ أَوْ يُثْبِتُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ ﴿ وَيَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللهُ ، وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾ : أى فمكرتُ بهم بكيدى المتين حتى خلَّصتك منهم .

ما نزل فى غرة قريش واستفتاحهم

ثم ذكر غِرَّةَ قُريش واستفتاحَهم على أنفسهم ، إذ قالوا : ﴿ اللَّهُم إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ أى ما جاء به محمد ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ ﴾ كما أمطرتَها على قوم لوط ﴿ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى بعض ماعذّبت به الأمم قبلنا ، وكانوا يقولون : إن الله لايعذّبنا ونحن نستغفره ، ولم يعذّب أمةً ونبيُّها معها حتى يُخرجَه عنها . وذلك من قولهم ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، حين نعَى سُوء أعمالهم :

﴿ وَما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ ، وَما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أى لقولهم : إنا نستغفر ومحمدٌ بين أظهرنا ، ثم قال ﴿ ومَالَهمْ ألاَّ يُعَذِّبَهُم اللهُ ﴾ وإن كنتَ بين أظهرهم ، وإن كانوا يَستغفرون كما يقولون ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ﴾ : أى من آمن بالله وعَبده : أى أنت ومن اتبعك ، ﴿ وَما كانُوا أولياءه إنْ أوْلِيَاؤُهُ إلاَّ المُتَّقُونَ ﴾ الذين يُحرّمون حُرمته ويُقيمون الصلاة عنده : أى أنت ومن آمن بك ﴿ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمونَ * وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ ﴾ التى يزعمون أنه يُدْفَع بها عنهم ﴿ إلاَّ مُـكاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المكاء : الصفير . والتصدية : التصفيق . قال عنترة بن عمرو (ابن شدّاد) العَبْسى :

ولرُبَّ قِرْنٍ قد تركتُ مجدَّلاً تَمْـكُو فريصتُه كشِدْقِ الأعْلَمِ

يعنى : صوتَ خروج الدم من الطَّعنة ، كأنه الصفير . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الطِّرِمّاح بن حَـكِيم الطائى :

لها كلَّما رِيعتْ صَداةٌ وركْدةٌ بمُصْدان أعلَى ابنَى شمَامَ البَوائن

وهذا البيت فى قصيدة له . يعنى الأرْوِيَّة ، يقول : إذا فزعت قرعت بيدها الصَّفاةَ ثم ركدت تَسْمع صَدَى قَرْعِها بيدها الصَّفاة مثلُ التَّصْفيق . والمُصدان : الحِرْز . وابنا شمام : جبلان .

قال ابن إسحاق : وذلك ما لا يُرضى الله عزّ وجلّ ولا يحبُّه ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به ﴿ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ : أى لما أوقع بهم يوم بدر من القتل .

المدة بين (يا أيها المزمل) وبدر

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عبَّاد ، عن عائشة قالت : ما كان بين نُزول : ﴿ ياأَيُّها المُزَّمِّلُ ﴾ ، وقول الله تعالى فيها : ﴿ وَذَرْنى والمُكَذِّبِينَ أُولِى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً * إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالاً وجَحِيما . وطَعاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيما ﴾ إلا يسير ، حتى أصاب الله قُريشاً بالوَقعة يوم بدر .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنكال : القيود ؛ واحدها : نِكْل . قال رؤبة بن العجاج :

يَكفيك نِكْلِى بَغْىَ كلّ نِكْلِ

وهذا البيت فى أرجوزة له .

ما نزل فيمن عاونوا أبا سفيان

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الَّذِين كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ يعنى النفر الذين مَشَوْا

إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مالٌ من قريش فى تلك التّجارة ، فسألوهم أنْ يُقوُّوهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا .

ثم قال : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا ﴾ لحربك ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ أى من قُتل منهم يوم بَدْر .

الأمر بقتال الكفار

ثم قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُم حتى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ : أى حتى لا يُفْتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شريك ، ويُخلَع مادونه من الأنداد ﴿ فإنِ انتَهَوْا فإنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن أمرك إلى ماهم عليه من كفرهم ﴿ فاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ ﴾ الذى أعزّكم ونصركم عليهم يوم بَدْر فى كثرة عددهم وقلة عددكم ﴿ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ .

ما نزل فى تقسيم الفىء

ثم أعلمهم مَقاسم الفىء وحُكْمَه فيه ، حين أحلَّه لهم ، فقال ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِى القُرْبَى واليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيل إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ باللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى يوم فرقتُ فيه بين الحقّ والباطل بقُدرتى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالعُدْوَةِ

الدُّنيا ﴾ من الوادى ﴿ وَهُمْ بالعُدْوَةِ القُصْوَى ﴾ من الوادى إلى مكة ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ منكمْ ﴾ : أى عِير أبى سُفيان التى خرجتم لتأخذوها وخَرجوا ليَمْنَعوها عن غير مِيعاد منكم ولا منهم ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِى المِيعادِ ﴾ أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرةُ عددهم، وقلةُ عددكم ما لَقِيتموهم ﴿ وَلَكنْ لِيقْضِىَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً ﴾ أى ليقضى ما أراد بقُدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بَلاء منكم، ففَعل ما أراد من ذلك بلُطْفه، ثم قال ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَىَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أى ليكفر من كفر بعد الحجَّة لما رأى من الآية والعِبْرة، ويُؤمنَ من آمن على مثل ذلك.

ما نزل فى لطف الله بالرسول

ثم ذكر لُطْفَه به وكَيْدَه له، ثم قال : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِى مَنامِكَ قَلِيلاً، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنازَعْتُمْ فِى الأمْرِ وَلَكنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، فكان ما أراك من ذلك نعمةً من نعمه عليهم، شجَّعهم بها على عدوّهم، وكفّ بها عنهم ما تُخُوِّف عليهم من ضَعْفهم، لعلمه بما فيهم.

قال ابن هشام : تُخُوِّف : مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولا ﴾ : أى ليؤلِّف بينهم على الحرب للنِّقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على مَن أراد إتمام النِّعمة عليه، من أهل ولايته.

ما نزل فى وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب

ثم وعظهم وفهّمهم وأعلمهم الذى ينبغى لهم أن يسيروا به فى حربهم، فقال تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ تقاتلونهم فى سبيل الله عزّ وجلّ ﴿ فاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثيراً ﴾ الذى له بذلتم أنفسكم، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وأطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾: أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أى وتذهب حدّتكم ﴿ وَاصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أى إنى معكم إذا فعلتم ذلك ﴿ وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ ﴾: أى لا تكونوا كأبى جهل وأصحابه، الذين قالوا: لا نرجع حتى نأتى بدراً فننحر بها الجُزُرَ وتُسقَى بها الخمر، وتعزف علينا فيها القِيانُ، وتَسمعُ العربُ: أى لا يكون أمرُكم رِياء، ولا سُمْعة، ولا التماسَ ما عند الناس وأخلِصوا لله النيّة والحِسْبة فى نَصْر دينكم، وموازرة نبيّكم، لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره.

ثم قال تعالى: ﴿ وَإذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَإنّى جارٌ لَكُمْ ﴾.

قال ابن هشام: وقد مضى تفسير هذه الآية.

قال ابن إسحاق: ثم ذكر الله تعالى أهلَ الكفر، وما يلقون عند موتهم، ووَصَفهم بصفتهم، وأخبر نبيّه صلى الله عليه وسلم عنهم، حتى انتهى

إلى أن قال ﴿ فإمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أى فنكّل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون ﴿ وأَعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الخيلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إلَيْكُمْ ، وأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ : أى لا يَضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة ، وعاجل خلَفه فى الدنيا . ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا ﴾ : أى إن دَعَوْكَ إلى السَّلْم على الإسلام فصالِحهم عليه ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴾ إن الله كافيك ﴿ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جنحوا للسَّلْم : مالوا إليك للسَّلْم . الجنوح : الميل . قال لَبيد بن رَبيعة :

جُنوحُ الهالِكىِّ على يَدَيْه ... مُكِبًّا يجتلى نُقَبَ النِّصالِ

وهذا البيت فى قصيدة له. والسلم أيضا : الصلح ، وفى كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ فلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ ، ويقرأ ﴿ إلى السِّلْمِ ﴾ ، وهو ذلك المعنى . قال زُهير بن أبى سُلمى :

وقد قُلتما إن نُدْرِكِ السِّلْمَ واسعاً ... بمالٍ ومَعْروف من القَوْل نَسْلَمِ

وهذا البيتُ فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البَصْرىّ ، أنه كان

يقول : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ﴾ للإسلام . وفى كتاب الله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كافَّةً ﴾ ويقرأ ﴿ فى السَّلْمِ ﴾ ، وهو الإسلام . قال أُميةَّ بن أبى الصَّلْت :

فمَا أنابُوا السَّلْمِ حين تُنْذِرهم رُسْلُ الإله وما كانوا له عَضُدَا

وهذا البيتُ فى قصيدة له . وتقول العربُ لِدَلْو تُعمل مُستطيلة : السَّلْم . قال طَرَفة بن العَبْد ، أحدُ بنى قَيْس بن ثعلبة ، يصف ناقةً له :

لهاَ مِرفقان أفْتَــلان كأنما تَمُرُّ بسَلْمَىْ دالِحٍ مُتَشددِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فإنَّ حَسْبَكَ اللهُ ﴾ هو من وراء ذلك . ﴿ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ ﴾ بعد الضعف ﴿ وَبالمُؤْمنينَ وألَّفَ بينَ قُلُوبِهِمْ ﴾ على الهدى الذى بعثك الله به إليهم ﴿ لَوْ أَنفقتَ مافِى الأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بينَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَــكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ بدينه الذى جمعهم عليه ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَــكِيمٌ ﴾

ثم قال تعالى ﴿ ياأيُّها النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ * ياأيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مائتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْــكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفا مِن الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ : أى لا يُقاتلون على نيَّة ولا حقّ ولا معرفة بخير ولا شر .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح عن عَطاء بن أبى رَباح ، عن عبد الله بن عباس قال : لمَّا نزلت هذه الآية اشتدّ على المسلمين ، وأعظموا أن يُقاتل عشرون مائتين ، ومائة ألفاً ، فخفَّف الله عنهم ، فنَسَخَتها الآية الأخرى ، فقال : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْـكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ، فإنْ يَكُنْ مِنْـكُمْ مائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مائَتَيْنِ ، وَإنْ يَكُنْ مِنْـكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ . قال : فكانوا إذا كانوا على الشَّطر من عدوّهم لم يَنْبَغِ لهم أن يفرّوا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالُهم وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم .

ما نزل فى الأسارى والمغانم

قال ابن إسحاق : ثم عاتَبه الله تعالى فى الأسارى ، وأخذ المَغانم ، ولم يكن أحد قبلَه من الأنبياء يأ كلُ مَغْنما من عدوّ له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد أبو جعفر بن علىّ بن الحُسين ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتُ بالرُّعب ، وجُعِلَتْ لى الأرضُ مسجداً وطهوراً ، وأُعطيتُ جوامع الكَلِم ، وأُحلَّت لى المغانم ولم تُحَلَّل لنبىّ كان قبلى ، وأُعطيتُ الشَّفاعة ، خمس لم يُؤْتَهنّ نبى قبلى .

قال ابن إسحاق : فقال : (ما كانَ لِنَبِىٍّ) : أى قبلك (أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى) مِنْ عدوّه (حتى يُثْخِنَ فى الأَرْضِ) أى يثخن عدوّه ، حتى يَنْفيه من الأرض ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا ﴾ : أى المتاع ، الفداء بأخذ الرجال

﴿ وَاللهُ يُرِيدُ الآخرة ﴾ : أى قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تُدرَك به الآخرة ﴿ لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ ﴾ : أى من الأسارى والمغانم ﴿ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴾ أى لولا أنه سبق منى أنى لا أعذب إلا بعد النهى ولم يك نهاهم ، لعذبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلها له ولهم رحمة منه ، وعائدة من الرحمن الرحيم . فقال ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ثم قال ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ما نزل فى التواصل بين المسلمين

وحضَّ المسلمين على التواصل ، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين دون مَنْ سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ ﴾ أى يُوالِ المؤمنُ المؤمنَ من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به ﴿ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ ﴾ أى شُبهة فى الحق والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولى المؤمن الكافر دون المؤمن .

ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التى بينهم ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُولُو الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ ﴾ أى بالميراث ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

. . . .

. . . .

إسلام عمير بن وهب :

فصل : وذكر إسلام عُمَيْرِ بنِ وَهْب إلى آخره، وليس فيه ما يشكل .

هل تجسد إبليس في غزوة بدر ؟

وذكر فى آخر الحديث أن عُمَيْرَ بن وهب هو الذى رأى إبليسَ يوم بدر حين نَـكَصَ على عَقِبَيْهِ ، وذكر غيره أن الحارثَ بن هِشَام تَشَبَّث به ، وهو يرى أنه سُرَاقَةُ بنُ مالِكٍ ، فقال : إلىَّ أين سُرَاقَ أَيْنَ تفِرُّ فلَـكَمَهُ لـكْمَةً طَرَحَهُ على قفاه ، ثم قال إنى أخاف الله رَبَّ العالمين ، وإنما كان تمثل فى صورة سُرَاقَةَ الْمُدْلِجِىِّ ، لأنهم خافوا من بنى مُدْلِجَ أن يعرضوا لهم ، فيشغلوهم من أجل الدِّماء التى كانت بينهم ، فتمثَّل لهم إبليسُ فى صُورَةِ سُرَاقَةَ الْمُدْلِجِىِّ ، وقال إنِّى جَارٌ لـكم من الناس ، أى : من بنى مُدْلِجَ ، ويروى أنهم رأوا سُرَاقَةَ بمكة بعد ذلك ، فقالوا له : يا سُرَاقَةُ أَخَرَمْتَ الصَّفَّ ، وأوقعت فينا الهزيمة ؟ فقال : والله ما علمت بشىءٍ من أمْرِكُمْ ، حتى كانت هزيمتكم ، وما شَهِدتُ ، وما علمت فما صَدَّقوه ، حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه كان إبليسَ تَمَثَّل لهم .

وقول اللَّعين : إنى أخافُ اللهَ ربَّ العالمين ، لأهل التأويلِ فيه أقوال . أحدها : أنه كذب فى قوله : إنى أخاف الله ، لأن الـكافر لايخاف الله ، الثانى : أنه رأى جنودَ الله تنزل من السماء ، فخاف أن يكون اليومُ الموعودُ الذى قال الله فيه : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الملائـكةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ للمُجرِمين ﴾ وقيل أيضاً :

. . . .

إنما خاف أن تدركه الملائكةُ لما رأى من فِعْلها بحزبه الكافرين ، وذكر قاسمُ بن ثابتٍ فى الدلائلِ أن قريشاً حين توجهت إلى بدرٍ مَرَّ هاتفٌ من الجن على مكة فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون ، وهو ينشد بأنفذ صوت ، ولا يُرَى شخصُه(١) :

أَزَارَ الحَنِيفِيُّونَ بَدْراً وَقِيعَةً
سَيَنْقَضُّ منها رُكْنُ كِسْرَى وقَيصَرا

---

(١) لم يخرج قصة تمثل إبليس فى صورة سراقة أحد من أصحاب الصحيح فهى إما من رواية الكلبى عن ابن عباس ، وهى أوهن من بيت العنكبوت ، فإذا انضم إليها رواية محمد بن مروان السدى الصغير ، فهى سلسلة الكذب . وأما على بن أبى طلحة ، فقد أجمعوا على أنه لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ عن مجاهد أو سعيد بن جبير ، ولا خلاف فى كونهما من الثقات ، ولكن ابن عباس كان ابن خمس سنين يوم بدر ، فروايته لأخبارها منقطعة . كما روى الواقدى ، وهو غير ثقة فى الرواية . انظر تفسير المنار الآية .

أقول والله تعالى يقول عن إبليس (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) ويقول : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك ، إنى أخاف الله) الأولى تثبت أننا لا نرى إبليس وقبيله وهو يرانا ، والأخرى تشبه آية الأنفال ، فهل يتمثل الشيطان جسدا لكل كافر ويقول له هذا ؟ كما أن الله يقول (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فلم لا يكون الشيطان هنا شيطانا من الإنس ؟ أو يكون هو الشيطان بوسوسته هو وقبيله لا بجسده ؟ واقرأ سورة الناس ، ولهذا لم يخرج القصة أحد من أصحاب الكتب الستة .

. . . .

أبادَتْ رِجالامن لُؤَىٍّ ، وأبرزت خَرائِد يَضرِبْنَ التَّرائبَ حُسَّرا

فياوَيْحَ مَنْ أَمْسَى عدوَّ مُحَمَّدٍ لقد جارعن قَصْد الهدى وَتَحيَّرا

فقال قائلهم : مَنْ الحنيفيون ؟ فقالوا : هم محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحَنِيفِ ، ثم لم يلبثُوا أن جاءهم الخبرُ اليقين[1].

ذكر ما أنزل الله فى بدر

أنزل سورة الأنفال بأسرها ، والأنفالُ هى الغنائم ، وقال أبو عُبَيْد فى كتاب الأموال : النَّفَلُ : إحسانٌ و تَفَضُّلٌ من المنعِم فسمِّيت الغنائم أنفالا، لأن الله تعالى تَفَضَّل بها على هذه الأمة ، ولم يُحلَّها لأحد قَبْلهم .قال المؤلف : أما قوله : إن الله تفضل بها فصحيحٌ ، فقد قال عليه السلام : ما أُحِلَّت الغنائم لأحدٍ سُودِ الرءوس قبلكم ، إنما كانت نار تنزل من السماء فتأكلها[2] ،

---

(١) لولا وحى الله ما عرف النبى صلى الله عليه وسلم ما قاله الجن . فكيف نصدق مثل هذا ؟

ملحوظة : عن المطعمين يوم بدر ذكر محمد بن حبيب النسابة منهم شيبة ابن ربيعة ، ولم يذكر أبا البخترى ، ولا النضر بن الحارث بن كلدة ، كما روى عن محمد بن عمر المزنى قوله إن قريشا كفأت قدور العباس ، ولم تطعمها اعلمها بميله إلى رسول الله «ص» . ثم قال : قتلوا بأسرهم يوم بدر ، وأسلم العباس وسهيل ، فكان من كبار المسلمين ص ١٨٢ المحبر .

(٢) فى حديث متفق عليه عن نبى وقومه «فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب ، فوضعها ، فجاءت النار ، فأكلتها» زاد فى رواية : فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا ، فأحلها لنا» متفق عليه .

. . . .

وأما قوله : فسُمِّيت الغنائم أنفالًا لهذا ، فلا أحسبه صحيحاً ، فقد كانت العرب فى الجاهلية الجَهْلَاء تسميها أنفالا .

وقد أنشد ابن هشام لأوْسِ بن حَجَر الأسيدى ، وهو جاهلى قديم(1) :

نَكَصْتُم على أعقابكم يوم جِئْتُمُ تُزَجُّونَ أنفالَ الخميسِ العَرَمْرَم(2)

ففى هذا البيت أنها كانت تسمى أنفالا قبل أن يُحِلَّها اللهُ لمحمد وأمتِه ، فأصل اشتقاقها إذاً من النَّفلِ ، وهو الزيادة لأنها زيادة فى أموال الغانمين ، وفى بيت أوس بن حجر أيضاً شاهد آخر على أن الجيش كان يسمى : خَمِيساً ، فى الجاهلية(3) ، لأن قوما زعموا أن اسمَ الخميس من الخُمسِ الذى يؤخذ من المغنم ، وهذا لم يكن حتى جاء الإسلام ، وإنما كان لصاحب الجيش الرُّبْعُ ، وهو المِرْبَاع ، وسيأتى القول فى اشتقاقه فيما بعد إن شاء اللهُ . قرأ ابنُ مسعود وعطاء ﴿ يَسْئَلونَكَ الأنفالَ ﴾ وقرأت الجماعةُ : ﴿ يسئلونك عن الأنفالِ ﴾ والمعنى صحيح فى القراءتين ؛ لأنهم سألوها وسألوا عنها لمن هى .

وقول عُبَادَةَ بن الصَّامت : نزلت فينا أهلَ بدر : ﴿يَسْئَلونَكَ عن الأنفال﴾ لأنَا تنازَعنا فى النَّفلَ ، وساءت فيه أخلاقُنا ، كذلك جاء فى التفسير لعَبْد بن

---

(1) كان شاعر مضر حتى أسقطه زهير

(2) تروى ترجون . أما تزجون ، فمعناه : تساقون سوقا رفيقا .

(3) قيل : سمى كذلك لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة .

. . . .

حميد ، وغيره أن عُبادة بن الصامت مع الذين كانوا معه ، وأبا الْيَسَر كَعْب ابن عَمْرو فى طائفة معه ، وكان أبو الْيَسَرِ قد قَتل قتيلين ، وأسر أسيرين، تنازعوا ، فقال الذين حَوَوا المغنمَ : نحن أحَقُّ به ، وقال الذين شُغلوا بالقتال ، واتباع القوم نحن أحَقُّ به ،فانتزعه الله منهم ورده إلى نَبيِّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تقدم حديث سَعْد بن أبى وَقّاص ، حين جاء بالسيف ، فأمر أن يجعله فى القَبَض ، فشَقَّ ذلك عليه ، وكان السيفُ للعاصى بن سَعيد ، يقال له ذو الكَتيفَةِ ، فلما نزلت الآية أعطى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السيفَ لسعد ، وقسم الغنيمة عن بَوَاء أى: على سَوَاء ، وقد قدمنا الحديثَ الذى ذكره أبو عُبَيْد ، وفيه أنه قسمها على فواقٍ ، فأنزل الله بعد : ﴿ واعلَمُوا أنما غَنِمْتُم من شَىْءٍ ﴾ الآية فنسخت ﴿ قل : الأنفال لله والرسول ﴾ وهو أصح الأقوال أنها مَنْسُوخَة[1]. وأما من زعم أن الأنفال ماشَذَّ من العدو إلى المسلمين من دَابَّة ، أو نحوها ، فليست منسوخة عنده ، وكذلك قولُ مجاهد إن الأنفالَ ، هو الخُمسُ نَفْسُه ، وإنما تكون منسوخة إذا قلنا إنها جملةُ الغنائم ، وهو

---

(١) قال ابن زيد : الآية محكمة وليست منسوخة . وقد سبق الرأى فى النسخ وبيان أنه ليس فى كتاب الله الذى بين أيدينا آية منسوخة ، أو يبطل العمل بها ويقول ابن كثير عن رأى الذى قال بالنسخ : « وهذا الذى قاله بعيد ، لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، وتلك نزلت فى بنى النضير ، ولا خلاف بين علماء السير والمغازى قاطبة أن بنى النضير بعد بدر ، وهذا أمر لاشك فيه ، ولا يرتاب ، فمن يفرق بين معنى الفىء والغنيمة يقول : تلك نزلت فى أموال الفىء ، وهذه فى الغنائم ، ومن يجعل أمر الغنائم والفىء راجعا إلى رأى الإمام يقول : لامنافاة بين آية الحشر ، وبين التخميس إذا رآه الإمام والله أعلم » .

. . . .

القول الذى تَشْهدَ له الآثار ، قال أبو عُبَيْد : والأنفال تنقسم أربعة أقسام نَفل لا يُخَمَّس ، ونفل من رأس الغَنيمة ، ونَفل من الخُمْس ، ونَفل السَّرايا وهو بعد إخراج الخمس ، ونَفْل من خُمْس الخُمْسِ ، فأما الذى ليس فيه خُمْسٌ ولا يخرج من رأس الغنيمة ، ولا من الخُمْسِ ، فهو سَلَبُ القَتِيلُ يقتل فى غير مَهْمَهَةِ الحرب ، وفى غير الزَّحْفِ ، فهو ملك للقاتل ، وهذا القول هو قول الأوزاعى ، وأهل الشام ، وقول طائفة من أهل الحديث وفيه قول ثان ، وهو أن السَّلَبَ من جُمْلة النَّفَلِ يُخَمَّسُ مع الغنيمة ، وهو قولُ مالكٍ ، وهو معنى قولِ ابنِ عباس الذى فى الموطأ حين سأله رجل عن الأنفال ، فقال: الفرسُ من النَّفَلِ والدِّرْع من النَّفَل ، وقال فى غير المُوطَّأ فى هذا الحديث : الفَرَسُ من النفل ، وفى النَّفَل الخُمْس أن الوليد بن مسلم رَوى هذا الحديث ، فقال فى آخره : يريد أن السَّلَبَ للقاتل ، ففسره على مذهب شيخه ، ومن حجتهم أيضاً أن عُمَرَ رضى الله عنه خَمَّس سَلَب البَراء بن مالك حين قتل مَرْزُبَانَ الزَّأْرَة فسلبه سِوَارَيْه ومِنْطَقَتَه ، وما كان عليه ، فبلغ ثمنُه ثلاثين ألفاً ، وقال أصحابُ القول الأول لا حُجَّة فى حديث عمر ، لأنه إنما خَمَّس المَرْزُبَانَ ، لأنه استكثره ، وقال : قد كان السَّلَبُ لا يُخَمَّس ، وإن سَلَبَ البَرَاء بلغ ثلاثين ألفاً ، وأنا خامسه ، واحتجوا بحديث سَلَمَة بن الأكْوَع ، إذ قتل قتيلا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له سَلَبُه أجمع . ومن حُجَّة مالكٍ ، ومن قال بقوله : عمومُ آية الخمُسْ ، فإنه قال : ﴿ واعلَمُوا أنما غَنِمْتم من شىء فأنَّ لله خُمُسَهُ : وللرسول ﴾ وحديثُ خالدِ بنِ الوَليدِ الذى رواه مسلمُ وأبو داود أن عَوْف بن مالك قال : قَتَل رَجُلٌ من حِمْيَر رَجُلاً من العدو

. . . .

فأراد سَلَبَه ، فمنعه ذلك ، وكان والياً عليهم ، فأخبر عوفٌ رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — فقال لخالد : مامَنَعَكَ أن تُعْطِيَه سَلَبَه ؟ فقال : استكثرتُه يارسول الله ، قال : ادْفَعْه إليه ، فلقى عوفٌ خالداً فَجَبَذ بِردائِه ، وقال : هل أنجَزْتُ لك ماذَكرتُ لك مِنْ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — [فسمعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم] فاستغضب ، فقال : لا تُعْطِه يا ياخالد ، هل أنتم تارِكو إلىَّ أُمَرائى [إنما مثلُكُم ومثلهم كمَثَل رجل استرعى إبلا وغنما ، فرعاها ، ثم تحيَّن سَقْيها ، فأوردها حوضاً فشرعت فيه ، فشربت صَفْوَه وتركَت كَدَرَه فَصَفْوُه لكم وكَدَرُه عليهم . رواه أحمد ومسلم].

ولو كان السلَب حقاً له من رأس الغنيمة لما ردَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا هو القسم الواحد من النَّفَل .

والقِسْم الثانى : هو من رأس الغنيمة قبل تَخْميسها ، وهو ما يُعْطَى الأدِلَّاء الذين يَدُلُّون على عَوْرة العدو ، و يَدُلُّون [على] الطُّرقِ ، وما يُعْطَى الدُّعاةُ وغيره مما يَنْتفعُ أهلُ الجيش به عامَّةً .

والقسمُ الثالثُ ماتُنَفَّلهُ السرايا ، فقد كانت تُنَفَّلُ فى البَدْأة الرُّبْعُ بعد الخُمُس ، وفى العَوْدة الثُّلُثُ مما غَنِمُوه ؛ كذلك جاء فى حديثٍ رواه مَكْحُولٌ عن حَبِيب بن مَسْلَمة(١) ، وأخذت به طائفة .

والقسم الرابعُ من النَّفَل : ما يُنَفِّله الإمامُ من الخمس لأهل الغِناء والمنفعة ، لأنَّ ما كان للرسول عليه السلام من الغَنِيمة ، فهو للإمام بعده يَصْرِفه فيما

(١) أخرج أحمد وأبو داود عن حبيب بن سلمة أن النبى «ص» نفل الربع بعد الخمس فى بدأته ، ونفل الثلث بعد الخمس فى رجعته .

. . . .

كان النبيُّ عليه السلام يَصرِفه ، وهو قول مالكٍ وأكثر العلماء[1] ، وقالت طائفةٌ هو مَقْصُورٌ على الأصناف التي ذُكِرت في القرآن، وهم ذُو القُرْبَى واليَتَامى والمساكين وابن السبيل ، وقد أعْطى الْمِقْدادُ حماراً من الْخُمْس أعطاه له بعضُ الأمراء ، فرده لما لم يكن من هؤلاء الأصناف المذكورين ، وأما أَنَسُ بن مالك ، فإنه فعل خلاف هذا ، أعطاهُ مُعاويةُ ثلاثين رأساً من الغَنيمة فأبى أنْ يقبَلها ، إلا أن تكون من الْخُمسِ ، وأصح القولين : أنَّ الإمامَ له النظرُ في ذلك ، فإن رأى صَرفَ الْخُمس إلى منافع المسلمين ، ولم تكن بالأصناف الأربعة حاجةٌ شديدة إليه صَرَفَه ؛ وإلاَّ بَدأ بهم ، وَصَرَفَ بقيَّتَه فيما يَرى ، واخْتُلِف في ذَوِي القُرْبَى مَنْ هُمْ ، فقال ابن عباس : كنا نرى أنهم بَنُو هاشم ، فأبى ذلك علينا قومُنا ، وقالوا هم قريش كلهم ، كذلك قال في الكتابِ الذي كتبه إلى نَجْدَة الحَرُورِيِّ[2] ، واختلفوا أيضاً في قَرابة الإمام بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم : أهم داخلون في الآية أم لا ؟[3] والصحيح :

(١) يقول ابن كثير : وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية : وهذا قول مالك ، وأكثر السلف ، وهو أصح الأقوال .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى . وفى حديث لمسلم « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » . وفى بعض رواياته « إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام » .

(٣) اختلف فى الخمس الذى كان للرسول « ص » ماذا يصنع به بعده ، فقال قائلون : يكون لمن يلى الأمر بعده ، وقد روى هذا عن أبى بكر وعلى وقتادة وجماعة وروى فيه حديث مرفوع ، وقال آخرون : يصرف فى مصالح المسلمين ، وقال غيرهم : بل هو مردود على بقية الأصناف ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . ولعل الرأى الثانى هو الأصوب .

. . . .

دخولهم فى ذَوِى القُرْبى ، لقوله عليه السلام : إذا أطعم الله نبياً طُعْمَةً ، فهى للخليفة بعده ، أو قال : للقائم بعده . ومما اختلفوا فيه من معنى آية الْخُمْسِ : قسم خُمْس الْخُمْس ، فقال أبو العالية فى قوله : ﴿ فأن لله خُمُسَه ﴾ أى : للكعبة، يُخْرَجُ لها نصيبٌ من الْخُمْس، وللرسول نصيبٌ ، وباقى الخمس للأربعة الأصناف. وقالت طائفة : خُمْس الْخُمْسِ للرسول ، وباقيه للأربعة الأصناف . وقالت طائفةٌ : الخمسُ كلُّه للرسول يَصْرفه فى تلك الأصناف وغيرِها ، وإنما قال الله : ﴿وللرسول﴾ تنبيهاً على شَرَفِ المكسب وطيب الْمَغْنَم ، كذلك قال فى الفَيْء ، وهو ما أفاء الله على المسلمين من الأرضِين التى كانت لأهْلِ الكفر فقال فيه : ﴿ فلله وللرسول ﴾ الآية ، ولم يقل فى آيات الصَّدَقَاتِ مثلَ ذلك ، ولا أضافها لنفسه ولا للرسول ، لأن الصدقَة أوساخُ الناس ، فلا تطيبُ لمحمد ، ولا لآل محمد ، فقال فيها : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ الآية ، أى : ليست لأحد إلا لهؤلاء ، وهذا كله قول سُفْيَان الثورى ، وتفسيره ، وسيأتى القول فى غَزْوَة حُنَين فيما أعطى النبى – صلى الله عليه وسلم للمؤلَّفة قلوبُهم ، هل كان من رأس الغَنِيمة أم من الْخُمْسِ أم من خُمْسِ الْخُمس إن شاء الله .

عن قتال الملائكة :

فصل : وذكر قولَه سبحانَه ﴿ بألفٍ من الملائكة مُرْدِفين ﴾ وقد قال فى أخرى : ﴿ بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنْزَلين﴾ فقيل فى معناه : إن الألف أَرْدَفَهم بثلاثةِ آلافٍ ، فكان الأكثرُ مدداً للأقلِّ ، وكان الألفُ مُرْدِفين لمن وراءهم بكسر الدال من مردِفين ، وكانوا أيضا مُرْدَفين بهم بفتح الدال ،

. . . .

والألفُ هم الذين قاتلوا مع المؤمنين ، وهم الذين قال الله لهم : ﴿فثبِّتوا الذين آمنوا﴾ وكانوا في صور الرجال ، ويقولون للمؤمنين أثبُتوا ، فإن عدوَّكم قليل، وإن الله معكم ونحو هذا ، وقول الله سبحانه : ﴿واضربُوا منهم كُلَّ بنان﴾ جاء في التفسير أنه ما وقَعت ضَرْبةٌ يوم بَدْرٍ إلا في رأسٍ أو مَفصِلٍ ، وكانوا يعرفونَ قتلى الملائكة من قتلاهُم، بآثار سُود في الأعناق وفي البَنَانِ ، كذلك ذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية[1] ، ويقال لمفاصل الأصابع وغيرِها بَنَانٌ

---

(١) يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله — في تفسير المنار : « مقتضى السياق أن وحي الله للملائكة قد تم بأمره إياهم بتثبيت المؤمنين كما يدل عليه الحصر في في قوله عن إمداد الملائكة : (وما جعله الله إلا بشرى) إلخ وقوله تعالى:(سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) الخ : بدء كلام خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون تتمة للبشرى فيكون الأمر بالضرب موجها إلى المؤمنين قطعا ، وعليه المحققون الذين جزموا بأن الملائكة لم تقاتل يوم بدر تبعا لما قبله من الآيات ، وقيل إن هذا مما أوحى إلى الملائكة ، وتأوله هؤلاء بأنه تعالى أمرهم بأن يلقوا هذا المعنى في قلوب المؤمنين بالإلهام كما كان الشيطان يخوفهم ، ويلقي في قلوبهم ضده بالوسواس ، ولا يرد على الأول ما قيل من أنه لا يصح إلا إذا كان الخطاب قد وجه إلى المؤمنين قبل القتال ، والسورة قد نزلت بعده ، لأن نزول السورة بنظمها وترتيبها بعده لا ينافي حصول معانيها قبله ، وفي أثنائه فإن البشارة بالإمداد بالملائكة ، وما وليه قد حصل قبل القتال ، وأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ثم ذكرهم الله تعالى به بإنزال السورة برمتها تذكيرا بمننه ، ولولا هذا لم تكن للبشارة تلك الفائدة ، والخطاب في السياق كله موجه إلى المؤمنين ، إنما ذكر فيها وحيه تعالى للملائكة بما ذكر عرضا ، . . وقد وردت روايات ضعيفة تدل على قتـــال الملائكة لم يعبأ الإمام ابن جرير بشيء منها .

=

. . . .

= وإذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانية التى تضاعف القوة المعنوية ، وتسهيله لهم الأسباب الحسية كانزال المطر ، وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف — وقيل آلاف — من الملائكة يقاتلون معهم . . فأى مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم ، وأذلوا المشركين ، وقتلوا منهم الألوف ، وبماذا استحقوا قول الرسول « ص » لعمر : « وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » رواه البخارى ومسلم وغيرهما . وفى كتب السير وصف للمعركة علم منه القاتلون والآسرون لأشد المشركين بأسا . فهل تعارض هذه البينات النقلية والعقلية بروايات لم يرها شيخ المفسرين ابن جرير بأن تنقل ، ولم يذكر ابن كثير منها إلا قول الربيع ابن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوا بضرب فوق الأعناق ، وعلى البنان مثل سمة النار قد أحرق به . . ومن أين جاء الربيع بهذه الدعوى ، ومن الذى رؤى من القتلى بهذه الصفة ؟ وكم عدد من قتل الملائكة من السبعين ؟ ، وعدد من قتل أهل بدر غيرهن سموا وقالوا : قتلهم فلان وفلان كفانا الله شر هذه الروايات الباطلة التى شوهت التفسير ، وقلبت الحقائق حتى إنها خالفت نص القرآن نفسه ، فالله تعالى يقول فى إمداد الملائكة (وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم) وهذه الروايات تقول : بل جعلها مقاتلة ، وأن هؤلاء السبعين الذين قتلوا من المشركين لم يمكن قتلهم إلا باجتماع ألف أو ألوف من الملائكة عليهم مع المسلمين الذين خصهم الله بما ذكر من أسباب النصر المتعددة .

ألا إن فى هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول « ص » وأشجعهم ما لا يصدر عن عاقل إلا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصح لها سند ، ولم يرفع منها إلا حديث مرسل عن ابن عباس ذكره الألوسى وغيره بغير سند ، وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لأنه كان صغيرا ، فرواياته عنها حتى فى الصحيح مرسلة ، وقد =

. . . .

واحدتها بَنانَةٌ ، وهو من أَبَنَّ بالمكان[1] إذا أقام فيه وثبت ، قاله الزجاج .

وقوله ﴿ ليطهِّركُم به ، ويُذهِبَ عنكم رِجزَ الشَّيطان ﴾ الآية ، كان العدو قد أحرزُوا الماءَ دون المؤمنين ، وحفروا القُلُبَ لأنفسهم ، وكان المسلمون قد أحدثوا وأجْنَبَ بعضُهم ، وهم لايصِلون إلى الماء ، فوسوس الشيطانُ لهم أو لبعضهم ، وقال : تزعمون أنكم على الحق ، وقد سَبَقَكُمْ أعداؤكم إلى الماء ، وأنتم عِطاشٌ وتُصَلُّون بلا وُضوء ، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يَقْطَعَ العطَشُ رِقابَكم ، ويُذهب قُواكم فيتحكَّموا فيكم كيف شاءوا ، فأرسل الله تعالى السماء فحلَّتْ عَزَاليها[2] فتطهَّروا ورَوُوا وتلبَّدت الأرضُ لأقدامِهم وكانت رِمالاً وسَبَخاتٍ ، فثَبَتَتْ فيها أقدامُهم وذَهَبَ عنهم رجزُ الشيطانِ ، ثم نهضوا إلى أعدائهم فغلبوهم على الماء ، وغاروا القُلُب التي كانت لى العدو فعطِش الكفارُ ، وجاء النصرُ من عند الله ، وقَبَضَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ قَبْضَةً من البَطْحَاء ورَمَاهم بها ، فملأت عيونَ جميع العسكرِ ،

= روى عن غير الصحابة حتى عن كعب الأحبار وأمثاله ، وأقول : الحقيقة القرآنية تؤكد أن الملائكة لم تقاتل مع أهل بدر ، وإنما كانوا ـ كما وصفهم الله ـ بشرى للمؤمنين . وتؤكد أن قوله تعالى (فاضربوا فوق الأعناق) الخ إنما هو موجه إلى المؤمنين لا إلى الملائكة . والدليل : تدبر الآيات ، لا الخنوع لرواهي الروايات .

(١) يقال : أبننت بالمكان إبناناً إذا أقمت به ، وبن يبن ـ بكسر الباء ـ بنا ، وأبن أقام به أيضا .

(٢) جمع عزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها .

. . . .

وذلك قوله سبحانه : ﴿ وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ، ولكن الله رمى ﴾ أى : عَمَّ جميعَهم ، ولم يكن فى قبضتك إلا مايبلغ بعضهم ، فالله هو الذى رمى سائرهم إذْ رَمَيْتَ أنت القليل منهم ، فهذا قولٌ ، وقال أحمدُ بن يحيى : معناه : وما رَمَيْتَ قلوبهم بالرُّعْب حين رَمَيْتَ الحَصْباء ، ولكن الله رمى وقال هبةُ الله بن سَلَامة : الرَّمْى أخذٌ وإرسالٌ وإصابةٌ وتَبْليغٌ ، فالذى أثبت الله لنبيه هو الأخْذُ والإرسال ، والذى نفى عنه هو الإصابة والتبليغ ، وأثبتهما لنفسه .

هول التولى يوم الزحف والانتصارات الإسلامية الباهرة :

وقوله : ﴿ فلا تُوَلُّوهُم الأَدْبارَ ﴾ الآية قال الحسن : ليس الفِرار من الزَّحْفِ من الكبائر إلاَّ يَوْمَ بَدْرٍ وفى المَلْحَمَة الكُبْرى التى تأتى آخرَ الزمان . وقال غيره : هو من الكبائر إذا حضر الإمامُ ولم يتحيَّزْ إلى فِئَةٍ فأمَّا إذا كان الفِرار إلى الإمام ، فهو مُتَحَيِّزٌ إلى فئة ، وقد قال عمرُ بن الخطاب حين بلغه قتلُ أبى عبيد بن مسعود ، وما أوقع الفرسُ بالمسلمين : هلا تَحيَّزَ إلىَّ أبو عبيد بن مسعود ، فإنى فئة لكل مسلم ، ورُوِىَ مثلُ هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال لأصحابه الذين رَجَعوا من غَزْوة مُؤْتَةَ [1] ، ذلك أنهم قالوا : نحن الفَرَّارُون يارسول الله ، فقال : بل أنتم العَكَّارُونَ [2] ، وأنا فِئَتُكم ،

---

(١) مؤتة قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام .

(٢) الكرارون إلى الحرب والعطافون نحوها ، يقال للرجل يولى عن الحرب ثم يكر راجعا إليها : عكر واعتكر وقد ورد هذا فى حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة من طرق عن يزيد بن أبى زياد ، وقال =

. . . .

وهو حَدِيثٌ مشهور اختصرته، والقَدْرُ الذى يحرم معه الفرارُ الواحدُ مع الواحد، والواحدُ مع الاثنين، فإذا كان الواحدُ للثَّلاثَةِ، لم يَجِبْ على الفارِّ فرارُه، كان متحيزاً إلى فِئَةٍ أو لم يكن. وذكر أبو الوليد بن رُشْدٍ(١) فى مقدماته عن

= الترمذى: حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن أبى زياد. هذا وقد روى البخارى ومسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». وفى سنن أبى داود والنسائى ومستدرك الحاكم وتفسير ابن جرير وابن مردويه من حديث داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد أنه قال فى هذه الآية «إنما أنزلت فى أهـــل بدر» هذا وما أجل ما قاله ابن كثير — بعد أن أورد الذى سبق وغيره مما يفيد أن الآية خاصة بأهل بدر «وهذا كله لا ينفى أن يكون الفرار من الزحف حراما على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزول الآية فيهم، كما دل عليه حديث أبى هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات، كما هو مذهب الجماهير والله أعلم».

(١) فى بداية المجتهد ص ٣١٢ جـ ١ ط ١٣٣٣ هـ لأبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى «وأما معرفة العدد الذين لا يجوز الفرار منهم فهم الضعف وذلك مجمع عليه لقوله تعالى: (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) الآية وذهب ابن الماجشون ورواه عن مالك أن الضعف إنما يعتبر فى القوة لا فى العدد، وأنه يجوز أن يفر الواحد عن واحد إذا كان أعتق جوادا منه وأجود سلاحا وأشد قوة» ويقول الشافعى: «إذا غزا المسلمون، فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا إلا متحرفين لقتال أو متحيزين إلى فئة، وإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا، ولا يستوجبوا السخط عندى من الله لو ولوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة» ص ١٤٤ جـ ٢ الزواجر لابن حجر الهيتمى ط ١٣٥٦ وانظر الأحكام السلطانية =

. . . .

بعض الفقهاء ، قال : إذا كان المسلمون اثنا عشر ألفا لم يَجُزْ لهم الفرارُ من ثلاثةِ أمثالهم ، ولا من أكثرَ من ذلك ، لقوله عليه السلام : لن تُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفاً من قِلَّةٍ ، وقد كان وقوفُ الواحدِ إلى العشرة حَتْماً فى أول الأمر ، ثم خفف اللهُ ذلك ونسخه بقوله : ﴿ الآن خَفَّفَ الله عنكم ، وعَلِم أن فيكم ضَعْفاً ﴾ الآية ، كذلك رُوِى عن ابن عباس ، وهو قول العلماء ، ولكن لا يَتَبيَّن فيه النَّسْخُ ، لأن قوله ﴿ إنْ يكُن منكم عشرون صابِرون ﴾ إلى آخر الآية خَبَرٌ ، والخبر لا يدخله النَّسْخُ ، وقوله : ﴿الآن خفَّف الله عنكم﴾ يدل على أن ثَمَّ حُكْما منسوخا ، وهو الثُّبُوت للعَشَرة ، فإذاً للآية ظَهْرٌ وبَطْن ، فظاهرها خبر ، ووعد من الله تعالى أن تغلِب العشرةُ المائَةَ ، وباطنُها وجوبُ الثُّبوتِ للمائةِ ، ويدل على هذا الحكم قولُه : ﴿ حَرِّضِ المؤمنين على القِتال ﴾ فتعلَّق النسخُ بهذ الحكم الباطنِ ، وبقى الخبرُ وعداً حقًّا قد أبصره المؤمنون عِيَاناً فى زمن عُمَر بنِ الخطاب ، وفى بقية خلافة أبى بكر فى مُحاربة الروم وفارس بالعراق وبالشام ، ففى تلك الملاحم هَزَمت المِئون الآلافَ من المشركين ، وقد هَزَم خالدُ بنُ الوليد مائةَ ألفٍ حين إقبالِه من العراق إلى الشام ولم يبلغ عسكرُه خمسة آلافٍ ، بل قد رأيت فى بعض فتوح الشام أنه كان يَوْمَئِذٍ فى ألفِ فارسٍ ، وكان قد أقبل من العراق مَدَداً للمسلمين الذين بالشام ، وكان الرُّومُ فى أربعمائة ألف ، فلقى منهم خالد مائةَ ألفٍ ففَضَّ جمعَهم

= لأبى يعلى والماوردى . وقد قال الخرقى « لا يجوز للمسلم أن يهرب من كافرين ، ومباح له أن يهرب من ثلاثة فإن خشى الأسر قاتل حتى يقتل » ص ٣٠ الأحكام السلطانية لأبى يعلى ط ١٣٥٦ ه .

. . . .

وهَزمهم[1] ، وقد هزَم أهلُ القادِسيَّة جيوشَ رُسْتُم وقتلوه وكان رُسْتم في أكثر من مائتي ألفٍ[2] ، ولم يكن المسلمون في عُشْرِ ذلك العدد وجاؤا معهم بالفِيَلَةِ أمثالِ الحُصُون عليها الرجالُ ففرت الفيلة ، وأطاحت ما عليها ، ولم يَرُدَّها شيء دون البلد الذي خرجت منه ، وكذلك ماظهر من فتح الله ونَصْره على يَدَيْ موسى بن نُصَير بإفْرِيقيَّة ، والأندلس[3] ، فقد كان في ذلك أعجبُ العَجَبِ ، فكان وعدُ الله مفعولا ونَصْرُه للمسلمين ناجزاً ، والحمد لله .

---

(١) أظنه يقصد وقعة أجنادين ، فقد شهدها من الروم مائة ألف . وقد كانت في سنة ١٣ هـ .

(٢) القادسية : قرية قرب الكوفة من جهة البر بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا ، وقد كانت معركتها العظيمة سنة ١٤ أو ١٥ هـ ، وقيل كان في آخر سنة ١٦ هـ وكان عدد الفيلة فيها ثلاثة وثلاثين وفيها كتب عمر إلى سعد : « لا يكربنك ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله ، وتوكل عليه ، وابعث إليهم رجالا من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم ، وفلجا عليهم ، واكتب إلى في كل يوم » . وقد ذكر ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستما كان في ستين ألفاً .

(٣) لإفريقية في العربية قديما مفهوم غير مالها الآن . فهي — كما في مراصد الاطلاع — بلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، وينتهى آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس . . . وحـــد إفريقية من طرابلس المغرب من جهة برقة والإسكندرية وإلى بجاية — بجاية على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب — وقيل إلى مليانة . وقيل : طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا وعرضها من البحر إلى الرمال التي أولها بلاد السودان .

وقد بدأ غزو إفريقية في عهد عثمان بن عفان على يد واليه على مصر اعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وذلك في سنة ٢٧ هـ = ٦٤٧ م أو بعد هذا بعام =

. . . .

وقال النقاش فى معنى قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ معناه : إن يصبروا يغلبوا ، وغلبتهم ليس بأن يسلموا كلهم ، ولكن من سلم منهم رأى غَلَبَة أهل دينه ، وظُهورهم على الكفر ، ولا يقدح فى وعد الله أن يَسْتَشْهِدَ جملةٌ من الصابرين ، وإنما هذا كقوله : ﴿ قاتلوا

= أو عامين ، وكانت تحت يد المسيحيين وقد أتم فتح طرابلس المغرب ، غير أنه اكتفى آنذاك بفرض الجزية على أهلها ، وفى عهد معاوية بن خديج أمير مصر من قبل معاوية بن أبى سفيان سنة ٤٧ ﻫ = ٦٦٧م أو بعدها استونف الحرب ضد الحكم النصرانى فى إفريقية فأوغل حتى مشارف جزيرة صقلية .

أما الذى يعتبر المؤسس الحقيقى للحكم الإسلامى فى إفريقية فهو عقبة ابن نافع وهو ابن خالة عمرو بن العاص فتح برقة ، وفى سنة ٥٠ ﻫ = ٦٧٠ م استطاع القضاء على الحكم النصرانى فى شمالى إفريقيا مرة واحدة بمعاونة البربر ، وأنشأ مدينة عسكرية فى القيروان ، وجعلها معقلا وحصنا لعسكره ، ومقرا لولاة إفريقيـــة ، ثم عزل ، ثم أعاده يزيد بن معاوية إلى عمله سنة ٦٣ ﻫ = ٦٨٣ م فأوغل حتى بلغ المحيط .

ولكن البربر ولم يكونوا قد خضعوا خضوعا كاملا انتزعوا تونس من سنة ٦٤ ﻫ — ٧٤ ﻫ = ٦٨٣ - ٦٩٣ م ثم استرده حسان بن النعمان من ٧٤ - ٧٩ ﻫ = ٧٩٣ — ٦٩٨ م وقد عين عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز واليا على مصر شمالى إفريقية وفى عهده قضى نهائيا على المعارضة البربرية ، وقد عين على إفريقية الشمالية موسى بن نصير ولما تولى الوليد بن عبد الملك أقر ولاية موسى ، وأرسل هذا مولاه طارقا بجيش أكثره من البربر لاستطلاع أمر الأندلس فى سنة ٩٢ ﻫ = ٧١١م ووجه طارق إلى المملكة القوطية فى معركة وادى بكة ضربة قاضية قتل فيها ملكهم لذريق . واستطاع طارق وموسى الذى نزل إلى الأندلس أيضاً بجيش عربى إخضاع أسبانية الشمالية كلها من سرقسطة إلى نبرة .

هكذا كان آباؤنا ، فلنكن مثلهم فيما به انتصروا ، لا فيما به هزموا ! !

. . . .

الذين لايؤمنون بالله ﴾ إلى قوله ﴿حتى يُعطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يد وهم صاغرون﴾ فقد نُجِز الموعودُ وغُلبوا كما وُعِدوا . هذا معنى كلامه ، والذى قدمناه أبْيَنُ .

الذين في قلوبهم مرض في بدر :

وفى هذه السورة قوله : ﴿ إذْ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مَرضٌ ﴾ نزلت فى قومٍ من أهلِ مكّة آمنوا ولم يُهاجروا ، ثم خَرَجُوا مع المشركين إلى بدر ، فلما رَأوْا قِلّةَ المسلمين شكُّوا ، وقالوا غَرَّ هؤلاء دينُهم ، منهم قيسُ ابنُ الوليد بن المُغيرة ، وقَيْس بن الفاكه وجماعةٌ سماهم أبو بكر النَّقَّاش[1] ، وهم الذين قُتِلوا فضربت الملائكةُ وجوهَهم وأدبارَهم .

رأي الأخنس وأبي جهل فى النبى صلى الله عليه وسلم :

والأخنس يومئذٍ أبَىّ بن شَرِيقٍ بنحو من ثلاثمائة من قريش ، فسُمّى الأخْنَسُ [ابن شَرِيق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سَلَمة بن عبد العُزّى ابن غِيَرة] وذلك أنه خلا بأبى جهلٍ حين تَراءَى الجَمْعان ، فقال : أترى أن محمداً يكذبُ ؟ فقال أبو جهل : كيفَ يكذبُ على الله ، وقد كنا نُسَمِّيه الأمين ، لأنه ما كَذَبَ قطُّ ، ولكن إذا اجتمعت فى بنى عبدِ منافٍ السِّقَاية والرِّفادة والمَشُورة ، ثم تكون فيهم النُّبوةُ ، فأىُّ شىء بقى لنا ، فحينئذ انخنس الأخْنَسُ ببنى زُهْرَةَ وحشد إبليسُ جميعَ جُنودِه ، وجاء بنفسه ، ونزل

---

(١) ذكر مجاهد منهم أيضاً . الحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج « تفسير ابن كثير » .

. . . .

جبريل بألفٍ من الملائكة فى صُوَرِ الرجال ، فكان فى خمسمائة من الملائكةِ فى المَيْمنة ، وميكائيل فى خَمْسمائةٍ من الملائكة فى المَيْسَرَة ، ووراءهم مَدَدٌ لم يُقاتلوا ، وهم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران ، وكان إسرافيلُ وَسَطَ الصَّفِّ لايقاتل ، كما يقاتل غيرُه من الملائكة ، وكان الرجلُ يرى المَلَك على صُورة رجلٍ يعرفه ، وهو يُثَبِّته ويقول له : ماهُمْ بِشَىْءٍ ، فكُرُّ عليهم [1] ، وهذا فى معنى قوله سبحانه ﴿ فَثَبِّتُوا الذين آمنوا ﴾ ذكره ابن إسحاق فى غير رواية ابن هِشَام ، وفى مثل هذا يقول حَسَّانُ :

مِيكالُ مَعَكَ وجِبْرئيلُ كلاهما   مَدَدٌ لِنَصْرِكَ مِنْ عزيزٍ قادِرِ

ويقال : كان مع المسلمين يومئذ سَبْعُون من الجِنِّ ، كانوا قد أسلموا .

من الآخرون ؟

وَذَكر قولَ الله تعالى : ﴿ تُرْهِبُونَ به عَدُوَّ اللهِ وعدوَّكم وآخرين من دونهم ﴾ ولم يَذْكر الآخرين مَنْ هُم ، وقيل فى ذلك أقوالٌ قيل : هم المنافقون ، وقيل : هم اليهود [2] وأصح مافى ذلك أنهم الجن ، لرواية ابن المُلَيْكىّ عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى آخرين من دونهم

---

(١) قول لا سند له ، وقد سبق الحديث عن هذا ، ولم يكن المشركون فى القوة التى تحتاج إلى جبريل ومعه خمسمائة فى الميمنة ، وميكائيل فى خمسمائة منهم فى الميسرة ! !

(٢) رأى مجاهد فى الآخرين أنهم بنو قريظة ، ورأى السدى أنهم فارس

. . . .

قال هم الجن ثم قال عليه السلام : إن الشيطان لا يَخْبِلُ أحداً فى دارٍ فيها فَرَسٌ عَتِيقٌ ، ذكره الحارثُ فى مُسْنَدِه[1] وأنشد :

جُنُوحَ الْهَالِكِيِّ على يَدَيْهِ مكباً يجتلى نُقَبَ النِّصَالِ

الهالكىّ : الصَّيْقَلُ . و نُقَبُ النِّصالِ : جَرَبُ الحديد ، وصَدَؤُه ، وهو فى معنى النُّقَب ، واحدتها نُقْبَة[2] .

حول غنائم بدر :

فصل : وذكر فى السورة : ﴿ لولا كِتَابٌ من الله سَبَقَ ﴾ يعنى بإحلال الغنائم لمحمدٍ وأمته لَمَسَّكم فيما أخَذْتم عذابٌ عظيمٌ ، فقال النبىُّ — صلى الله عليه وسلم : — لقد عُرِضَ علىّ عذابُكم أدْنَى من هذه الشجرة[3] ، وقال : لو نزل عذابٌ مانجا منه إلا عُمَرُ ، لأن عُمَرَ كان قد أشار عليه بقتل الأسارَى والإثخانِ فى القَتْل ، وأشار أبو بكر بالإبقاء ، فأخذ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم —

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم والطبرانى . ولكن قال عنه ابن كثير فى تفسيره : « وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه » ثم قال : وقال عن رأى القائلين بأنهم المنافقون : « وهذا أشبه الأقوال ، ويشهد له قوله تعالى : (وممن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ، لاتعلمهم نحن نعلمهم) » وابن كثير استهدف فأصاب . وفى الآية دليل آخر « لا تعلمونهم » أما اليهود وفارس ، فكان المسلمون يعلمون بهم .

(٢) الهالكى : الحداد وهو هنا الصيقل ، ويجتلى : يجلو ويصقل ، والنصال : جمع نصل ، وهو حديدة السهم .

(٣) من حديث رواه أحمد ومسلم .

. . . .

بقول أبي بكر ، ثم نزلت الآية : ﴿ فكُلُوا مما غَنِمْتُم حَلالاً طَيِّباً ﴾ وروى أبو عُبَيْد من طريق عبد الله بن مَسْعُود قال : لما كان يوم بدر ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الأسارَى ، فقال : ماذا تَرَوْن ؟ فقال عمر : يارسول الله كَذَّبُوك وأخْرَجُوك ، اضرِب أعناقَهم ، وقال عبدُ الله بن رَوَاحَةَ : يارسول الله أنتَ بوادٍ كثيرِ الحَطَبِ ، فأضرِمْه ناراً ، ثم ألقِهِمْ فيها ، فقال العباس : قطع اللهُ رَحِمَك ، فقال أبو بكر : يارسول اللهِ عِتْرَتُكَ ، وأصلُك وقومُك تجاوَزْ عنهم ، يَسْتَنْقِذْهم الله بك من النار ، ثم دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمِنْ قائلٍ يقول القولَ ماقال عمـــر ، ومن قائل يقول القولَ ماقالَ أبو بكر ، فخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما قولُكم في هذين الرجلين ، إنّ مَثَلهُمَا كمَثَلِ إخْوَةٍ لكم ، كانوا قَبْلَكُمْ ، قال نوح : ﴿ رَبِّ لاَتذَرْ على الأرضِ ﴾ الآية ، وقال موسى : ﴿ رَبَّنا اطْمِسْ على أموالِهِم ﴾ الآية ، وقال عيسى : ﴿ إنْ تُعذِّبْهُم فإنهم عبادُك ﴾ الآية ، وقال إبراهيم : ﴿ فَمَنْ تَبِعني فإنه مِنّي ﴾ الآية . وإن الله يُشَدِّدُ قلوبَ رجالٍ ، حتى تكونَ كالحَجَرِ ، ويُلَيِّن قلوبَ رجال ، حتى تكونَ ألْيَنَ من اللبَن ، ويروى من اللِّين ، وإن بكم عَيْلَةً فلا يَفْلِت منهم أحدٌ إلا بفِدَاء أو ضَرْبة عُنُق . قال عبدُ الله [بن مسعود] : فقلتُ إلَّا سَهْلَ بن بَيْضَاء ، وقد كنت سمعته يذكر الإسْلَام ، قال : فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع عليّ الحجارةُ فقلت : أقدِّم القولَ بين يَدَيْ رسول الله ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلاَّ سَهْلَ بن بَيْضَاءَ ، ففرحت بذلك[1] ،

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

. . . .

قال أبو عبيدة: أما أهلُ المعرفة بالمغازى، فإنهم يقولون إنما هُو سَهْلُ بن بَيْضَاءَ أخو سُهَيْلٍ، فأمّا، سُهَيْلٌ، فكان من المهاجرين، وقد شَهِد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدراً، ثم إن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - لم يفد بعدها بمالٍ، إنما كان يَمُنُّ أو يُفَادِى أسيراً بأسير، كذلك قال أبو عُبَيْد: وذلك والله أعلم لقوله: ﴿ تُرِيدون عَرَضَ الدُّنْيا ﴾ يعنى الفِداءَ بالمال، وإن كان قد أُحلّ ذلك وطَيَّبه، ولكن ما فعله الرسولُ بعد ذلك أفضل من المنّ أو المُفَادَاة بالرجالِ، ألا ترى إلى قولِه سبحانه ﴿ فإمّا منًّا بعدُ وإمّا فِداءً ﴾ كيف قدّم المَنَّ على الفِداء، فلذلك اختاره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقدمه، وأما مذاهبُ الفُقهاء فى هذا، فالأوْزَاعى وسُفيان ومالك يكرهون أخذَ المال فى الأسير، لما فى ذلك من تقوية العدو بالرجال[1]، واختلفوا فى

---

(١) بسط الشيخ رشيد رضا القول فى تفسيره فى هذه المسألة، ثم قال — رحمه الله — : « وجملة القول فى تفسير الآيات الثلاث أنه ليس من سنة الأنبياء، ولا مما ينبغى لأحد منهم أن يكون له أسرى يفاديهم، أو يمن عليهم إلا بعد أن يكون له الغلب والسلطان على أعدائه وأعداء الله الكافرين لئلا يفضى أخذه الأسرى إلى ضعف المؤمنين وقوة أعدائهم وجراءتهم وعدوانهم عليهم، وأن ما فعله المؤمنون من مفاداة أسرى بدر بالمال كان ذنبا سببه إرادة جمهورهم عرض الحياة الدنيا على ما كان من ذنب أخذهم لهم قبل الإثخان الذى تقتضيه الحكمة بإعلاء كلمة الله تعالى، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، ولولا ذلك لسألوا الرسول « ص » كما سألوه عن الأنفال من قبله، وأنه لولا كتاب من الله سبق مقتضاه عدم عقابهم على ذنب أخذ الفداء قبل إذنه تعالى، وعلى خلاف سنته وبالغ حكمته لمسهم عــذاب عظيم فى أخذهم ذلك وأنه تعالى أحل لهم ما أخذوا وغفر لهم ذنبهم، بأخذه قبل إحلاله، والله غفور رحيم ».

. . . .

الصغير إذا كان معه أمُّه ، فأجاز فِداءه بالمال أهلُ العراق ، واختلف فيه عن مالكٍ ، والصحيحُ مَنْعُه ، وكان العباسُ عَمّ النبي صلى الله عليه وسلم فى الأسرى ، فَفَدَى نفسه ، وفدَى أَبنَىْ أخيه(١) ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: لقد تركتني أتكَفَّفُ قُرَيْشاً فقيراً مُعْدِماً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين الذَّهَب(٢) التى تركتها عندَ أمِّ الفضل وعددُها كذا وكذا ، وقلتَ لها كَيْتَ وكَيْت،فقال: من أعلَمَك بهذا يا ابن أخي ؟ فقال : اللهُ ، فقال : حديثٌ ما اطَّلع عليه إلا عالمُ الأسرارِ أشهد أنك رسولُ الله ، فحينئذ أسلم العباسُ، وكان فى الأسرى من يكتب ، ولم يكن فى الأنصار أحدٌ يُحسن الكتابة فكان منهم مَنْ لامال له ، فيقبل منه أن يُعَلِّمَ عَشَرةً من الغلمان الكتابةَ ، ويخلى سبيله ، فيومئذ تعلم الكتابةَ زيدُ بن ثابت فى جماعة من غِلْمة الأنصار ، وهذه عيون أخبارٍ ، وصلتها بما ذكره ابن إسحاق فى يوم بدر جمعتها من كتب التفاسير والسير ولخصتها .

خيل بدر :

فصل : وذكر ابن إسحاق الخيلَ التى كانت للمسلمين يوم بدر ، فذكر

---

(١) هما نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب . وفى صحيح البخارى عن ابن شهاب قال حدثنا أنس بن مالك أن رجالا من الأنصار قالوا يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال : لا والله لا تذرون منه درهما ، هذا وقد قيل إن العباس افتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب .

(٢) يؤنث أحيانا .

. . . .

بَعْزَجَةَ فرسَ المِقْدَادِ ، واليَعْبُوبَ فرسَ الزُّبَيْرِ ، وفرساً لمَرْثَدِ الغَنَوِيّ ، ولم يكن لهم يومئذ خيلٌ إلا هذه ، وفى فرس الزبير اختلافٌ ، وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم خيلٌ بعد هذا اليوم ، منها : السَّكْبُ واللِّزَازُ والمُرْتَجِزُ واللَّحِيفُ[1] ، وقد ذكره البخارى من حديثِ عباس بن سَهْل عن أبيه ، قال: ويقال فيه : اللَّخِيفُ بالخاء المعجمة[2] ، وقال القُتَبِيُّ : كان المُرْتَجِزُ فرساً اشتراه عليه السلام من أعرابى ، ثم أنكر الأعرابى أن يكونَ باعَه منه ؛ فشهد خُزَيْمَةُ بن ثابت على الأعرابى بالبيع ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : بم تشهد ؟ قال : أشهد بصدقك يارسول الله ، فَجعِلت شَهادتُه شهادَة رجلين ، والحديث مشهور ، غير أن فى مُسْنَدِ الحارث زيادة فيه ، وهى أنه ، عليه السلام ، ردَّ الفَرَسَ على الأعرابى ، وقال : لابارك الله لك فيها ، فأصبحت من الغد شائلة برجلها ، أى : قد ماتت . قال الطبرى : ومن خَيْـــلِه الضَّرِسُ ، ومُلاوِحٌ ، والوَرْدُ[3] وهو الذى وهبه لعمر ، فحمل عليه عمرُ رجلا فى سبيل

---

(١) سمى السكب بهذا لكثرة جريه ، كأنما يصب جريه صبا ، واللزاز لشدة تلززه واجتماع خلقه ، ولز به الشىء لزق به كأنه يلزق بالمطلوب لسرعته ، والمرتجز : لحسن صهيله ، واللحيف لطول ذنبه ، كأنه يلحف الأرض بذنبه أى يغطيها ، ويروى بالجيم ، فإن صح ، فانه من السرعة ، لأن اللجيف سهم عريض النصل .

(٢) يقول ابن الأثير : رواه البخارى هكذا ولم يتحققه ، والمعروف بالحاء المهملة والجيم .

(٣) الضرس ـ بفتح فكسر ـ الصعب السىء الخلق وهى فى الأصل : الضريس وهو خطأ صوبته من النهاية والطبرى والقاموس ، وكان أول ماغزا عليه أحد . وملاوح ـ بضم الميم وكسر الواو : الضامر الذى لايسمن ، والسريع العطش ، =

. . . .

الله ، وحديثه فى الموطأ ، وكان له عليه السلامُ من الدروع : ذاتُ الفُضُولِ ، وأخرى يقال لها : فضَّة ، وراية يقال لها العُقَابُ ، وقوسان أحدهما : الصَّفْراء ، والأخرى : الزَّوْرَاء وسيفُه : ذو الفِقَارَ لفقْراتٍ كانت فى وَسَطه[1] ، وكان لِنُبَيْه ومُنَبِّه ابنَى الحجاج سُلِبَاه يوم بَدْرٍ ، ويقال : إن أصله كان من حديدة وُجِدَت مَدْفونة عند الكعبة ، فصُنِع منها ذو الفِقَار ، وصَمْصَامَةُ عَمْرو بن مَعْدِى كَرِبَ التى وهبها لخالد بن سعيد ، وكانت مَشْهُورَةً عند العرب ، وكان له حَرْبَةٌ يقـــال لها : النَّبْعَة ، وذكر العُقَيلِىُّ فى كتاب الضُّعَفَاء جملة من آلاته عليه السلام فى حديث أسنده ، فمنها الجمع اسم كِنَانَتِه ، والمدلة اسم لمرآة كان ينظر

= والعظام الألواح . وزاد ابن الجوزى فى كتابه الوفا : الطرف ، وهو الكريم الطرفين . وقد ذكر الطبرى أن ملاوح كان لأبى بردة بن نيار ، وذكر فيه الظرب بدلا من الطرف عند ابن الجوزى . ويقول إن لزاز هدية من المقوقس ولحيف أهداه ربيعة بن أبى البراء ، والظرف أهداه له فروة بن عمر الجذامى ، والورد أهداه له تميم الدارى . كما ذكر له فرسا يسمى اليعسوب ص ١٧٤ حـ ٣ ط ١ المعارف . وذكر ابن القيم له فرسا آخر اسمه : سبحة ، وذكر أن الإمام أبا عبد الله محمد بن إسحاق بن جماعة جمعها فى بيت شعر :

والخيل : سكب لحيف سبحة ظرب ‌ ‌ ‌ لزاز مرتجز ورد لها أسرار

ص ٦٩ جـ ١ زاد المعاد

(١) يقول ابن الأثير لأنه كان فيه حفر صغار حسان . وضبطه ابن القيم ص ٦٧ حـ ١ زاد المعاد بفتح الفاء وكسرها ، وذكر له صلى الله عليه وسلم ثمانية أسياف آخرى كما ذكر له سبعة أدرع منها ما ذكر السهيلى ، وست قسى منها أيضا ما ذكر السهيلى ، وأما حربته فاسمها النبعاء كما ورد فى حديث رواه الطبرانى

. . . .

فيها ، وقضيب يسمى : الْمَمْشُوق ، وذكر الْجَلَمَيْنِ[١] ، ونسيت ما قال فى اسمه ، وأما بغلته دُلْدُلُ وحماره عُفَيْرٌ[٢] ، فقد ذكرناهما فى كتاب الأعلام ، وذكرنا ما كان فى أمر الحِمَار من الآيات . وزدنا هنالك فى استقصاء هذا الباب ، ورأينا أن لا نُخْلِيَ هذا الكتابَ مما ذكرنا هنالك ، أو أكثره ، وأما دُلْدُلُ فماتت فى زمن معاوية ، وهى التى أهداها إليه الْمُقَوْقِسُ ، وأما اليَعْفُورُ فطَرَح نفسه فى بئرٍ يوم مات النبى - صلى الله عليه وسلم - فمات ، وذكر ابن فَوْرَك فى كتاب الفصول أنه كان من مغانم خَيْبر ، وأنه كلَّم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له : يارسول الله أنا زيادُ بنُ شهابٍ ، وقد كان فى آبائى ستُّون حِمَاراً كلُّهم ركبه نبيٌّ ، فاركبنى أنت ، وزاد الْجُوَينى فى كتاب الشامل[٣] أن النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل إليه هذا الحمارَ ، فيذهب حتى يضرِب برأسِهِ البابَ ، فيخرج الرجل ، فيعلم أنه قد أرسل إليه ، فيأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وكان له تُرْسٌ فيما ذكر الطبْرى فيه تمثال كرأس الـكَبْشِ وكان يكرهه فيه ، فأصبح ذات يوم قد

---

(١) الجلم الذى يجز به الشعر والصوف ، والجلمان شفرتاه ، وهكذا يقال مثنى كالمقص والمقصين .

(٢) وفى رواية : يعفور . ويذكر الطبرى أنه قيل أيضاً إن دلدل هدية من فروه بن عمر الجذامى كما ذكر ابن القيم أنه كان له « ص » أربع بغلات منها دلدل .

(٣) ص ١٧٨ ح ٣ ط المعارف . ولا أدرى من أين جاء ابن فورك والجوينى بما ذكر عن الحمارين ؟؟ .

. . . .

اعمى[1] ، ولم يبق منه أثر ، وأما رِداؤه عليه السلام ، فكان يقال له : الحَضْرمِي ، وبه كان يشهد العيدين ، كان طوله أرْبعَ أذْرُع وعرضُه ذراعان وشِبْرٌ[2] ، وكان له جَفْنَةٌ عظيمةٌ يُقال لها الغَرّاء يحملها أربعةُ رِجالٍ جرى ذكرها فى حديث خَرجه أبو داود ، فهذه جُملةٌ تَشرَئِبُّ إلى معرفتها أنفُسُ الطالبين ، وترتاح بالمذاكرة بها قلوبُ المتأدِّبين ، وكُلُّ ما كان من باب المعرفة بنبيِّنا عليه السلام ، ومتصلا بأخبارِ سيرته مما يُونِقُ الأسماعَ ، ويهز بأرواح المحبةِ الطباع[3] ، والحمد لله على ما علم من ذلك .

---

(١) ذكر ابن القيم له اثنين آخرين ، وأنه وضع يده على التمثال ، فاعمى ص ٦٧ ج ١ زاد المعاد .

(٢) فى زاد المعاد لابن القيم ، قال الواقدى : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع فى ثلاثة وشبر ، وإزاره من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر ، فى عرض ذراعين وشبر ، ص ٧١ ج ١ زاد المعاد وانظر فيه تفصيل ملابسه صلى الله عليه وسلم ، وفى ص ٥٦٨ ج ٢ الوفا بأحوال المصطفى والمواهب اللدنية بداية الجزء الخامس .

(٣) لا ريب فى أن كل ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم يثير ما يثير فى النفس من شوق وحنين قد تعبر عنها أحيانا الدموع أصدق الدموع ، وتهفو بالروح إلى حيث كانت تلك السيرة القدسية . غير أنا نقول دائما : إننا يجب أن نعنى بسيرة النبى صلى الله عليه بعد البعثة ، حيث فرض الله علينا أن يكون لنا وحده ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الأسوة الحسنة . ولقد قوم القرآن لنا حياته عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وبعدها ، فلنهتد بنور القرآن فى هذا التقويم ليكون لنا نبراسا وفيصلا فيما يجب علينا أن نأتسى به . وهاهى ذى آيات من القرآن بها نسترشد ونستهدى فى هذا .

محمد قبل البعثة : ولاريب فى أن النص من القرآن يلغى كل وصف يعارضه ، ويحكم ببطلانه . فلنتدبر معا . (ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . =

. . . .

= ووجدك عائلا فأغنى) والمهم هنا الآية الثانية ، ولنحذر أن تفتننا العاطفة الساحرة عن حقيقة معناها ولنحذر أيضاً من إلغاء معناها ، وإلا كان الكفر الصراح البواح ، ولنحذر أيضاً من أن نظن أن الإيمان بها ينال من مكانة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولنتدبر معا أيضاً : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شيء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) النساء : ١١٣ فما أضل الذين يزعمون أنه كان يعلم بالقرآن قبل نزوله . بداية الآية تؤكد وجود بشرية فقيرة إلى عون الله وفضله ، وختامها يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الكتاب ، ولا الحكمة ، وأنه علم من الله ما لم يكن يعلم . ولنتدبر معا أيضاً : (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ، فلا تكونن ظهيرا للكافرين) القصص : ٨٦

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون) العنكبوت : ٤٨

(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا . ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان . ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا . وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) الشورى : ٥٢ .

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات . قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل : ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ، ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله . أفلا تعقلون) يونس : ١٥ ، ١٦

هذا تقويم لحياة النبي صلى الله عليه وسلم ، يؤكد لنا ما يأتى بعضه : إنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف الكتاب ولم يكن يعرف الإيمان ، وأن الله وجده ضالا ، فهداه ، وأنه لم يكن يرجو أن يلقى إليه الكتاب ، ولهذا لم يفرض الله علينا الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى هذه الفترة ، وإنما فرض علينا أن نتخذه أسوة بعد أن صار رسولا

تقويم لحياته بعد الرسالة :

. . . .

= يقول سبحانه فى سورة النجم (ما ضل صاحبكم ، وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى) جاءه الوحى ، فكانت هذه الصفات العظيمة التى بها زكى الله فكره وقلبه ولسانه .

(فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته، واتبعوه لعلكم تهتدون) الأعراف : ١٥٨ .

(كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة : ١٥١ .

وهذا تقويم لرسالته وأثرها فى البشرية

(قل : أطيعوا الله والرسول ، فان تولوا ، فان الله لا يحب الكافرين) آل عمران : ٣٢ .

(إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) الأحزاب : ٥٦ وأى تمجيد أعظم من هذا لعبد اصطفاه الله ليختم به النبوة ؟

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم) الفتح : ١٠ .

هكذا تؤكد الآية أن من بايع محمداً — صلى الله عليه وسلم — فإنما بايع الله سبحانه ، أفترجو البشر فى تطلعها إلى الخلود مقاما أعظم ؟ كلا . ثم تدبر هذا التقويم الأعظم إذ يجعل الله طاعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — هى القاعدة لطاعته ، أو المعراج إلى طاعته جل شأنه ، وهذا فى قوله سبحانه (من يطع الرسول ، فقد أطاع الله) النساء : ٨٠ .

(قل إن كنتم تحبون الله ، فاتبعونى ، يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم) .

فليس ثمت وسيلة إلى محبة الله سوى طاعته صلى الله عليه وسلم واتباعه .

(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الأحزاب : ٤٠ .

(إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة ، وأعد لهم عذابا مهينا) الأحزاب : ٥٧ . =

= هو الخاتم للنبوة . ومن يؤذه رجمته لعنة الله فى الدارين ، وتجرع العذاب المهـــين .

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا) الأحزاب : ٢١ .

وتدبر قوله جل شأنه (رسول الله) أتى بالوصف الذى به فرض علينا أن نتخذه أسوة ، وصف أنه رسول الله ، لو وضع مكانها كان لكم فى محمد ، لفرض علينا اتخاذه أسوة فى حاليه قبل البعثة وبعدها .

(إنك ميت ، وإنهم ميتون)

فا حذر أن يهوم بك الخيال ، فتظنه خالدا فالله يقول (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مت فهم الخالدون) ووضع إنك وإنهم هكذا متجاورين فى الآية التى تؤكد أنه سيموت تؤكد لك أن موته هو موتنا ، حتى لا يخدعنك بالتمويه دجال .

لهذا يجب علينا أن نذكر أنفسنا وأبناءنا وإخواننا دائما بما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم بعد بعثته أكثر من التذكير بمولده صلى الله عليه وسلم . ولتقارن بين القرآن وبين أسطورة هذى بها ابن عربى فأجت أجيج النار فى الهشيم ، وسلبت ألوف الألوف حسن اعتقادهم فى الله ورسوله ، وقد ردد هذه الأسطورة فى كتابه الكبير (الفتوحات المكية) وعنه نقلها الشعرانى فى التمجيد والتعظيم وذلك فى كتابه « الكبريت الأحمر فى بيان علوم الشيخ الأكبر » . وإليك ما قاله ابن عربى « إعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى القرآن مجملا قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور ، فقيل له : لاتعجل بالقرآن الذى عندك قبل جبريل ، فتلقيه على الأمة مجملا ، فلا يفهم أحد عنك لعدم تفصيله » ص ٦ الكبريت الأحمر المطبوع على هامش اليواقيت والجواهر سنة ١٣٠٧ هـ وتأمل قول عبد الكريم الجيلى — وهو من هو — عند الصوفية (اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته ، وذات الحق جامعة للضدين، خلق الملائكة العالين فى حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ،=

من شهد بدراً من المسلمين

من بني هاشم والمطلب

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين ، ثم من (قريش ، ثم من) بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطّلب بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النّضر ابن كِنانة .

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، ابن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ؛ وحمزة بن عبد المطّلب بن هاشم ، أسدُ الله وأسد رسوله، عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وعلىّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ؛ وزيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كعب بن عبد العزّى بن امرئ القيس الكلبي ، أنعم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : زيد بنُ حارثة بن شَراحيل بن كعب بن عبد العُزّى بن امرئ القيس بن عامر بن النُّعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن كِنانة ابن بَكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زيد الله بن رُفَيْدة بن ثور بن كَلْب ابن وَبْرة .

= ص ٤١ ح ٢ الإنسان الكامل ط ١٢٩٤ وإذا سئل الصوفية عن الحقيقة المحمدية قالوا هي ذات الله في تعينها الأول . وراجع ما كتبته في كتابي « هذه هي الصوفية» وكتابي « مصرع التصوف » هدانا الله إلى الحق ، ورزقنا الحمية له على بصيرة .

قال ابن إسحاق : وأَنَسَةُ مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو كَبْشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أَنَسَةُ : حبشيّ ، وأبو كَبْشة : فارسيّ .

قال ابن إسحاق وأبو مَرْثَدٍ كَنَّازُ بنُ حِصْن بن يَرْبوع بن عَمْرو بن يَرْبوع بن خَرْشة بن سَعْد بن طريف بن جِلاَّنَ بن غَنْم بن غَنِيّ بن يَعْصُر ابن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان .

قال ابن هشام : كَنَّاز بن حُصين .

قال ابن إسحاق : وابنه مَرْثد بن أبي مرثد ، حَليفا حمزة بن عبد المطَّلب ؛ وعُبيدة بن الحارث بن المطَّلب ؛ وأخواه الطُّفيل بن الحارث ، والحُصَين بن الحارث ؛ ومِسْطَح ، واسمه : عَوْف بن أُثاثَة بن عَبَّاد بن المُطَّلِب . اثنا عَشر رجلا .

من بني عبد شمس

ومن بني عبد شَمْس بن عبد مناف : عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أُمَيَّة ابن عبد شمس ، تخلَّف على امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرَب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجْرى يارسولَ اللهِ ؟ قال : وأجرُك ؛ وأبو حذَيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ وسالم ، مولى أبي حُذيفة .

قال ابن هشام : واسم أبي حُذيفة مِهْشَم .

———

. . . .

نسب سالم

قال ابن هشام : وسالم ، سائبة لثُبَيتة بنت يَعار بن زَيْد بن عُبيد بن زَيْد ابن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوف بن مالك بن الأوس ، سَيَّبته فانقطع إلى أبى حُذيفة فتبنَّاه ، ويقال: كانت ثُبَيتةُ بنت يَعار تحت أبى حُذيفة بن عُتبة ، فأعتقت سالما سائبةً ، فقيل : سالم مولى أبى حُذيفة .

قال ابن إسحاق : وزعموا أنّ صُبيحا مولى أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس تجهَّز للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرض ، فحمل على بعيره أبا سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ ثم شهد صُبَيح بعد ذلك المَشاهد كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من حلفاء بنى عبد شمس

وشهد بدراً من حُلفاء بنى عَبْد شَمْس ، ثم من بنى أسد بن خُزَيمة : عبدُ الله بن جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم ابن دُودان بن أسد ؛ وعُكّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قَيْس بن مُرّة ابن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وشُجاع بن وَهْب بن ربيعة بن أسد ابن صُهَيب بن مالك بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وأخوه عُقْبة بن وَهْب ؛ ويزيد بن رُقَيش بن رئاب بن يَعْمر بن صَبْرة بن مرّة بن كَبير ابن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وأبو سِنان بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قيس ، أخو عُكّاشة بن مِحصن ؛ وابنُه سنان بن أبى سِنان ، ومُحرِز بن نَضْلة بن عبد الله

ابن مرّة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ، وربيعة بن أكْثَم بن سَخْبَرة ابن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد

من حلفاء بنى كبير

ومن حلفاء بنى كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد : ثَقْفَ بن عَمْرو ، وأخواه : مالك بن عمرو ، ومُدْلج بن عمرو .

قال ابن هشام : مِدْلاج بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وهم من بنى حَجْر ، آل بنى سُلَيم . وأبو مَخْشى ، حليفٌ لهم . ستَّة عشرَ رجلا .

قال ابن هشام : أبو مَخْشىّ طائىّ ، واسمه : سُوَيد بن مَخْشى .

من بنى نوفل

قال ابن إسحاق : ومن بنى نَوْفل بن عبد مَناف : عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وَهْب بن نُسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان ؛ وخَبَّاب ، مولى عُتْبة بن غَزْوان — رجلان .

من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد ابن أسَد ؛ وحاطب بن أبى بَلْتعة ، وسَعْد مولى حاطب . ثلاثةُ نفر .

قال ابن هشام : حاطب بن أبي بَلْتعة ، واسم أبي بَلْتعة : عمرو ، لخميّ ، وسَعْد مولى حاطب ، كلبيّ .

من بني عبد الدار

قال ابن إسحاق : ومن بني عبد الدّار بن قُصَيّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَيّ ؛ وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْلة بن مالك بن عُمَيْلة بن السَّبّاق بن عبد الدار بن قُصَيّ . رجلان .

من بني زهرة

ومن بني زُهْرة بن كلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة ؛ وسعدَ بن أبي وقّاص — وأبو وقّاص مالك بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة . وأخوه عُمَير بن أبي وقّاص .

ومن حُلفائهم : المِقْدادُ بن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثمامة بن مَطْرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن ثَوْر بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد بن هَزْل بن قائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهْود بن بَهْراء بن عمرو بن الحاف ابن قُضاعة . قال ابن هشام : ويقال : هزل بن قاس بن ذَرّ — ودَهِير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مَخْزوم ابن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَمِيم بن سعد بن هُذَيل ؛ ومسعود بن رَبيعة ابن عمرو بن سعد بن عبدالعُزّى بن حَمالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهُون بن خُزَيمة ، من القارة .

قال ابن هشام : القارة : لقب لهم . ويقال :

قَدْ أنْصَفَ القارَةَ مَنْ رَاماها

وكانوا رماة .

قال ابن إسحاق : وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مَلَكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، من خُزاعة .

قال ابن هشام : وإنما قيل له : ذو الشمالين ، لأنه كان أعسر ، واسمه عُمَير .

قال ابن إسحاق : وخبَّاب بن الأرتّ ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : خباب بن الأرتّ ، من بنى تميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ؛ ويقال : خبَّاب من خُزاعة .

من بنى تيم

قال ابن إسحاق : ومن بنى تَيم بن مُرّة : أبو بكر الصدّيق ، واسمه عَتيق ابن عُثمان بن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم .

قال ابن هشام : اسم أبى بكر : عبدُ الله ، وعَتِيق : لقب ، لُحسْن وجهه وعتقِه .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبى بكر — وبلال مولد من مولَّدى بنى جُمح ، اشتراه أبو بكر من أميَّة بن خلَف ، وهو بلال بن رَباح ، لاعقب له — وعامر بن فُهَيرة .

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيرة ، مولَّد من مولدى الأسْد ، أسود ، اشتراه أبو بكر منهم .

قال ابن إسحاق : وصُهَيب بن سِنان ، من النَّمر بن قاسط .

نسب النمر

قال ابن هشام : النمر : ابنُ قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَدِيلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ؛ ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعه بن نزار ، ويقال : صُهيب ، مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم ، ويقال : إنه رُومىّ . فقال بعض من ذكر إنه من النَّمر بن قاسط : إنما كان أسيراً فى الروم فاشْتُرِى منهم . وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : صُهيب سابِقُ الروم .

قال ابن إسحاق : وطلحة بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سَعْد ابن تَيم ، كان بالشأم ، فقَدِم بعد أن رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلَّمه ، فضرب له بسَهمِه ، فقال : وأجْرِى يارسولَ الله؟ قال : وأجرُك .

خمسة نفر .

من بنى مخزوم

قال ابن إسحاق : ومن بنى مَخْزوم بن يَقظة بن مُرّة : أبو سَلَمة بن عبدالأسد ، واسمُ أبى سَلَمة عبدُالله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم ؛ وشماس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمىّ بن عامر بن مخزوم .

سبب تسمية الشماس

قال ابن هشام : واسم شمّاس : عثمان ، وإنما سمّى شمّاسا ، لأن شمّاساً من الشمامسة قَدِم مكة فى الجاهليَّة ، وكان جميلاً ، فعجب الناسُ من جماله . فقال عُتبة بن ربيعة ، وكان خالَ شمّاس : ها أنا آتيكم بشمّاس أحسن منه ، فأتى بابن أخته عثمان بن عثمان فسُمّى شمّاساً ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزهرىّ وغيرُه .

قال ابن إسحاق : والأرقمُ بن أبى الأرقم ، واسم أبى الأرقم : عبدُ مناف ابن أسد ، وكان أسد يُكْنى : أبا جُنْدب بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم ؛ وعمّار بن ياسر .

قال ابن هشام : عمّار بن ياسر ، عَنْسِىّ ، من مَذْحج .

قال ابن إسحاق : ومُعتِّب بن عَوف بن عامر بن الفَضْل بن عَفيف بن كُلَيْب بن حُبْشيَّة بن سَلول بن كَعْب بن عمرو ، حليف ، لهم من خُزاعة ، وهو الذى يُدعى : عَيْهامة ، خمسة نفر .

من بنى عدى وحلفائهم

ومن بنى عدىّ بن كعب : عمرُ بن الخطَّاب بن نُفَيل بن عبد العُزّى ابن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عدىّ ؛ وأخوه زيد بن الخطَّاب ؛ ومِهْجَع ، مولى عمر بن الخطَّاب ، من أهل اليمن ، وكان أوّلَ قتيل من المسلمين بين الصفَّين يوم بَدر ، رُمى بسهم .

قال ابن هشام : مِهْجع ، من عكّ بن عَدْنان .

قال ابن إسحاق : وعمرو بن سُراقة بن المُعْتَمِر بن أَنَس بن أذاة بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رَزاح بن عدىّ بن كعب ؛ وأخوه عبد الله ابن سُراقة ، وواقد بن عبد الله بن عبد مَناف بن عَرِين بن ثَعلبة بن يَرْبوع ابن حَنْظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف لهم ، وخَوْلىّ بن أبى خولى ومالك بن أبى خَوْلى ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى ، من بنى عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن علىّ ابن بَكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطَّاب ، من عَنز ابن وائل .

قال ابن هشام : عنز بن وائل : ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن جَديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفصى : ابنُ دُعْمِىّ بن جَديلة .

قال ابن إسحاق : وعامر بن البُكَير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ؛ وعاقل بن البُكَير ؛ وخالد بن البُكَير ، وإياس بن البُكَير ، حلفاء بنى عدىّ بن كَعْب ؛ وسَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ابن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رزاح بن عدىّ بن كعب ، قَدِم من الشأم بعد ما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلّمه ، فضَرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ؛ قال : وأجْرِى يارسول الله ؟ قال : وأجرك . أربعة عشر رجلا .

. . . .

من بنى جمح وحلفائهم

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخَواه قُدامة ابن مَظْعون ؛ وعبدُ الله بن مَظْعون ؛ ومعمر بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب ابن وهب بن حُذافة بن جُمَح . خمسة نفر .

ومن بنى سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن خُنَيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم . رجل .

من بنى عامر

قال ابن إسحاق : من بنى عامر بن لُؤىّ : ثم من بنى مالك بن حِسْل بن عامر : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل عبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ؛ وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حَسل - كانَ خرج مع أبيه سُهيل بن عمرو ، فلما نزل الناسُ بدراً فرّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدها معه - وعُمير ابن عَوْف ، مولى سُهيل بن عمرو ؛ وسعد بن خَوْلة ، حليف لهم . خمسةُ نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خَوْلة ، من اليمن

من بنى الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بنى الحارث بن فِهْر : أبو عُبيدة بن الجراح ،

وهو عامر بن الله بن الجرّاح بن هلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث وعمرو ابن الحارث بن زُهير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث ؛ وسُهيل بن وهب بن رَبيعة بن هلال بن أبى أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث ؛ وأخوه صَفْوان بن وهْب ، وهما ابنا بيضاء ؛ وعمرو بن أبى سَرْح ابن ربيعة بن هلال بن أُهَيب بن ضبّة بن الحارث . خمسة نفر .

عدد من شهد بدراً من المهاجرين

فجميع من شَهد بدراً من المُهاجرين ، ومن ضرب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجْره ، ثلاثة وثمانون رجلا .

قال ابن هشام : كثير من أهل العلم ، غير ابن إسحاق ، يذكرون فى المهاجرين ببدر ، فى بنى عامر بن لؤىّ : وهب بن سَعد بن أبى سَرْح ، وحاطبَ بن عمرو ؛ وفى بنى الحارث بن فِهر : عِياضُ بن أبى زُهير .

الأنصار ومن معهم

من بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحاق : وشَهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ثم من الأنصار، ثم من الأوس بن حارثة بن ثَعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس سعدُ بن مُعاذ بن النُّعمان بن امرىء القَيْس بن زيد بن عبد الأشهل ؛

وعمرو بن مُعاذ بن النُّعمان ، والحارث بن أوْس بن مُعاذ بن النُّعمان، والحارث ابن أنَس بن رافع بن امرىء القيس .

من بني عبيد بن كعب وحلفائهم

ومن بنى عُبَيدُ بن كعب بن عبد الأشهل : سعدُ بن زَيْد بن مالك بن عُبيد . ومن بنى زَعْورا بن عبد الأشهل - قال ابن هشام : ويقال : زَعُورا - سَلمة بن سَلامة بن وَقَش بن زُغْبة ، وعبَّاد بن بِشر بن وَقَش بن زغْبة بن زَعُورا ، وسَلمة بن ثابت بن وَقش ، ورافع بن يَزيد بن كُرْز بن سَكن بن زَعُورا ، والحارث بن خَزَمة بن عدىّ بن أُبىّ بن غَنْم بن سالم بن عَوْف ابن عمرو بن عَوْف بن الخزْرج حليف لهم من بنى عَوْف بن الخزْرج ومحمدُ بن مَسْلمة بن خالد بن عدىّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث، وسَلَمة بن أسْلم بن حَريش بن عدىّ بن مَجْدعة بن حارثة ابن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث .

قال ابن هشام : أسلم : بن حُرَيس بن عدىّ .

قال ابن إسحاق : وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وعُبيد بن التَّيِّهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التَّيِّهان .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن سَهْل . خمسةَ عشر رجلا .

قال ابن هشام : عبدُ الله بن سَهل : أخو بنى زَعُورا ؛ ويقال : من غسَّان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظَفَر ، ثم من بنى سَوَاد بن كَعْب ، وكعب : هو ظَفَر ـ قال ابن هشام : ظَفَر : ابن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوس : قتادةُ بن النُّعمان بن زيد بن عامر بن سَوَاد ؛ وعُبيد بن أوْس بن مالك بن سَوَاد ، رجلان .

سبب تسمية عبيد بمقرن

قال ابن هشام : عُبيد بن أوس الذى يُقال له : مقرّن ، لأنه قَرَن أربعة أسرى فى يوم بدر . وهو الذى أسر عَقيل بن أبى طالب يومئذ .

من بنى عبد بن رزاح وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَبْد بن رِزَاح بن كعب : نَصْرُ بن الحارث ابن عبد ؛ ومعتِّب بن عبد .

ومن حلفائهم ، من بلىّ : عبدُ الله بن طارق . ثلاثة نفر .

من بنى حارثة

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مسعودُ بن سَعْد بن عامر بن عدىّ بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : مسعود بن عبد سعد .

قال ابن إسحاق : وأبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة .

ومن حلفائهم ، ثم من بلىّ : أبو بُردة بن نيار ، واسمه : هانئ بن نيار ابن عمرو بن عُبيد بن كلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبيان بن هُمَيم بن كاهل ابن ذُهْل بن هُنَىّ بن بلىّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . ثلاثة نفر .

من بنى عمرو

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَمْرو بن عَوف بن مالك بن الأوْس ، ثم من بنى ضُبَيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن قَيْس ، وقيس أبو الأقْلح بن عِصْمة بن مالك بن أمَة بن ضُبيعة — ومعتّب بن قُشَير بن مُلَيل بن زيد بن العَطّاف بن ضُبيعة ؛ وأبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد بن العَطّاف بن ضُبيعة ، وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد ابن العطاف بن ضبيعة .

قال ابن هشام : عُمَير بن مَعْبد .

قال ابن إسحاق : وسهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث : ابن عمرو ، وعمرو الذى يقال له : بحزج بن حَنَس ابن عوف بن عمرو بن عوف . خمسة نفر .

من بنى أمية

ومن بنى أميّة بن زيد بن مالك : مُبَشّر بن عبد المُنذر بن زَنبر بن زيد ابن أميّة ، ورفاعة بن عبد المُنذر بن زَنْبر ، وسعد بن عُبَيد بن النّعمان بن

قَيس بن عمرو بن زيد بن أُميَّة : وعُويم بن ساعدة ، ورافع بن عُنْجُدَة - وعُنْجُدَةُ أمُّه ، وفيما قال ابن هشام - وعُبيد بن أبى عُبيد ، وثعلبة بن حاطب .

وزعموا أن أبا لُبابة بن عبد المنذر ، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعهما ، وأمَّر أبا لبابة على المدينة ، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ردَّهما من الرَّوحاء .

قال ابن هشام : وحاطبُ بن عمرو بن عُبَيد بن أُميَّة ، واسم أبى لُبابة : بَشير .

من بنى عبيد وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عُبيد بن زيد بن مالك : أُنَيس بن قَتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عُبيد .

ومن حُلفائهم من بلىّ : مَعْن بن عدىّ بن الجدّ بن العَجْلان بن ضُبيعة وثابت بن أقرم بن ثَعلبة بن عدىّ بن العَجْلان ، وعبد الله بن سَلَمة بن مالك ابن الحارث بن عدىّ بن العَجْلان ، وزيد بن أسْلم بن ثعلبة بن عدىّ بن العجلان ؛ ورِبْعىّ بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجدّ بن العَجْلان . وخرج عاصم بن عدىّ بن الجدّ بن العَجْلان ، فردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

من بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبدُ الله بن جُبير بن النُّعمان بن أُميَّة

ابن البَرْك ـ واسم البُرك : امرؤ القيس بن ثعلبة ـ وعاصم بن قَيْس .

قال ابن هشام : عاصم بن قَيْس : ابن ثابت بن النعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وأبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة ؛ وأبو حَنَّة .

قال ابن هشام : وهو أخو أبي ضَيَّاح ،ويقال : أبو حَيَّة . ويقال لامْرِىء القيس : البُرَك بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وسالم بن عُمير بن ثابت بن النُّعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : ثابت : ابن عَمْرو بن ثَعْلَبَة .

قال ابن إسحاق : والحارث بن النُّعمان بن أُميَّة بن امرىء القيس بن ثَعلبة وخوّات بن جُبَيْر بن النُّعمان ، ضرب له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسهم مع أصحابِ بدرٍ . سبعة نفر .

من بنى جحجبى وحلفائهم

ومن بنى جَحْجَبى بن كُلْفة بن عَوف بن عمرو بن عوف : منذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيحة بن الجلاح بن الحريش بن جَحْجَبى بن كلفة .

قال ابن هشام : ويقال : الحريس بن جَحْجَبى .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بنى أُنَيْف : أبو عقيل بن عبد الله ابن ثعلبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيف بن جُشَم ابن عبدالله بن تَيْم بن إراش بن عامر بن عُمَيلة بن قَسْمِيل بن فَرَان بن بلىّ ابن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال تَميم بن إرَاشَة ، وقِسْميل بن فارَان .

من بنى غنم

وقال ابن إسحاق : ومن بنى غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس سعدُ بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب ابن حارثة بن غَنْم ؛ ومُنذر بن قُدامة بن عَرْفجة ؛ ومالك بن قُدامة بن عَرْفجة .

قال ابن هشام : عرفجة : ابن كعب بن النحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم .

قال ابن إسحاق : والحارث بن عَرْفجة ؛ وتميم ، مولى بنى غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : تميم : مولى سَعْد بن خيثمة .

من بنى معاوية وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عَوف : جَبْر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أُميَّة بن معاوية ؛ ومالك بن نُمَيْلة ، حليف لهم من مُزينة ، والنُّعمان بن عَصَر ، حليف لهم من بَلِىّ . ثلاثة نفر .

. . . .

عدد من شهد بدراً من الأوس

فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومن ضُرِب له بسهمه وأجره ، أحد وستون رجلا .

من بنى امرىء القيس

قال ابن إسحاق : وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من الأنصار ، ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم من بنى امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبى زُهَير ابن مالك بن امرىء القيس ، وسعدُ بن رَبيع بن عمرو بن أبى زُهَير بن مالك ابن امرىء القيس ، وعبدُ الله بن رَواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو ابن امرئ القيس ، وخلَّاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس ، أربعة نفر .

من بنى زيد

ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : بَشير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد ـ قال ابن هشام : ويقال : جُلاس ، وهو عندنا خطأ ـ وأخوه سِماك بن سعد . رجلان .

من بنى عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : سُبيع بن قيس

عَيْشة بن أُميَّة بن مالك بن عامر بن عدىّ ، وعبَّاد بن قيس بن عَيْشة أخوه .

قال ابن هشام : ويُقال : قيس : ابن عَبَسة بن أُميَّة .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن عَبْس . ثلاثة نفر .

من بنى أحمر

ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كَعْب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر ، وهو الذى يُقال له : ابن فُسحم رجل .

قال ابن هشام : فُسْحُم أُمّه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر .

من بنى جشم

قال ابن إسحاق : ومن بنى جُشَم بن الحارث بن الخزْرج ، وزيد بن الحارث بن الخزرج ، وهما التَّوْءمان : خُبَيْب بن إسافَ بن عِتَبة بن عمرو بن خَديج بن عامر بن جُشَم ، وعبد الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبد رَبِّه بن زيد ، وأخوه حُرَيْث بن زيد بن ثعلبة ، زعموا ، وسُفْيان بن بَشْر . أربعة نفر .

قال ابن هشام : سُفيان بن نَسْر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد .

من بنى جدارة

قال ابن إسحاق : ومن بنى جِدَارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج :

تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة ، وعبدُ الله بن عُمير من بنى حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن عُمير بن عدىّ بن أميّة بن جِدارة .

قال ابن إسحاق : وزيد بن المُزَيِّن بن قيس بن عدى بن أميّة بن جِدارة .

قال ابن هشام : زيد بن المُرَىّ .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن عُرْفطة بن عدىّ بن أميّة بن جِدارَة . أربعة نفر .

من بنى الأبجر

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبد الله ابن رَبيع بن قيس بن عمرو بن عباد بن الأبجر . رجل .

من بنى عوف

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى عُبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم ابن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبْلى - قال ابن هشام : الحُبْلى : سالم بن غَنْم بن عوف ، وإنما سمى الحُبْلى ، لعِظم بطنه : عبدُ الله بن عبد الله بن أُبَىّ ابن مالك بن الحارث بن عبيد (المشهور بابن سَلُول) ، وإنما سَلُول امرأة ، وهى أم أُبَىّ : وأوس بن خَوْلىّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد . رجلان .

. . . .

من بنى جزء وحلفائهم

ومن بنى جَزْء بن عدىّ بن مالك بن سالم بن غَنْم : زيدُ بن وَدِيعة بن عمرو بن قَيْس بن جزْء ؛ وعُقْبة بن وَهْب بن كَلَدَة ، حليف لهم من بنى عبدالله ابن غَطَفان ؛ ورفاعة بن عمرو بن زَيْد بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن سالم ابن غَنْم ؛ وعامر بن سَلَمَة بن عامر ، حليف لهم من أهل اليمن . قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن سلمة وهو من بلىّ ، من قُضاعة .

قال ابن إسحاق : وأبو حُمَيضَة مَعْبد بن عبَّاد بن قُشَير بن المُقَدَّم بن سالم بن غَنْم .

قال ابن هشام : مَعْبد بن عبادة بن قَشْغَر بن المقدم ، ويقال : عُبادة بن قيس بن القُدْم .

وقال ابن إسحاق : وعامر بن البُكَير ، حليف لهم . ستة نفر .

قال ابن هشام : عامر بن العُكَير ، ويقال : عاصم بن العُكَير .

من بنى سالم

قال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخَزْرج ، ثم من بنى العَجْلان بن زَيد بن غَنْم بن سالم : نوفلُ بن عبد الله بن نَضْلة بن مالك ابن العجلان بن العجلان . رجل .

من بنى أصرم

ومن بنى أصْرم بن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف ـ قال ابن هشام: هذا غَنْم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج، وغَنْم بن سالم، الذى قبله على ما قال ابن إسحاق ـ : عُبادة بن الصامت بن قيس ابن أصْرم؛ وأخوه أوْس بن الصامت. رجلان.

من بنى دعد

ومن بنى دَعْد بن فِهر بن ثعلبة بن غنم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد، والنعمان الذى يقال له. قَوقل. رجل.

ومن بنى قِرْيُوش بن غَنْم بن أميّة بن لَوْذان بن سالم ـ قال ابن هشام: ويقال قَرْيُوس بن غَنْم ـ ثابت بن هَزّال بن عمرو بن قِرْيُوش. رجل.

ومن بنى مَرْضَخة بن غَنْم بن سالم: مالكُ بن الدُّخْشم بن مَرْضَخة. رجل.

قال ابن هشام: مالك بن الدُّخشم: ابن مالك بن الدُّخْشُم بن مَرْضَخة.

من بنى لوذان وحلفائهم

قال ابن إسحاق: ومن بنى لَوْذان بن سالم: ربيع بن إياس بن عَمْرو ابن غَنْم بن أميّة بن لَوْذان، وأخوه وَرَقة بن إياس، وعَمْرو بن إياس، حليف لهم من أهل اليمن. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إياس ، أخو رَبيع وورقة .

قال ابن إسحاق : ومن حلفائهم من بَلِىّ ، ثم من بنى غُصَينة ـ قال ابن هشام : غصينة ، أمهم ، وأبوهم عمرو بن عُمارة ـ المجذَّر بن ذِياد بن عمرو بن زُمْزمة بن عمرو بن عُمارة بن مالك بن غُصينة بن عمرو بن بُتيرة بن مَشْنُوّ ابن قَسْر بن تَيم بن إراش بن عامر بن عُمَيلة بن قِسْمِيل بن فَرَان بن بلىّ ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : قَسْر بن تَميم بن إراشة ، وقسميل بن فاران . واسم المجذّر : عبد الله .

قال ابن إسحاق : وعُبادة بن الخَشْخاش بن عمرو بن زُمْزُمة ، ونَحَّاب ابن ثعلبة بن حَزمة بن أصْرم بن عمرو بن عمارة .

قال ابن هشام : ويقال بحَّاث بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن ثعلبة بن حَزَمة بن أصرم . وزعموا أن عُتبة بن ربيعة بن خالد بن مُعاية ـ حليف لهم ـ من بَهراء ، قد شهد بدراً ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : عُتبة بن بَهْز ، من بنى سُلَيم .

من بنى ساعدة

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كَعْب بن الخزرج ، ثم من بنى ثَعلبة ابن الخزرج بن ساعِدة : أبو دُجانة ، سماك بن خَرَشة

. . . .

قال ابن هشام : أبو دُجانة : (سِماك) بن أوْس بن خَرَشة بن لَوْذان بن عَبْد وُدّ بن زيد بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : والمُنْذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُد بن زيد بن ثعلبة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خَنْبَش .

من بنى البدىّ وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى البَدِىّ بن عامر بن عَوْف بن حارثة بن عَمرو ابن الخَزْرج بن ساعدة : أبو أُسَيد مالك بن ربيعة بن البَدِىّ ، ومالك بن مسعود وهو إلى البَدِىّ . رجلان .

قال ابن هشام : مالك بن مسعود : ابن البَدِىّ ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم .

من بنى طريف وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى طَريف بن الخَزْرج بن ساعدة : عبدُ ربّه بن حَقّ بن أوس بن وَقش بن ثعلبة بن طَرِيف . رجل .

ومن حلفائهم ، من جُهينة : كعبُ بن حمار بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : كعب : ابن جَمّاز ، وهو من غُبْشان .

قال ابن إسحاق : وضَمْرة وزياد وبَسْبس ، بنو عمرو .

قال ابن هشام : ضَمْرة وزياد ، ابنا بشر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن عامر ، من بلىّ . خمسة نفر .

من بنى جشم

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلِمة بن سعد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشم بن الخزْرج ثم من بنى حَرام بن كعب بن غَنْم ابن كعب بن سَلِمة: خِرَاش بن الصِّمَّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام ، والحُباب بن المُنذر بن الجموح بن زيد بن حَرام ، وعُمَير بن الحُمام بن الجموح ابن زيد بن حَرام ، وتميم مولى خراش بن الصمة وعبد الله بن عمرو بن حرام ابن ثعلبة بن حرام ، ومُعاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عمرو بن الجموح ابن زيد حَرام ، وخَلَّاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حَرام ، وعُقْبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حَرام ، وحبيب بن أسْود ، مولى لهم ، وثابت بن ثَعْلبة بن زيد بن الحارث بن حَرام ، وثعلبة الذى يقال له : الجذع ، وعمير ابن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام . اثنا عشر رجلا .

نسب الجموح

قال ابن هشام : كلّ ما كان هاهنا الجموح ، (فهو الجموح) بن زيد ابن حَرام ، إلا ما كان من جدّ الصِّمَّة (بن عمرو) ، فانه الجموح بن حَرام .

قال ابن هشام : عُمَير بن الحارث : ابن لَبْدَة بن ثعلبة .

من بنى عبيد وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عُبَيد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، ثم من بنى خنساء بن سنان بن عبيد : بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن مالك بن خَنْساء ، والطُّفَيل بن مالك بن خَنْساء ، والطُّفَيل بن النعمان بن ابن خَنساء ، وسنان بن صَيْفِىّ بن صَخْر بن خَنْساء ، وعبد الله بن الجدّ بن قَيْس ابن صَخْر بن خَنْساء ، وعُتْبَة بن عبد الله بن صَخْر بن خَنْساء ، وجَبَّار ابن صَخْر بن أُميَّة بن خَنْساء ، وخارجة بن حُمَيِّر ، وعبد الله بن حُمير ، حليفان لهم من أشجع ، من بنى دُهْمان . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : جبَّار : بن صَخْر بن أُميَّة بن خُناس .

من بنى خناس

قال ابن إسحاق : ومن بنى خُناس بن سِنان عُبيد : يزيدُ بن المُنْذر بن سرح بن خناس ، ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس ، وعبد الله بن النعمان ابن بَلْدَمة .

قال ابن هشام : ويُقال : بُلْذُمة وبُلْدُمة .

قال ابن إسحاق : والضَّحاك بن حارثة بن زَيد بن ثعلبة بن عُبيد بن عدىّ ، وسَوَاد بن زُرَيق بن ثعلبة بن عُبيد بن عدىّ .

قال ابن هشام : ويقال : سواد : ابن رِزْن بن زيد بن ثَعْلبة .

قال ابن إسحاق : ومَعْبد بن قَيْس بن صَخْر بن حَرام بن رَبيعة بن عَدِىّ ابن غَنْم بن كعب بن سَلِمة . ويقال : معبد بنُ قَيس : ابن صَيفى بن صَخْر ابن حَرام بن رَبيعة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن قَيْس بن صَخْر بن حَرام بن ربيعة بن عدىّ بن غَنْم . سبعة نفر .

من بنى النعمان

ومن بنى النُّعْمان بن سِنان بن عُبيد : عبدُ الله بن عبد مناف بن النعمان ؛ وجابر بن عبد الله بن رِئاب بن النُّعمان : وخُلَيدة بن قَيْس بن النُّعمان . والنُّعمان بن سِنان ، مولى لهم. أربعة نفر.

من بنى سواد

ومن بنى سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة ، ثم من بنى حَديدة بن عمرو ابن غَنْم بن سَواد ـ قال ابن هشام : عمرو بن سَواد ، ليس لسَواد ابن يقال له غنم : أبو المُنذر ، وهو يَزيد بن عامر بن حَديدة ؛ وسُلَيم بن عمرو بن حَديدة ؛ وقُطْبة بن عامر بن حَديدة ؛ وعنترة مولى سُليم بن عمرو . أربعة نفر.

قال ابن هشام : عنترة ، من بنى سُلَيم بن مَنْصور ، ثم من بنى ذَكْوان .

من بنى عدى بن نابى

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدىّ بن نابى بن عَمرو بن سَواد بن غَنْم :

. . . .

عَبْس بن عامر بن عدىّ ، وثعلبة بن غَنَمَة بن عدى ، وأبو اليَسَر ، وهو كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو بن غَنْم بن سَوَاد ؛ وسَهْل بن قيس بن أبى كَعْب بن القَين بن كَعْب بن سَوَاد ، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أميَّة ابن سنان بن كعب بن غَنْم ، ومُعاذ بن جَبل بن عمرو بن أوْس بن عائذ ابن عدىّ بن كعب بن عدى بن أُدَى بن سعد بن علىّ بن أسَد بن سارِدة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر . ستة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عبّاد بن عدىّ بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ ابن سعد .

قال ابن هشام : وإنما نَسب ابن إسحاق مُعاذ بن جبل فى بنى سَوَاد ، وليس منهم ، لأنه فيهم .

تسمية من كسروا آلهة بنى سلمة

قال ابن إسحاق : والذين كسروا آلهة بنى سَلِمَةَ : مُعاذُ بن جَبل ، وعبد الله بن أنيس ، وثعلبة بن غنمةَ ، وهم فى بنى سواد بن غنم .

من بنى زريق

قال ابن إسحاق : ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق — قال ابن هشام : ويقال : عامر : ابن الأزرق — : قَيْس بن مُحْصِن بن خالد ابن مُخَلَّد .

. . . .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن حصن .

قال ابن إسحاق : وأبو خالد وهو الحارث بن قَيس بن خالد بن مخلَد وجُبَير بن إياس بن خالد بن مخلَّد ، وأبو عُبادة ، وهو سعد بن عثمان بن خَلَدة ابن مُخلَّد وأخوه عقبة بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلَّد ؛ وذَكوان بن عبد قَيس ابن خَلَدة بن مخلَّد ؛ ومسعود بن خلَدة بن عامر بن مخلَّد . سبعة نفر .

من بنى خالد

ومن بن خالد بن عامر بن زُرَيق : عبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد . رجل .

من بنى خلدة

ومن بنى خلدة بن عامر بن زُريق : أسعد بن يَزيد بن الفاكه بن زيد ابن خَلَدة ، والفاكه بن بِشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة .

قال ابن هشام : بُشر بن الفاكه .

قال ابن إسحاق : ومُعاذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة ، وأخوه : عائذ ابن ماعِص بن قيس بن خلدة ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلدة . خمسة نفر .

من بنى العجلان

ومن بنى العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق : رفاعةُ بن رافع بن العَجْلان وأخوه خلاَّد بن رافع بن مالك بن العَجْلان ، وعُبيد بن زَيد بن عامر ابن العَجْلان . ثلاثة نفر .

من بني بياضة

ومن بني بَياضة بن عامر بن زُريق . زياد بن لَبيد بن ثعلبة بن سِنان ابن عامر بن عدىّ بن أميَّة بن بَياضة ، وفَرْوة بن عمرو بن وَذْفة بن عبيد ابن عامر بن بَياضة .

قال ابن هشام : ويقال : ودْفة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بَياضة ، ورُجَيلة بن ثَعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَياضة .

قال ابن هشام : ويقال : رُخَيلة .

قال ابن إسحاق : وعَطيَّة بن نُوَيرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بَياضة ، وخَليفة بن عدىّ بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهيرة بن بَياضة . ستة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عَلِيفة .

من بني حبيب

قال ابن إسحاق : ومن بني حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشم بن الخزرج : رافعُ بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَدِىّ بن زيد ابن ثَعْلبة بن زيد مناة بن حَبيب . رجل .

من بنى النجار

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجّار ، وهو تيم الله بن ثَعْلبة بن عمرو بن الخزْرج ثم من بنى غَنْم بن مالك بن النجّار ، ثم من بنى ثَعْلبة بن عبدعَوْف بن غَنْم : أبو أيوب خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة . رجل .

من بنى عسيرة

ومن بنى عُسَيْرة بن عَبْد عوف بن غَنْم : ثابت بن خالد بن النعمان بن خَنْساء بن عُسَيرة . رجل .

قال ابن هشام : ويقال : عُسَيْر ، وعُشَيرة .

من بنى عمرو

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَمْرو بن عبد عوف بن غَنْم : عُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو ، وسُراقة بن كعب بن عبد العزّى بن غَزِيّة بن عمرو . رجلان .

من بنى عبيد بن ثعلبة

ومن بنى عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم : حارثةُ بن النُّعمان بن زَيد بن عبيد ، وسُليم بن قَيس بن قَهْد : واسم قَهْد : خالد بن قَيس بن عبيد . رجلان .

قال ابن هشام : حارثة بن النُّعمان : ابن نَفْع بن زَيد .

من بنى عائذ وحلفائهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غَنْم ـ ويقال عابد فيما قال ابن هشام : سُهيل بن رافع بن أبى عَمْرو بن عائذ، وعدىّ بن الزَّغْباء، حليف لهم من جُهينة . رجلان .

من بنى زيد

ومن بنى زيد بن ثعْلبة بن غَنْم : مَسْعود بن أوْس بن زيد ، وأبو خُزيمة ابن أوْس بن زيد بن أصْرم بن زَيْد ، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد . ثلاثة نفر .

من بنى سواد وحلفائهم

ومن بنى سَواد بن مالك بن غنم : عوف ، ومُعوّذ ، ومُعاذ ، بنو الحارث ابن رفاعة بن سَواد ، وهم بنو عَفْراء .

نسب عفراء

قال ابن هشام : عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجّار ، ويقال رفاعة : بن الحارث بن سَواد .

قال ابن إسحاق : والنُّعمان بن عَمْرو بن رفاعة بن سَواد ، ويقال : نُعَيمان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعامر بن مُخلد بن الحارث بن سَواد ، وعبد الله بن

قَيْس بن خالد بن خَلدة بن الحارث بن سَوَاد ، وعُصَيْمة ، حليف لهم من أشجع ، ووَدِيعة بن عمرو ، حليف لهم من جُهينة ، وثابت بن عَمرو بن زيد ابن عدىّ بن سَوَاد . (و) زعموا أن أبا الحَمْراء ، مولى الحارث بن عَفراء ، قد شهد بَدْراً . عشرة نفر .

قال ابن هشام : أبو الحَمْراء ، مولى الحارث بن رفاعة .

من بنى عامر بن مالك

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن مالك بن النجّار — وعامر : مَبْذول ثم من بنى عتيك بن عمرو بن مَبذول : ثعلبةُ بن عَمْرو بن مِحْصَن بن عمر ابن عَتيك ، وسَهْل بن عتيك بن عمرو بن النُّعمان بن عَتيك ، والحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عَتيك ، كُسِر به بالرَّوْحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَهْمه . ثلاثة نفر .

من بنى عمرو بن مالك

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجّار — وهم بنو حُدَيلة — ثم من بنى قَيْس ابن عُبيد بن زيد بن مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار .

نسب حديلة

قال ابن هشام : حُدَيلة بنت مالك بن زيد الله بن حَبيب بن عبد حارثة ابن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ، وهى أم مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار ، فبنو معاوية يَنْتسبون إليها .

. . . .

قال ابن إسحاق : أبىّ بن كَعْب بن قَيْس ، وأنس بن مُعاذ بن أنس بن قَيْس . رجلان .

من بنى عدى بن عمرو

ومن بنى عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجّار :

قال ابن هشام : وهم بنو مَغالة بنت عوف بن عبدمَناة بن عمرو بن مالك ابن كِنانة بن خُزَيْمة ، ويقال : إنها من بنى زُرَيْق ، وهى أمّ عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجّار ، فبنو عدىّ ينسبون إليها :

أوسُ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدىّ ، وأبو شَيْخ أُبىّ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ .

قال ابن هشام : أبو شيخ أُبىّ بن ثابت ، أخو حسّان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وأبو طَلحة ،وهو زيد بن سَهْل بن الأسود بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ . ثلاثة نفر .

من بنى عدى بن النجار

ومن بنى عدىّ بن النجّار ، ثم من (بنى) عدىّ بن عامر بن غَنْم بن النجّار : حارثةُ بن سُراقة بن الحارث بن عدىّ بن مالك بن عدىّ بن عامر ، وعمرو بن ثَعْلبة بن وَهْب بن عدىّ بن مالك بن عدىّ بن عامر ، وهو أبو حَكيم ، وسَليط بن قَيْس بن عمرو بن عَتيك بن مالك بن عدىّ بن عامر ،

وأبو سَليط ؛ وهو أُسَيْرة بن عمرو ؛ وعمرو أبو خارجة بن قَيْس بن مالك ابن عدىّ بن عامر ؛ وثابت بن خَنْساء بن عَمْرو بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ وعامر بن أُميَّة بن زَيْد بن الحَسْحاس بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ ومُحْرز ابن عامر بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ وسواد بن غَزِيَّة بن أُهَيْب ، حليف لهم من بَلِىّ . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : سَوَّاد .

من بنى حرام بن جندب

قال ابن إسحاق : ومن بنى حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ ابن النجَّار : أبو زيد ، قَيْس بن سَكَن بن قَيْس بن زَعُوراء بن حَرام ؛ وأبو الأعْور بن الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حَرام .

قال ابن هشام : ويقال : أبو الأعْور : الحارث بن ظالم .

قال ابن إسحاق : وسُلَيم بن مِلْحان ؛ وحَرام بن مِلْحان — واسم مِلْحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام . أربعة نفر .

من بنى مازن بن النجار وحلفائهم

ومن بنى مازن بن النجَّار ، ثم من بنى عَوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن بن النجَّار : قيسُ بن أبى صَعصعة — واسم صَعْصعة : عمرو بن زيد بن عوف — وعبدُ الله بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف ؛ وعُصَيمة ، حليف لهم من بنى أسد بن خُزيمة . ثلاثة نفر .

من بنى خنساء بن مبذول

ومن بنى خَنْساء بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن : أبو داود عُمير ابن عامر بن مالك بن خَنْساء ، وسُراقة بن عَمْرو بن عطيّة بن خَنْساء . رجلان.

من بنى ثعلبة بن مازن

ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجّار : قيس بن مُخَلَّد بن ثَعْلبة بن صَخْر ابن حَبيب بن الحارث بن ثَعْلبة . رجل .

من بنى دينار بن النجار

ومن بنى دينار بن النجّار ، ثم من بَنى مَسْعود بن عبد الأشْهل بن حارثة ابن دِينار بن النجّار : النُّعمانُ : بن عبد عمرو بن مَسْعود ، والضحاك بن عبد عمرو بن مَسْعود ، وسُليم بن الحارث بن ثَعْلبة بن كَعْب بن حارثة بن دِينار ، وهو أخو الضّحَّاك والنُّعمان ابنى عبد عمرو ، لأمهما ، وجابر بن خالد ابن عبد الأشْهل بن حارثة ، وسعد بن سُهَيل بن عبد الأشْهل . خمسة نفر .

ومن بنى قَيْس بن مالك بن كَعْب بن حارثة بن دِينار بن النجّار : كعب بن زَيْد بن قَيْس : وبُجَير بن أبى بُجَير ، حليف لهم . رجلان .

قال ابن هشام : بُجَير : من عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، ثم من بنى جَذيمة بن رَوَاحة .

قال ابن إسحاق : فجمع من شهد بدراً من الخزْرج مائة وسبعون رجلا .

* * * * * * * * * * *

من فات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم يذكر في الخزرج ببدر ، في بني العَجلان ابن زَيْد بن غَنم بن سالم بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج : عِتْبان بن مالك بن عَمرو بن العَجْلان ؛ ومُلَيْل بن وَبَرة بن خالد بن العَجْلان ؛ وعِصْمة ابن الحُصَين بن وَبَرة بن خالد بن العَجْلان .

وفي بني حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ، وهم في بني زُرَيق هِلال بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَدِيّ بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حَبيب .

عدد البدريين جميعاً

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد بَدْراً من المسلمين ، من المُهاجرين والأنصار من شَهدها منهم ، ومن ضُرب له بسهمه وأجره ، ثلاث مائة رجل وأربعةَ عشرَ رجلا ؛ من المُهاجرين ثلاثةٌ وثمانون رجلا ، من الأوس واحدٌ وستُّون رجلا ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا .

من استشهد من المسلمين يوم بدر

القرشيون من بني عبد المطلب

واستَشهد من المسلمين يوم بدر ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قُريش ؛ ثم من بني المُطَّلب بن عبد مناف : عُبيدة بن الحارث بن المُطَّلب

قتله عُتبة بن ربيعة ، قطع رجلَه ، فمات بالصَّفْراء . رجل .

من بنى زهرة

ومن بنى زُهْرة بن كلاب. عُمَيْر بن أبى وقَّاص بن أُهَيْب بن عبد مناف ابن زُهرة ، وهو أخو سَعْدبن أبى وقَّاص ، فيما قال ابن هِشام ؛ وذو الشِّمالَيْن ابن عبد عمرو بن نَضْلة ، حليف لهم من خُزاعة ، ثم من بنى غُبْشان . رجلان .

من بنى عدى

ومن بنى عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤىّ : عاقلُ بن البُكَيْر ، حليف لهم من بنى سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة ؛ ومِهجَع ، مولى عمر بن الخطَّاب . رجلان .

من بنى الحارث بن فهر

ومن بنى الحارث بن فِهر : صَفْوان بن بَيْضاء رجل . ستة نفر .

ومن الأنصار

ومن الأنصار ، ثم من بنى عمرو بن عوف : سعدُ بن خَيْثمة ، ومُبَشِّر ابن عبد المُنذر بن زَنْبر . رجلان .

من بنى الحارث بن الخزرج

ومن بنى الحارث بن الخَزْرج : يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له : ابن فُسْحُم . رجل .

من بنى سلمة

ومن بنى سَلمة ، ثم من بنى حَرام بن كَعْب بن غنم بن كعب بن سلمة: عُمَير بن الْحمَام . رجل .

من بنى حبيب

ومن بنى حَبِيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم : رافع بن المُعلّى . رجل .

من بنى النجار

ومن بنى النجّار : حارثةُ بن سُراقة بن الحارث . رجل .

من بنى غنم

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجّار : عوف ومُعَوّذ ، ابنا الحارث بن رفاعة ابن سَوَاد ، وهما ابنا عَفْراء . رجلان . ثمانية نفر .

تسمية من شهد بدراً

قد تقدم التعريف بكثير منهم ، ومن غيرهم مِمَّن جرى ذِكرُه فى السيرة والتنبيه إلى ما تَتَشَوّف إليه نفسُ الطالب من هذا الفنّ وسائرُهم قد نسبه ابن إسحاق وابن هشام فى هذا الباب ، ونَسَبْنا نحن فيما تقدم طائفةً لم ينسبهم ابن إسحاق فى هذا الباب ، منهم : أبو الْهَيْثم [مالك] بن التَّيِّهان تقدم التعريف به فى بَيْعةِ الْعَقَبةِ وأنه من بنى إرَاش فى قول ابن إسحاق ، وقال ابن هشام : إرَاشَة .

وذكر فى بَنِي الحارث بن فِهر عِيَاضَ بن أبى زُهَيْر، هكذا أَلْفَيْتُه

. . . .

في نسخة الشيخ أبي بَحْر وغيرها من النُّسَخ الصِّحَاح ، وهو وهم ، والصواب : عياضُ بن زُهَيْر ، وليس الوهم فيه من ابن إسحاق ، لأنه قد ذكره في المهاجرين إلى الحبشة ، فقال فيه ابن زهير على الصواب ، وكذلك قال في ابن أخيه عَمْرو ابن الحارث بن زُهَيْر ، وغَنْمُ بن زُهَيْرٍ والدُ عِياضِ بن غَنْم صاحب الفتوحات الذي يقول فيه ابن الرُّقَيَّاتِ :

وعِياضٌ وما عِيَاضُ بن غَنْمٍ كانَ مِنْ خَيْرِ مَنْ تُجِنُّ النِّسَاءُ

والحارثُ بن زُهَيْر والدُ عَمْرِو بن الحارث بن زُهير ، وقد ذكر ابن إسحاق عمرَو بن الحارث أيضاً ، فقال فيه : ابن زهير لا ابن أبي زُهير والحمد لله .

وذكر ابن إسحاق في البَدْرِيِّين عاصم بن عَدِيّ لم يشهدها ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَدَّه من الرَّوْحَاء لسبب ذكره موسى بن عُقْبة وغيرُه ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بلَغه شيء عن أهلِ مسجدِ الضِّرَارِ ، وكان قد استخلَفه على قُباء والعالية ، فردَّه لينظرَ في ذلك ، وضَربَ له بسَهْمِه مع أهلِ بدرٍ ، وعاصمٌ هو المذكورُ في حديثِ اللِّعَانِ الذي يقول له عُوَيْمِرٌ العَجْلَانيُّ وهو عُوَيْمِرُ بن أَبْيَضَ ، ويقال فيه : ابن أَشْقَر : سَلْ لي يا عَاصِمُ عن ذلك رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم[1] تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وأربعين ، وهو ابن عشرين ومائة يُكْنَى أبا عمرو ، وقيل : أبا عَبْدِ الله .

---

(١) أخرج حديثه البخاري ومسلم وبقية الجماعة إلا الترمذي وأخرجه أحمد

. . . .

قصة خوات :

وذكر ابن إسحاق فيمن ردّه النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم بدر ، وضرب له بسهمه خوّاتَ بن جُبَيْرٍ ، ردّه من الصَّفْراء ، وسببُ ذلك ـ فيما ذكر ابن عقبة أن حجراً أصابه فى رجله فورمت عليه ، واعتلّت ، فردّه النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك ، وهو صاحبُ خولة ذات النِّحْيَيْن فى الجاهلية ، وهى امرأة من بنى تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْبِ بن علىٍّ بن بكر بن وائل ، ويُروى أن النبىّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأله عنها وتبسّم فقال : يارسول الله قد رزق الله خيراً ، وأعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر[1] ، ويروى أنه قال له : مافعل بعيرُك الشاردُ ؟ فقال : قيّده الإسلامُ يارسول الله ، وقيل معنى قوله : بعيرك الشارد : أنه مرّ فى الجاهلية بنِسْوةٍ أعجبه حُسْنُهن ، فسألهن أن يَفْتِلْنَ له قيداً لبعيرٍ له ، زعم أنه شارد ، وجلس إليهن بهذه العِلّة ، فمر به النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يتحدث إليهن ، فأعرض عنه وعنهن ، فلما أسلم سأله عن ذلك البعير الشارد ، وهو يتبسّم له ، فقال خوّات : قيّده الإسلامُ يارسولَ الله[2] ، قال الواقدى : يُكْنَى أبا صالح ، وروى النَّمَرِىُّ

---

(١) أى من النقصان بعد الزيادة ، وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وقيل : من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم ، وأصله من نقض العمامة بعد لفها .

(٢) رواه البغوى والطبرانى من طريق جرير بن حازم عن زيد بن أسلم وفيه يقول خوات: نزلت مع النبى « ص » بمر الظهران ، قال : فخرجت من خبائى ، فاذا نسوة يتحدثن ، فأعجبنى ، فرجعت ، فأخذت حلتى ، فلبستها ، وجلست =

. . . .

في حديث مُسْنَد إلى خوّات أن عُمَرَ بن الخطاب ، كنّاه : أبا عبدالله ، وذلك أنه كان معه في رَكْب ، فقال له الرَّكْبُ غَنِّنا من شِعْر ضِرَارٍ ، فقال عُمر : دعوا أبا عَبْد الله يغنينا بُنَيَّاتِ[1] فؤاده قال : فأنشدهم حتى السَّحَر ، فقال عمر : ارْفَعْ لِسانَك يا أبا عبد الله فقد أسْحَرْنا .

نسب النعمان بن عصر :

وذكر النُّعمانَ بن عَصَر ، ولم ينسبه ، وهو ابن عَصَر بن الرَّبيع بن الحارث بن أَدْيَم الْبَلَوِيّ ، وقيل عَصَر بن عُبَيْد بن وائلة بن حارثة الْبَلَوِيّ ، قتل باليمامة .

= إليهن ، وخرج رسول الله (ص) من قبته ، فلما رأيته هبته ، فقلت : يا رسول الله : جمل لي شرد ، فأنا أبتغي له قيدا . . وقوله هنا : يا رسول الله يفيد أنه كان في الإسلام لا في الجاهلية . والنحى : زق السمن . وقد ضرب المثل بقصة خوات مع خولة ، فقيل : أشغل من ذات النحيين ، وفي المثل ما يستحى من ذكره هنا فانظره في كتب الأمثال . في الأمثال للميداني أنه قيل له : ياخوات كيف شرازك ، أو كيف شراؤك ، وفي رواية حمزة : ما فعل بعيرك ؟ أيشرد عليك ؟ فقال : أما منذ أسلمت — أو منذ قيده الإسلام — فلا .

(١) في الإصابة : بنات . وحديثه هذا ذكره السراج في تاريخه فهو شيء لا يعتد به . وقد قص ابن أبي خيثمة قصة ذات النحيين عن ابن سيرين بأسلوب غير هذا : كانت امرأة تبيع سمنا في الجاهلية ، فدخل رجل ، فوجدها خالية ، فراودها فأبت فخرج ، فتنكر ورجع ، فقال : هل عندك من سمن طيب ؟ قالت : نعم ، فحلت زقا فذاقه ، فقال : أريد أطيب منه ، فأمسكيه ، وحلت آخر ، فقال : أمسكيه ، فقد أنفلت بعيري قالت : اصبر حتى أوثق الأول ، قال : لا ، وإلا تركته من يدي يهراق ، فإني أخاف ألا أجد بعيري ، فأمسكته بيدها الأخرى ، فانقض عليها ، فلما قضى حاجته ، قالت له : لا يهناك .

. . . .

تصويب أنساب :

وذكر فى نسب زيد بن وَدِيعة جَزْء بن عَدِىّ .

وذكر أبو بَحْرٍ أنه قيّده عن أبى الوليد جَزْء بسكون الزاى ، وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاى .

وذكر رافعَ بن عُنْجُدَةَ ، وقال : هى أمه ، ولم يذكر أباه ، واسمه : عَبْدُ الحارث ، والعُنْجُدَةُ حَبُّ الزَّبيب ، ويقال : هو الزَّبيب ، وأما عَجَمُ الزبيب ، فهو الفِرْصِدُ [أو الفِرْصِيدُ أو الفِرْصَادُ] قاله أبو حنيفة .

وذكر كَعْبَ بنَ جَمَّازٍ بالجيم والزاى ، كما قال ابن هشام ، لا كما قال ابن إسحاق ، فإن أهل النسب على ما قال ابن هشام ، غير أن الدَّارَقُطْنِى قَيَّد فيه رواية ثالثة : ابن حِمَّان بنون وحاء مكسورة .

وذكر فيهم أبا حُمَيْضَةَ ، واسمه : مَعْبَد بن عبَّاد : قال أبو عُمَر : كذا قيدّه إبراهيمُ بن سعد عن ابن إسحاق ، وغيره يقول فيه عن ابن إسحاق يقول فيه : أبو خُمَيْصَة بخاء منقوطة وصاد مهملة .

وذكر فى البَلَوِيِّين أبا عقيل ، ولم يُسَمِّه وكان اسمه فى الجاهلية عَبْدَ العُزَّى ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبدَ الرحمن عدُوّ الأوثان ابن عبد الله بن ثَعْلَبَة قُتِل باليمامة .

صاحب الصاع :

وأما أبو عقيل صاحب الصَّاع الذى لَمَزهُ المنافِقُون ، فاسمه حَبْحابٌ ،

وفيه أُنْزِلَتْ : ﴿ الذين يَلمِزُونَ المطَّوِّعين من المؤمنين ﴾ وذلك أنه جاء بصاع من تَمْر فوضَعه فى العَرَقَةِ حين حَثَّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النفقة فى سبيل الله، فضحك منه المنافقون وقالوا : إن الله لَغَنِيٌّ عن صَاعِ أبى عقيل[1].

قربوسه أو قربوس :

وقع فى أنساب البَدْرِيِّين ابن قِرْبُوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام : قربوس بالسين المهملة ، كذا قيده أبو الوليد ، وفى أكثر الروايات قَربُوس بفتح القاف والباء المضمومة المنقوطة بواحدةَ ، فقِرْبُوش : فِعْيُول من التَّقَرُّشِ ، وهو التَّكَسُّبُ ، وبالسين فعيول من القَرْسِ ، وهو لبرد ، وقِرْبُوشٌ بالشين المنقوطة أصح فيه لأنه من التَّقَرُّش وهو التَّكَسُّبُ ، كما سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ به ، قاله قُطْربٌ . ومِمَّن لم يَشهد بدراً لعُذْرٍ ، وهو من النُّقَبَاء سَعْدُ بن عُبَادَةَ سيدُ الخَزْرَجِ لأنه نَهَشَتْه حَيَّةٌ ، فلم يستطع الخروج ، هذا قول القُتَبِيِّ ، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ولا ابنُ عقبة ، وقد ذكره طائفة فيهم : ابنُ الكلبى وجماعة .

وذكر أبا الضَّيَّاحِ واسمه النُّعْمَان ، وقيل عُمَير بن ثابت بن النُّعْمَان ، قُتِل يوم خَيْبَر .

جدارة أو خدارة :

وذكر فى بنى النجار من ينسب إلى جِدَارة بن الحارث ، وجِدَارةُ أخو

---

(١) حديثه فى البخارى ومسلم .

. . . .

خُدْرَةَ رَهْطِ أبي سَعِيد الْخُدْرِيّ ، وغير ابن إسحاق يقول في جِدَارة خُدَارة بالخاء المضمومة ، قاله ابن دُرَيْد[1] ، وكذلك قيده النَّمَرِي ، فهما خُدْرَةُ وخُدَارَةُ ابنا الحارث بالخاء المنقوطة ، وقاله ابن هشام بالحاء المهملة ، كذلك قال أبو عُمَر ، وقيده الشيخ أبو بَحْر عن أبي الوليد فقال ابن هشام .

رجيلة أو رخيلة :

وذكر رُجَيْلَةَ بن ثَعْلَبَةَ ، وقيد في رواية موسى بن عقبة رُخَيْلَةَ بالخاء المنقوطة ، كما وقع في رواية موسى بن عقبة .

تصويب نسب :

وذكر فيهم أبا شيخ بن ثابت ، واسمه : أُبَيّ وهو أخو حسان ، وقيل بل هو ابن أُبَيّ بن ثابت وحَسَّانُ عمه ، ووقع في نسخة الشيخ أبي بحر غلطٌ أصلحته ، وكان قبل الإصلاح أبو شيخ أُبَيّ بن ثابت بن الْمُنذِر .

حول الذين استشهدوا في بدر :

فصل وذكر فيمن استشهد يوم بَدْرٍ : عُمَيْرَ بن أبي وَقَّاصٍ ، وذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان قد ردَّه في ذلك اليوم ، لأنه استصغره ، فبكى عُمَيْرٌ ، فلما رأى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكاءه أَذِنَ له في الخروج معه ، فَقُتِل وهو ابْنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ، قتله العاصي بن سَعيد .

---

(١) في الاشتقاق ص ٤٥٥ .

. . . .

وذكر ابن إسحاق حارثةَ بن سُراقَةَ ، فيمن قُتِل يومَ بدرٍ وهو أولُ قتيل من المسلمين فى ذلك اليوم ، رماه حبَّان بن العَرِقَةِ بسهم فأصاب حَنْجَرَته ، فمات ، وجاءت أمُّه وهى الربيعُ بنتُ النَّضْر عمَّةُ أنسٍ ، فقالت : يارسولَ الله قد علمت مَوْضِعَ حارثة مِنِّى فإن يكن فى الجنة أصْبِرْ وأحْتَسِب ، وإن يكن غير ذلك ، فسترى ما أصنع ، فقال : أوَجَنَّةٌ واحدة هى ؟ إنما هى جنَّاتٌ وإن ابنَك منها لفى الفِرْدَوسِ (١) .

وذكر فيهم عُمَيْرَ بن الحُمَام بن الجَمُوح ، وقد قدمنا ذكره ، وقتله خالدُ ابن الأعلَم .

ذو الشمالين وذو اليدين :

وذكر ذا الشِّمالين الخُزَاعِيَّ الغُبْشَانِىَّ حليف بنى زُهْرة ، وهو الذى ذكره الزُّهْرِى فى حديث التسليم من ركعتين ، قال : فقام ذُو الشِّمالَيْنِ رَجُلٌ من بنى زُهْرَة ، فقال : أقُصِرت الصلاةُ ، أم نسيتَ يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصَدَق ذو اليدين؟ لم يروه أحد هكذا بهذا اللفظ ، إلا ابن شِهَابٍ الزُّهْرِى ، وهو غلط عند أهل الحديث ، وإنما هو ذو اليَدَين السُّلَمِىُّ ، واسمه : خِرْبَاقٌ (٢) وذو الشِّمالَيْن قُتِل يوم بَدْرٍ ، وحديثُ التسليم من

---

(١) روى حديثه حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس أحمد والطبرانى ، والتى هنا رواية ثابت .

(٢) فى تهذيب الأسماء واللغات للنووى : الخرباق . ويقول أبو ذر الخشنى: ذو الشمالين رجل من خزاعة من بنى زهرة ، وذو اليدين رجل من بنى سليم .

رَكعتَيْن ، شهده أبو هُرَيْرَةَ ، وكان إسلامُه بعد بدر بسنتين[1] ، ومات ذو اليدين السُّلَمِيُّ في خلافة معاوية، وروى عنه حديثَه في التسليم ابنُه مُطَيَّرُ بن الخِرْباق ، يرويه عن مُطيرٍ ابنُه شُعَيثُ بن مُطَيرٍ .

خطأ المبرد

ولما رأى المُبرِّدُ حديث الزُّهْري : فقام ذو الشِّمالين ، وفي آخره أَصَدَقَ ذواليدين ؟ قال : هو ذُو الشِّمالين وذو اليدَيْن ، كان يُسَمَّى بهما جميعاً ، وجهل ما قاله أهلُ الحديثِ والسِّيرِ في ذي الشمالين ، ولم يعرف روايةً إلّا الرواية التي

(١) يقول النووي : « وقد اجتمعوا على أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر سنة سبع من الهجرة بعد بدر بخمس سنين » وقال: وقال ابن عبد البر: واتفقوا على أن الزهري غلط في هذه القصة . قال العلماء : وإنما قيل له ذو اليدين لأنه كان في يديه طول . هذا وحديث التسليم من ركعتين في صحيحي البخاري ومسلم . والحديث عن أبي هريرة « صلى بنا رسول الله إحدى صلاتي العشي، فصلى ركعتين ثم سلم ، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد ، فاتكأ عليها كأنه غضبان ، ووضع يده اليمنى على اليسرى ، وخرجت السرعان من أبواب المسجد ، فقالوا : قصرت الصلاة ؟ وفي القوم أبو بكر وعمر ، فهابا أن يكلماه ، وفي القوم رجل يقال له : ذو اليدين فقال : يا رسول الله : أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ فقال : لم أنس ولم تقصر ، فقال : أكما يقول ذواليدين ؟ فقالوا : نعم ، فتقدم ، فصلى ماترك ثم سلم ، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ، ثم رفع رأسه وكبر ، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ، ثم رفع رأسه وكبر ، فربما سألوه ، ثم سلم » متفق عليه . وفي رواية : بينما أنا أصلي مع النبي « ص » صلاة الظهر سلم من ركعتين . أحمد ومسلم . وفي رواية البخاري ومسلم أن ذا اليدين قال : بلى قد نسيت والسرعان بضم السين وسكون الراء أوفتحها : أول الناس خروجاً. والعشي: ما بين الزوال والغروب . وعند البخاري في رواية : صلى بنا الظهر أو العصر . وفي مسلم : العصر من غير شك . وفي رواية له : الظهر كذلك ، وفي رواية له : إحدى صلاتي العشي إما الظهر وإما العصر . قال الحافظ في الفتح : والظاهر أن الاختلاف فيه من الرواة .

. . . .

فيها الغلطُ ، قال ذلك فى آخر كتاب الكامل فى باب الأذواء يوم بَدْرٍ .

ومن البَدْرِيِّين عُلَيْفَةُ بن عَدِيٍّ البَيَاضِيّ أيضاً ، هكذا اسمُه عند أهل السِّيَرِ ، وسماه ابن إسحاق فقال خُلَيْفَة بن عَدِيٍّ بالخاء . وممن شهد بدراً ، ولم يذكره ابن هشام عن البَكَّائِيِّ، وذكره ابن إسحاق فى رواية إبراهيم عن سعد عنه : عياض بن زُهَيْر بن أبى شَدَّاد بن رَبيعة بن هِلال بن وُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْرٍ وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، وقد ذكره فى البدريين مُوسى بن عُقْبَة وخَلِيفةُ بن خَيَّاط وجَمَاعة . وممن ذُكِر فى البَدْرِيين ولم يذكره ابن إسحاق يَزِيدُ بن الأَخْنَس السُّلَمِي ، وابنه مَعْن بن يَزِيد وأبوه الأخنس ، ولا يُعرَف مَنْ شَهِد بَدْراً ثلاثة أبٌ وابنٌ وجَدٌّ إلا هؤلاء ، وأكثر أهلِ العلم بالسِّير لا يُصَحِّح شهودَهم بدراً لكن شهدوا بَيْعَةَ الرِّضْوان، ويزيد بن الأخنس هذا هو ابن الأخنس بن جَنَاب بن حَبِيب بن جُرَّة بضم الجيم بن زُغْبٍ من بنى بُهْثَة بن سُلَيم . قال ابن ماكولا(١) : لا يُعْرَف جُرَّة بضم الجيم إلا هذا ، ولا جِرَّة بكسر الجيم إلا السُّوم بنت عَمْرو بن جِرَّة من بنى ضَمْرَة ، أم الشَّدَّاخ واسمه يَعْمَرُ بن عوف، وقد تقدم ذكره فى حديث قُصَيٍّ ولِمَ سُمِّيَ الشَّدَّاخ . وممن ذكره البُخارى فى البَدْرِيين خديم بن فاتك [بن الأخرم] وأخوه سَبرَةُ الأَسَدِيَّان(٢) . وممن ذكره البخارى فى البدريين من بنى سَلِمة

(١) هو على بن عبد الله بن على بن جعفر ولد سنة ٤٢١ وتوفى سنة ٤٨٦ .

(٢) تقال بفتح الهمزة وسكون السين ، نسبة إلى الأزد وهى تقال بالسين أيضاً ، وقيل بفتح السين نسبة إلى بنى أسد بن خزيمة . وقد روى الطبرانى أن خزيما وسبرة شهدا بدرا ، واستنكر الواقدى ذلك وقال إنما أسلم خزيمة وأخوه بعد الفتح وهو خريم بن فاتك بن الأخرم ويقال : خريم بن الأخرم بن شداد =

. . . .

جابرُ بن عبد الله بن عَمْرو بن حِزام ، وقال أبو عُمر : لا يصح شهودُه بَدْراً ، وذكر اختلافَ الناس في ذلك ، وفي السنن لأبي داوُد أن جابراً قال : كنت أَمِيحُ أصحابي الماء يوم بدر ، أي : كان صَغِيراً فلم يُسْهِم له ، وزعم بعضُهم أن هذه الرواية تَصْحِيفٌ ، وأن الصحيح كنتُ مَنِيحَ أصحابي يوم بدر ، والمَنِيحُ[1] : السَّهْمُ ، يريد أنهم كانوا يُرْسلونه في حوائجهم لِصِغَرِ سنه .

وممن شهد بدراً وذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام : طُلَيْبُ بن عُمَيْر[2] مِنْ بني عَبْدِ بن قُصَيّ ، وأمه أرْوى عَمةُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

= ابن عمرو بن الفاتك الأسدي . وهو في ترجمة أخيه سبرة يسميه خريمة وذكر مرة خطأ : خزيمة .

(١) في القاموس : منيح : قدح بلا نصيب ، وقدح يستعار تيمنا بفوزه ، أو قدح له سهم .

(٢) من المهاجرين الأولين ، قتل بأجنادين شهيداً وليس له عقب ، وله تقول أمه :

إن طليبا نصر ابن خاله آساه في ذي دمه وماله

ص ١٩ نسب قريش .

من قتل ببدر من المشركين

من بنى عبد شمس

وقُتِل من المشركين يومَ بدر من قُريْش، ثم من بنى عبد شَمْس بن عبد مناف: حَنْظلة بن أبى سُفيان بن حَرْب بن أُميَّة بن عبد شَمْس، وقَتَله زيدُ ابن حارثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابنُ هشام، ويقال اشترك فيه حمزةُ وعلىّ وزيد، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: والحارث بن الحَضْرمىّ، وعامر بن الحَضْرمىّ حليفان لهم قَتل عامراً: عمَّارُ بن ياسر؛ وقتل الحارث: النعمانُ بن عصر، حليف للأوس، فيما قال ابنُ هشام. وعُمَير بن أبى عُمير، وابنه: موليان لهم. قتل عُمَير بن أبى عُمير: سالمٌ، مولى أبى حُذيفة؛ فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعُبيدة بن سَعيد (بن) العاص بن أُميَّة بن عبد شَمْس، قتله الزبير بن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُميَّة قتله علىّ بن أبى طالب. وعُقْبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس، قتله عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقْلح، أخو بنى عمرو بن عوف، صَبْراً.

قال ابن هشام: ويقال: قتله علىّ بن أبى طالب.

قال ابن إسحاق: وعُتبة بن ربيعة بن عبد شَمْس، قَتله عُبيدة ابن الحارث بن المُطَّلب.

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلىّ .

قال ابن إسحاق : وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله حمزةُ بن عبد المطّلب ؛ والوليدُ بن عُتبة بن ربيعة ، قتله علىّ بن أبى طالب ؛ وعامر بن عبد الله ، حليفٍ لهم من بنى أنمار بن بَغيض ، قتله علىٌّ بن أبى طالب . اثنا عشر رجلا .

من بنى نوفل

ومن بنى نَوفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نَوْفل ، قتله — فيما يذكرون — خُبيب بن إساف ، أخو بنى الحارث بن الخزْرج ؛ وطُعَيمة بن ابن عدى بن نَوْفل ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ؛ ويقال : حمزةُ بن عبد المطّلب . رجلان .

من بنى أسد

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قصى : زَمْعة بن الأسْود بن المطّلب ابن أسد .

قال ابن هشام : قتله ثابتُ بن الجِذْع ، أخو بنى حَرام ، فيما قال ابن هشام .

ويقال : اشترك فيه حمزةُ وعلىٌّ بن أبى طالب وثابت .

قال ابن إسحاق : والحارث بن زَمْعَة ، قتله عمّار بن ياسر — فيما قال ابن هشام — وعقيلُ بن الأسْود بن المطّلب ، قتله حمزةُ وعلىّ ، اشتركا فيه — فيما

قال ابن هشام ـ وأبو البَخْتَرِي ، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ، قتله المُجَذَّر بن ذِيَاد البَلَوِي .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرِي : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : ونوفل بن خُوَيلد بن أسد ، وهو ابن العَدَوِيَّة ، عدىّ خُزاعة ، وهو الذى قَرن أبا بكر الصِّدِّيق ، وطَلْحة بن عُبيد الله حين أسلما فى حَبْل ، فكانا يُسَمَّيان : القَرِينين لذلك ، وكان من شياطين قُريش ـ قتله علىُّ بن أبى طالب . خمسة نفر .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عبد مناف بن عَبْد الدَّار ، قتله علىُّ بن أبى طالب صَبْراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفْراء ، فيما يذكرون .

قال ابن هشام : بالأُثيلِ . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث : ابن عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وزيد بن مُلَيْص ، مولى عُمَير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار . رجلان .

قال ابن هشام : قتل زَيْدَ بن مُلَيص بلالُ بنُ رَباح ، مولى أبى بكر ، وزيدُ حليف لبَنى عبد الدار ، من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : قتله المِقْداد بن عمرو .

من بنى تيم بن مرة

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مُرّة : عُمَير بن عُثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعد بن تَيْم .

قال ابن هشام : قتله علىُّ بن أبى طالب ، ويقال : عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن مالك بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صُهيب بن سِنان . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخزوم بن يَقظة بن مُرّة : أبو جَهْل بن هِشام - واسمه عَمْرو بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزوم - ضربه مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، فقطع رجلَه ، وضرب ابنُه عِكْرِمة يدَ مُعاذ فطَرحها ، ثم ضربه مُعَوّذ ابن عَفراء حتى أثبته ، ثم تركه وبه رَمق : ثم ذَفّف عليه عبدُ الله بن مَسْعود واحتز رأسه ، حين أمَر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتمس فى القَتْلى - والعاصُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر بن مَخْزوم ، قتله عمر بن الخطّاب ويَزيد بن عبد الله ، حليفٌ لهم من بنى تَميم .

قال ابن هشام ثم أحدُ بنى عمرو بن تيم ، وكان شجاعا ، قتله عمّار ابن ياسر .

قال ابن إسحاق : وأبو مُسافع الأشعرى ، حليف لهم ، قتله أبو دُجانة الساعدى - فيما قال ابن هشام - وحَرْملة بن عَمرو ، حليف لهم .

قال ابنُ هشام :

قَتله خارجةُ بن زيد بن أبى زُهير ، أخو بالحارث بن الخَزْرج ، ويقال : بلْ علىّ بن أبى طالب ـ فيما قال ابن هشام ـ وحَرْملة ، من الأسد .

قال ابن إسحاق : ومَسْعود بن أبى أُميَّة بن المُغيرة ، قتله علىّ بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ـ وأبو قيس بن الوَليد بن المُغيرة .

قال ابن هشام . قتله حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأبو قَيْس بن الفاكه بن المُغيرة ، قتله علىّ بن أبى طالب ، ويقال : قتله عمَّار بن ياسر ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابن إسحاق : ورِفاعة بن أبى رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم قَتله سعدُ بن الرَّبيع ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج ، فيما قال ابنُ هشام : والمُنذر بن أبى رِفاعة بن عابد ، قتله مَعْن بن عدى بن الجدّ بن العَجْلان حليفُ بنى عُبيد بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف فيما قال ابن هشام ، وعبد الله بن المُنْذر بن أبى رِفاعة بن عابد ، قَتله علىُّ بن أبى طالب ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : والسائب بن أبى السائب بن عابد بن عَبْد الله بن عُمر بن مَخْزوم .

قال ابن هشام : السَّائب بن أبى السائب شَريك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الشَّريك

السائبُ لا يشارى ولا يُمارى ، وكان أسلم فحسن إسلامه – فيما بلغنا – والله أعلم.

وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس : أن السائب بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ممن بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجِعِرّانة من غَنائم حُنين.

قال ابن هشام : وذكر غيرُ ابن إسحاق : أن الذى قتله الزُّبير بن العَوّام.

قال ابن إسحاق : والأسود بن عبد الأسَد بن هِلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم ، قَتله حمزةُ بن عبد المطَّلب ، وحاجبُ بن السَّائب بن عُوَيمر ابن عَمْرو بن عائذ بن عَبْد بن عِمْران بن مخزوم. قال ابن هشام : ويقال : عائذ : ابن عِمران بن مَخزوم ، ويقال : حاجز بن السَّائب – والذى قَتل حاجب بن السائب على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعُوَيمر بن السَّائب بن عُوَيمر ، قَتله النُّعمان بن مالك القَوْقلى مبارزةً ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وعَمْرو بن سُفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيىء ، قَتل عمراً يزيدُ بن رُقَيش ، وقتل جابر أبو بُرْدة بن نيَّار ، (فيما) قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : سبعة عشر رجلا .

من بنى سهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤى : مُنَبِّه بن الحجَّاج

ابن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم ، قتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سَلِمة ، وابنه العاصُ بن مُنبِّه بن الحجّاج ، قَتله علىٌّ بن أبى طالب فيما قال ابن هشام : و نُبَيه ابن الحجّاج بن عامر ، قَتله حَمْزةُ بن عبد المطّلب وسعدُ بن أبى وقّاص اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام ، وأبو العاص بن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم .

قال ابن هشام : قَتله علىٌّ بن أبى طالب ، ويقال : النعمانُ بن مالك القَوْقلى ، ويقال : أبو دُجانة .

قال ابن إسحاق : وعاصم بن عَوْف بن ضُبيرة بن سُعَيد بن سَعْد بن سهم ، قَتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سَلِمة ، فيما قال ابن هشام . خمسة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ : أُميَّة بن خَلَف ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، قتله رجلٌ من الأنصار من بنى مازن .

قال ابن هشام : ويقال : بل قَتله مُعاذ بن عَفْراء وخارجة بن زيد وخُبيب ابن إساف ، اشتركوا فى قَتْله .

قال ابن إسحاق : وابنه علىّ بن أُميَّة بن خَلَف ، قتله عمّار بن ياسر ؛ وأوْس بن مِعْيَر بن لوذان بن سعد بن جُمح ، قَتله علىٌّ بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ، ويقال : قَتله الحصَين بن الحارث بن المطّلب وعُثمان بن مَظْعون ، اشتركا فيه ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ثلاثة نفر .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ : مُعاوية بن عامر ، حَليف لهم من عبد القَيْس ، قتله علىٌّ بن أبى طالب؛ ويقال : قتله عُكَّاشة بن مِحْصن ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : ومَعْبد بن وهب ، حليف لهم من بَنى كَلْب بن عَوْف ابن كَعْب بن عامر بن لَيث ، قتل معبداً خالدٌ وإياس ابنا البُكَير ، ويقال : أبو دُجانة ، فيما قال ابن هشام . رجلان .

عـــددهم

قال ابن هشام : فجميع من أُحْصى لنا من قَتْلى قُريش يوم بدر : خمسون رجلا .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عُبيدة ، عن أبى عمرو : أنّ قَتْلى بدر من المُشركين كانوا سبعين رجلا ، والأسرى كذلك ، وهو قول ابن عبّاس ، وسَعيد بن المسيَّب . وفى كتاب الله تبارك وتعالى : ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا ﴾ يقوله لأصحاب أُحد ــ وكان من استُشهد منهم سبعين رجلا ــ يقول : قد أصبتم يوم بَدر مثْلى من استشهد منكم يوم أُحد ، سبعين قتيلا وسبعين أسيراً . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى لكَعب بن مالك :

فأقام بالعَطَن المُعطَّن منهمُ   سبعون ، عُتْبةُ منهمُ والأسْوَدُ

قال ابن هشام : يعنى قَتْلى بدر . وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أُحد سأذكرها إن شاء الله تعالى فى موضعها .

• • • • • • • • • • • • •

من فات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام : وممن لم يَذكر ابنُ إسحاق من هؤلاء السَّبعين القتلى :

من بنى عبد شمس

من بنى عَبْد شَمْس بن عبد مناف : وهبُ بن الحارث ، من بنى أنمار بن بَغيض ، حليف لهم ، وعامرُ بن زيد ، حليف لهم من اليمن رجلان .

من بنى أسد

من بنى أسد بن عبد العُزّى : عُقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن ، وعمير مولى لهم رجلان .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : نُبَيه بن زيد بن مُلَيص ، وعُبَيد بن سَلِيط ، حليف لهم من قيس . رجلان .

من بنى تيم

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : مالكُ بن عُبيد الله بن عُثمان وهو أخو طلحة بن عُبيد الله بن عثمان أسر فمات فى الأسارى ، فعُدّ فى القتلى ، ويقال : وعمرو ابن عبد الله بن جُدْعان . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة : حُذَيفة بن أبى حُذَيفة بن المُغيرة ، قتله سعد

. . . .

ابن أبى وقّاص، وهشام بن أبى حُذيفة بن المُغيرة، قتله صُهيب بن سِنان، وزهيرُ ابن أبى رِفاعة، قتله أبو أُسَيْد مالك بن رَبيعة، والسائب بن أبى رِفاعة قَتله عبدُ الرحمن بن عَوْف، وعائذ بن السَّائب بن عُويمر، أُسر ثم افتُدى فمات فى الطريق من جراحةٍ جرحه إياها حمزةُ بن عبد المطَّلب، وعُمير حليف لهم من طَيِّء، وخيار، حليف لهم من القارة سبعة نفر.

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو: سَبْرة بن مالك، حليف لهم. رجل.

من بنى سهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو: الحارث بن مُنَبِّه بن الحجاج، قتله صُهَيب بن سنان، وعامر بن عَوْف بن ضُبيرة، أخو عاصم بن ضبيرة، قَتله عبد الله ابن سَلمة العَجْلانى، ويقال: أبو دُجانة. رجلان.

ذكر أسرى قريش يوم بدر

من بنى هاشم

قال ابن إسحاق: وأُسر من المُشركين من قريش يومَ بدر، من بنى هاشم ابن عبد مناف: عَقِيلَ بن أبى طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم؛ ونوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب بن هاشم.

من بنى المطلب

ومن بنى المطَّلب بن عبد مناف: السَّائبُ بنُ عُبيد بن يزيد بن هاشم بن

المطّلب ؛ ونُعمان بن عمرو بن عَلقمة بن المطّلب . رجلان .

من بني عبد شمس وحلفائهم

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبي سُفيان بن حَرْب بن أميّة بن عبد شَمس ؛ والحارث بن أبي وجْزة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، ويقال : ابن أبي وحْرة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وأبو العاص بن الرّبيع بن عبد العزّى بن (عبد) شَمْس ؛ وأبو العاص بن نَوفل بن عبد شَمْس .

ومن حلفائهم أبو رِيشَة بن أبي عمرو ؛ وعَمْرو بن الأزْرق ، وعُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي . سبعة نفر .

من بني نوفل وحلفائهم

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عديّ بن الخِيار بن عديّ بن نوفل ؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غزْوان بن جابر ، حليف لهم من بني مازن بن مَنصور ؛ وأبو ثَوْر ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

من بني عبد الدار وحلفائهم

ومن بني عبد الدار بن قُصيّ : أبو عَزيز بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدّار ؛ والأسود بن عامر ، حليف لهم . ويقولون : نحن بنو الأسود ابن عامر بن عمرو بن الحارث بن السبّاق . رجلان .

. . . .

من بنى أسد وحلفائهم

ومن بنى أسد بن عبد العزّى بن قُصىّ : السائب بن أبى حُبَيْش بن المطَّلب بن أسد ؛ والحُوَيرث بن عبَّاد بن عثمان بن أسد .

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

قال ابن إسحاق : وسالم بن شَمَّاس ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة : خالدُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مَخزوم ؛ وأميّة بن أبى حُذيفة بن المُغيرة والوليد بن الوليد بن المُغيرة ، وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وصَيْفى ابن أبى رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأبو المنذر بن أبى رفاعة بن عَبد الله بن عُمير بن مخزوم ؛ وأبو عَطاء عبدالله بن أبى السائب ابن عَبد الله بن عُمر بن مخزوم ، والمُطَّلب بن حَنْطَب بن الحارث بن عُبيد ابن عمر بن مَخْزوم ؛ وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان — فيما يذكرون — أوّل من ولَّى فاراً منهزما ، وهو الذى يقول :

ولسْنا على الأدبارِ تَدْمى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا يَقْطرُ الدَّمُ

تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : « لَسْنا على الأعْقابِ » .

وخالد بن الأعلم ، من خُزاعة ، ويقال : عُقيلىّ .

من بنى سهم

قال ابن إسحاق : ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب : أبو وَداعة بن ضُبيرة بن سعيد بن سَعْد بن سهم ، كان أوّل أسير افتُدِى من أسرى بدر افتداه ابنُه المطّلب بن أبى وَداعة ؛ وفَرْوة بن قَيْس بن عَدِىّ بن حُذافة بن سعد بن سهم ، وحَنْظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سَعْد بن سهم ، والحجّاج بن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم . أربعة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبدُ الله بن أُبَىّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ؛ وأبو عزّة عمرو بن عبد بن عُثْمان بن وُهيب بن حُذافة بن جُمح ، والفاكه ، مولى أُميَّة بن خلف ، ادّعاه بعد ذلك رَباح بن المُغْترف ، وهو يزعُم أنه من بنى شَمّاخ بن مُحارب بن فهر — ويقال : إن الفاكه : ابنَ جَرْول بن حِذْيم بن عوف بن غَضْب بن شَمّاخ بن محارب ابن فِهر — ووَهْب بنُ عُمَير بن وهب بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ، وربيعة بن دَرّاج بن العَنْبس بن أُهْبان بن وَهب بن حُذافة بن جُمح . خمسة نفر .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤىّ : سُهيل بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر ، أسره مالك بن الدُّخْشُم ، أخو بنى سالم بن عَوْف ؛ وعبد بن زَمَعة بن قَيْس بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصْر بن

مالك بن حِسْل بن عامر ، وعبد الرحمن بن مَشنوء بن وَقْدان بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر . ثلاثة نفر .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فِهر : الطُّفَيل بن أبى قُنَيع ، وعُتبة بن عمرو بن جَحْدم . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من حُفِظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

مافات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه .

وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى :

من بنى هاشم

من بنى هاشم بن عبد مَناف : عتبة ، حليف لهم من بنى فِهر . رجل .

من بنى المطلب

ومن بنى المطَّلب بن عبدمناف : عَقيل بن عمرو ، حليف لهم، وأخوه تميم ابن عمرو ، وابنه . ثلاثة نفر .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن أسيد بن أبى العيص ، وأبو العريض يَسار ، مولى العاص بن أُميَّة . رجلان .

. . . .

من بنى نوفل

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : نَبْهان ، مولى لهم . رجل .

من بنى أسد

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : عبدُ الله بن حميد بن زُهير بن الحارث. رجل.

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصىّ : عَقِيل ، حليف لهم من اليمن . رجل .

من بنى تيم

ومن بنى تَيم بن مُرّة : مُسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقظة : قَيْسُ بن السائب . رجل .

من بنى جمح

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن أُبىّ بن خَلَف ، وأبو رُهْم بن عبد الله ، حليف لهم ، وحليف لهم ذهب عنى اسمه ، ومَوْلَيان لأُمَيَّة بن خَلَف ، أحدهما اسِطاس ، وأبو رافع ، غلام أُميَّة بن خَلف . ستة نفر .

. . . .

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو : أَسْلَمَ ، مولى نبيه الحجَّاج رجل .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤىّ : حبيب بن جابر ، والسائب بن مالك . رجلان .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فِهْر : شافع وشَفيع ، حليفان لهم من أرض اليَمن . رجلان .

ماقيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحاق : وكان مما قِيل من الشعر فى يوم بدر ، وترادَّ به القومُ بينهم لما كان فيه ، قولُ حمزة بن عبد المطَّلب رحمه الله :

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها :

ألم تَرَ أمْراً كان من عَجبِ الدهرِ ... وللحَيْن أسبابٌ مبيَّنة الأمْرِ

وما ذاكَ إلا أنّ قَوْماً أفادَهم ... فخانوا تواصٍ بالعُقوق وبالكُفرِ

عَشِيَّة راحُوا نحو بَدْر بجمْعهم ... فكانوا رهُوناً للرَّكِيَّة مِن بَدْر

وكنَّا طَلَبْنا العِيرَ لم نَبْغِ غيرَها ... فساروا إلَيْنا فالتَقَيْنا على قَدْر

فلمَّا الْتقَينا لم تَكُن مَثْنَويَّةٌ ... لنا غير طَعْن بالمثقَّفة السُّمْر

وَضَرْبٍ بِبِيضٍ يَخْتَلِى الهامَ حَدُّها ... مُشَهَّرَةِ الألوانِ بَيِّنَةِ الأُثُر

ونحن تركنا عُتْبَةَ الغَيِّ ثاوياً ... وشَيْبَةَ فى القتلى تَجَرْجَمُ فى الحَفْر

وعَمْرو ثوى فيمن ثَوَى من حُماتِهم ... فَشُقَّتْ جُيوبُ النائحاتِ على عمرو

جُيُوبُ نِساءٍ من لُؤَىِّ بن غالِبٍ ... كِرامٍ تَفَرَّعْنَ الذَّوائبَ من فِهْر

أولئك قومٌ قُتِّلوا فى ضَلالِهم ... وخَلَّوا لواءً غيرَ مُحْتَضَرِ النَّصْر

لِواءَ ضَلالٍ قاد إبليسُ أهلَه ... فخاس بهم ، إنّ الخبيثَ إلى غَدْر

وقال لهم، إذ عايَنَ الأمرَ واضحاً ... بَرِئتُ إليكم مابىَ اليومَ من صَبْر

فإنى أرَى مالا تَرَوْنَ وإنّنى ... أخافُ عِقابَ اللهِ واللهُ ذو قَسْر

فقدَّمهم للحَيْنِ حتى تورَّطوا ... وكان بما لم يَخْبُرِ القومُ ذا خُبْر

فكانوا غَداةَ البئرِ ألفاً وجَمْعُنا ... ثلاثُ مِئينٍ كالمُسَدَّمةِ الزُّهْر

وفينا جُنُودُ اللهِ حين يُمِدُّنا ... بهم فى مقامٍ ثَمَّ مُسْتَوْضَحِ الذِّكْر

فشدَّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا ... لدى مأْزِقٍ فيه مناياهُم تَجْرِى

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة ، فقال :

ألا يا لَقَوْمى للصَّبابةِ والهَجْرِ ... وللحُزْنِ مِنِّى والحَرارةِ فى الصَّدْرِ

وللدَّمْعِ من عَيْنَىَّ جَوْداً كأنّه ... فريدٌ هَوَى من سِلْكِ ناظِمِه يَجْرِى

على البَطَلِ الحُلْوِ الشَّمائلِ إذ ثَوَى ... رَهِينَ مقامٍ للرَّكيَّةِ من بَدْر

فلا تَبْعُدَنْ ياعمرو من ذى قَرابةٍ ... ومن ذى نِدَامٍ كان ذا خُلُقٍ غَمْر

فإنْ يكُ قومٌ صادفوا منك دَوْلةً ... فلابُدَّ للأيامِ من دُوَلِ الدَّهْر

فقد كنتَ فى صَرْف الزّمان الذى مضَى

تُريهم هَواناً منك ذا سُبُل وَعْر

فإلاَّ أمُتْ ياعَمرو أترُكْك ثائراً ‏ ‏ ولا أُبْق بُقْيا فى إخاء ولا صِهْر

وأقطَعُ ظهراً من رجال بمَعْشر ‏ ‏ كرامٍ عليهم مثل ماقطعوا ظَهْرى

أغرهم ما جمَّعوا من وشيظة ‏ ‏ ونحن الصَّميم فى القبائل مِن فِهْر

فيالَ لُؤىّ ذَبِّبوا عن حَريمكم ‏ ‏ وآلهة لاتتركُوها لذى الفَخْر

تَوارثهـــا آباؤكُمْ ووَرِثـتُمُ ‏ ‏ أواسيَّها والبيتَ ذاالسَّقف والسِّتر

فمَا لِحليمٍ قد أراد هَلاكَـكم ‏ ‏ فلا تَعْذِروه آلَ غالب من عُذْر

وجِدّوا لمن عادَيتم وتَوازرُوا ‏ ‏ وكونُوا جميعاًفى التأسّى وفى الصّبر

لعَلّـكمُ أنْ تَثأرُوا بأخيكمُ ‏ ‏ ولاشىء إن لم تثأروا بذَوِى عمرو

بمَطَّرِدات فى الأكُفّ كأنها ‏ ‏ وَميضٌ تُطِير الهامَ بينة الأُثْر

كأنّ مَدبّ الذرّ فوق مُتونها ‏ ‏ إذا جُرِّدت يوماً لأعدائها الُخزْر

قال ابن هشام : أبْدَلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابنُ إسحاق ، وهما « الفخر » فى آخر البيت ، و« فما لحليم » فى أوّل البيت ، لأنه نال فيهما من النبىّ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب فى يوم بدر :

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يَعرفها ولا نَقيضتها ، وإنما كتبناها لأنه يقال : إن عمرو بن عبد الله بن جُدْعان قُتل يوم بدر ،

. . . .

ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى ، وذكره فى هذا الشعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَبْلَى رَسُولَهُ ... بَلاءَ عَزِيزٍ ذِى اقْتِدَارٍ وذِى فَضْلِ

بما أَنْزلَ الكُفَّارَ دارَ مَذَلَّةٍ ... فلاقَوْا هَوانًا مِن إسَارٍ ومن قَتْلِ

فأمسى رسولُ اللهِ قد عَزَّ نَصْرُهُ ... وكان رسولُ اللهِ أُرْسِلَ بالعَدْلِ

فجاء بفُرْقانٍ مِنَ اللهِ مُنْزَلٍ ... مُبَيَّنَةٌ آياتُه لذوى العَقْلِ

فآمَنَ أقوامٌ بذاك وأيقنوا ... فأمْسَوْا بحمد اللهِ مُجْتَمِعِى الشَّمْلِ

وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم ... فزادهُمُ ذو العَرْشِ خَبْلًا على خَبْلِ

وأمْكَنَ منهم يومَ بَدْرٍ رسولَهُ ... وقومًا غِضابًا فِعْلُهم أحسنُ الفِعْلِ

بأيديهم بيضٌ خِفافٌ عَصَوْا بها ... وقد حادثُوها بالجِلاء وبالصَّقْلِ

فكم تركوا من ناشِئٍ ذى حَمِيَّةٍ ... صَرِيعًا ومن ذى نَجْدَةٍ منهمُ كَهْلِ

تَبِيتُ عيونُ النَّائحات عليهمُ ... تَجُودُ بإسْبالِ الرَّشاش وبالوَبْلِ

نَوائحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الغَيَّ وابنَه ... وشَيْبَةَ تَنعاه وتَنْعَى أبا جَهْلِ

وذا الرِّجْلِ تَنعَى وابنَ جُدعانَ فيهمُ ... مُسَلِّبَةً حَرَّى مبيِّنةَ الثُّكْلِ

ثَوَى منهم فى بئر بدر عصابةٌ ... ذَوِى نَجَداتٍ فى الحُروب وفى المَحْلِ

دعا الغَىُّ منهم مَنْ دعا فأجابه ... وللغَىِّ أسبابٌ مُرَمَّقةُ الوَصْلِ

فأضحَوْا لدَى دار الجحيم بمَعْزِلٍ ... عن الشَّغْب والعُدوان فى أشغلِ الشُّغْلِ

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة ، فقال :

عَجِبْتُ لأقوامٍ تَغَنَّى سَفِيهُهُم ... بأمرٍ سَفاهٍ ذى اعتراض وذى بُطْل

تَغَنَّى بقَتْلَى يومَ بدرٍ تَتابعوا ... كِرَامِ المَساعى من غُلامٍ ومن كَهْل

مَصاليتَ بِيضٍ من لُؤَىِّ بن غالب ... مَطاعينَ فى الهَيْجا مَطاعيمَ فى المَحْل

أُصيبوا كِرَامًا لم يَبِيعُوا عَشيرةً ... بقومٍ سِواهم نازِحِى الدّار والأصْلِ

كما أصبحَتْ غسّانُ فيكم بطانةً ... لكم بَدلا مِنّا فيالكَ من فِعْل

عُقوقًا وإثمًا بَيِّنًا وقَطيعةً ... يَرى جَوْرَكم فيها ذَوُو الرأى والعقل

فإن يكُ قومٌ قد مَضَوا لسبيلهم ... وخيرُ المنايا ما يكون من القَتْل

فلا تَفرحوا أن تَقتلوهم فقَتْلُهم ... لكم كائنٌ خَبْلاً مُقِيما على خَبْل

فإنكم لن تبرَحوا بعد قَتْلِهم ... شَتِيتًا هَوَاكم غيرُ مُجتَمِعى الشَّمل

بفَقْد ابن جُدْعان الحميد فِعالُه ... وعُتْبَةَ والمَدْعُوّ فيكم أبا جَهْل

وشَيْبَةَ فيهم والوليد وفيهمُ ... أُميَّةُ مَأْوَى المُعْتَرِين وذو الرِّجْل

أولئك فابْكِ ثم لا تَبْكِ غيرَهم ... نَوائحُ تَدْعو بالرَّزِيَّةِ والثُّكْل

وقُولوا لأهل المكَّتَيْنِ تَحاشَدُوا ... وسِيروا إلى آطامِ يَثْرِبَ ذى النَّخْل

جميعًا وحامُوا آلَ كَعْبٍ وذَبِّبُوا ... بخالصةِ الألوان مُحْدَثَة الصَّقْل

وإلا فبِيتُوا خائفين وأصْبِحوا ... أذَلَّ لوطءِ الواطِئين مِنَ النَّعْلِ

على أنّنى واللاتِ يا قومُ فاعلَمُوا ... بكم واثِقٌ أن لا تُقيموا على تَبْل

سِوى جَمْعِكم للسابغات وللقَنا ... وللبَيض والبِيضِ القواطعِ والنَّبْل

وقال ضِرار بن الخطّاب بن مِرْداس، أخو بنى مُحارِب بن فِهر فى يوم بدر:

عجِبتُ لفخرِ الأوْسِ والحَيْنُ دائرٌ عليهم غداً والدّهر فيه بصائرُ
وفخرِ بنى النّجّار وإن كان معشرٌ أُصيبوا ببدْر كلّهم ثَمّ صابرُ
فإن تكُ قتلى غُودِرتْ من رجالنا فإنّا رجالٌ بعدهم سنُغادِرُ
وتَرْدِى بنا الجُرْدُ العناجِيجُ وَسطكم بنى الأوْس حتى يَشْفِى النفسَ ثائر
ووَسْطَ بنى النّجار سوف نَكُرّها لها بالقنا والدارعين زوافِر
فنترك صَرْعَى تَعْصِبُ الطيرُ حولهم وليس لهم إلا الأمانىّ ناصِر
وتبْكيهم مِن أهْل يَثْرِبَ نِسوَةٌ لهنّ بها ليلٌ عن النّوْم ساهِر
وذلك أنّا لا تزال سُيُوفنا بهنّ دَمٌ ممّن يحاربن مائر
فإن تظْفروا فى يوم بَدْر فإنما بأحمدَ أمْسَى جدُّكم وهو ظاهر
وبالنّفر الأخْيار هم أوْلياؤه يُحامُون فى اللأْواء والموتُ حاضِر
يُعَدُّ أبو بكر وحمزة فيهمُ ويُدْعى علىّ وَسْطَ مَنْ أنت ذاكر
ويُدعى أبو حَفْص وعثمانُ منهمُ وسَعْدٌ إذا ما كان فى الحرْب حاضر
أولئك لا مَنْ نَتّجَتْ فى دِيارها بنو الأوْس والنّجّار حين تُفاخر
ولكنْ أبُوهم من لُؤَىّ بن غالبٍ إذا عُدّت الأنسابُ كعْبٌ وعامِرُ
هم الطّاعِنون الخيْل فى كل مَعْرَك غداةَ الهِياج الأطْيَبُون الأكاثر

فأجابه كعبُ بن مالك، أخو بَنى سَلِمة، فقال:

عَجِبْتُ لأمْرِ اللهِ واللهُ قادِرٌ على ما أراد، ليس لله قاهِرُ

قضى يومَ بدرٍ أن نلاقِيَ معشراً ... بغَوْا وسبيل البَغْى بالنَّاس جائرُ

وقد حشدوا واستنفرُوا من يليهمُ ... مِن النَّاس حتى جَمْعُهم مُتكاثر

وسارت إلينا لا تُحاول غيْرَنا ... بأجمَعها كعبٌ جميعاً وعامر

وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَه ... له مَعْقِلٌ منهم عزيزٌ وناصر

وجَمعُ بنى النَّجَّار تحت لوائه ... يُمَشُّون فى الماذِىِّ والنَّقْعُ ثائر

فلمَّا لَقِيناهم وكلٌّ مُجاهد ... لأصحابه مُسْتَبسلُ النَّفس صابر

شَهِدنا بأنّ الله لاربَّ غيره ... وأنّ رسولَ الله بالحقِّ ظاهر

وقد عُرِّيت بِيضٌ خِفافٌ كأنها ... مَقابِيسُ يُزْهِيها لعينَيك شاهر

بهنّ أبَدْنا جمعَهم فتبدّدوا ... وكان يُلاقى الحَيْنَ مَنْ هو فاجر

فكُبَّ أبو جهل صَرِيعاً لوَجْهه ... وعتبةُ قد غادَرنه وهو عاثر

وشَيبة والتَّيْمِىَّ غادَرْن فى الوَغَى ... وما منهمُ إلا بذى العَرْش كافر

فأمسَوْا وَقُودَ النَّار فى مُسْتقَرها ... وكلّ كَفور فى جَهَنَّم صائر

تلظَّى عليهم وهى قد شبَّ حَمْيُها ... بزُبْر الحديد والحِجارة ساجر

وكان رسول الله قد قال أقْبِلوا ... فوَلَّوا وقالُوا: إنمَا أنْتَ ساحِر

لأمْرٍ أراد الله أن يَهْلِكُوا به ... وليس لأمْرٍ حَمَّه الله زاجر

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمىُّ يبكى قَتْلَى بدر:

قال ابن هشام: وتروى للأعشى بن زُرارة بن النبَّاش، أحد بنى أُسَيد ابن عمرو بن تميم، حليف بنى نَوْفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق : حليفُ بنى عبد الدار :

مَاذا على بَدْرٍ وماذا حَوْله ... من فِتْيَةٍ بِيض الوُجُوه كِرَامِ
تركوا نُبَيهاً خَلْفهم ومُنَبِّهاً ... وابْنى رَبيعة خَيْرَ خَصْمٍ فِئَام
والحارثَ الفَيَّاض يَبْرُق وَجهه ... كالبدر جَلَّى لَيْلَةَ الإظْلام
والعاصِيَ بنَ مُنَبِّه ذا مِرَّة ... رُمحاً تَمِيماً غيرَ ذى أوْصام
تَنْمى به أعراقُه وجُـدُودُه ... ومآثر الأخْوال والأعْمام
وإذا بكَى باكٍ فأعْوَل شَجْوَه ... فعَلى الرئيس الماجِد ابن هشام
حيَّا الإله أبا الوَليد ورَهْطَه ... رَبُّ الأنام ، وخصَّهم بسَلام

فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصاريّ ، فقال :

ابك بَكَت عيناك ثم تبادَرَتْ ... بدَم تُعَلّ غُروبُها سَجَّام
ماذا بَكيتَ به الذين تتابعوا ... هَـلا ذكَرتَ مكارِم الأقْوام
وذكَرْتَ منَّا ماجداً ذا هِمَّة ... سَمْحَ الخلائق صادق الإقْدام
أعنِى النبيَّ أخا المكارم والنَدَى ... وأبرَّ من يُولى على الإقْسام
فلِمثْـلـه ولمثْـل ما يَدعو له ... كان المُمدَّح ثَمَّ غيرَ كَهام

شعر لحسان فى بدر أيضا

وقال حسَّان بن ثابت الأنصاريّ أيضاً :

تَبلتْ فؤادَك فى المَنام خَريدة ... تَشفِى الضَّجيعَ ببارِدٍ بسَّامِ

كالمسك تخلطه بماء سحابة ... أو عاتق كدم الذبيح مدام
نفج الحقيبة بوصها متنضد ... بلهاء غير وشيكة الأقسام
بنيت على قطن أجم كأنه ... فضلا إذا قعدت مداك رخام
وتكاد تكسل أن تجئ فراشها ... في جسم خرعبة وحسن قوام
أما النهار فلا أفتر ذكرها ... والليل توزعني بها أحلامي
أقسمت أنساها وأترك ذكرها ... حتى تغيب في الضريح عظامي
يا من لعاذلة تلوم سفاهة ... ولقد عصيت على الهوى لوامي
بكرت على بسحرة بعد الكرى ... وتقارب من حادث الأيام
زعمت بأن المرء يكرب عمره ... عدم لمعتكر من الأصرام
إن كنت كاذبة الذي حدثتني ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام
تذر العناجيج الجياد بقفرة ... مر الدموك بمحصد ورجام
ملأت به الفرجين فارمدت به ... وثوى أحبته بشر مقام
وبنو أبيه ورهطه في معرك ... نصر الإله به ذوي الإسلام
طحنتهم ، والله ينفذ أمره ، ... حرب يشب سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه ... جزر السباع ودسنه بحوامي
من بين مأسور يشد وثاقه ... صقر إذا لاقى الأسنة حامي
ومجدل لا يستجيب لدعوة ... حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذل المبين إذ رأى ... بيض السيوف تسوق كل همام

. . . .

بِيدَىْ أغَرَّ إذا انتمى لم يُخزِه ... نَسَبُ القِصار سَمَيْدَعٍ مِقْدام

بيضٌ إذا لاقَتْ حَديداً صَمَّمَتْ ... كالبَرْق تحت ظِلال كلِّ غَمام

شعر الحارث فى الرد على حسان

فأجابه الحارث بن هِشام ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

الله أعلمُ ما تركتُ قِتالَهم ... حتى حَبَوْا مُهْرِى بأشقَرَ مُزْبِد

وعرفتُ أنّى إنْ أقاتلْ واحداً ... أُقتَلْ ولا يَنْكِى عَدوِّى مَشْهدى

فصَدَدْتُ عنهُم والأحِبَّةُ فيهِمُ ... طمَعاً لهم بعقاب يوم مُفْسِد

قال ابن إسحاق : قالهـا الحارثُ يعتذر من فِراره يوم بدر .

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسَّان ثلاثة أبيات من آخرها ، لأنه أقذع فيها .

شعر لحسان فيها أيضاً

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت :

لقد علِمَتْ قريشٌ يوم بَدْر ... غداةَ الأسْر والقَتْل الشَّديد

بأنّا حينَ تَشْتَجر العَوالى ... حُماةُ الحَرْب يومَ أبى الوَليد

قَتَلْنا ابْنَىْ ربيعة يومَ سارَا ... إلَيْنا فى مَضاعَفة الحَديد

وفرَّ بهـا حكيمٌ يومَ جالَت ... بنو النجّار تَخطِرُ كالأُسُودِ

وولَّتْ عند ذاك جمُوع فِهْر ... وأسْلَمها الحُوَيْرثُ مِنْ بعيد

. . . .

لقد لاقيتم ذُلاً وقتلاً جهيزاً نافذاً تحتَ الوَريد
وكلُّ القَوْم قَدْ وَلَّوا جميعاً ولم يَلْوُوا على الحَسَب التّليد

وقال حسّان بن ثابت أيضا :

يا حار قد عَوّلْتَ غير مُموَّل عند الهياج وساعةَ الأحْسابِ
إذ تمتطى سُرُحَ اليدَين نجيبةً مَرْطَى الجراء طويلة الأقْراب
والقومُ خَلْفك قد تركتَ قتالهم تَرْجو النَّجاء وليس حين ذَهاب
ألاّ عطَفْتَ على ابنِ أُمِّك إذ ثَوَى قَعْصَ الأسنَّة ضائعَ الأسْلاب
عجلَ المَليك له فأهْلَكَ جَمْعه بشَنارِ مُخْزِيَةٍ وسُوء عذاب

قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً أقْذع فيه .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السَّهمىُّ :

مُسْتَشْعِرِى حَلَقِ الماذِىّ يقدُمُهم جَلْدُ النَّحيزة ماضٍ غيرُ رِعْدِيدِ
أعنِى رسولَ إلهِ الخَلْق فَضَّلَه على البريَّة بالتَّقْوَى وبالجود
وقد زَعمتم بأن تحْمُوا ذِمارَكم وماء بَدْر زعمتم غيرُ مَوْرُودِ
ثُمَّ وَرَدْنا ولم نَسْمَعْ لقولكم حتى شَرِبْنا رَواءً غير تَصْريد
مُسْتَعْصمين بحَبْلٍ غير مُنْجذِم مُسْتحكَم مِن حبالِ الله مَمْدود
فينا الرَّسولُ وفينا الحقُّ نَتْبعه حتى المَمات ونَصرٌ غيرُ محْدود

وافٍ وماضٍ شِهابٌ يُستضاء به ... بَدْرٌ أنار على كلّ الأماجِيد

قال ابن هشام : بيته : «مُستعصمين بحَبل غير مُنجذم» عن أبي زيد الأنصاريّ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

خابتْ بنو أسَدٍ وآبَ غَزِيُّهم ... يومَ القَليب بسَوءةٍ وفُضُوح

مِنهم أبو العاصي تجدَّلَ مُقْعَصاً ... عن ظَهْر صادقةِ النَّجاء سَبُوح

حَيْنا له من مانع بسلاحِه ... لمَّا ثَوَى بمقامه المَذْبوح

والمرء زَمْعةُ قد تَرَكْنَ ونَحرُه ... يَدْمَى بعانِدِ مُعْبَطٍ مَسْفُوح

مُتوسِّداً حُرَّ الجَبين مُعَفَّراً ... قد عُرَّ مارِن أنفِه بقُبُوح

ونجا ابنُ قَيْسٍ في بقيَّة رَهْطه ... بشَفا الرَّماق مُوَلِّياً بجُروح

وقال حسَّان بن ثابت أيضاً :

ألا ليتَ شِعْري هل أتى أهلَ مَكَّة ... إبارَتُنا الكُفَّار في ساعة العُسْرِ

قَتَلْنا سَراةَ القَوْم عند مَجالِنا ... فلم يَرْجعوا إلا بقاصِمَة الظَّهْر

قَتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبَةَ قبلَه ... وشَيْبَةَ يكْبو لليَدَين وللنَّحر

قَتَلْنا سُوَيْداً ثم عُتْبَةَ بعْدَه ... وطُعْمة أيضاً عند ثائرة القَتْر

فكم قد قَتَلْنا مِن كَريم مُرَزَّإ ... له حَسَبٌ في قَوْمِه نابِه الذِّكر

تركْناهُم للعاويات يَنُبْنَهُم ... ويَصْلَوْن ناراً بعدُ حامية القَعْر

لَعَمرك ما حامَت فوارسُ مالك ... وأشياعُهم يوم الْتَقَيْنا على بَدْر

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارىّ بيتَه :

قَتَلْنا أبا جَهْل وعُتْبةَ قَبْلَه   وشَيْبة يَكْبو لليَديْن وللنَّحرِ

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضاً :

نَجَّى حَكِيماً يومَ بَدْر شَدُّهُ   كَنَجاءِ مُهْرٍ من بنات الأعْوَج
لمَّا رأى بَدْراً تَسيلُ جِلاهُه   بكَتيبةٍ خَضْراءَ مِنْ بَلْخَزْرج
لا يَنْكُلُون إذا لَقُوا أعداءَهم   يمشون عائدة الطَّريق المَنْهَج
كم فيهمُ من ماجِدٍ ذى مَنْعةٍ   بَطَل بمَهْلَكَةِ الجبان المُحْرَج
ومُسَوَّدٍ يُعْطِى الجَزيلَ بكَفِّهِ   حَمَّال أثْقال الدِّيات مُتوَّج
زَيْنِ النَّدِىِّ معاوِدٍ يَوْمَ الوَغَى   ضَرْبَ الكُماة بكلِّ أبيضَ سَلْجَج

قال ابن هشام : قوله سَلَجج ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق وقال حسان أيضاً :

فمَا نَخْشَى بحَوْل اللهِ قَوْماً   وإن كَثُروا وأُجمِعت الزُّحُوفُ
إذا ما ألَّبُوا جَمْعاً عَلَيْنا   كَفانا حَدَّهم ربٌّ رَءُوف
سَمَوْنا يَوْمَ بَدْرٍ بالعَوالى   سِراعاً ما تُضَعْضِعنا الحُتوف
فلَمْ تَرَ عُصْبةً فى النَّاس أنْكَى   لمن عادَوْا إذا لَقِحت كَشُوف
ولكنَّا تَوكَّلْنا وقُلْنا   مآثِرُنا ومَعْقِلنا السُّيوف
لَقِيناهُم بها لَمَّا سَمَوْنا   ونَحْنُ عِصابةٌ وهُمُ أُلوف

وقال حسّان بن ثابت أيضاً، يهجو بنى جُمح ومن أُصيب منهم :

جَمَحَت بنو جُمَحٍ لشقْوة جدّهم إنّ الذّليل مُوكّل بذليلِ

قُتِلَت بنو جُمَحٍ ببَدْر عَنْوَةً وتخاذَلوا سَعْياً بكلّ سَبيل

جَحدوا الكِتاب وكذّبوا بمحمّد واللهُ يُظهِر دين كلّ رَسول

لَعَن الإلهُ أبا خُزَيمَة وابنَهُ والخالدَيْن، وصاعِدَ بن عَقيل

شعر عبيدة بن الحارث فى قطع رجله

قال ابن إسحاق : وقال عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب فى يوم بدر، وفى قَطْع رِجْله حين أُصيب، فى مُبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم ـ قال ابن هشام، وبعضُ أهل العلمْ بالشعر ينكرها لعُبيدة :

سَتَبْلُغُ عنّا أهلَ مكّة وَقْعَةٌ يَهُبّ لها مَن كان عن ذاك نائيا

بعُتْبَةَ إذ ولّى وشَيْبَة بعْدَه وما كان فيها بِكْرُ عُتْبة راضيا

فإن تَقْطَعُوا رِجْلى فإنِّى مُسْلِم أُرجِّى بها عَيْشاً مِن الله دانيا

مَع الحور أمثال التماثيل أُخْلِصَت مع الجنّة العُلْيا لمن كان عاليا

وبِعْتُ بها عَيْشاً تعرّقْتُ صَفْوه وعالجتُه حتى فقدتُ الأدانيا

فأكْرَمنى الرّحمنُ من فَضْل مَنّه بثَوْب مِنَ الإسْلام غطّى المَساوِيا

وما كان مَكْروهاً إلىّ قِتالُهم غداةَ دعا الأكْفاءَ مَنْ كان داعيا

ولم يَبْغ إذ سألوا النبىّ سواءنا ثلاثتنا حتى حَضَرْنا المناديا

لَقِيناهم كالأُسْد تَخْطِر بالقَنا نُقاتل فى الرّحمن من كان عاصيا

فما بَرِحَتْ أقدامُنا من مَقامنا ... ثلاثتنا حتى أُزِيروا المنائيا

قال ابن هشام : لما أصيبت رِجْلُ عُبيدة قال : أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحقُّ منه بما قال حين يقول :

كَذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمدٌ ... ولما نُطاعن دونَهُ ونُناضلِ

ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حَوْلَه ... ونذهَل عَن أبنائِنا والحلائلِ

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب ، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب .

رثاء كعب لعبيدة بن الحارث

قال ابن إسحاق : فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصاب رِجْلة يوم بدر ، قال كعب بن مالك الأنصارىّ يَبْكيه :

أيا عَيْن جُودى ولا تَبْخَلى ... بدمْعك حقاً ولا تنزُرِى

على سَيِّد هَدَّنا هُلْكُه ... كَرِيمَ المَشاهِد والعُنصر

جَرِىء المقَدَّم شاكى السِّلاح ... كريم الثَّنا طيِّب المَكْسِر

عُبَيْدة أمْسَى ولا نَرْتَجيه ... لعُرفٍ عرَانا ولا مُنْكر

وقد كانَ يَحمى غَداةَ القِتا ... ل حامِيَــــة الجَيْش بالمِبْتر

شعر لكعب في بدر

وقال كعب بن مالك أيضاً ، فى يوم بدر :

. . . .

ألا هل أتى غسّانَ فى نَأى دارِها ... وأخْبَرُ شىءٍ بالأُمُور عَليمها

بأن قد رَمَتْنا عن قِسِىّ عَداوةٍ ... مَعَــدّ معاً جُهّالُها وحَليمها

لأنّا عَبَدْنا اللهَ لم نَرْجُ غيرَه ... رَجاء الجنان إذْ أتانا زَعيمها

نبىّ له فى قَوْمِه إرْثُ عزّة ... وأعراقُ صدْق هَذّبَتْها أرومها

فساروا وسِرْنا فالتَقَيْنا كأنّنا ... أُسُود لِقاءٍ لا يُرَجّى كَليمها

ضَربناهُم حتى هَوى فى مَكرّنا ... لمَنْخر سَوْءٍ من لُؤَىّ عَظِيمها

فوَلَّوْا ودُسْناهم ببيض صَوارم ... سَواء عَلينا حِلْفُها وصَمِيمها

وقال كعب بن مالك أيضا :

لَعَمْرُ أبيكُما يابْنَىْ لُؤَىّ ... على زَهْوٍ لدَيْكمْ وانْتِخاء

لَمَا حامَتْ فوارسُكم ببدْرٍ ... ولا صَبَروا به عنــد اللّقاء

ورَدْناه بنــور الله يَجْلو ... دُجَى الظَلْماء عَنّا والغِطاء

رسولُ الله يَقْــدُمنا بأمر ... مِن امْرِ الله أُحكِمَ بالقَضاء

فما ظفرَتْ فوارِسكم ببدر ... وما رَجعوا إليكم بالسَّواء

فلا تَعْجَل أبا سُفْيان وارقُبْ ... جِياد الخَيْل تَطْلُعُ من كَداء

بنَصر الله روحُ القُدْس فيها ... وميكالٌ ، فياطِيبَ المَلاء

شعر طالب في مدح الرسول وبكاء أصحاب القليب

وقال طالبُ بن أبى طالب ، يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبكى أصحاب القَليب من قُرَيش يوم بدر :

ألا إنّ عَيْنِي أنفدَتْ دمعها سَكْبًا ... تُبكّي على كعب وما إنْ ترى كَعبًا

ألا إنّ كَعْبًا في الحروب تخاذَلوا ... وأرْداهمُ ذا الدّهرُ واجْترحوا ذَنبا

وعامر تبكى للمُلمَّات غُدْوَةً ... فياليت شِعْرى هل أرى لهما قُرْبا

هما أخواىَ لن يُعَدّا لِغَيَّةٍ ... تُعَدُّ ولن يُسْتام جارُهما غَصْبا

فيا أخوَيْنا عَبْدَ شمسٍ ونَوْفَلا ... فِداً لكما لا تَبعثوا بيننا حَرْبا

ولا تُصْبِحُوا من بعد وُدّ وألفةٍ ... أحاديثَ فيها كلُّكم يشتكى النَّكْبا

ألم تعلموا ما كان في حَرْب داحسٍ ... وجيش أبي يَكسوم إذ مَلئوا الشِّعبا

فلَوْلا دِفاعُ اللهِ لا شَيْء غيرُه ... لأصْبحتُم لا تَمنعون لكم سِرْبا

فما إنْ جنينا في قُريش عظيمةً ... سوى أن حَمَيْنا خيرَ مَنْ وطىء التُّرْبا

أخا ثِقَةٍ في النّائبات مُرَزَّأً ... كريمًا نثاه لا بخيلا ولا ذَرْبا

يُطِيف به العافُون يَغْشَوْن بابَه ... يَؤمّون بحرًا لا نَزُورًا ولا صَرْبا

فوالله لا تنفكّ نَفْسى حزينةً ... تَمَلْمل حتى تَصْدُقوا الخزرجَ الضَّرْبا

شعر ضرار في رثاء أبي جهل

وقال ضرار بن الخطّاب الفهرى، يرثى أبا جَهْل:

ألا مَنْ لعينٍ باتَت اللّيلَ لم تَنمْ ... تُراقبُ نجمان في سوادٍ من الظُّلَمْ

كأنّ قذًى فيها وليس بها قذًى ... سوى عَبْرةٍ من جائل الدمع تَنسجم

فبلِّغْ قُرَيْشًا أنّ خيرَ نَديِّها ... وأكرمَ مَن يمشى بساقٍ على قدَم

• • • • • • • • • • • •

ثَوَى يوم بدر رَهْن خَوْصاء رَهنُها　　كريمُ المساعى غيرُ وَغْدٍ ولا برم

فآليتُ لا تنفكّ عَيْنِى بعَبْرة　　على هالكٍ بعد الرّئيس أبى الحكم

على هالكٍ أشجَى لُؤَىّ بن غالب　　أتته المنايا يوم بَدْر فلم يَرِم

تَرَى كِسَر الخطّىّ فى نحْرِ مُهْرِه　　لَدَى بائنٍ من لحمه بينها خِذَم

وما كان ليثٌ ساكنٌ بَطن بِيشَةٍ　　لدى غَلَل يجْرِى ببطْحاء فى أجَم

بأجرأ منه حين تختلف القنا　　وتُدْعَى نَزَالِ فى القماقمة البُهَم

فلا تجزعوا آلَ المُغيرة واصْبِروا　　عليه ومَنْ يجزع عليه فلم يُلم

وجِدّوا فإنّ الموت مَكْرُمة لكم　　وما بعده فى آخِرِ العَيْش مِنْ نَدَم

وقد قُلتُ إنّ الريح طيّبةٌ لكم　　وعِزّ المقام غير شكّ لذى فَهَم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لِضرار .

شعر الحارث بن هشام فى رثاء أبى جهل

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام ، يبكى أخاه أبا جهل :

ألا يا لَهْفَ نَفْسِى بعد عَمْرو　　وهل يُغْنِى التّلهّفُ مِن قَتِيلِ

يُخبّرنى المُخبّر أنّ عَمْراً　　أمام القَوْم فى جَفْرٍ مُحِيل

فقِدْماً كنتُ أحسب ذاك حقًّا　　وأنتَ لِمَا تقدّم غيرُ فِيل

وكنتُ بِنِعْمَة مادُمْتَ حيًّا　　فقد خُلّفتُ فى دَرَج المسيل

كأنّى حين أمسى لا أراه　　ضعيفُ العَقْد ذو همّ طويل

على عَمْرو إذا أمْسَيْتُ يوماً　　وطَرْف من تذكُّره كَلِيلِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام؛ وقوله: « فى جفر » عن غير ابن إسحاق.

شعر ابن الأسود فى بكاء قتلى بدر

قال ابن إسحاق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شُعوب اللّيثى، وهو شَدّاد ابن الأسود:

تُحَيّى بالسّلامة أُمُّ بَكْرٍ ... وهل لى بعد قومى مِنْ سلامِ
فماذا بالقَليب قَليبِ بَدْرٍ ... من القَينات والشَّرْب الكِرَام
وماذا بالقَليب قَليب بَدْرٍ ... من الشِّيزَى تُكَلَّل بالسَّنام
وكم لكِ بالطَّوِىّ طَوِىّ بَدْرٍ ... مِن الحَوْمات والنَّعَم المُسام
وكم لكِ بالطَّوِىّ طوىّ بَدْرٍ ... من الغايات والدُّسُع العِظام
وأصحابِ الكريم أبى علىّ ... أخى الكاس الكريمة والنِّدَام
وإنَّك لو رأيْت أبا عَقيل ... وأصحابَ الثَّنيّة مِن نَعام
إذاً لَظَلِلْتِ مِن وَجْدٍ عليهم ... كأُمّ السَّقْب جائلةَ المَرَام
يُخَبِّرُنا الرَّسُولُ لَسَوْف نَحْيا ... وكيف لقاء أصداء وَهام؟

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عُبيدة النحوىّ:

يُخَبِّرُنا الرَّسولُ بأنْ سَنَحْيا ... وكَيْف حَياةُ أصداءٍ وهامِ

قال: وكان قد أسلم ثم ارتدّ.

شعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر

وقال ابن إسحاق : وقال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلت ، يرثى من أُصيب من قُرَيش يوم بدر :

ألاَّ بَكيتِ على الكِرا م بَنِى الكِرام أُولى المَمادحْ
كبُكا الحَمام على فُرو ع الأَيك فى الغُصُن الجَوانح
يَبْكين حَرَّى مُسْتَكِينا تٍ يرُحْنَ مع الرَّوائح
أمثالهنَّ الباكِيا ت المُعْوِلاتِ من النَّوائح
مَنْ يَبْكِهم يَبْكِ على حُزْن ويَصدُق كلَّ مادح
ماذا ببَدْر فالعَقَنْـ ـقَل من مَرازبةٍ جَحاجح
فَمَدافع البَرْقَيْن فالحْـ ـنَّان من طَرَف الأَواشِح
شُمطٍ وشُبَّان بِهالِـ ـيلٍ مَغاوِيرٍ وَحاوِح
ألا تَرَوْنَ لِمَا أرَى ولقد أبانَ لكلّ لامح
أن قد تَغيَّر بَطْنُ مَـ ـكَّة فَهى مُوحشة الأَباطِح
منْ كلّ بِطْرِيقٍ لِبطْـ ـريق نَقِّ القَون واضِحْ
دُعْمُوص أبْواب المُلو ك وجائب لِلْخَرْقِ فاتح
مِنَ السَراطمة الخَلا جِمة المَلاوِثة المَناجِح
القائلين الفاعلِيـ ـن الآمِرين بكلّ صالح
المُطْعِمِين الشَّحْم فَوْ ق الخُبْز شَحْماً كالأنافح

نُقُــل الجِفانِ مع الجِفَا ن إلى جِفانٍ كالمَناضِح

لَيْسَت بأصْفار لِمَن يَعْفو ولا رَحٍّ رحارح

للضَّيْف ثم الضَّيف بعـد [الضيف] والبُسط السَّلاطح

وُهُب المِئِـين من المِئِيـن إلى المِئِينَ من اللَّواقح

سَوْق المُؤَبَّل للمُؤَبَّـل صادراتٍ عن بَلادِح

لِكِرَامِهِم فَوْقَ الكِرَا م مزيَّةٌ وَزْنَ الرَّواجح

كتثاقُل الأرْطال بالقِسطاس فى الأيدى المَوائِحْ

خَذَلَتْهُمْ فِئَــةٌ وهم يحمُون عَوْرات الفَضائح

الضَّاربين التَّقْدُميَّـةَ بالمُهَنَّدة الصَّفـائح

ولقَــدْ عَنانى صَوْتُهم مِن بين مُسْتَسْقٍ وصائح

لله دَرُّ بَنِي عَلِىٍّ أيِّمٍ منهم وناكِح

إنْ لم يُغيروا غارةً شَعْواءَ تُجْحِر كُلَّ نابح

بالمُقْرَبات ، المُبْعَدا ت ، الطَّامحات مع الطَّوامح

مُرْداً على جُرْدٍ إلى أُسْدٍ مُكالبـة كَوالح

ويُلاقِ قِـرْنٌ قِرْنَهُ مَشْىَ المُصافِح للمُصافِح

بِزُهاء ألفٍ ثُمَّ ألـفٍ بين ذى بَدَن ورامِح

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنشدنى غيرُ واحد من أهل العلم بالشعر بيتَه :

وَيُلاقِ قِرنٌ قِرْنَه مَشْيَ المُصافِحِ لِلْمُصافِحْ

وأنشدنى أيضاً :

وَهْبُ المِئين مِنَ المِئين إلى المِئين مِنَ اللَّواقِحْ
سَوقَ المُؤبَّلِ لِلْمُؤبَّلِ صادِراتٍ عن بِلادِحْ

قال ابن إسحاق : وقال أميّة بن أبى الصّلت ، يبكى زَمْعة بن الأسود ، وقتْلَى بنى أسد :

عَيْنُ بَكِّى بالمُسْبِلاتِ أبا الحارِث لا تَذْخَرِى على زَمَعَهْ
وابكِي عقيلَ بن أسودٍ أسَدَ البأْسِ لِيَوْمِ الهِياجِ والدَّفَعَه
تلك بنو أسد إخْوَة الجوْزاءِ لاخانَةٌ ولا خَدَعَه
هُمُ الأُسرَةُ الوسيطة من كَعْبٍ وهُم ذِرْوَة السَّنام والقَمعه
أنْبتوا مِن معاشرٍ شَعَرَ الرَّأسِ وهُم ألحقوهمُ المَنَعَه
أمْسَى بنو عمِّهم إذا حَضَر البأْسُ أكْبادُهم عليهمُ وَجِعه
وهُم المُطْعِمون إذْ قَحط القَطْرُ وحالَتْ فلا ترى قَزَعه

قال ابن هشام : هذه الرواية لهذا الشعر مُخْتلطة ، ليست بصَحيحة البناء ، لكن أنشدنى أبو مُحْرِز خلف الأحمر وغيره ، روى بعضٌ مالم يَرْوِ بعض :

عَيْنُ بَكِّى بالمُسْبِلاتِ أبا الحا رث لا تَذْخَرِى على زَمَعه
وعَقِيلَ بن أسْوَدٍ أسدَ البأْ سِ لِيَوْم الهِياج والدَّفَعَه

فعَلى مثلِ هُلْكهم خَوَتِ الجَوْ زاء ، لاخانَةٌ ولا خَدَعه
وهُمُ الأُسرَةُ الوَسيطَة مِن كَعْبٍ ، وفيهم كَذِرْوة القَمَعه
أنبَتوا مِنْ مَعاشِرٍ شَعَر الرأْ سِ ، وهم ألحقوم المنعه
فبنو عمِّهم إذا حَضَر البأْ س عليهم أكبادُهم وجِعَه
وهُمُ المُطعِمون إذ قحط القَطْـ ـر وحالَت فلا ترى قَزَعه

شعر أبي أسامة

قال ابن إسحاق : وقال أبو أسامة ، معاويةُ بن زُهير بن قَيْس بن الحارث ابن سعد بن ضُبَيعة بن مازن بن عدىّ بن جُشَم بن مُعاوية حليف بنى مخزوم قال ابن هشام : وكان مُشركا وكان مَرّ بهُبَيْرة بن أبي وَهْب وهم مُنهزمون يوم بدر ، وقد أعْيَي هُبَيْرة ، فقام فألقَى عنه دِرْعه وحمله فمضى به ، قال ابن هشام : وهذه أصحّ أشعار أهل بدر :

ولمَّا أنْ رأيْتُ القَوْم خَفُّوا وقد شالت نَعامَتُهم لنَفْرِ
وأنْ تُرِكَتْ سَراةُ القَوْم صَرْعَى كأنّ خيارَهم أذْباحُ عِتْرِ
وكانتْ جُمَّةٌ وافتْ حِمامًا ولُقِّينا المَنايا يَوْمَ بَدْرِ
نَصُدّ عَنِ الطَّريق وأدْرَكوها كأنّ زُهاءَهم غِيطان بَحْرِ
وقال القائلونَ : مَنِ ابنُ قَيْس ؟ فقُلتُ : أبو أسامَة ، غير فَخْرِ
أنا الجُشَمِيُّ كيما تَعرِفوني أُبَيِّنُ نِسْبَتِي نَقْرًا بنَقْرِ
فإن تَكُ فى الغَلاصِمِ من قُرَيْش فإنى من مُعاوِيَة بن بَكْرِ

فأبلغ مالكا لما غشينا وعندك مالِ ـ إن نبأتَ ـ خُبْرى
وأبلغ إنْ بلغتَ المرْء عنّا هُبيرة ، وهو ذو علمٍ وقَدْر
بأنى إذ دُعيت إلى أُفيْدٍ كَرَرْتُ ولم يَضِق بالكَرِّ صَدْرى
عَشِيَّة لا يُكَرُّ على مُضافٍ ولا ذى نَعْمَة منهم وصِهْر
فدُونكمُ بنى لأْيٍ أخاكمْ ودونكِ مالكا يا أمَّ عمْرو
فلولا مَشْهدى قامتْ عليه مُوَقَّفَةُ القوائم أمُّ أجْرى
دَفُوعٌ للقُبُور بمنكبيْها كأنّ بوجْهها تحْميمَ قدْر
فأُقسِم بالذى قد كان ربى وأنصابٍ لدَى الجمرات مُغْر
لسَوْف ترَوْن ماحَسَبى إذا ما تبدّلت الجُلُود جلودَ نِمْر
فما إنْ خادِرٌ من أُسْد ترْجٍ مُدِلٌّ عَنبَسٌ فى الغيل مُجْرِى
فقدْ أحْمى الأباءة من كَلاَفٍ فما يَدْنُو له أحَدٌ بنقْر
بِخَلّ تَعجِزُ الحلفاء عنه بُواثب كلّ هَجْهَجَةٍ وزَجْر
بأوْشكَ سَوْرَةً مِنّى إذا ما حَبَوْتُ له بقَرْقرةٍ وهَدْر
ببيضٍ كالأسِنّة مُرْهَفاتٍ كأنّ ظُباتهنّ جحيمُ جَمْر
وأكْلَفَ مُجنأٍ من جِلْد ثوْر وصَفْراء البُرَايَةِ ذاتِ أزْرِ
وأبيَضَ كالغدير ثَوَى عليه عُمَيْرٌ بالمَدَاوِسِ نِصْف شَهْر
أُرَفِّل فى حَمائِله وأمْشى كِمشْيَة خادرٍ لَيْثٍ سِبَطْر
يقُولُ لى الفَتى سَعدٌ هَدِيّاً فقلتُ : لعَلّه تقريبُ غَدْر

. . . .

وقلتُ أبا عَـدِىّ لا تَطُرْهم ... وذلك إنْ أطعْتَ اليومْ أمْرى

كَدَأبِهمُ بفَرْوةَ إذْ أتاهُم ... فظَلّ يُقاد مَكْتوفاً بضَفْر

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو مُحْرز خلف الأحمر:

نَصُدُّ عَنِ الطَّرِيق وأدْرَكونا ... كأنّ سِراعَهم تيَّارُ بَحْر

وقوله: مدلّ عَنْبس فى الغِيل مُجرى ـ عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو أُسامة أيضا:

ألا مَنْ مبلغ عنى رَسولاً ... مُغَلْغَـلةً يُثَبِّتُها لَطِيفُ

ألم تَعْـلَمْ مَرَدِّى يومَ بَدْر ... وقد بَرَقَتْ بجَنْبيك الكُفوف

وقد تُرِكت سَراةُ القوم صَرْعَى ... كأنّ رُءوسَهم حَدَجٌ نَقِيف

وقد مالَتْ عليك ببَطْن بَدْرٍ ... خِلافَ القَوْم داهِيَةٌ خَصِيف

فنجاه من الغَمَرات عَزْمى ... وعونُ الله والأمرُ الحَصِيف

ومُنْقَلبى مِن الأبْواء وَحْدِى ... ودونك جَمْعُ أعـداء وُقُوف

وأنت لمن أرَادك مُسْتَكِينٌ ... بجَنْب كُراشَ مكلومٌ نَزِيف

وكنتُ إذا دعانى يومَ كَرْب ... من الأصحاب داعٍ مُسْتَضِيف

فأسمعنى ولو أحْبَبْتُ نَفْسى ... أخٌ فى مثل ذلك أو حَلِيف

أرُدّ فأكْشِف الغُمَّى وأرْمى ... إذا كَلَح المَشافِرُ والأُنُوف

وقِرْنٍ قد تركتُ على يديه ... يَنُوء كأنه غُصْن قَصِيف

دَلَفتُ له إذا اختلطوا بحرّى ... مُسَحْسَحةٍ لماندها حَفيف

فذلك كان صُنْعى يومَ بَدْرٍ ... وقبلُ أخو مَداراة عَزُوف

أخوكم فى السِّنين كما علمتم ... وحربٍ لايزالُ لها صَريف

ومِقْدامٌ لَكم لايَزْدَهِينى ... جَنانُ الَّليلِ والأنَسُ اللَّفيف

أخُوض الصَّرَّة الجماء خَوْضاً ... إذا ما الكَلْبُ ألجأهُ الشَّفيف

قال ابن هشام : تركت قصيدةً لأبى أسامة على اللام ، ليس فيها ذكر بَدْر إلا فى أوّل بيت منها والثانى ، كراهيةَ الإكثار .

شعر هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : وقالت هندُ بنت عُتبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر :

أعَينىّ جُودا بدَمْعٍ سَرِبْ ... على خيرِ خِنْدِفَ لم ينقَلِبْ

تَداعَى له رَهْطُه غُدْوَةً ... بنُو هاشمٍ وبنُو المطَّلِب

يُذيقونه حَدّ أسْيافِهم ... يَعُلُّونه بعد ما قد عَطِب

يجرونه وعفيرُ التُّراب ... على وَجْهه عارياً قد سُلِب

وكانَ لنا جَبَلاً راسياً ... جميلَ المَراةِ كثيرَ العُشُب

وأمّا بُرَىٌّ فلم أعْنِه ... فأُوتِىَ من خير ما يَحْتَسِب

وقالت هند أيضاً :

يَرِيب علينا دَهْرُنا فيَسُوؤُنا ... ويأبَى فما نأتِى بشىءٍ يُغالبُه

. . . .

أبعد قتيل من لؤىّ بن غالب ... يُراع امرؤٌ إن مات أو مات صاحبه

ألا رُبّ يوم قد رُزِئتُ مُرَزَّأً ... تَروح وتَغدو بالجزيل مَواهبُه

فأبلغ أبا سُفيان عنّى مألُكا ... فإن ألقَه يوماً فسوف أُعاتِبه

فقد كان حربٌ يَسْعَر الحربَ إنّه ... لكلّ امرئ فى الناس مولًى يُطالِبه

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهند .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضاً :

للهِ عَيْنا مَنْ رأى ... هُلْكا كَهُلْكِ رجاليه

يا رُبّ باكٍ لى غَدا ... فى النّائبات وباكِيَه

كَمْ غادَرُوا يومَ القَليـ ... ـب غداةَ تلك الواعِيَه

مِنْ كُلّ غَيْثٍ فى السِّنيـ ... ـن إذا الكواكِبُ خاوِيه

قد كُنتُ أحذَرُ ما أرَى ... فاليومَ حقّ حَذاريه

قد كُنتُ أحذَرَ ما أرَى ... فأنا الغَداةَ مُوامِيه

يا رُبّ قائلَةٍ غَداً ... يا وَيْحَ أمّ مُعاوِيَه

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهند .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضاً :

يا عَيْنُ بَكّى عُتْبَهْ ... شيخاً شديد الرّقَبَهْ

يُطْعِم يوم المَسْغَبه ... يدفع يومَ المَغْلَبه

إنّى عليه حَرِبه مَلْهوفة مُسْتَلَبَه
أنْ يَبطن يَثْرِبه بِغَارة مُنْشعبه
فيها الخيولُ مُقْرَبه كُلُّ جَوَاد سَلْهَبه

شعر صفية

وقالت صَفِيّة بنتُ مُسافر بن أبى عمرو بن أُميَّة بن عبد شَمْس بن عبدمناف، تَبكى أهلَ القَليب الذين أُصيبوا يوم بدر من قُريش: (وتذكر مصابهم):

يامَنْ لِعَين قَذَاها عائرُ الرَّمَدِ حَدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشمسِ لم يَقِدِ
أُخْبِرْتُ أنّ سَراة الأكْرمين مَعاً قد أحْرَزَتْهم مَنَاياهُم إلى أمَد
وفَرَّ بالقَوْم أصحابُ الرِّكاب ولم تَعْطِفْ غداتئذٍ أُمٌّ على وَلَدِ
قَومى صَفِىّ ولا تَنْسَى قَرابتَهم وإن بَكَيْتِ فما تَبْكين من بُعُدِ
كانُوا سُقُوب سماء البيت فانقصفت فأصْبح السَّمْك منها غيرَ ذى عَمَد

قال ابن هشام: أنشدنى بيتَها: «كانوا سقوب» بعضُ أهل العلم بالشعر.

قال ابن إسحاق: قالت صفيّة بنت مُسافر أيضاً:

ألا يا مَنْ لِعَيْنٍ للتَّـبكّى دَمْعُها فانْ
كَغَرْبَىْ دالج يَسْقى خِلال الغَيْث الدَّانْ
وما لَيْثُ غَرِيفٍ ذو أظافِيرٍ وأسْنانْ
أبو شِبْلَيْنِ وَثّابٌ شديدُ البَطْش غَرْثان

كَحِبِّي إذْ تولّى و وُجُوهُ القَوْمِ ألْوان
وبالكَفِّ حُسام صا رم أبْيَضُ ذُكْرَان
وأنت الطّاعن النَّجلا ء مِنها مُزْبِدٌ آن

قال ابن هشام: ويروون قولها: « وما لَيث غريفٍ » إلى آخرها مفصولا من البيتين اللذين قبله.

شعر هند بنت أثاثة

قال ابن إسحاق: وقالت هِند بنت أثاثة بن عباد بن المطّلب ترْثى عُبيد بن الحارث بن المطّلب:

لقد ضمّن الصَّفْراء مجداً وسُؤْدُداً وحِلْماً أصيلاً وافرَ اللُّبّ والعَقْلِ
عُبَيدةَ فابْكيه لأضيافِ غُرْبةٍ وأرمَلة تَهْوِى لأشْعَثَ كا لجِذْل
وبَكِّيه للأقْوام في كلّ شَتْوة إذا احمرّ آفاقُ السَّماء من المَحْل
وبَكِّيه للأيْتام والرّيحُ زَفْزَفٌ وتَشْبيب قِدْرٍ طالما أزْبدت تَغْلى
فإن تُصبح النِّيرانُ قدماتَ ضَوْؤها فقد كان يُذْكيهن بالحطَب الجَزْل
لطارقِ لَيلٍ أو لمُلتمس القِرَى ومُسْتنبحٍ أضحَى لديْه على رِسْل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد.

شعر قتيلة بنت الحارث

قال ابن إسحق: وقالت قُتَيلة بنت الحارث أخت النَّضْر بن الحارث، تبْكيه:

. . . .

يا راكِباً إنّ الأُثَيلَ مَظِنّةٌ ... من صُبْحِ خامِسَةٍ وأنت مُوَفّقُ
أبْلِغْ بها مَيْتاً بأنّ تحِيّةً ... ما إنْ تَزالُ بها النّجائبُ تخْفِقُ
مِنّى إليك وعَبْرَةً مَسْفُوحَةً ... جادتْ بوَاكِفِها وأُخْرَى تخْنُقُ
هل يَسْمَعَنّى النّضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يَسْمع ميّتٌ لا يَنطقُ
أمُحَمّدٌ ياخيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... فى قَوْمِها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضَرّك لو مَنَنْتَ وربّما ... مَنّ الفَتَى وهو المَغيظُ المُحْنَقُ
أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فلْيُنْفِقَنْ ... بأعزّ ما يَغْلو به ما يُنفَقُ
فالنّضر أقربُ مَنْ أسَرْتَ قَرَابةً ... وأحقّهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظَلّت سُيُوفُ بنى أبيه تَنُوشُه ... لِلّهِ أرْحامٌ هُناكَ تُشَقّقُ
صَبْراً يُقاد إلى المَنِيّةِ مُتْعَباً ... رَسْفَ المُقَيّدِ وهْوَ عانٍ مُوثَقُ

قال ابن هشام: فيقال، والله أعلم: إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمّا بلغه هذا الشّعر، قال: لو بلغنى هذا قبل قتله لمَنَنْتُ عليه.

تاريخ الفراغ من بدر

قال ابن إسحاق: وكان فراغُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عَقب شهر رمضان أو فى شوّال.

من قتل من المشركين :

فصل : وذكر فيمن قتل من المشركين يوم بدر العاصِيَ بن سَعيد بن العاصِى ، وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذى أسنده أبو عُبَيْد إلى سَعْد بن أبى وَقَّاصٍ ، قال : قتلت يومَ بدرٍ العاصى بن سعيد وأخذت سيفَه ذا الكَتِيفَة ، وذكر الحديث ، قال أبو عُبَيْدٍ : وأهل السِّيَر يقولون : قتله علىٌّ رضى الله عنه . قال المؤلف : وبعضُ أهل التفسير يقولون : قتله أبو الْيَسَرِ كَعْبُ بنُ عَمْرٍو. وقال أبو عبد الله الزبير بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش له : والعاصى قتله علىٌّ بنُ أبى طالب يومَ بدرٍ كافراً[1] حدث إبراهيم بن حَمْزَةَ عن إبراهيم بن سَعْد عن صالح بن كَيْسَان عن ابن شِهَابٍ ، قال : بينما عُمَرُ بن الخطاب جالسٌ فى المسجد [وعُمَرُ يومئذٍ أميرُ المؤمنين] إذْ مَرَّ به سعيدُ بن العاصِى ، فسلَّم عليه ، فقال له عُمَرُ : إنى والله يا ابنَ أخى ما قتلت أباك يَوْم بَدْرٍ ، ولكنى قتلتُ خالِيَ العاصِيَ بنَ هِشَامٍ ، وما بى أن أكونَ أعتذر[2] من قَتْلِ مُشْرِكٍ ، قال : فقال له : سَعِيدُ بن العاصى : [وهو يومئذ حديثُ السِّنِّ] لو قَتَلْتَه كنتَ على الحق[3] ، وكان على الباطل قال : فعجب عُمَرُ من قوله ، وَلَوَى كَفَّيه ، وقال : قُرَيشٌ أفضلُ الناس إسلاماً ،

---

(١) فى ص ١٧٤ كتاب نسب قريش .

(٢) فى نسب قريش : وما بى أن أعتذر إليك .

(٣) فى نسب قريش : لعلمت أنك على حق ، وهو على باطل .

. . . .

وأعْظَم الناس أمانةً[1] ، ومن يُرِدْ بقريش سُوءًا يَكُبُّه اللهُ لِفِيه ، وقال : قال عَمّى مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ الله : زَعَموا أن عُمرَ قال : رأيته يَبحَثُ التُّرابَ كأنه ثَوْرٌ ، فصدَدْتُ عنه ، وحمل له علىٌّ فَقَتَله[2] .

السائب بن أبى السائب :

وذكر فيمن قُتِل من المشركين : السائبَ بن أبى السائب ، واسمُ أبى السائب صَيْفِى بن عابِدٍ ، وأنكر ابنُ هِشَامٍ أن يكون السائب قُتِل كافراً قال : وقد أسلم وحَسُن إسلامُه ، وذكر أبو عُمَرَ عن ابن الزبير أن السائب قُتِلَ كافراً يومَ بَدْرٍ ، قال : وأحْسَبُه اتَّبعَ فى ذلك قول ابن إسحاق ، قال : وقد نَقَضَ الزُّبَيْرُ ذلك فى مَوْضِعين من كتابه بعد ذلك ، فقال : حدثنى يَحْيَى ابن مُحمد بن عبد الله بن ثَوْبَانَ عن جَعْفَرِ بن عِكْرِمَةَ عن يَحْيَى بن كَعْبٍ عن أبيه كعبٍ مَوْلَى سَعِيدِ بن العاصى ، قال : مَرّ مُعَاوِيةُ وهو يَطُوف بالبيتِ ، ومعهَ جُنْدُه ، فزحموا السائبَ بن صَيْفِى بن عابد ، فسقط ، فوقف عليه معاويةُ وهو يَوْمئذٍ خليفةٌ فقال : ارفعو الشيخَ ، فلما قام قال: ماهذايامعاوية ؟ تَصرَعُوننا[3] حول البيتَ ؟ ! أمَا واللهِ لقد أردت أن أتزوج أُمَّكَ ، فقال

---

(١) فى نسب قريش أنه جعل يقول : أحلام قريش أحلام قريش ، ولم يزد . انظر ص ١٧٦ كتاب نسب قريش والزيادة منه .

(٢) فى النسب : فصمد له على فقتله ص١٧٦ .

(٣) فى الإصابة : أجئتنا بأوباش الشام يصرعوننا . وقد ذكر الحافظ فى ترجمته أن أبا داود والنسائى رويا من طريق قائده أنه كان شريك النبى « ص وفى السيرة وفى نسب قريش ، وفى الإصابة : صيفى بن عائذ بدلا من عابدكما فى =

. . . .

معاوية : ايتك فَمَاتَ ، فجاءت بمثـــل أبي السائب ، يعني عبدَ الله بنَ السائبِ ، وهذا واضح في إدراكه الإسلامَ ، وفي طول عُمْرِه ، وقال في موضع آخر : حدثني أبو ضَمْرَةَ أنسُ بن عِيَاضٍ اللَّيثيُّ ، قال : حدثني أبو السَّائِبِ يعني : الْمُنَاجِزَ ، وهو عبدُ الله بن السائب ، قال : كان جدي أبو السائب شريكَ النبيِّ — صلى الله عليه وسلم — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نِعْمَ الشَّرِيكُ كان أبو السائب ، لا يُشَارِي ولا يُمَارِي [ولا يداري] ، وهذا كله من الزبير مُنَاقضةٌ فيما ذكر أن السائبَ بن أبي السائب قُتِل يوم بدر كافراً. وقال ابن هشام: السائبُ بن أبي السائب الذي جاء فيه الحديثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — نِعم الشريكُ أبو السائب لا يُشَارِي[1] ولا يُمَارِي ، كان قد أسلم فحسُن إسلامُه فيما بلغنا. قال ابنُ هشام : وذكر ابن شِهَابٍ عن عُبَيْد الله بن عَبْدِ الله بن عُتْبَةَ عن ابن عباس أنَّ السائبَ بن أبي السَّائِب بن عَابِد[2] بنِ

= الروض ولكن يقول الخشني: « قال الزبير بن بكار فيما حكى الدارقطني عنه : كل من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، وكل من كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ » وقد ذكر مصعب الزبيري في كتاب نسب قريش أن السائب بن أبي السائب قتل كافرا ببدر .ويقول الحافظ في الإصابة تأويلا لتناقض الزبير « يحتمل أن يكون السائب بن صيفي عنده غير السائب بن أبي السائب » .

(١) لا يشارى : المشاراة : الملاجة ، وقد شرى واستشرى : إذا لج في الأمر ، وقيل لا يشارى من الشر ، أي : لا يشارره فقلبت إحدى الراءين ياء والأول أوجه « ابن الأثير » ويمارى : يجادل .

(٢) سبق القول عن عابد وعائذ في نسب صيفي . وفي نسب قريش للمصعب الزبيري أن من عبد الله بن عمر بن مخزوم : عائذا ولم يذكر فيهم من اسمه عابد ، ولكن محققه يقول إنه في الأصل المنقول عنه : عابد ص ٢٩٩ ، ٣٢٣ .

. . . .

عَبْدِ الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومَ [بن يَقَظَةَ بن مُرَّةَ بن كعب بن لُؤَىٍّ] مِمَّنْ هاجر مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأعطاه يوم الجِعِرّانة[1] من غنائم حُنَيْنٍ . قال أبو عُمَر : هذا أولى ما عُوِّل عليه فى هذا الباب، وقد ذكرنا أن الحديثَ فيمن كان شريكَ رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — من هؤلاء مُضْطَرِبٌ جداً ، منهم من يجعل الشركة : للسَّائِب ، ومنهم من يجعلها لأبى السائب أبيه ، كما ذكرنا عن الزُّبَيْر ههنا ، ومنهم من يجعلها لقَيْس بن السَّائب [ابن عويمر] ، ومنهم من يجعلها لعَبْدِ بن أبى السَّائب[2] ، وهذ اضْطِراب لا يَثْبُت به شىء ولا تقوم به حُجَّةٌ والسائب بن أبى السائب من المُؤَلَّفَة قلوبُهم وممَّن حسُن إسلامُه . هذا آخر كلام أبى عُمَرَ فى كتاب الاسْتِيعَابِ حدثنى به أبو بكر بن طاهرٍ الإشْبِيلِيّ عن أبى على الغَسَّانِيّ عنه ، كذلك اختلفت الروايةُ فى هذ الكلام : كان خير شريك لا يُشَارِى ولا يُمَارِى ، فمنهم من يجعله من قولِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم فى أبى السائب ، ومنهم من

---

(١) يقول صاحب المراصد : لاخلاف فى كسر أوله ، وأصحاب الحديث يكسرون عينه ، ويشدون راءه ، وأهل الأدب يخطئونهم ، ويسكنون العين ، ويخففون الراء ، والصحيح أنهما لغتان جيدتان . وينسب البكرى فى معجمه التضعيف للعراقيين ، والتخفيف للحجازيين . وبه قال الأصمعى وأبو سليمان الخطابى ، وهى ماء بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أدنى ، وبها قسمت غنائم حنين .

(٢) لم يذكر المصعب الزبيرى من أولاد السائب من اسمه قيس ، ولا من أولاد أبى السائب من اسمه : عبد . ولكن ذكر عبيد الله أبا نهيك ، وعبد الله أبا عطاء وهو يقصد : قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران ، وسيأتى التصريح بهذا فى الروض ص ٣٢٣ ، ٣٤٣

. . . .

يجعله من قول أبي السائب في النبي صلى الله عليه وسلم .

أوس بن خولي :

وذكر فيمن شَهِد بَدْراً من الأنصار : أَوْسَ بن خَوْلِيّ[1] أحدَ بني الْحُبْلَى ، يقال : كان من الكَمَلَة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين شُجَاع بن وَهْب ، والخَوْلِيّ في اللغة هو الذي يقوم على الخَيْل ، ويخدُمها[2] وفي الخبر أن جميلا الكَلْبي ، كان خَوْليًّا لمعاوية ، وفي هذا ما يدل على أن الياء في الخيل أصلها الواو .

أخو طلحة :

وذكر ابنُ هِشَامٍ فيمن قُتِل من المشركين ممن لم يذكره ابنَ إسحاق مالك بن عُبَيْدِ الله بن عُثْمَانَ وهو أخو طَلْحة بن عُبَيْدِ الله .

ابن عبد الله بن جدعان :

وذكر عَمْرو بنَ عَبْدِ الله بن جُدْعَان التَّيْمِيّ ، وعَبْدُ الله بن جُدْعَانَ[3] هو الجَوَاد المشهورُ صاحب الجَفْنة العظيمة التي كان يأكل منها الراكبُ على البعير ، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستظل بِظلِّها ، ووقع فيها إنسان

---

(١) هكذا ضبطها ابن الأثير في اللباب ، وفي القاموس : أوس بن خولي محركة ، وقد تسكن .

(٢) في القاموس : الخولي ـ بسكون الواو ـ الراعي الحسن القيام على المال ، وفي النهاية لابن الأثير : الخولي ـ بفتح الواو ـ عند أهل الشام : القيم بأمر الإبل وإصلاحها من التخول والتعهد وحسن الرعاية .

(٣) هو يذكره بالذال : والصواب بالدال .

. . . .

فغرق ومات ، وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حديثه ، والسببَ فى غِناه بعد أن كان صُعْلُوكاً ، وسؤال عائشةَ عنه النبىّ صلى الله عليه وسلم : هل ينفع بجوده أم لا(١) .

حذيفة بن أبى حذيفة :

وذكر ابنُ هشام فيهم أيضاً حُذَيفَةَ بن أبى حُذَيْفَةَ بن الْمُغِيرَة ، واسم أبى حُذَيْفَةَ هذا مُهَشِّم ، وهو أخو هِشَام وهَاشِم [وبه كان يُكَنّى] ابْنَىْ المغيرة ، وهشام : والد أبى جَهل ، وهاشمُ جدُّ عمر لأمه ، ومُهَشِّم هو : أبو حُذَيْفَةَ ، وأما أبو حُذَيْفَةَ بن عُتْبَةَ فاسمه قيس ، ولم يقل ذلك ابن إسحاق ولا ابنُ هِشَام ، وإنما قالوا فيه مُهَشِّم ، وهو عند أهل النَّسب غَلَطٌ ، إنما مُهَشِّم أبو حذيفة بن عُتْبَة .

تسمية من أسر من المشركين يوم بدر

لم يُسَمِّ ابنُ إسحاقٍ ، ولا ابنُ هشام مَنْ أسلم منهم ، والحاجةُ ماسَّةٌ بقارىء السِّيرة إلى مَعْرِفة ذلك ، فأوّلهم وأفضاهم العباسُ عمُّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا خَفَاء بإسلامه وفضله ، وقد ذكرنا سببَ إسلامِه فى فَصْلٍ قبل هذا الفصلِ ، وأن أبا اليَسَر كَعْبَ بن عَمْرو هو الذى أسَره ،

---

(١) تمام القول : قال : لا . إنه لم يقل يوما : رب اغفرلى خطيئتى .
والصعلوك : الفقير .

. . . .

وكان قصيراً ذَمِيمًا ، وفى مُسْنَد البزّار أنه قيل للعباس : كيف أسرك أبو الْيَسَرِ ، ولو أخذتَه بكفك لَوَسِعتْه كفُّك ، فقال : ماهو إلا أن لقيته ، فظهر فى عَيْنَىَّ كالخَنْدَمة ، والخَنْدَمَةُ جبل من جبال مكة .

عقيل بن أبي طالب :

وعَقِيلُ بن أبى طالب ممن أسلم وحسُن إسلامُه ، أسلم عام الْحُدَيْبية[1] ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا يَزِيد إنى أُحِبُّك حُبَّيْن حُبًّا لقرابتك مِنى ، وحُبًّا لِمَا أعْلَمُ مِن حُبِّ عَمِّى إيَّاك[2] ، سكن عَقِيلُ البَصْرَةَ ، ومات بالشام فى خلافة مُعَاوية . رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا فى الوُضُوء بالمُدِّ والطُّهُورِ بالصاع[3] ، وحديثًا آخر أيضًا : لاتقولوا بالرِّفَاء والبَنِين[4] ، وقولوا بارك اللهُ لك ، وبارك عليك . وكان أسَنَّ من جَعْفَر بعشرِ سنين ،

---

(١) ذكر فى الإصابة مع هذا : تأخر إسلامه إلى عام الفتح .

(٢) رواه الطبرانى مرسلا . وأقول : ما كان لرسول الله أن يحب أحداً إلا لله ، فهكذا أمر ، وهكذا عاش صلى الله عليه وسلم يقيم أمر الله سبحانه.

(٣) رواه ابن ماجة عن محمد بن المؤمل ، وعباد بن الوليد . والصاع : مكيال يسع أربعة أمداد ، والمد مختلف فيه ، فقيل : هو رطل وثلث بالعراق ، وبه يقول الشافعى ، وفقهاء الحجاز ، وقيل : رطلان ، وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق ، فيكون الصاع خمسة أرطال ، وثلثا أو ثمانية أرطال .

(٤) الرفاء : الالتئام والاتفاق والبركة والنماء ، من قولهم رفأت الثوب رفأ ، أو رفوت رفوا ، وإنما نهى عنه كراهية لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سن فيه غيره « النهاية لابن الأثير »

. . . .

وكان جعفر أسَنَّ من عَليّ بعشر سنين ، وكان طالبٌ أسنَّ منَ عقيل بمثل ذلك[1] .

نوفل بن الحارث :

ومنهم : نَوْفَلُ بن الحارث بن عَبْدِ المطلب ، يقال : أسلم عامَ الْخَنْدَقِ ، وهاجَر ، وقيل : بل أسلم حين أُسِر ، وذلك أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له : افْدِ نفسَك ، قال : ليس لى مال أَفْتَدِى به ، قال : افْدِ نَفْسَك بأرْمَاحِك التى بجُدَّةَ ، قال : والله ما علم أحدٌ أن لى بِجُدَّة أرْمَاحاً غيرَ الله ، أشهد أنك رسولُ الله[2] وهو ممَّن ثَبَت مع رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم حنينٍ وأعان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند الخروج إليها بثلاثةِ آلافِ رُمْحٍ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : كأنِّى أنْظر إلى أرْمَاحِك هذه تَقْصِفُ ظُهورَ المشركين . مات بالمدينة سنة خمسَ عَشْرَةَ ، وصلى عليه عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ـ رضى الله عنهما ـ[3] .

أبو العاصى بن الربيع وغيره :

ومنهم أبو العاصى بن الربيع صِهْرُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) هكذا ذكر المصعب فى كتابه نسب قريش ص ٣٩ .

(٢) رواه ابن سعد عن طريق اسحاق بن عبد الله ، وفيه أنها كانت ألف رمح .

(٣) كان أخوه أبو سفيان بن الحارث ـ كما جاء فى الصحيحين ـ هو الذى كان يمسك بلجام البغلة البيضاء التى كان يركبها النبى « ص » فى حنين .

. . . .

وقد ذكرنا خبَرَه مع ما ذكر ابن إسحاق من حديثه ، وذكرنا الاختلافَ في اسمِه قبل هذا .

ومنهم أبو عَزيزُ بنُ عُمَيْر العَبْدرِىّ ، وقد ذكرنا اسمَه واسمَ أمّه وإخوته ، في أول خَبَرِ بَدْرٍ . ومنهم السائب بن أبى حُبَيْشٍ بن الْمُطّلِب ابن أَسَد بن عبد الْعُزّى ، وهو الذى قال فيه عُمَرُ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ذاك رَجُلٌ لا أعلم فيه عَيْباً ، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أَعِيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقد قيل : إن هذه المقالة قالها عُمَر فى ابنِه عبدِ الله بن السائب ، والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبى حُبَيْشٍ الْمُسْتحاضة(١) .

---

(١) يقال استحيضت المرأة ، فهى مستحاضة ، وهى التى يستمر منها خروج الدم بعد أيام حيضها المعتادة ، وفى الصحيحين عن طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت أبى حبيش إلى النبى « ص » فقالت يا رسول الله إنى امرأة أستحاض ، فلا أطهر أفأدع الصلاة ؟ قال : لا ، إنما ذلك عرق ، وليست الحيضة ولكن دعى الصلاة قدر الأيام التى كنت تحيضين ، ثم اغتسلى وصلى. أما فى رواية أبى داود فأسماء بنت عميس هى التى قالت لرسول الله « ص » إن فاطمة بنت أبى حبيش استحيضت منذ كذا وكذا ولم تصل ، فقال رسول الله « ص » هذا من الشيطان لتجلس فى مركين ، فإذا رأت صفرة فوق الماء فلتغتسل الظهر والعصر غسلا واحدا ، وتغتسل المغرب والعشاء غسلا واحدا ، وتغتسل الفجر غسلا وتتوضأ فيما بين ذلك. وهناك له روايات أخرى. والمركن ـ بكسر الميم ـ الإجانة التى تغسل فيها الثياب ، وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجة أن أم حبيبة استحيضت سبع سنين فسألت رسول الله « ص » عن ذلك ، فأمرها أن تغتسل. قالت ـ أى عائشة ـ فكانت تغتسل لكل صلاة ، ولكن ليس فى الصحيحين ولا أحدهما أن النبى أمرها أن تغتسل لكل صلاة ، =

. . . .

ومنهم خالدُ بن هشام ، ذكره بعضهم فى المُؤلَّفة قلوبهم .

ومنهم عبدُ الله بن أبى السائب ، واسم أبى السائب : صَيْفى ، وقد تقدم قولُ عمرَ فيه ، وفى أبيه ، وعنه أخذ أهلُ مكة القراءةَ ، وعليه قرأ مجاهدٌ وغيره من قُرّاء أهلِ مكة .

ومنهم المُطَّلِبُ بن حَنْطَبِ بن الحارث بن عُبَيْدِ بن عَبْدِ الله بن عُمَرَ ابن مَخْزُوم[1] ، وبنو عُمَرَ بن مَخْزُومٍ ثلاثةٌ : عبدُ العُزَّى ، وعابدٌ ، ومن أهلِ النَّسَبِ من ذكر فيهم عثمان بن عمر ، وبنو مَخْزُومٍ ثلاثةٌ : عُمَرَ والد هؤلاء الثلاثةِ ، وعِمْرَان ، وعامر ، هؤلاء فيهم العَدد ، ويذكر فى بنى مخزوم أيضاً عُمَيْر وعُمَيْرَة ولم يعقب عَمِيرةُ إلا بِنْتَا اسمها : زينب[2] ، ومن حديث

= وفى كتاب مسلم عن الليث : لم يذكر ابن شهاب أن رسول الله «ص» أمر أم حبيبة أن تغتسل لكل صلاة ، وإنما هو شىء فعلته هى ولهذا استدل على أن المستحاضة لا يلزمها الغسل لكل صلاة ، بقوله فى حديث فاطمة : اغتسلى وصلى

(١) أسقط ابن حزم فى الجمهرة ص ١٣٢ من نسبه : عبد الله ، فقال : ابن عبيد بن عمر بن مخزوم . أما فى الإصابة فقال ابن عبيد بن مخزوم ، أما فى ترجمة والده عبد الله فذكر ابن عبيد بن عمر بن مخزوم ، والبكرى فى ذيل اللآلى يقول : ابن عبيد بن عمر بن مخزوم ص ١٠٢ .

(٢) ذكر المصعب الزبيرى أنهم : عبد الله وعبيد وعبد العزى . أما عثمان فجعله ابن عبد الله بن عمر . أما ابن حزم فقال عن أولاد عمر بن مخزوم إنهما عبد الله وعبيد ، وجعل عثمان من أولاد عبد الله ص ١٣٢ وما بعدها . وذكر المصعب عن أولاد مخزوم أنهم : عمر وعامر وعمران وعميرة ، أما فى جمهرة ابن حزم فهم عمرو وعامر وعمران . انظر ص ١٣٢ وما بعدها الجمهرة ، ص ٢٩٩ نسب قريش .

. . . .

المُطَّلِب هذا عن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر وعُمَر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس ، وفى إسناده ضَعْفٌ (١) .

الحكم بن عبد المطلب :

ومن ولدِهِ الحكَمَ بنُ عبدالمُطَّلِبِ بن عبدِ الله بن المُطَّلِبِ، وكان أكرمَ أهلِ زمانه ، وأسخاهم ، ثم تَزَهَّد فى آخر عُمْرِه ، ومات بِمَنْبِجَ ، وفيه يقول [عَباءةُ بن عمر] الرَّاتِجِي يرثيه :

سالوا عن الجود والمعروف مافعلا … فقلت إنهما ماتا مع الحكم
مَاتَا مع الرَّجُلِ المُوفِى بِذِمَّتِه … قبل السؤال إذا لم يُوفَ بالذِّمَم (٢)

---

(١) أخرجه الترمذى عن قتيبة عن ابن أبى فديك عن عبد العزيز بن المطلب ابن حنطب عن أبيه عن جده عبد الله بن حنطب أن النبى « ص » رأى أبا بكر وعمر فقال : هذان السمع والبصر ، قال الترمذى : هذا مرسل وعبد الله ابن حنطب لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وحوله أقوال أخرى انظرها فى الإصابة فى ترجمة عبد الله بن الحنطب .

(٢) الراتجى : منسوب إلى راتج من آطام يهود المدينة . وقد لحق الراتجى الدولة العباسية ، ومدح معنا . وقوله : سالوا على التسهيل ، أو هو لغة ، وقبل البيت الأول :

ماذا بمنبج لو تنبش مقابرها … من الهدم بالمعروف والكرم

وقد نسب ابن دريد هذه الأبيات إلى ابن هرمة . قال : البكرى : وأظنه الصواب . وقد ترك الحكم المدينة وسكن منبج مرابطا بها . وقال رجل من أهل منبج — وهى فى الروض منبح وهو خطأ — قدم علينا الحكم بن المطلب بن عبد الله ابن المطلب بن حنطب ، ولا مال معه فأغنانا كلنا ، فقلنا كيف ذاك؟ قال علمنا مكارم =

. . . .

وذكر الدَّارَقُطْنِيُّ عن حميد بن معروف قال : حضرت وفاةَ الحَكَم بن عبدِ المطلب بن عَبْدِ الله بن الْمُطَّلِبِ بن حَنْطَبٍ ، فأصابته من الموت شِدَّةٌ ، فقال قائل فى البيت : اللهم هَوِّن عليه الموتَ ، فقد كان ، وقد كان، يُثْنِى عليه فأفاق الحَكَمُ ، فقال : مَنْ المتكلم ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الحَكَمَ : يقول، لكَ مَلَكُ الموت أنا بِكُلِّ سَخِيٍّ رفِيقٌ ، ثم كأنما كانت فَتِيلَةً فَطُفِئَتْ ، وقد ذكر هذا الخبَرَ الزُّبيرُ بن أبى بكر أيضاً ، وحين سُجِنَ الحَكَمُ فى ولاية والِيها ، قال فيه شاعر :

خَلِيلَىَّ إن الجودَ فى السجن فابكِيَا ... على الجود إذ سُدَّتْ عليه مَرَافِقُه

فى أبياتٍ ، فأعطى قائل هذا الشعر ثلاثة آلافِ دِرْهَم .

من الذين أسلموا من أسارى بدر :

ومنهم : أبو وَدَاعَة الحارث بن صُبَيْرَةَ[1] بن سُعَيْد بن سَعْدِ بن سَهْم أسلم هو وابنُه المطَّلِبُ بن أبى وَدَاعَة يوم فتح مكة .

= الأخلاق ، فعاد غنينا على فقيرنا فغنينا كلنا ص ٢١٦ ذيل الأمالى والنوادر للقالى ، ص ١٠٢ ح ٣ ، سمط اللآلى للبكرى وكلاهما يذكره : الحكم بن المطلب . ونقلت اسم الراتجى من المصدر السابق للبكرى . والتعبير بتزهد غير لائق ، لأن القرآن لم يستعمل الزهد إلا فى معنى التحقير .

(١) هكذا ضبطها الحفظ فى الإصابة فى ترجمة عبد الله بن أبى وداعة فقال صبيرة بمهملة ثم موحدة مصغرا . وقال عنه ابن دريد : ضبيرة والزبيرى : صبيرة ، وقد سبق مانقله السهيلى عن الخطابى ، وظن الزبيرى فى شرح القاموس أن ضبيرة هو الصواب فلم يثبت غيره .

. . . .

ومنهم الحَجّاجُ بن الحارثُ بن قَيْس بن عَدِى بن سُعَيْد بن سَهْم ، ولم يوافق الواقدى ولا غيره لابن إسحاقٍ على قوله سُعَيْد بن سَهْم ، وقالوا : إنما هو سَعْد ، وقد تقدم هذا، وأحسب ذكر الحجاج فى هذا الموضع، وَهماً فإنه من مُهَاجِرَةِ الحَبَشَةِ وقدم المدينة بعد أحدٍ ، فكيف يُعَدُّ فى أسْرَى المشركين يوم بدر .

ومنهم عبد الله بن أُبَىِّ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِىّ أسلم يوم الفتح ، وقُتِل يوم الجمل ، ومنهم : وَهْبُ بن عُمَيْرٍ الجُمَحِىّ أسلم بعد أن جاء أبو عُمَيْر فى فِدائه فأسلما جميعاً ، وقد ذكر خبر إسلامِه ابنُ إسحاقٍ قبلَ هذا .

ومنهم سُهَيْلُ بن عَمْرو أسلم ومات بالشام شهيداً ، وهو خطيب قُرَيْش، وأخبارُه مشهورة فى السيرة وغيرها .

ومنهم : عَبْد بن زَمْعَة أخو سَوْدَة بِنْتُ زَمْعَةَ أسلم ، وهو الذى خاصمه سعدٌ فى ابن وَلِيدَةِ زَمْعَةَ ، واسم الابن المخاصَم فيه : عبدُ الرحمن ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : هو لك يا عَبْدَ بن زَمْعَةَ[1] .

---

(١) روى الجماعة إلا الترمذى عن عائشة رضى عنها قالت : واختصم سعد بن أبى وقاص وعبد بن زمعة فى غلام ، فقال سعد : هذا يا رسول الله ابن أخى عتبة ابن أبى وقاص ، عهد إلى أنه ابنه ، انظر إلى شبهه ، وقال عبد بن زمعة : هذا أخى يا رسول الله . ولد على فراش أبى من وليدته . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شبهاً بيناً بعتبة ، فقال : هو لك يا عبد بن زمعة . الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، واحتجبى منه يا سـودة ، فلم تره سودة قط ، وفى رواية أبى داود ورواية البخارى : هو أخوك يا عبد ، وله الحجر : أى الخيبة .

. . . .

ومنهم قَيْسُ بنُ السَّائِبِ [بن عُوَيْمِر بن عائذ بن عمران بن مخزوم] المَخْزُومى ، إليه كان وَلَاءُ مُجَاهِدِ بن جُبَيْر ، القارِى ، ويقال : فيه مجاهِد ابن جَبْر ، وهو قول ابنِ إسحاق ، وكان مجاهدٌ يقول : فى مَوْلاى قَيْس ابن السَّائِب أنزل الله سبحانه : ﴿ وعلى الذين يُطيقُونه فِدْيَةٌ طعامُ مِسْكين ﴾ فأفطَرَ وأطعم عن كل يوم مِسْكِيناً ، وهو الذى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى الجاهلية شَرِيكى ، فكان خيرشريك لايشارِينى ولايُمارِينى[١] ، وقيل : إن أباه قال هذه المقالة ، وتقدم الاضطرابُ فى ذلك والاختلافُ ، وقوله : يُشَارِينى من شَرِى الأمرُ بينهم إذا تَغاضَبُوا .

ومنهم نِسْطَاسُ مَوْلى أُميَّةَ بن خَلَفٍ[٢] ، يقال : إنه أسلم بعد أحدٍ ،

---

(١) أخرجه ابن سعد من طريق موسى بن أبى كثير عن مجاهد . ورواية البغوى : قال مجاهد : سمعت ابن قيس بن السائب يقول : إن شهر رمضان يفتديه الإنسان ، يطعم فيه كل يوم مسكينا ، فأطعموا عنى مسكينا كل يوم صاعا قال قيس : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكى فى الجاهلية ، فكان خير شريك لا يمارى ، ولا يشارى ، وأخرجه الدولابى لكنه قال : أبو قيس ابن السائب . . وحول هذا خلاف كبير . وقد تقدم فى الكلام عن أبى السائب

(٢) فى الإصابة أنه كان مولى أبى بن خلف . يقول ابن دريد فى الاشتقاق عن فران : وهو فعلان من قولهم : فررت الفرس وغيره من الدواب : إذا فتحت فاه لتعرف سنه ص ٥٥٠ ، وهم بنو بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفران هو ابن بلى ، وفران فى الاشتقاق والجمهرة لابن حزم بتشديد الراء ، وعنهم يقول ابن حزم « ودار بلى بالأندلس : الموضع المعروف باسمهم بشمال قرطبة وهم هنالك إلى اليوم على أنسابهم لا يحسنون الكلام باللطينية لكن بالعربية فقط نساؤهم ورجالهم ، ويقرون الضيف ، ولا يأكلون أليه الشاة إلى اليوم » ص ٤١٥

. . . .

وكان يُحَدِّثُ عن انهزام المُشْرِكِينَ يَوْمئِذٍ ، ودخول المسلمين عليه فى القُبَّة وهُرُوب صَفْوان بخبر عجيب لم يذكره ابن إسحاق ، فهذه جملةُ مَنْ أسلم من الأسَارَى الذين أُسِرُوا يوم بدر .

ممن لم يسلم من الأسارى :

وذكر فيمن لم يُسْلم منهم عبدَ الله بن حميد بن زُهَير الأَسَدِيّ ، والمعروف فيه عُبَيْد الله بن حميد ، كذلك ذكره ابن قُتَيْبَةَ ، وأبو عُمَر ، والكَلاباذِيّ أبو نَصر ، وهو مَوْلى حاطب بن أبى بَلْتَعَةَ .

وما ذكره ابن إسحاق فى نسب بَلِيّ بن فَارَان بن عَمْرو ، فإنه عند أكثر أهلِ النسب فَران بغير ألف غير أن منهم من يشدد الراء ، وهو ابنُ دُرَيْدٍ ، وقال : هو فَعلَان من الفِرار(١) .

تاريخ وفاة رقية :

فصل : وذكر فى السيرة تخلّف عثمان على امرأتِهِ رُقَيَةَ فضرَبَ له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بِسَهْمِهِ وأجْرِهِ ، كان موتها يومَ قَدِمَ زَيْدُ ابْن حَارِثَةَ بَشِيراً بوقْعَةِ بَدْرٍ ، وهذا هو الصحيح فى وفاة رقية ، وقد رَوَى البُخَارِيُّ فى التاريخ حديثَ أَنَس أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — شَهِد دفن بِنْتِهِ رُقَيَّةَ ، وقَعَدَ على قبرِها ، ودمعت عيناه ، فقال أَيُّكُمْ لم يُقَارِفْ

---

(١) رواه فى باب الجنائز عن عبد الله بن محمد ، وعن محمد بن سنان .

. . . .

الليلة ؟ فقال أبو طَلْحَة : أنا، فأمره أن ينزل فى قبرها، ثم أنكر البخاريُّ هذه الروايةَ ، وخرّجه فى كتاب الجامع ، فقال فيه : عن أنَسٍ شَهِدنا دفنَ بنتِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر الحديث ، ولم يُسَمِّ رُقَيَّةَ ولا غَيْرَها[1] ورواه الطَّبَرِيُّ ، فقال فيه : عن أنس شَهِدنا دفنَ أمِّ كُلْثوم بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبيّن فى هذا الحديثِ ، وهو كُلّه حديثٌ واحد ، ومن قال : كانت رُقَيَّة ، فقد وَهِم بلاشك ، وقال فى الحديث : أيُّكم يُقَارِفُ الليلَةَ ، فقال فُلَيْحُ بنُ سليمان ، وهو راوى الحديث ، يعنى : الذَّنبَ هكذا وقع فى الجامع ، وهو خطأ لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذا[2] ، وإنما أراد أيُّكمْ لم يُقَارِفْ أهلَه ، وكذا رواه غيرُه بهذا اللفظ ، قال ابنُ بَطَّال : أراد النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - أن يَحْرِمَ عثمان النزول فى قبرها ، وقد كان أحقَّ الناس بذلك ، لأنه كان بَعْلَها ، وفقد منها عِلْقاً

---

(١) ذكره البخارى فى باب من يدخل قبر المرأة تعليقا ، ووصله الإسماعيلى وكذا قال شريح بن النعمان فليح أخرجه أحمد عنه ، وقد روى الواقدى الحديث عن فليح بن سليمان ، وفيه أنها أم كلثوم ، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات فى ترجمة أم كلثوم ، وكذا الدولابى فى الذرية الطاهرة والطحاوى من هذا الوجه ، ورواه حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، فسماها رقية ، كما روى أحمد ، وكذا أخرجه البخارى : ماأدرى ما هذا ، فإن رقية ماتت ، والنبى ببدر لم يشهدها !! قال الحافظ : وهم حماد فى تسميتها فقط ، ويؤيد أنها أم كلثوم مارواه ابن سعد أيضاً فى ترجمة أم كلثوم من طريق عمرة بنت عبد الرحمن ، قالت : نزل فى حفرتها أبو طلحة .

(٢) جزم ابن حزم بأن المقصود من يقارف : يجامع ، ثم معاذ الله أن يتبجح أبو طلحة عند رسول الله «ص» بأنه لم يذنب تلك الليلة

. . . .

لاعوضَ منه ، لأنه حين قال عليه السلام : أيكُمْ لم يُقارِفْ الليلة أهله سكت عثمان ، ولم يقل : أنا ، لأنه كان قد قارَفَ ليلة ماتَتْ بعضَ نسائه ، ولم يَشغله الهمُّ بالمصيبةِ ، وانقطاعُ صِهْرِه من النبي صلى الله عليه وسلم عن المُقَارَفَةِ ، فَحُرِمَ بذلك ما كان حقًّا له ، وكان أولى به من أبي طَلْحَةَ وغيره ، وهذا بَيِّنٌ فى معنى الحديثِ ، ولعل النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد كان علم ذلك بالوحى ، فلم يقل له شيئاً ، لأنه فعل فِعْلًا حَلَالًا ، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مَبْلغاً يَشْغَلُه حتى حُرِمَ ما حُرِم من ذلك بتَعْرِيضٍ غيرِ تَصْرِيحٍ والله أعلم[1].

أشعار يوم بدر

وقد قدمنا فى آخر حديثِ الهجرة : أنا لانعرض لشرح شىء من الشعر الذى هُجِىَ به المسلمون ، ونال فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركون إلا شِعراً أسلم صاحبُه ، وتكلمنا هنالك على ماقيل فى تلك الأشعار ، وذكرنا قول من طعن على ابن إسحاق بسببها هنالك وبَيَّنا الحقّ والحمد لله .

الشعر المنسوب إلى حمزة :

الشعر المنسوب إلى حمزة فيه :

وما ذاك إلا أن قوماً أفادَهم

---

(١) هناك من يقول : إن مرض المرأة كان قد طال ، واحتاج عثمان إلى الوقاع ، ولم يكن يظن موتها تلك الليلة ، وليس فى الخبر ما يقتضى أنه واقع بعد موتها بل ، ولاحين احتضارها ، وما ذكره السهيلى هو رأى ابن حبيب .

. . . .

أفادَهم : أهلكهم ، يقال : فادَ الرجلُ وفاظ ، وفَطَس ، وَفاز ، وفوّز إذا هَلَكَ ، ولا يقال : فاض بالضا ، ولا يقال : فاظت نفسُه إلّا فى لُغة بنى ضَبَّة بن أُدّ .

وقوله : تَوَاصٍ هو تَفاعُل من الوَصِيَّة ، وهو الفاعل بأفَادَهم .

وفيه يُجَرْجَمُ فى الجَفْر . الجَفْرُ كل بِئْر لم تُطْوَ ، ومثلُها : الجُفْرَة ، ويُجَرْجَمُ : يجعل بعضُه على بَعْضٍ[1] .

شعر على :

وقال فى الشعر الذى يعزَى إلَى علىّ :

بأيديهم بيضٌ خِفَافٌ عَصَوا بها

يقال عَصَيْتُ بالسيفِ وعَصَوْتُ بالعَصا[2] ، فإذا أخبرتَ عن جماعة قلتَ عصُوا بضم الصاد ، كما يقال عَمُوا ، ومن العَصا تقول : عَصَوْا ، كما تقول غَزَوْا .

وقوله : مُسَلَّبَة ، أى قد لَبِست السِّلابَ ، وهى خِرْقَة سوداء تلبَسُها الثَّكْلَى . قال لَبِيد :

---

(١) هى فى السيرة : تجرجم بحذف إحدى التاءين وأصله تتجرجم ومعناه كما عند أبى ذر : تسقط ، ويروى بضم التاء على البناء للمجهول ، ومعناه تصرع . ومن معانى القصيدة أيضاً : تفرعن معناه : علون . الذوائب : المقصود : الأعالى . خاس : غدر . القسر : القهر والغلبة . تورطوا : وقعوا فى هلكة . المسدمة : الفحول من الإبل ، والزهر : البيض والمازق : الموضع الضيق فى الحرب .

(٢) فى القاموس وشرح أبى ذر يجوز العكس . والبيض الخفاف : السيوف

. . . .

وإنَّنى مُـــلاعِب الرِّمَاح ومِدْرَه الـكَتِيبَةِ الرَّدَاح

يَضرِبْنَ حُرَّ أوْجُهٍ صِحَاح فى السُّلُبِ السُّودِ وفى الأَمْسَاح

فالسُّلُب : جمع سِلَاب .

حول شعر حسان :

وفى شِعْر حسَّان :

تَبلَتْ فؤادَك فى المنام خَرِيدةٌ

يجوز أن يكونَ أراد بالنام النَّوْمَ ، وموضعَ النوم ، ووقتَ النوم ، لأنَّ مَفْعَلا يصلُح فى هذا كلِّه فى ذَوَات الواو ، وقد تُسَمَّى العينُ أيضاً مَناماً ، لأنها مَوْضِعُ النوم ، وعليه تُؤُوِّل قولُه تعالى ﴿ إذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فى مَنامِك قليلا ﴾ أى فى عَيْنك ، ويقوِّيه قولُه سبحانه : ﴿ وَيُقَلِّلُكم فى أعْيُنِهم ﴾ .

الفرق بين مفعل وفعل

ولا فَرْق عند النحويين بينَ مفْعَل فى هذا الباب وفَعْل ، نحو مَضْرَب وضَرْب ، ومَنَام ونَوْم ، وكذلك هما فى التَّعدِية سوَاء ، نحو ضَرْبُ زَيْدٍ عَمْراً ومَضْرَبُ زيدٍ عمراً ، وأما فى حُكْمِ البَلاغة والعِلْمِ بِجَوْهَر الـكلام ، فلا سَوَاء ، فإن المصدَر إذا حدَّدْتَه قلت ضَرْبة ونَوْمة ، ولا يقال : مَضْربة ولامَنامَة ، فهذا فَرْقٌ ، وفَرْقٌ آخر تقول : ماأنت إلا نومٌ وإلا سَيْرٌ إذا قصدت التَّوكيد ، ولا يجوز : ما أنت إلا مَنَامٌ وإلا مَسِيرٌ ، ومن جهة النَّظرِ أنَّ الميم

. . . .

لم تَزِد إلا لمعنى زائد كالزوائد الأربع فى المضارع ، وعلى ما قالوه ، تكون زائدة لغير معنى .

فإن قلت : فما ذاك المعنى الذى تُعطيه الميم ؟

قلنا : الحدَثُ يتضمَّن زمانا ومكانا وحالا ، فالمَذْهَبُ عبارة عن الزمان الذى فيه الذَّهَابُ ، وعن المكان أيضا ، فهو يعطى معنى الحَدَثِ وشيئا زائداً عليه ، وكذلك إذا أردت الحَدَثَ مقرونا بالحالة والهيْئةِ التى يقع عليها ، قال الله سبحانه : ﴿ ومن آياتِهِ مَنامُكُمْ بالليلِ والنهار ﴾ فأحالَ على التفكُّر فى هذه الحالة المُستمِرَّة على البَشَر ، ثم قال فى آية أخرى ﴿ لاتأخُذُه سِنَةٌ ولانَوْم ﴾ ولم يقل مَنَامٌ لخلوِّ هذا الموطِنِ من تلك الحالة ، وتَعرِّيه من ذلك المعنى الزائد فى الآية الأُخْرَى ، ومن لم يعرف جَوْهَر الكلام لم يعرف إعجاز القرآن .

عود إلى شعر حسان :

وفى هذا الشِّعرِ :

بُنِيَتْ على قَطَنٍ أَجَمَّ كأنَّه

قَطَنُها : ثَبَجُها وَوَسَطُها[1] ، وأَجَمُّ أى : لاعِظَامَ فيه .

---

(١) عند الخشنى : القطن : ما بين الوركين إلى الظهر ، وأجم ممتلىء باللحم ، والبوص فى قصيدة حسان : الردف، ومتنضد : علا بعضه بعضا . ونفج: مرتفعة والحرقبية : مايجعله الراكب وراءه فاستعاره هاهنا لردف المرأة .

. . . .

وقوله : كأنه فُضُلًا ، نَصَب فُضُلا على الحالِ ، أى : كأَن قَطَنَها إذا كانت فُضُلًا ، فهو حال من الهاء فى : كأنه ، وإن كان الفُضُلُ من صِفَة المرأةِ لا من صِفَةِ القطَنِ ، ولكن لمَّا كان القَطَنُ بعضَها صار كأنه حالٌ منها ، ولا يجوز أن يكون حالا من الضَّمير فى قَعَدتْ لاستحالةِ أن يعمل مابعد إذَا فيما قَبْلها ، والفُضُل من النِّساءِ والرجال : الْمُتَوَشِّحُ فى ثَوْب واحد ، والْمَداكُ صَلَاءَةُ الطِّيب[1] ، وهو مَفْعل من دُكْتُ أَدُوكُ ، إذا دَقَقْت ، ومنه الدَّوْكَةُ والدُّوكَةُ[2] .

وقوله : مَرَّ الدَّمُوك يقال : دَمَكَه دَمْكاً ، إذَا طَحَنه طَحناً سَرِيعاً ، وبَكَرَةٌ دَمُوكٌ ، أى: سريعة الْمَرِّ ، وكذلك أيضاً : رَحًى دَمُوكٌ ، والْمُحْصَدُ الحبْلُ الْمُحكَمُ الفتْلِ ، والرِّجامُ : واحد الرِّجامَيْن ، وهما الخَشَبَتَان اللتان تُلْقَى عليهما الْبَكَرَةُ ، والرِّجَامُ أيضاً : جمع رُجْمَة ، وهى حجارة مجتمعة ، جَمْعُ رَجَمٍ وهو القَبْر ، ومنه قول أبى الطَّيِّب :

تَمَتَّعْ من رُقَادٍ أو سُهَادِ ... ولا تَأْمَل كَرًى تحت الرِّجَام
فإن لثالثِ الحالَيْنَ مَعْنًى ... سِوَى معنى انتِباهِك والمنام

وارْقَدَّتْ[3] : أسرعت ، ومصدره : ارْقِدَاد ، وكذلك ارْمَدَّتْ ،

---

(١) يعنى الحجر الذى يسحق عليه الطيب .

(٢) الدوكة بفتح الدال : يقال : وقعوا فى دوكة : شر وخصومة . والدوكة بالضم : المرض ، ووقعوا فى دوكة : شر وخصومة .

(٣) فى السيرة : وارمدت وبقول الخشنى فى شرح السيرة وارمدت =

. . . .

وافْعَلّ فى غير الألوان والخلق عزيز ، وأما انقَضَّ فليس منه فى شىء ، لأنك تقول فى معناه تَقَضَّضَ البِناء ، فالقاف : فَاءُ الفِعْلِ ، وكذلك تَقَضَّى البَازِى ، لأنه منه ، وغلط الفَسَوِىُّ فى الإيضاح ، فجعل يُرِيد أَنْ يَنْقَضّ من باب احْمَرَّ ، وإنما هو من باب انقَدَّ وانْجَرَّ والنونُ زائدة ، ووزنه : انفَعَل ، وكذلك غَلِط القالى فى النَّوادر فقال فى قوله : وجريها انثِرار أنه افْعِلَال من الَّنثْر ، كما قال الْفَسَوِىُّ فى الانقِضَاضِ ، وإنما هو انفِعَالٌ من عَيْنَ ثَرَّة أى كثيرة الماء.

ودسنه بحَوَام يعنى : الحوافر ، وما حول الحوافِر ، يقال الحَامِيَة ، وجمعه حَوَام .

حول شعر الحارث بن هشام :

وقول الحارث بن هِشام :

حتى عَلَوا مُهْرِى بأَشْقَرَ مُزْبد

يعنى : الدَّمَ ، ومُزْبد ، قد علاه الزَّبَدُ .

وقولُه : والأحِبةُ فيهم : يعنى مَنْ قُتِل أو أُسِر : من رَهْطه وإخْوَته .

عود إلى مسابه :

وقول حسان : بكتيبة خَضْراء مِنْ بَلْخَزْرج :

= وارقدت معناهما جميعا : أسرعت ، وقال بعض اللغويين : الارقداد : السرعة عند نفور .

. . . .

العرب تجعل الأسود أخْضَر ، فتقول : ليل أخضر كما قال [ذو الرُّمَّة :

قد اعْتَسفَ النازحُ المجهولُ مَعْسَفُه في ظِلٍّ أخْضَرَ يدعو هامَةَ البُوم

وتسمى الأخضرَ أسْوَدَ ، إذا اشتدت خضرتُه ، وفي التنزيل: (مُدْهامَّتَان) ، قال أهل التأويل : سَوْدَاوَان مِنْ شِدَّة الخُضْرَة .

وقوله : بكل أبْيَضَ سَلْجَج ، هو السيف الماضى الذى يقطع الضريبة بسُهُولة ، ومنه المَثَل : الأَخْذ سَلَجانَ والقَضاء لِيَّانٌ[1] ، أى الأخذُ سَهْلٌ يَسُوغ فى الحَلْق بلا عُسْر ، كما قالوا : الأخذُ سُرَّيْطٌ [وسُرَّيْطَى] والقضاء ضُرَّيْطٌ [وضُرَّيْطَى][2] فسُرَّيْطٌ من سَرِطْت الشىء إذا بَلِعته سَهْلًا ، فسَلْجَجُ من هَذا ، إلا أنهم ضَاعَفوا الجيمَ ، كما ضاعفوا الدَّال من مَهْدَدِ[3]، ولم يُدْغِمُوا إلاَّ أنهم ألحقوه بجَعْفَر .

---

(١) السلجان : الأكل السريع ، ويروى : الأكل مكان الأخذ . ويقال فيمن يحب أن يأخذ ، ويكره أن يرد ، أى إذا أخذ الرجل الدين أكله فإذا أراد صاحب الدين حقه ، لواه به ، أى مطله

(٢) وقالوا سريطى ، وضريطى بضم الحرف الأول وتشديد الثانى مع فتحه ، وفتح الطاء فى الكلمتين ، أى : يأخذ الدين ، فيسترطه ، فاذا استقضاه غريمه أضرط به ، و : امثله لأخذ سرطان ، والقضاء ليان . وقد ضبط ليان فى باب سلج بكسر اللام ، وهنا بفتحها ؛ وقال إنها بالضبطين فى مادة لوى أى بفتح اللام وكسرها . وبعض العرب يقول : الأخذ سريطاء ، بضم ففتح فسكون ، والقضاء ضريطاء . بنفس ضبط سريطاء . وقال بعض الأعراب : الأخذ سريطى بكسر فتشديد مع كسر وفتح الطاء ، والقضاء ضريطى بضبط سريطى :

(٣) سبق بسط القول عن مهدد .

. . . .

وقوله : بَلْخَزْرَج ، أراد : بنى الخَزْرَج ، فحذف النون لأنها من مَخْرَج اللام ، وهم يَحْذِفون اللام فى مثل ، عَلْمَاءِ وَظِلْتُ[1] ، كراهية اجتماع اللَّامَيْن ، وكذلك أَحَسْتُ كراهيةَ التضعيف ، وفى حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ تَرِبَت يمينُك وأُلَّتِ ، أرادت : أُلِلْتِ ، أى طُعِنت[2] من قولهم : ماله أُلَّ وغُلَّ ، ويروى : أَلَّتْ فتكون التاء عَلَما للتأنيث ، أى أَلَّتْ يدُك ، وعندنا فيه رواية ثالثة فى كتاب مسلم ، وهى تَرِبَتْ يداك وأَلَّتِ بكسر التاء وتشديد اللام وهى على لغة من يقول فى رَدَدْتِ رَدَّتِ فيدغم مع ضمير الفاعل ، وهى لغة حكاها سيبويه[3] [من أحكام الأفعال المبنية على صيغة المبنى للمجهول] .

وذكر شعر كعب وفيه :

لَعَمْرُ أبيكما يابَنَىْ لُؤَىٍّ ... على زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وانْتِخَاءِ

الانتخاء . افْتِعَالٌ من النَّخْوةِ ، ويقال نُخِىَ الرَّجُلُ وانْتَخَى . ومن الزَّهْوِ:

---

(١) أصلهما : على الماء وظللت ، وقالوا : علرض وجلمر ، وسلقامة فى على الأرض ، وجلا الأمر ، وسلا الإقامة وكلها بفتح الأول وتضعيف الثانى مع فتحه . الشافية حـ ٣ ص ٢٤٦ .

(٢) فعل هذا المعنى : أل ـ بفتح الهمزة وتضعيف اللام ، ويؤل بضم الهمزة وتضعيف اللام . وقد ضبط ابن الأثير الفعل بهذا المعنى كما ضبطته وقال : وروى بضم الهمزة مع التشديد أى : طعنت بالألة ـ بفتح الهمزة وتضعيف اللام مع فتح ـ وهى الحربة العريضة النصل ، وفيه بعد ، لأنه لا يلائم لفظ الحديث وقال : إن امرأة سألت عن المرأة تحتلم ، فقالت لها عائشة رضى الله عنها : تربت يداك وألت ، وهل ترى المرأة ذلك . ثم ضبط ألت بفتح الهمزة وتضعيف اللام ، وفسرها بقوله : أى هاجت لما أصابها من شدة هذا الكلام .

(٣) هى لغة بكر بن وائل وغيرهم .

. . . .

زُهِي وازدَهى، ولا يكون الأمر من مثل[1] هذا إلا باللام ، لأن الفعل فيه لغير المخاطَب ، وإذا أُمِرَ مَنْ ليس بمخاطَب ، فإنما يؤمر باللام كقولك : لتزْه يافلان ولتُعْنَ بحاجتى ، وكان القياس أيضاً أن لا يُقال من هذا الفعل : ما أفْعَلَه ، ولا هو أفْعَلُ مِنْ كذا ، كما لايقال فى المركوب : ما أرْكَبَه ، ولا فى المضروب ، ما أضْرَبه ، ولـكنه قد جاء فى مثل هذه الأفعال : ما أزْهاه ، وما أعْناهُ بحاجتى ، وقالوا : هو أشْغَل من ذَات النِّحْيَيْن ، وهو أزْهَى من غُرابٍ ، والفعل فى هذا كله زُهِي وشُغِل فهو مَشْغُولٌ ومَزْهُوٌّ. وقيل فى المجنون ما أجَنَّه حكاه أبو عُمَر [صالح بن إسحاق] الجَرْمِي . وقال سيبويه : واعلم أن العربَ تقدم فى كلامها ماهم به أهم ، وهم ببيانه أعْنى ، وإن كانا جميعاً يهمّانهم ، ويُعْنيانهم ، فقال أهَم وأعْنَى ، وهو من همهم وعنام ، فهم به مَعْنِيُّون مثل مَضْرُوبون ، فجاز فى هذه الأفعالِ ما ترى ، وسبب جَوازِه : أن المفعول فيها فاعلٌ فى المعنى ، فالمَزْهُوُّ مُتَكَبِّرٌ وكذا المَنْخُوّ والمَشْغُول مُشْتَغل وفاعِلٌ لشُغْلِه ، والمَعْنِيُّ بالأمر كذلك ، والمَجْنُونُ كالأحْمق ، فيقال : ما أجَنَّه ، كما يقال : ما أحْمَقَه ، وليس كذلك مَضْرُوب ، ولا مَرْكُوبٌ ولا مَشْتُوم ، ولا مَمْدُوح ، فلا يقال فى شىء منه : ما أفْعَلَه ، ولا هو أفْعَلُ من غيره .

فإن قلت : فـكان ينبغى على هذا القياس أيضا أن يُؤْمَر فيه بغير اللَّام ، كما يُؤْمَر الفاعلُ إذاً ، وقد قُلتم : إنه فاعل فى المعنى فالجواب : أن الأمرَ إنما هو بلفظ المستقبَل ، وهو تَضْرِب وتَخْرُج،فإذا أمرت حذفت حرف المضارَعة،

(١) فى الأصل ولا يكون إلا من مثل .

. . . .

وبقيت حروفُ الفعل على بنيَتِها ، وليس كذلك زُهيتَ فأنت تُزْهَى ، ولاشُغِلْتَ فأنت تُشْغل ، لأنك لو حذفت منه حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل على بِنْيَةٍ ليست للغائب ، ولا للمخاطَب ، لأن بِنْيَةَ الأمرِ للمخاطَب افعَل ، وبِنيَتُه للغائب ، فَليَفعَل ، والبِنْية التى قدَّرْناها لاتصلح لواحدٍ منهما ، لأنَّك كنت : تقول أزهَى من زُهيتُ ، وكنت تقول من شُغِلْتُ أشْغَل ، فتخرج من باب شُغِلْتَ فأنت مشغول إلى باب شَغَلْتَ غيْرك ، فأنت شاغِل ، فلم يستقِم فيه الأمر إلا باللَّام .

وقوله : ومِيكَالٌ فياطِيبَ المَلاَء أراد الملأ ، وليس من باب مَدِّ المقصور ، إذ لايجوز فى عَصَى عَصَاء ، ولا فى رَحَى : رَحَاء فى الشِّعر ، ولا فى الكلام ، وإن كانوا قد أشبَعوا الحركات فى الضَّرُورة ، فقالوا فى الكَلْكَل الكَلْكَال ، وفى الصَّيارِف : الصياريف ، ولكن مَدَّ المقصور أبعدُ من هذا ، لأن زيادة الألف تغييرٌ واحد ، ومَدَّ المقْصُور تغييران ، زيادةُ ألف وهمْز ماليس بمهموز ، غير أنه قد جاء فى شعر طَرَفَة :

وكَشحَان لم ينقص طوَاءُهما الحَبَل(١)

لكنه حسَّنه قليلا فى بيت طَرَفَة فى أنه لم يُرد الطِّوَى الذى هو مصدر ،

---

(١) الذى فى اللسان : والطواء أن ينطوى ثديا المرأة ، فلا يكسرهما الحبل - بفتح الباء — وأنشد :

وثديان لم يكسر طواءهما الحبل

. . . .

طَوِى يَطْوِى : إذا جاع ، وخَوِىَ بطنُه ، وإنما أراد : رِقّة الخَصْرِ ، وذلك جمالٌ فى المرأة ، وكمالٌ فى الخِلْقَة ، فجاء باللفظ على وزن جَمَال و كَمَال ، وظهر فى لفظه ما كان فى نفسِه ، والعربُ تنحو بالكلمة إلى وزن مَاهُو فى معناها، وقد مضى منه كثيرٌ وسَيَرِد عليك ماهو أكثر .

وأما المَلَأُ والخَطأُ والرَّشأُ والْفَرأُ [1] وما كان من هذا الباب ، فإن همزته تُقلب ألفًا فى الوقف بإجماعٍ نعم ، وفى الوَصْلِ فى بعض اللُّغَات ، فيكون الألِفُ عِوضًا مِنَ الْهمزة ، وقد يَجْمعون بين العِوَضِ والْمُعَوَّضِ مِنْه ، كما قالوا هرَاقَ الماء ، وإنما كانت الهاء بدلا من الهمزة ، فجمعوا بينهما ، وقالوا فى النسب إلى فَمٍ فَمَوِىّ ، وقالوا فى النسب إلى اليمن يَمَنِىّ ، ثم قالوا : يمانٍ ، فعوضوا الألفَ من إحدى الياءين ، ثم قالوا يَمَانِىٌّ بالتشديد فجمعوا بين العوض والْمُعَوَّض منه ، فياطيب الْمَلَاء من هذا الباب ، وكذلك قولهم الخطاء فى الخطأ . قال الشاعر :

فَكُلُّهُمْ مُسْتَقْبِحٌ لِصَوابِ مَنْ يُخَالِفُه مُسْتَحْسِنٌ لِخَطَائِه

وقد قال وَرَقَةُ : إلا ما غَفَرْتَ خَطَائيا [2] (فإن قيل) فقد أنشد أبو علىّ فى مد المقصور :

---

(١) الرشأ : الظبى إذا قوى ومشى مع أمه . والفرأ : حمار الوحش أو فتيه. والملأ أشراف القوم .

(٢) هو سهو من السهيلى . فان هذا الكلام جزء من بيت شعر نسب فى السيرة إلى زيد بن عمرو بن نفيل ، وقال ابن هشام إن القصيدة كلها =

. . . . . : . . . .

يالَكَ من تَمْرٍ ومن شِيشَاءِ ... يَنْشَبُ فى المَسْعَلِ واللَّهَاءِ

أرادَ: جَمْع لَهَاةٍ. قلنا: يحتمل أنْ يكون كَلَامًا مُوَلَّدًا، وإن كان عربيًا، فلعل الروايةَ فيه: اللِّهاء بكسر اللام، فيكون من باب أَكَمَة وإِكَام، وقد ذكرها أبو عبيد فى الغريب المصنف بالكسر والفتح[1].

شرح شعر أبى أسامة:

وذكر شعر أبى أسامة بن زُهَيْر الجُشَمِىّ وفيه:

وقد زالت[2] نَعَامَتُهم لِنَفْرِ

العربُ تضرب زَوَالَ النَّعامه مثلا لِلفرار، وتقول:

شالت نَعامة القوم

= لابن أبى الصلت إلا البيتين الاولين والبيت الخامس والبيت الأخير. أنظر ص ٣٤٩ ح ٢ الروض من هذه الطبعة.

(١) أنظر فى اللسان مادة لها؛ إذ يقول ابن سيدة بعد أن خطأ رواية فتح اللام فى لها: إن فعلة يكسر على فعال ـ بكسر الفاء ـ ونظيره ماحكاه سيبويه من قولهم: أضاة وإضاء، ومثله من السالم: رحبة ورحاب، ورقبة ورقاب، قال ابن برى: إنما مد قوله فى المسعل واللهاء الضرورة، قال: هذه الضرورة على من رواه بفتح اللام، لأنه مد المقصور وذلك مما ينكره البصريون. قال: وكذلك ماقيل فى هذا البيت:

قد علمت أم أبى السعلاء ... أن نعم ماكولا على الخواء

فمد السعلاء والخواء ضرورة

(٢) فى السيرة: شالت.

. . . .

إذا فَنُوا وهلكوا . قال الشاعر :

ياليت ما أُمَّنا شالَتْ نَعامَتُها إمَّا إلى جَنَّة إمَّا إلى نارِ[١]

وقال أُمَيَّة :

اشْرَبْ هَنيئاً فقد شالَت نَعامَتُهم[٢]

والنَّعامَةُ فى اللغة : باطن القَدَم ، ومن ماتَ فقد شالت رِجْلُه ، أى : ارْتَفعَتْ ، وظهرت نَعامَتُه ، والنَّعامَةُ أيضاً الظُّلْمةُ[٣] ، وابنُ النَّعامَةِ عِرْق فى باطن القَدم ، فيجوز أن يكون قوله: زالت نعامتُهم ، كما يقال : زال سَوادُه ،

---

(١) فى التصريح على التوضيح أن البيت لسعد بن قرط لا الأحوص خلافاً للجوهرى . ويروى هكذا .

يا ليتما أمنا شالت نعامتها أيما إلى جنة أيما إلى نار

أقول : وهكذا روايته أيضاً فى مغنى اللبيب رواه وهو يتحدث عن إما الثانية فى قولهم : جاء إما زيد وإما عمرو باعتبار أن إما عاطفة . قال : وزعم يونس الفارسى وابن كيسان أنها غير عاطفة كالأولى ووافقهم ابن مالك لملازمتها الواو العاطفة غالبا ، ومن غير الغالب قوله : وأنشد البيت ، ثم قال : وفيه شاهد ثان ، وهو فتح الهمزة ، — يعنى فى أيما — ، وثالث وهو الإبدال أى جعل الميم ياء من إما . قال : ونقل ابن عصفور الإجماع على أن إما غير عاطفة . وذكر الأمير فى حاشيته على المغنى أن البيت لرجل من بنى عبد القيس يقال له: سعد كان عاقا لأمه وكانت به بارة .

(٢) فى اللسان : وأنشد ابن برى لأبى الصلت الثقفى :

اشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم وأسبل اليوم فى برديك إسبالا

وانظر القاموس مادة أمه ، فقد رواه إيما وإما بكسر الهمزة .

(٣) ذكر اللسان لها معانى كثيرة جدا غير ما ذكر .

. . . .

وضحاً ظلّه إذا مات ، وجائز أن يكون ضرَبَ النعامة مثلا ، وهو الظاهر في بيت أبي أسامة ؛ لأنه قال : زالت نعامتهم لنفرٍ ، والعرب تقول أشردُ من نعامةٍ ، وأنفرُ من نعامة قال الشاعر :

هُمُ تركوكَ أسلحَ من حُبارَى رأتْ صقراً وأشردَ من نعامِ[1]

وقال آخر :

وكُنتَ نعاماً عند ذاكَ مُنفَّراً

فإذا قلت : زالت نعامتُه ، فمعناه : نفرتْ نفسُه التي هي كالنعامة في شرودها وقوله :

وأنْ تُرِكَتْ سَراةُ القومِ صرعَى

سراةُ كُلِّ شيء : ماعَلا منه ، وسَراةُ الفرسِ : ظهرُه لأنه أعلاه . قال الشاعر يصف حِماراً :

بسَراتِه نَدَبٌ لها وكُلومُ

وقولهم : سَراةُ القوم ، كما تقول : كاهِلُ القوم ، وذِرْوةُ القوم ، قال معاوية : إن مُضر كاهِلُ العربِ ، وتَميم كاهِلُ مُضر ، وبنُو سَعْدٍ كاهِلُ

---

(١) الحبارى ترمى الصقر بسلحها — ومعناه معروف — إذا أراغها ليصيدها ، فتلوث ريشه بلثق سلحها ، ويقال : إن ذلك يشتد على الصقر لمنعه إياه من الطيران . والحبارى طائر طويل العنق رمادى اللون على شكل الاوزة ، في منقاره طول ، الذكر والأنثى والجمع فيه سواء

. . . .

تميم . وقال بعض خطباء بنى تميم : إنما العِزُّ الأَقْعَسُ ، والعَدَدُ الهَيْضَل ، ونحن في الجاهلية القُدَّام ، ونحن الذِّرْوَةُ والسَّنَام ، وهذا معنى صحيح بيِّن ، فليس لأحد أن يقول في الذِّرْوَة ، ولا في السَّنَام ، ولا في الكاهل إنه جمع أي من أبنية الجَمْع ، ولا اسمٌ للجَمْع ، فكذلك ينبغي أن لا يُقَال في سَرَاةِ القوم، إنه جَمْع سَرِيّ ، لا على القياس ، ولا على غيرِ القياسِ ، كما لا يقال ذلك في كاهل القوم ، وسَنَام القوم ، والعَجَبُ كيف خَفِي هذا على النحويين ، حتى قَلَّد الخالفُ منهم السالفَ ، فقالوا : سَرَاةٌ جَمْع سَرِيّ[1] ، ويا سُبْحَان الله! كيف يكون جَمْعاً له ، وهم يقولون في جمع سَرَاةٍ سَرَواتٍ ، مثل قَطَاةٍ وقَطَواتٍ ، يقال : هؤلاء من سَرَوَاتِ الناس ، كما تقول : من رُءوس الناس ، قال قَيْسُ ابن الخَطِيم :

وعمرة من سَرَوَاتِ النِّسا ... تَنْفَحُ بالمِسْكِ أرْدانُها

ولو كان السَّرَاةُ جَمْعاً ما جُمع لأنه على وزن فَعَلة ، ومثل هذا البناء في الجموع لا يجمع ، وإنما سَرِيّ فَعِيل من السَّرْوِ ، وهو الشَّرَفُ، فإنْ جُمِع على لفظه ، قيل سُرَّى وأَسْرِياء[2] ، مثل غَنِيّ وأغنياء ، ولكنه قليلٌ وجودُه وقِلَّةُ وجودِه لا يَدْفَع القياسَ فيه ، وقد حكاه سِيبَوَيْه .

وقوله : أذباحُ عِتْرٍ : جمع ذِبْح، وعِتْرٌ بكسر العين: الصَّنَمُ الذي كان يُعْتَر له

---

(١) في القاموس : السراة : اسم جمع جمعه : سروات ، وكذلك في اللسان منسوب إلى سيبويه . وقال ابن برى : هى اسم مفرد للجمع عند سيبويه .

(٢) زاد اللحياني : سرواء بضم ففتح ، وفي اللسان شرح واف للكلمة .

. . . .

فى الجاهليَّة ، أى : تُذبَح له العتائرُ ، جَمْع : عَتِيرةٍ ، وهى الرَّجَبيَّةُ ،وقد ذكرنا فى نَسَبِ النبى — صلى الله عليه وسلم — أوَّلَ مَنْ سَنَّ العَتِيرَةَ ، وأنه بُورُ بن صَحُورَا ، وأن أباه سَنَّ رَجَباً للعَرَبِ ، فكان يُقال له : سَعْدُ رَجَب ، ولوقال: أذْبَاحَ عَتْرٍ بفتح العين لجاز لأنه مصدر .

وقوله : وكانت جُمَّةً . الجُمَّة : السواد ، والجُمَّةُ : الفِرْقَةُ ، فإن كان أرادَ بالجُمَّةِ سوادَ القوم وكثرتَهم ، فله وَجْهٌ ، وإن كان أراد الفِرقةَ منهم ، فهو أوْجَه[1] ، وقد ذكره صاحب العَيْنِ .

وقوله : عَطَيَانُ بَحْرٍ : فَيَضانه[2] .

وقوله : أُبَيِّن نِسْبَتِى نَقْراً بِنَقْرٍ . النَّقْرُ : الطَّعْنُ فى النَّسَبِ وغيره ، يقول : إن طَعَنتم فى نَسَبِى ، وعِبْتُمُوه بَيَّنْتُ الحقَّ ونقرتُ فى أنسابِكم ، أى عِبْتُها ، وجازَيْتُ على النَّقرِ بالنَّقرِ ، وقالت جارية من العرب : مُرُّوا بى على بَنِى نَظَرى[3] يعنى الفِتْيَان الذين يَنْظُرُون إلىَّ ولا تَمُرُّوا بى على بَنَاتِ نَقَرِى ، يعنى النِّساَء اللَّواتى يَنقُرْنَ أى : يَعِبْنَ .

---

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر : وكانت جمة : من رواه بالجيم ، فمعناه : الجماعة من الناس ، وأكثر ما يقال فى الجماعة الذين يأتون يسألون فى الدية ، ومن رواه حمة بالحاء المهملة ، فمعناه : قرابة وأصدقاء من الحميم وهو القريب . وهى فى السيرة : جمة .

(٢) هى فى السيرة : غيطان ، وهى إحدى الروايات . يقول أبو ذر الخشنى عن رواية الغطيان : والغطيان هنا : الماء الكثير الذى يغطى ما يكون فيه ، ويروى : غيطان بحر .

(٣) بفتح النون والظاء والراء ، وتقال بتضعيف الظاء أيضاً . وفى اللسان أنها قالت ذلك لبعلها . وبنو نظرى : أهل النظر إلى النساء والتغزل بهن .

. . . .

وقوله : دُعِيتَ إلى أُفَيْدٍ ، تصغيرُ وَفْدٍ ، وهم المتقدمون من كل شيء مِنْ ناسٍ أو خَيْلٍ أو إبِلٍ ، وهو اسمٌ للجمع مثلُ : رَكْبٍ ، ولذلك جاز تصغيرُه ، وقيل : أُفَيْد : اسمُ موضعٍ(١) .

وقوله : على مُضَافٍ . المضافُ : الخائف المُضْطَرّ .

وقوله :

فدونَكُمُ بَنِي لأْيٍ أخاكم

هذا شاهد لما ذكرناه في نَسَبِ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واشتقاق تلك الأسماء ، وقلنا في لؤي : إنه تصغير لأْيٍ ، واخترنا هذا القول على قولِ ابن الأَنبارِيّ وقُطرُبٍ ، وحكينا قولَه ، وشاهدَه ، وإنما أراد ههنا ببنى لأْيٍ بَنِي لُؤَيٍّ ، فجاء به مُكَبَّراً على ماقلناه .

وقوله :

مُوَقَّفَةُ القوائم أُمُّ أجْر

يعنى الضَّبُع ، ومُوَقَّفة من الوَقْفِ ، وهو الخَلْخَالُ ، لأن في قوائمها سَوَاداً . قال الشاعر [أبو وَجْزَةَ السَّعْدِي] :

وخائفٍ لحِمٍ شاكاً براشتَهُ كأنه قاطِمٌ وَقْفَيْن من عاجِ(٢)

---

(١) يرى الخشنى أنه اسم رجل فقال في البيت الثامن : أصلها : ياماك فرخم ، وحذف حرف النداء .

(٢) البيت في اللسان في مادة قطم منسوب إلى أبي وجزة . وفي مادة شوك =

. . . .

وأُمّ أَجْر : جَمْعُ جَرٍ ، وكما تقول : دَلو وأَدْلٍ ، وهذا كقول الْهُذَلِيّ :

وغُودِرَ ثاوِياً وَتأَوَّبَتْه مُوَقَّفة أُمَيْمُ لها فَلِيلُ (١)

والفَلِيلُ : عُرْفُها ، وكقول الآخر :

يا لَهْفَ مِنْ عَرْفَاء ذاتِ فَلِيلَةٍ جاءَتْ إِلَيَّ على ثَلاثٍ تَخْمَعُ

وتَظَلُّ تَنْشِطُنِى وتَلْحَمُ أجْرِيًا وسط العَرِينِ ، وليس حَيٌّ يدفعُ

لو كان سَيْفِى باليمين دَفَعْتُها عَنِّى ولم أُوكَل وجَنْبِى الأَضْبُعُ

فوصفها أنها تَخْمَعُ ، كما قال ابن المهلب : الضَّبُعَةُ العَرْجاء ، ولَحَنَ فى قوله : الضَّبُعَةَ(٢) . وقال آخر :

فلوماتَ منهم مَنْ جَرَحْنا لأصبحت ضِبَاعٌ بأكْنافِ الشَّرَيْفِ عَرَائِسا

وذلك أن الضَّبُعَ يَقْلِبُ القتيل على قفاه فيما ذكر ، وتَسْتَغْمِل كَمَرَتَه ، لأنها أشْبَقُ البهائم ، ولذلك يقال لها حين تُصْطَاد : أبْشِرى أُمَّ عامِرٍ بجَرَادٍ عضال وكَمَرِ رِجَالٍ ، يخدعونها بذلك ، وهى تُكَنَّى أمّ عامِرٍ ، وأم عَمْرٍو ، وأم الهِنَّبْرِ [وأم عِتَاب وأم طُرَيْق وأم نَوْفل] ، وأُمّ خَنُّوْرٍ وأم خنوْرٍ

= بيتان من القصيدة . ويريد بالموقفة : الضبع التى تأكل القتلى والموتى كما يقول أبو ذر . والوقف أيضاً ـ السوار ـ من العاج ، وأنشد ابن برى لابن مقبل :

كأنه وقف عاج بات مكنونا

(١) البيت فى اللسان لساعد بن جؤية وفيه : مذرعة بدلا من موقفة .

(٢) لأن الأنثى ضبع بفتح الضاد وضم الباء ، أما الذكر فضبعان ، والأنثى أيضا ضبعانة بكسر الضاد فى الكلمتين .

. . . .

معاً وتسمى : حَضَاجِرَ وجَعَارِ [والْعَثْواء وذِيخَة وعَيْلَمَ وَجَيْعَر ، وأم جَعْوَر] و قَثَام وَجَيْأَلُ وَعَيْثُوم ، و قَثَام أيضاً اسمٌ للغَنِيمَةِ الـكثيرة يقال أصاب القوم قَثَاماً ، قاله الزبير ، و حيئل وعيثوم ، وأما الذَّكَرُ منها فَعَيْلَامُ وعِثْيَان وذِيخٌ [وأبو كَلَدَة ونَوْفل والأعثى][(1)]

وقوله فى وصف الأسد فى الْغِيل : مُجْرٍ ، أى : ذو أجْراء ، والأَبَاءَة : الأَجَمَةُ التى هو فيها ، وكذلك الغِيل والخِدْرُ والعَرِين والعِرِّيسَةُ .

وقوله أَحْمَى الأبَاءَة ، أى : حَمَاها ، وأَحْمَى لغةٌ فى حَمَى لـكنها ضعيفةٌ ، ولعله أراد : أَحْمَى الأبَاءَة ، أى جعلها كالنار الحامية ، يقال : أَحْمَيتُ الحَدِيدَةَ فى النار ، يعنى : إن أبَاءَته قد حُمِيَت به فلا تُقْرَبَ .

وقوله : مِنْ كُلَافٍ ، لعله أرادَ مِنْ شِدَّة كَلَفٍ بما يَحْمِيه ، فجاء به على وَزْن ، فُعَالٍ ، لأن الـكَلَف إذا اشتد : كالهُيَام والعُطَاشِ ، وفى معنى الشَّعارِ ، ولعل كُلَافا اسمُ موضع ، وقال أبو حَنِيفة : الـكُلَافُ : اسم شَجَرٍ والله أعلم[(2)] .

---

(١) ضبط الهنبر كما ذكرت ولها ضبطان آخران هنبر - بكسر الهاء وفتح النون وسكون الباء ، أو هنبر بكسر الهاء وسكون النون وكسر الباء . وزاد القاموس جيعر وأم جعار مع جعار كما زاد مع جيأل : جيألة وجيل بفتح الجيم والياء فى الثانية ، وزاد مع قثام قثم مثل عمر . فى كتاب الحيوان : أم طريق وزدت أم طريق وأبا كلدة وأم نوفل ونوفلا من الحيوان للدميرى والقاموس . ومع العثيان ورد فى القاموس واللسان : الأعثى للذكر والعثواء للأنثى ، وورد النهاية ذيخة مؤنث ذيخ ، وعيلم مع عيلام .

(٢) الشعار : موضع كثير الشجر والأجمة ، وقال صاحب المراصد عنه : واد من عمل المدينة .

. . . .

وقوله بَحْلٌ ، هو الطريق فى الرمل ، والهَجْهَجَةُ من قولك : هَجْهَجْتُ بالذئب إذا زجرته . قال الشاعر :

لم يُنجِه منها صياحُ الهَجْهَجِ(١)

وقوله : بِقَرْقَرَةٍ وهَدْرٍ . القَرْقَرَةُ صوتٌ شديدٌ مُنقطعٌ ، وجاء فى صفة عامر الحَذّاء أنه كان قُرَاقِرِيَّ الصوتِ ، فلما كَبِرَ وضَعُفَ صوتُهُ ، قال :

أصْبَحَ صَوْتُ عامرٍ صئياً أبْكَمَ لا يُكَلِّمُ المَطِيَّا(٢)

وهو عامرُ بن رَبيعة الحَذّاء التغلبىّ ، وإليه يُنْسَبُ بنو الحَذّاء(٣) ،

---

(١) الشعر لعمران بن عصام العنزى . وهو الذى أشار على عبد الملك ابن مروان بخلع أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك . خرج على الحجاج مع ابن الأشعث ، فظفر به الحجاج . فقتله ، فلما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له . قال : ولم قتله ؟ ويله ، ألا رعى قوله فيه :

وبعثت من ولد الأغر معتب صقراً يلوذ حمامه بالعرفج
فاذا طبخت بناره أنضجتها وإذا طبخت بغيرها لم تنضج
وهو الهزبر إذا أراد فريسة لم ينجها منه صياح الهجهج

ص ٤٨ ح ١ البيان والتبيين للجاحظ ط ١٩٤٨

(٢) الرجز فى اللسان غير منسوب إلى أحد وهو :

أصبح صوت عامر صيئيا من بعد ما كان قراقريا
فمن ينادى بعدك المطيا

والصَّئِى : صوت الفرخ .

(٣) قال ابن حبيب : الحذاء بن ذهل بن الحارث بن ذهل بن مران الجعفى ، وقال ابن دريد : عامر بن ربيعة بن تيم الله بن أسامة بن مالك بن بكر بن تغلب « اللباب لابن الأثير » .

وذكر أهل اللغة أن الكَشِيشَ أول رُغاء الجَمَل، ثم الكَتِيتَ[1] ثم الهَدْر، ثم القَرْقَرة، ثم الزَّغْد، ويقال زَغَد يَزْغُد ثم القَلَاخ [أو القَلْخ أو القَلِيخ الأخيرة عن سيبويه] إذا جمل، كأنه يتقلّع.

وقوله: وأكْنَفَ مُجْناء[2]، يعني: التُّرْسَ، وهو من أجْنَأْتُ الشيء، إذا جنيته فهو مُجْنأ، ويعني بصَفْراء البُرَايَةِ: القوسَ، وبُرَايَتُها: ما بُرِي منها، وجعلها صَفْرَاء لجِدَّتِها ونُوتِها. وقوله: وأبْيَضَ كالغدير: أراد السيف، وعُمَيْرٌ اسمُ صانع، والمَدَاوِسُ: جمع مِدْوَسٍ، وهي الآلة التي يدوس بها الحدَّاد، والصَّيْقَلُ ما يصنعه، ووصفُه إيَّاها بالمُغْرِ، المُغْرُ: جمع أمغر، وهو الأحمر، والخادِرُ: الداخل في الخِدْرِ ومُسْبَطِرٌ: غير مُنْقبِضٍ.

وقوله: يقول لي الفتى سَعْدٌ هَدِيًّا. الهَدِيُّ: ما يُهْدَى إلى البيت، والهَدِيُّ أيضًا العَرُوسُ تُهْدَى إلى زَوْجِها، ونَصَبَ هَدِيًّا هنا على إضمار فِعْل، كأنه أراد اهْدِ هَدِيًّا.

شرح القصيدة الفاوية لأبي أسامة:

وقوله في الشعر الفاويِّ: كأن رُءوسَهم حَدَجٌ نَقِيفٌ. الحَدَجُ: جمع حَدَجَة، وهي الحَنْظَلة، والنَّقِيفُ: المَنْقُوفُ، كما قال امْرُؤُ القَيْس:

---

(١) في القاموس في مادة كت: الكتيت أول هدر البكر. وفي مادة كشيش قال: الكشيش من الجمل: أول هديره. وهو دون الكت.

(٢) هو في السيرة: أكلف. ويقول أبو ذر: من رواه باللام فإنه يعني ترساً أسود الظاهر، ومن رواه أكنف ـ بالنون ـ فهو الترس أيضاً مأخوذ من كنفه أي: ستره.

. . . .

[كأنى غداةَ البَيْنِ يوم تَحمَّلُوا لَدَى سَمُرات الحَىِّ]ناقِفُ حَنْظَلِ

وهو المُستَخرِجُ حَبَّ الحَنظَلِ .

وقوله داهية خَصِيفٌ ، أى : مُترا كِبة من خَصَفْتُ النَّعلَ أو من خَصَفْتُ الليف ، إذا نَسَجْته ، وقد يقال كَتِيبَةٌ خَصِيفٌ ، أى : مُنْتَسِجَةٌ ، بعضُها ، ببعض ، مُتَكاثِفَةٌ(١) ، وفى كتاب سيبويه : كتيبة خَصِيف أى : سوداء .

وقولُه : ومُنْقَلبى من الأَبْوَاء ، هو : الموضِعُ الذى فيه قبرُ آمِنَة أُمِّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسُمِّى الأبواءَ ، لأن السُّيولَ تَتَبوَّأه ، وفى الحديث أن رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبرَ أُمِّه بالأَبْوَاء فى ألفِ مُقنَّعٍ فَبَكَى وأبكى(٢) ، ووجدت على البيت المتقدم الذى فيه : حَدَجٌ نَقِيفٌ فى حاشية الشيخ ، قال أبو حنيفة الحَنْظَلُ : من الأعلاثِ وهو ينبت شَرْيًا(٣) ، كما ينبت شَرْى القِثَّاء ، والشَّرْى : شَجَرُه ، ثم يخرج فيه زَهْر ، ثم يخرج فى الزَّهْرِ جِرَاءَ مثل جِرَاءِ البطِّيخ(٤) ، فإذا ضَخُم وسَمِنَ حَبُّه سَمَّوْه الحَدَجَ واحدته حَدَجَةٌ ، فإذا وقعت فيه الصُّفْرَةُ سَمَّوْهُ : الخُطبان ، وزاد

---

(١) فى اللسان : وكتيبة خصيفة : لما فيها من صدأ الحديد وبياضه .

(٢) أخرجه الحاكم ، وقد سبق الكلام عن هذا .

(٣) الأعلاث أو الأغلاث ، وقد ذكر منها أبو زياد الكلابى ضروبا من النبات منها الحنظل ، وقال إنها من الأعلاث ، ثم قال : والأغلاث مأخوذ من الغلث وهو الخلط . وفى اللسان أن أبا حنيفة حكاه بالغين .

(٤) جمع جرو : صغير كل شىء حتى الحنظل والبطيخ ونحوه .

. . . . . : . . . .

أبو حَنِيفَةَ أن الحَنظَلَة إذا اسْوَدَّت بعد الخُضْرَةِ ، فهى قَهْقَرَةٌ ، وذكر فى القِثَّاءِ الحَدَجَ والجِرَاءَ كما ذكر فى الحَنظَلِ ، وكذلك الشَّرْيَة اسم لشجرتهما ، وفى القِثَّاءِ قبل أن يكون بِطِّيخاً القُحُّ[١] ، وقبل القُحِّ يكون خَضَفاً ، وأصغرُ من ذلك القُشْعُر والشُّمْرُور والضُّغْبُوسُ[٢] وتقِيفٌ معناه : مَكْسُورٌ ، لأنه يقال نَقَفْتُ رأسَه عن دماغِه ، أى كَسَرْتُه .

وقوله: أخُوضَ الصَّرَّةَ الجَمَّاء . الصَّرَّةُ[٣] : الجماعة ، والصَّرَّةُ : الصِّياحُ ، والصَّرَّةُ : شِدَّةُ البَرْد ، وإياها عنى ، لأنه ذكر الشَّفِيفَ فى آخر البيت ، وهو وهو بَرْدٌ وريح ، ويقال له : الشَّفَّان أيضاً ، أنشد ابن الأنبارىِّ :

قُل للشَّمَال التى هَبَّتْ مُزَعْزِعَةً ... تُذْرِى مع الليل شَفَّاناً بِصُرَّادِ

اقْرِى السَّلَامَ على نَجْدٍ وساكِنِهِ ... وحاضِرٍ باللِّوَى إن كان أوْ بَادِ

سَلَامَ مُغْتَرِبٍ فِقْــدَانَ منزلِه ... إن أنجدَ الناسُ لم يهمُمْ بإنْجَادِ

---

(١) قال الأزهرى : أخطأ الليث فى تفسير القح ، وفى قوله البطيخة التى لم تنضج أنها القح ، وهذا تصحيف ، قال : وصوابه : الفج ـ بكسر الفاء ـ يقال ذلك لكل ثمر لم ينضج ، وأما القح فهو أصل الشىء وخالصه .

(٢) الخضف صغار البطيخ أو كباره . وفى اللسان : القشعر بضم القاف والعين وسكون الشين : القثاء واحدته : قشعرة بلغة أهل الجوف من اليمن وفى اللسان : الشعرورة: القثاءة الصغيرة ، وقيل هو نبت ، والشمارير : صغار القثاء واحدها : شعرور . والضغبوس والضغابيس القثاء الصغار ، ولها معان أخر .

(٣) الجماء : تروى بالجيم وبالحاء ، ويقول أبو ذر : الجماء : الكثير ، ومن رواه الحماء : فمعناه : السود » ص ٢٠٤ » .

. . . .

شعر هند :

وفى شعر هِنْدٍ: بَجِيل الْمَرَاةِ ،أرادت : مَرْآة الْعَيْنِ، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن ، فذهبت الهمزة ، وإنما تذهب الهمزةُ إذا نقلت حركتها ، لأنها تبقى فى تقدير ألفٍ ساكِنَةٍ ، والساكِنُ الذى قبلها باقٍ على حُكم السكون لأن الحركة المنقولة إليه عارضةٌ ، فكأنه قد اجتمع ساكنان ، فحُذِفت الألفُ لذلك ، هذا معنى كلام ابن جنّى .

وقول هند : فأمَّا بُرَىٌّ فلم أُغْنِهِ ، فهو تصغير الْبَرَاء اسم رَجُلٍ ، وقولها :

قد كنتُ أحْذَر ما أرى فأنا الْغَــداةَ مُوَاميه

قوله : مُوَامية ،أى : ذليلة ، وهو مُؤَامِيَةٌ بهمزة ، ولكنها سُهِّلت ، فصارتَ واواً ، وهى من لفظ الأمةِ ، تقول : تَأَمَّيْتُ أَمَةً أى : اتَّخَذْتُها ، ويجوز أن يكونَ مقلوباً من الْمُوَاءمَةِ ، وهى الموافقة ، فيكون الأصلُ مُوَائِمة، ثم قُلِب فصار مُوَامِيَة على وزن مُفَاعِلة (١)، تريد أنها قد ذَلَّت، فلا تأبى ، بل تُوافق العَدُوَّ على كُرْهٍ ، ومنه اشتقاق التَّوْأم لأن وَزْنَه فَوْعَل مثل التَّوْلج والتاء فيهما جميعاً بَدَلٌ مِنْ : واوٍ ، قاله صاحب العين .

وقولها مَلْهوفة مُسْتَلِبَة . الأجْوَدُ فى مُسْتَلِبَةٍ أن يكون بكسر اللام من السِّلَابِ وهى الخِرْقَةُ السَّوْداء التى تخمَّر بها الثَّكْلى ، ومنه قولُ النبى

---

(١) يقول أبو ذر فى شرح السيرة : موامية : مختلطة العقل ، وهو مأخوذ من المأموم ، وهو البرسام « البرسام علة من العلل » .

. . . .

صلى الله عليه وسلم لأسماءَ بنت عُمَيْسٍ حين مات عنها جعفر : تَسَلَّبِي ثلاثًا ، ثم اصْنَعِي ماشئت ، وهو حديث منسوخ بالإحْدَادِ ، ومتأوَّلٌ ، ذكره الطَّبَرِيُّ.

شعر قتيلة :

وذكر ابنُ هشام شِعْرَ قُتَيْلَةَ بنتِ الحرثِ تَرْثِي أخاها النَّضْرَ بن الحارثِ ، والصحيح أنها بنت النضر لا أختُه[1] كذلك قال الزبير وغيره ، وكذلك وقع فى كتاب الدلائل ، وقُتَيْلَةُ هذه كانت تحت الحارث بن أبى أُمَيَّةَ الأصْغَرِ ، فهى جَدَّةُ الثُّرَيَّا بنتِ عبدِ الله بن الحارثِ التى يقول فيها عُمَرُ بن أبى رَبِيعَةَ حين خطبها سُهَيْلُ بنُ عبدِ الرحمن بن عَوْف :

أيها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً　　عَمْرَكَ اللهَ كيف يَلْتَقِيانِ

هى شاميَّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ　　وسُهَيْلٌ إذا استقل يَمَانِ[2]

ورَهْطُ الثُّرَيَّا هذه يقال لهم : العَبَلَات ، لأنَّ أمَّهم عَبْلَةُ بنت عُبَيْد

---

(١) كذلك ذكر المصعب الزبيرى فى نسب قريش ص ٢٥٥ وابن عبد البر والجوهرى والذهبى ، ويسميها الجاحظ فى البيان والتبيين : ليلى بنت النضر ص ٤٣ ح ٤ البيان والتبيين .

(٢) وقيل إنها تزوجت سهيل بن عبد العزيز بن مروان ، وقد رجح أبو الفرج هذا القول : لأنها حملت إلى مصر . وهناك كان منزل سهيل ابن عبد العزيز ، ولم يكن لسهل بن عبد الرحمن مرضع . وأول القصيدة :

أيها الطارق الذى قد عنانى　　بعد ما نام سامر الركبان

واقرأ قصة ثريا فى الأغانى وتجريده ص ٢١٧ ج ١ طبع لبنان ، وص ٨٩ ح ١ تجريد .

غزوة بنى سليم بالكُدْرِ

قال ابن إسحاق : فلما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يُقِم بها إلا سبعَ ليالٍ حتى غزا بنفسه ، يريد بنى سُلَيم .

قال ابن هشام : واستعملَ على المدينة سِباعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِىّ ، أو ابن أمّ مكتُوم .

ابن جاذب[1] .

وفى شعر قُتَيْـلَةَ .

أمُحَمّدٌ ها أنت ضنْءُ نَجيبةٍ

قال قاسم : أرادت يامُحَمّداه على النُّدْبة ، قال : والضِّنْءُ الوَلَد ، والضِّنْءُ الأصل ، يقال : ضنَت المرأة واضنَأت وضنت تضنو إذا ولدت[2] .

---

(١) هى جارية من قريش كما فى القاموس ، وانظر عن بنى العبلات ص ٦٧ ، ٦٨ من الجمهرة لابن حزم ، ص ٨٢ الاشتقاق لابن دريد وانظر لقصيدة قتيلة فى الأغانى . والبيان والتبيين ، ومعجم البلدان ، ونسب قريش .

(٢) فى النهاية لابن الأثير : ضنت — بفتح الضاد والنون — كثر أولادها وضنت المرأة تضنى — بكسر النون — ضنى ، وأضنت . وضنأت وأضنأت : إذا كثر أولادها .

وفى اللسان : ضنأت المرأة تضنأ ضنأ وضنوءاً وأضنأت : كثر ولدها . فهى ضانىء وضانئة ، وقيل . ضنأت تضنأ ضنأ وضنوءاً إذا ولدت . وفى مادة ضيأ قال اللسان : ضيأت المرأة — بفتح الضـــاد وتضعيف الياء مع فتح وفتح الهمزة — كثر ولدها . والمعروف ضنأ . قال : وأرى الأول تصحيفا .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ثم رجع إلى المدينة ، ولم يَلْق كيداً ، فأقام بها بقيَّة شوّال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جُلّ الأسارَى من قُرَيش .

غزوة السويق

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زيادُ بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المُطلبى ، قال : ثم غزَا أبو سُفيان بن حَرْب غَزْوة السَّوِيق فى ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المُشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، ويزيد بن رُومان ومن لا أتّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجع فَلُّ قُرَيش من بدر ، نذَر أن لا يَمَسَّ رأسَه ماء من جَنابةٍ حتى يَغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مِئتَىْ راكبٍ من قُرَيش ، ليُبِرَّ يمينَه ، فسلك النَّجْدِيَّةَ ، حتى نزل بصَدْرِ قَناةٍ إلى جَبَل يقال له : ثَيِب ، من المدينة على بَريدٍ أو نحوه ، ثم خرج من اللّيل ، حتى أتى بنى النَّضِيرِ تحت اللّيل ، فأتى حُيَيَّ بن أخطَب ، فضرب عليه بابَه ، فأبَى أن يفتح له بابَه وخافَه ، فانصرف عنه إلى سَلاّم بن مِشْكَمَ ، وكان سيِّد بنى النَّضير فى زمانه ذلك ، وصاحبَ كنزهم ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فقَراه وسَقاه ، وبَطَن له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابَه ، فبعث رجالاً من قُرَيش إلى المدينة ، فأتَوْا ناحية منها ، يقال لها : العُرَيض ، فحرقوا فى أصْوار من نَخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحَليفاً له فى حَرْث لهما ،

فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونَذِرَ بهم الناسُ . فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى طَلبهم ، واستعملَ على المدينة بَشيرَ بن عبدِ المُنذِر ، وهو أبولُبابة ، فيما قال ابنُ هِشَامٍ ، حتى بلغ قَرْقَرة الكُدْر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأوْا أزواداً من أزواد القوم قد طَرحوها فى الحَرْث يتخفَّفون منها للنَّجاء ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يارسولَ الله ، أتَطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن هشام : وإنما سُمِّيت غزوة السَّوِيق ، فيما حدَّثنى أبو عُبَيدة : أنَّ أكثر ما طرح القومُ من أزوادهم السَّوِيقُ ، فهجم المسلمون على سَوِيق كثير ، فسُمِّيت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سُفيان بن حَرْب عند مُنْصَرَفِهِ ، لما صنع به سَلَّام بن مِشْكَم :

وإنى تخيَّرتُ المدينةَ واحـداً ... لِحِلْفٍ فلم أندَمْ ولم أتلوَّمِ

سقانى فروَّانى كُمَيْتاً مُدامة ... على عَجَلٍ منى سَلامُ بن مشكم

ولما تولَّى الجيشُ قلتُ ولم أكُنْ ... لِأُفرِحَه : أبشِرْ بعِزٍّ ومَغْنَمِ

تأمَّلْ فإنَّ القومَ سِرٌّ وإنهم ... صَرِيحُ لُؤَىٍّ لا شَماطِيطُ جُرْهُمِ

وما كان إلا بعضَ ليلةِ راكبٍ ... أتَى ساعياً من غير خَلَّة مُعْدِمِ

غزوة ذى أمر

فلماَّ رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غَزْوة السَّوِيق ، أقام بالمدينة

بقية ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غَطَفان ، وهى غزوة ذى أَمَرَ ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنَجْد صفراً كلّه أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يَلْقَ كيداً . فلَبث بها شهر ربيع الأوّل كُلّه ، أو إلا قليلاً منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا (رسولُ الله) صلى الله عليه وسلم ، يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مَكْتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بَحْرانَ ، مَعْدِناً بالحجاز من ناحية الفُرُع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلْق كيداً .

أمر بنى قينقاع

نصيحة الرسول لهم وردهم عليه

(قال) : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزْو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرُ بنى قَيْنُقَاع ، وكان من حديث بنى قَيْنُقَاع أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسُوق بنى قَيْنُقَاع ، ثم قال : يامَعْشَرَ يهُودَ ، احذروا من الله مثل ما نزل بقُريش من النِّقْمة ، وأسْلِموا ، فإنّكم قد عَرَفتم أنّى نبىٌّ مُرْسَلٌ . تجِدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ، قالوا : يامحمد، إنك ترَى أنّا قومُك ! لا يغُرّنك أنك لقِيتَ قوماً لا عِلْمَ لهم بالحرب ، فأصبْتَ منهم فُرْصَةً ، إنّا والله لئن حاربناك لتعلَمَنّ أنّا نحنُ الناسَ .

ما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : فحدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ : أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ، وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

كانوا أول من نقض العهد

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن بنى قَيْنُقَاع كانوا أوّل يهودَ نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد .

سبب الحرب بينهم وبين المسلمين

قال ابن هشام : وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ، عن أبى عَوْن ، قال : كان من أمر بنى قَيْنُقاع أن امرأةً من العرب قَدِمتْ بجَلَب لها ، فباعته بسوق بنى قَيْنقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يُرِيدونها على كَشْف وجهها ، فأبَت ، فعمد الصائغ إلى طَرَف ثوبها فعقده إلى ظَهرها ، فلما قامت انكشفت سَوْءتها ، فضَحِكوا بها ، فصاحتْ . فوثب رجلٌ من

المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديًّا ، وشدَّت اليهود على المُسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المُسلم المسلمينَ على اليهود ، فغَضِب المسلمون ، فوَقع الشرّ بينهم وبين بنى قَيْنُقاع .

ما كان من ابن أُبىّ مع الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نَزلوا على حُكْمه ، فقام إليه عبدُ الله بن أُبىّ بن سَلُول ، حين أمْكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسنْ فى مَوالِىَّ ، وكانوا حُلفاء الخَزْرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا محمد أحسِنْ فى مَوالِىَّ ، قال : فأعرض عنه فأدْخل يدَه فى جَيْب دِرْع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذاتُ الفُضُول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أرْسلنى ، وغَضِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُلَلا ، ثم قال : ويحك ! أرسلنى ؛ قال : لا والله لا أرسلك حتى تُحْسن فى موالىّ ، أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع قد مَنعونى من الأحمر والأسود ، تَحْصدهم فى غَداة واحدة ، إنّى والله امروٌ أخشَى الدَّوائر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هُم لك .

مدة حصارهم

قال ابن هشام : واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في مُحاصرته إياهم بَشِير بن عبد المُنذر، وكانت مُحاصرته إياهم خمسَ عشرةَ ليلة.

تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفي ابن أبيّ

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاقُ بنُ يَسار ، عن عُبادة بن الوَليد ابن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قَيْنُقاع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، تشبَّث بأمرهم عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلُول ، وقام دونهم . قال : ومشى عُبادة بن الصامت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدَ بني عوف ، لهم من حِلفه مثلُ الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ ، فخلعهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حِلْفِهم ، وقال : يارسولَ الله ، أتولى اللهَ ورسوله صلى الله عليه وسلم والمُؤمنين ، وأبرأ من حِلْف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفي عَبد الله بن أُبيّ نزلت هذه القصة من المائدة ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أَوْلِياءَ بَعْضُهُم أَوْلِياءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإنَّهُ مِنْهُمْ ، إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي لعبد الله بن أُبيّ وقوله : إني أخشى الدائرة ﴿يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ، فَيُصْبِحُوا عَلَى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ

نادِمِين * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَموا باللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾،
ثم القصة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ،
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ ﴾ . وذكر لتولى
عُبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قَينقاع وحِلفهم
ووِلايتهم : ﴿ ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فإنَّ حِزْبَ اللهِ
هُمُ الغالِبُونَ ﴾ .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

إصابة زيد للعير وإفلات الرجال

قال ابن إسحاق : وسَرِيَّةُ زيد بن حارثة التى بعثه رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم فيها ، حين أصاب عِيرَ قريش ، وفيها أبو سفيان بنُ حَرْب ، على
القَرَدة ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أنّ قريشاً خافُوا طريقَهم الذى
كانوا يسلكون إلى الشأم ، حين كان من وَقْعة بدر ما كان ، فسلكوا طريقَ
العراق ، فخرج منهم تُجّار ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضّة كثيرة ،
وهى عُظْم تجاراتهم ، واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل ، يقال له : فُراتُ
ابن حيّان يدُلُّهم فى ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فُرات بن حيّان ، من بنى عِجْل ، حليف لبنى سَهْم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة

فلقيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجالُ ، فقدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان فى تأنيب قريش

فقال حسَّان بن ثابت بعد أُحُد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لأخذهم تلك الطريق :

دَعُوا فَلَجاتِ الشام قد حال دونها ... جلادٌ كأفواه المَخاض الأوارِكِ

بأيدِى رجال هاجَرُوا نحو ربِّهم ... وأنصارِه حقًّا وأيدِى الملائك

إذا سَلَكتْ للغَوْرِ من بَطْنِ عالِجٍ ... فقُولا لها ليس الطَّريقُ هنالِكِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات لحسَّان بن ثابت ، نقضَها عليه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله (فى) موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

استنكاره خبر رسولى الرسول بقتل ناس من المشركين

قال ابن إسحاق وكان من حديث كَعْب بن الأشرف : أنه لما أُصيب أصحاب بدر ، وقدم زيدُ بن حارثة إلى أهل السّافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشيرَيْن ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه ، وقَتْل مَنْ قُتل من المُشركين ، كما حدّثنى

عبدُ الله بن المُغيث بن أبي بُرْدة الظَّفَرى ، وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، وصالح بن أبي أُمامة بن سَهل ، كلّ قد حدّثني بعضَ حديثه ، قالوا : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طَيِّئ ، ثم أحدَ بني نَبْهان ، وكانت أمُّه من بني النَّضير ، حين بلغه الخبرُ : أحقٌّ هذا ؟ أتَرَوْن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمِّى هذان الرجلان – يعني زيداً وعبد الله ابن رواحة – فهؤلاء أشراف العرب وملوكُ الناس ، والله لئن كان محمّد أصابَ هؤلاء القوم لبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

شعره في التحريض على الرسول

فلما تيقّن عدوّ الله الخبرَ ، خرج حتى قَدِم مكّة ، فنزل على عبد المطّلب بن أبي وَداعة بن ضُبيرة السَّهْمى ، وعنده عاتكةَ بنت أبي العيص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرّض على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ويُنشد الأشعار ، ويبكى أصحاب القَليب من قُريش ، الذين أُصيبُوا ببدر ، فقال :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لمَهْلك أهله ... ولمثلِ بدرٍ تَسْتَهِلُّ وتَدْمَعُ

قُتلت سَراةُ الناس حول حياضِهِم ... لا تَبْعَدوا إنَّ المُلوكَ تُصرَّعُ

كم قد أُصيب به منَ أبيَضَ ماجدٍ ... ذى بَهجة يأوِى إليه الضُّيَّعُ

طَلْقِ اليدَيْن إذا الكواكبُ أخلفتْ ... حمّالُ أثقالٍ يَسُود ويُرْبَعُ

. . . .

ويقول أقوامٌ أُسَرُّ بسُخْطهم إنّ ابنَ الاشرف ظلّ كعْباً يجزَع
صدقوا فليتَ الأرض ساعَةَ قُتِّلوا ظلّت تَسُوخ بأهلها وتُصدَّع
صار الذى أثَر الحديثَ بطَعْنه أو عاش أعمى مُرْعَشاً لا يَسْمَعُ
نُبِّئْت أن بنى المُغيرة كلَّهم خَشَعوا القَتْل أبى الحكيم وجُدّعوا
وابنا ربيعة عنده ومُنَبِّهٌ ما نال مثل المُهلكين وتُبَّع
نُبِّئْتُ أنّ الحارث بن هشامهم فى الناس يَبْنى الصالحات ويجمع
لِيَزورَ يثرِبَ بالجُمُوع وإنّما يَحْمَى على الحسَبِ الكريمُ الأرْوَع

قال ابن هشام : قوله « تُبَّع » ، « وأُسَرُّ بسُخطهم » . عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان فى الرد عليه

قال ابن إسحاق : فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصارىّ ، فقال :

أَبَكَى لِكَعْبٍ ثم عُلَّ بعَبْرة منه وعاش مجدَّعاً لا يَسْمَعُ
ولقد رأيتُ ببَطن بدرٍ منهمُ قَتْلى تَسُح لها العيون وتَدْمَع
فابكى فقد أبكيتَ عبداً راضعاً شِبْهَ الكُلَيْب إلى الكُلَيْبة يَتْبَع
ولقد شَفَى الرحمن منا سيِّداً وأهانَ قَوْماً قاتلوه وصُرِّعُوا
ونجا وأُفلِتَ منهم مَن قَلْبُه شَغَفٌ يظَلّ لخوفه يتصدَّع

قال ابن هشام : وأكثر أهلِ العلم بالشِّعر يُنكرها لحسَّان وقوله « أبكى لكعب » عن غير ابن إسحاق .

. . . .

شعر ميمونة فى الرد على كعب

قال ابن إسحاق : وقالت امرأةٌ من المسلمين من بنى مُرَيْد ، بطن من بَلِىّ كانوا حلفاء فى بنى أُميَّة بن زيد ؛ يقال لهم : الجعادرة ، تُجيب كعباً . قال ابن إسحاق : اسمها ميمونة بنت عبد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها ، وينكر نَقِيضَتها لكعب بن الأشرف :

تحنَّن هذا العبدُ كلَّ تحنُّن ... يُبَكِّى على قَتْلى وليس بناصبِ

بكتْ عينُ من يبكى لبَدر وأهله ... وعُلَّت بمثليها لُؤَىّ بن غالِب

فليتَ الذين ضُرِّجوا بدِمائهم ... يَرى مابهم من كان بين الأخاشب

فيَعلَمَ حقاً عن يقين ويُبْصِروا ... مَجَرَّهم فوق اللِّحَى والحواجب

شعر كعب فى الرد على ميمونة

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجُرُوا منكم سفيهاً لتَسْلَمُوا ... عن القول يأتى منه غيرَ مُقاربِ

أتَشْتُمنى أن كنتُ أبكى بعَبْرة ... لقومٍ أتانى ودُّهم غيرُ كاذب

فإنى لباك ما بقيتُ وذاكر ... مآثرَ قوم مَجْدُهم بالجباجب

لعَمْرى لقد كانت مُرَيْدٌ بمعْزِل ... عن الشرّ فاحتالت وُجوهَ الثّعالب

فحُقّ مُرَيْدٌ أنْ تجدَّ أنوفُهم ... بشَتْمهمُ حَيَّىْ لؤَىّ بن غالب

وهَبْتُ نَصِيبى من مُرَيد لجَعْدَر ... وفاءً وبيتُ الله بين الأخاشب

تشبيب كعب بنساء المسلمين والحيلة فى قتله

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشَبَّب بنساء المُسلمين حتى آذاهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبدُ الله بن المُغيث بن أبى بُرْدة مَنْ لى بابن الأشْرَفِ ؟ فقال له محمدُ بن مَسْلَمَةَ ، أخو بنى عَبْدِ الأشْهَل : أنا لك به يارسولَ الله ، أنا أقْتُله ؛ قال : فافعل إن قَدَرْتَ على ذلك . فرجع محمد بن مَسْلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعْلِقُ به نفسه ، فذُكِر ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ، فقال له : لم تركتَ الطعام والشراب ؟ فقال يارسولَ الله ، قلت لك قولا لا أدرى هل أفِينَّ لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك الجهد ؛ فقال : يا رسول الله ، إنه لابدّ لنا من أن نقول ، قال : قولوا مابدا لكم ، فأنتم فى حلّ من ذلك . فاجتمع فى قتله محمدُ بن مَسْلمة ، وسِلْكان بن سَلاَّم بنِ وَقْشٍ ، وهو أبو نائلة ، أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كَعْب بن الأشرف من الرّضاعة ، وعبّاد بن بِشْر بن وقش ، أحدُ بنى عَبْد الأشهل ، والحارث بن أوس بن مُعاذ ، أحد بنى عبد الأشهل ، وأبو عَبْس بن جَبْر ، أحد بنى حارثة ؛ ثم قدّموا إلى عدوّ الله كَعْب بن الأشرف ، قبل أن يأتوه ، سِلْكان بن سَلامة [بن وَقْش] أبا نائلة ، فجاءه ، فتحدّث معه ساعة ، وتناشدُوا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : وَيْحَكَ يابن الأشْرَفِ ! إنى قد جئْتُك لحاجة أُريد ذكرها لك ، فأكتم عنى ؛ قال : أفعلُ ، قال : كان قُدُوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادَتْنا به العربُ ، وَرَمَتْنا عن قوس واحد ، وقَطَعت عنّا السُّبُل حتى ضاع العيال ، وجُهِدت الأنفس ، وأصبحنا قد جُهِدْنا وجهد عيالُنا ؛ فقال كعب :

أنا ابنُ الأشْرَف ، أما والله لقد كنتُ أُخبرك يابن سلامة أن الأمر سيَصير إلى ما أقول ؛ فقال له سِلْكَان : إنى قد أردتُ أن تَبِيعنا طعاماً ونَرْهنك ونُوثِقَ لك ، وتُحْسِن فى ذلك ؛ فقال : أتَرْهنونى أبناءَكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تَفْضَحنا ، إنّ معى أصحاباً لى على مثل رأيى ، وقد أردتُ أن آتيك بهم ، فتَبِيعهم وتُحْسن فى ذلك ، ونَرْهَنُك من الحَلْقَة مافيه وَفاء ، وأراد سِلْكان أن لا يُنْكر السِّلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن فى الحَلْقة لوَفاء ، قال : فرجع سِلْكان إلى أصحابه فأخبرهم خبرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم يَنْطلقوا فيَجتمعوا إليه ، فاجتمعُوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أتَرْهَنُونى نساءكم ؟ قال : كيف نَرْهنُكَ نساءَنا وأنت أشبّ أهل يَثْرِب وأعْطرهم ؛ قال : أتَرْهَنُونى أبناءكم ؟

قال ابن إسحاق : فحدّثنى ثَوْر بن زَيْد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مشى معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بَقيع الغَرْقد ، ثم وجّههم ؛ فقال : انطلقوا على اسم الله ؛ اللهمّ أعنْهم ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مُقْمِرة ، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعُرْس ، فوثب فى مِلْحفَتِه ، فأخذت امرأتُه بناحِيتها ، وقالت : إنك امرُؤٌ محارب ، وإن أصحاب الحرْب لا ينزِلون فى هذه السّاعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائماً لما أيقظنى ، فقالت : والله إنى لأعرف فى صَوْته الشرّ ؛ قال يقول لها كَعْب : لو يُدْعَى الفتى لطعْنة لأجاب . فنزل فتحدّث معهم ساعة ، وتحدّثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن

الأشرف أن تماشى إلى شعب العجوز ، فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً في سيفي ، حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار ، قال : فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، فجرح في رأسه أو في رجله ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاث حتى أسندنا في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل ، وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه .

شعر كعب بن مالك في مقتل ابن الاشرف

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فغُودِر منهمُ كعبٌ صريعاً ... فذَلَّتْ بعــد مَصْرَعه النَّضِيرُ
على الكفَّين ثَمَّ وقد عَلَتْه ... بأيْدينا مشهــرةٌ ذُكُور
بأمر محمد إذ دسَّ ليــلاً ... إلى كَعْب أخا كعب يَسِير
فما كَرَهُ فأنزله بمَــكْر ... ومحمودٌ أخُو ثِقَة جَسُور

قال ابن هشام : وهذه الأبياتُ فى قصيدة له فى يوم بنى النَّضِير ، سأذكرُها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم .

شعر حسان فى مقتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يَذكر قتلَ كَعْب بن الأشْرفِ وقَتْل سَلاَّم بن أبى الُحقَيق :

لله دَرُّ عِصابة لاقيتهم ... يابن الُحقَيق وأنت يابن الأشْرفِ
يَسْرُون بالبِيض الخِفاف إليكمُ ... مَرَحاً كأُسْدٍ فى عَرِينٍ مُغْرِف
حتى أتوكم فى محلّ بِلادكم ... فسَقَوكم حَتْفاً بِبِيض ذُفَّفِ
مُسْتَنْصِرين لنَصْر دين نبيِّهم ... مُسْتَصغرين لكُل أمرٍ مُجْحِف

قال ابن هشام: وسأذكر قتلَ سلاَّم بن أبى الُحقَيق فى موضعه إن شاءالله .

وقوله : « ذفّف » عن غير ابن إسحاق .

. . . .

غزوة قرقرة الكدر

القَرْقَرَةُ : أرض مَلْساء ، والكُدْرُ : طير فى ألوانها كُدْرَةٌ ، عرف بها ذلك الموضعُ ، وقد كان عمرُ بنُ الخَطَّابِ ــ رضى الله عنه ــ يذكر مسيرَه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فى تلك الغَزْوَةِ ، فقال لعِمْرَان بن سَوَادَةَ حين قال له : إن رعِيَّتَك تشكو منك عُنْفَ السِّيَاق ، وقهر الرعية فدقر على الدِّرَّةِ ، وجعل يَمْسَحُ سُيُورَها ، ثم قال : قد كنتُ زَمِيلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قَرْقَرَة الكُدْرِ(١) ، فكنت أَرْتَع فأُشْبِع وأَسْقِى فأُرْوِى ، وأُكْثِرُ الزَّجْر ، وأُقِلُّ الضربَ ، وأَرُدُّ العَنُودَ ، وأزجر العَرُوضَ ، وأَضُم اللَّفُوتَ ، وأشْهَر العصا ، وأَضْرِبُ باليد ، ولولا ذلكَ لأَغْدَرْتُ [بعض ما أسوق](٢) أى : لضَيَّعْتُ فَتَرَكْتُ ، يَذكر حُسْنَ سياسته ، فيما وَلِى من ذلك . والعَنُود : الخارجُ عن الطريق ، والعَرُوضُ المُسْتَصْعَبُ من الناس والدَّوابِّ .

---

(١) بفتح القافين ، وحكى البكرى ضمهما ، وقال الدميرى وغيره : والمعروف فتحهما . وقال ابن سعد : ويقال : قرارة الكدر ، وفى الصحاح : قراقر على فعالل بضم القاف اسم ماء ، ومنه غزاة قراقر .

(٢) كلام عمر فى ذكر حسن سياسته . أرتع فأشبع : يحسن الرعاية للرعية ، ويدعهم حتى يشبعوا فى المرتع . وأضم اللفوت . فى رواية : وأنهز اللفوت ، وأضم الشرود . اللفوت : الناقة الضجور عند الحلب ، تلتفت إلى الحالب فتعضه ، فينهزها بيده ، فتدر لتفتدى باللبن من النهز ، وهو الضرب ، فضربها مثلا للذى يستعصى ، ويخرج عن الطاعة . ولأعذرت بعض ما أسوق : أى لخلفت ، شبه نفسه بالراعى ورعيته بالسرح ، وروى : لغدرت ، أى لألقيت الناس فى الغدر ، وهو مكان كثير الحجارة .

. . . .

وذكر أنّ أبا سفيان كان نَذَرَ ألّا يَمَسّ رأسَه ماءٌ من جَنَابَةٍ ، حتى يَغْزُوَ محمداً . في هذا الحديثِ أن الغُسْلَ من الجَنَابَة كان معمولا به في الجاهليَّة بقيَّةً من دِين إبراهيمَ وإسماعيل ، كما بقي فيهم الحجُّ والنكاحُ ؛ ولذلك سَمّوْها جَنَابَةً ، وقالوا : رجُلٌ جُنُبٌ وقوم جُنُبٌ ، لمجانبتهم في تلك الحال البيتَ الحرامَ ، ومواضعَ قُرُباتِهم ، ولذلك عُرِف معنى هذه الكلمةِ في القرآن أعنى قولَه ﴿ وإن كُنْتُم جُنُباً فاطَّهَّرُوا ﴾ فكان الحدثُ الأكبرُ معروفاً بهذا الإسم ، فلم يحتاجوا إلى تفسيره ، وأما الحدَثُ الأصغرُ ، وهو الموجب للوضوء ، فلم يكن معروفا قبل الإسلام ؛ فلذلك لم يقل فيه : وإن كنتم مُحْدِثين ، فتوضئوا كما قال : ﴿ وإن كُنْتُمْ جُنُباً فاطَّهَّرُوا ﴾ بل قال : ﴿ فاغسِلوا وُجُوهَكم وأيديَكم إلى المرافِق ﴾ الآية « المائدة : ٦ » فبين الوضوء وأعضاءه وكيفيتَه ، والسببَ الموجِبَ له كالقِيَام من النوم والمجيء من الغائِطِ، ومُلامَسَةِ النِّساء ، ولم يحتجْ في أمر الجَنَابَة إلى بيانٍ أكثَرَ من وُجُوب الطَّهَارَةِ ، منها : الصلاةُ .

وقولَه : أصْوَار نَخْلٍ ، هي : جمع صَوْرٍ . والصَّوْرُ : نخلٌ مُجْتَمِعَةٌ .

سلام بن مشكم :

وذكر سَلّامَ بنَ مِشكَمٍ ، ويقال فيه سَلَّام ، ويقال : إنه ولد شَعْثاء التي يقول فيها حسّان :

لِشَعْثاءَ التي قَدْ تَيَّمَتْهُ فليس لِقَلْبِه منها شِفاءُ

. . . .

وقول أبى سفيان : شَمَاطِيط جُزْمُم . الشَّماطِيط : الخيل المتفرِّقة ، ويقال للأخلاط من الناس أيضاً شَماطِيط ، وأصلُه من الشَّمِيطِ ، وهو اختِلاطُ الظَّلام بالضوء ، ومنه الشَّمَطُ فى الرأس .

وقوله : ولم أكن لأُقرِحَه ، والمُقْرَحُ : الذى قد أثقله الدَّيْنُ ، وقد تقدم شرحه .

وذكر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتى بُحْرَانَ مَعْدِناً بالحجاز من ناحية الفُرُع ، فأقام به شهر ربيع الآخر ، وجمادى الأولى . الفُرُعُ بضمتين ، يقال : هى أول قرية مَارَتْ إسماعيلَ وأُمَّه التَّمْرَ بمكةَ ، وهى من ناحية المدينة ، وفيها عَيْنَان يقال لهما الرُّبُضُ والنَّجَفُ يَسْقِيانِ عشرينَ ألفَ نخلةٍ كانت لحمزَةَ بن عبدِ الله بن الزُّبَيْر . وتفسير الرُّبُضِ : منابِتُ الأَرَاكِ فى الرَّمْلِ والفَرَعُ بفتحتين موضع بين الكُوفَة والبَصْرَةِ . قال سُوَيْدُ بن أبى كاهِلٍ :

حَلَّ أهْلِي حيثُ لا أطلُبُها جانِبَ الحَضْرِ وحَلَّتْ بالفَرَعْ[1]

ثم رجع إلى المدينةِ . وقول ابن إسحاق : أقام شهر ربيع وجمادى لأن الربيعَ مُشْتَرَكٌ بين اسم الشَّهرِ ، وزَمَنِ الربيع ، فكان فى لفظ الشَّهر بيانٌ لما أراد . وجمادى اسمٌ عَلَمٌ ليس فيه اشتراكٌ ، وقد قدمنا قولَ سِيبَوَيْهِ ، وبما لا يكونَ العملُ إلا فيه كُلِّه المحرَّم وصَفَر يعنى هذه الأسماء كُلَّها ، وكذلك أسماء

---

(١) وقبله :

أرق العين خيال لم يدع من سليمى ، ففؤادى منتزع

. . . .

الأيام ، لا تقول : سِرتُ الخميسَ ولا مشيت الأربعاء إلا والعملُ فيه كُلِّه حتى تقول يوم الأربعاء ، أو يَوْمَ كذا ، وفى الشُّهور شَهْرُ كذا ، فحينئذ يكون ظرفاً لا يدل على وقوع العمل فيه كُلِّه .

خبر بنى قينقاع

وقد تقدم منه طَرَفٌ قبل غَزْوَة بَدْرٍ .

وفيه أن عبد الله بن أُبَىّ قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم : أَحْسِنْ فى مَوَالِىَّ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ غَضِبَ حتى رَأَوْا لِوَجْهِه ظِلَالاً ، هكذا فى نُسْخَةِ الشيخ مُصَحَّحاً عليه ، وفى غيرها ظُلَلًا جمع ظُلَّة ، وقد تُجْمَع فُعْلَة على فِعال نحو بُرْمَةٍ وبِرام وجُفْرَةٍ وجِفارٍ[1] فمعنى الرِّوَايَتَيْن إذاً واحِدٌ ، والظُّلَّةُ ما حَجَبَ عنك ضوءَ الشَّمْسِ وصَحْوَ السماءِ ، وكان وجهُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُشْرِقاً بَسَّاماً ، فإذا غَضِبَ تَلَوَّن ألواناً فكانت تلك الألوان حائلةً دون الإشْرَاقِ والطَّلَاقة والضِّيَاء المُنْتَشِر عند تَبَسُّمِه ، وقد روى أنه كان يَسْطَعُ على الجِدَار نورٌ من ثَغْرِه إذا تَبَسَّم ، أو قال : تكلَّم ، يُنْظَر فى الشَّمَائِل للتِّرْمِذِىِّ .

---

(١) برمة : قدر من الحجارة ، والجفرة : جوف الصدر ، وقيل ما يجمع البطن والجنبين ، وقيل منحنى الضلوع . ومثلهما براق جمع برقة وهى أرض غليظة مختلطة بالحجارة ، وقلال جمع قلة : الجرة العظيمة ، وجباب جمع جبة : نوع من الثياب ، وقباب وخلال . ويكثر هذا فى المضاعف ، ويقتصر فى الأجوف على فعل ، كسور ودول .

. . . .

وذكر فيه الآية التى نزلت فيهم : ﴿ قد كان لكم آيةٌ فى فِئَتَيْن ﴾ الفِئَةُ على وزن فِعَة من فأَوْتُ رأسَه بالعصا إذا شققته ، أو من الفَأْو ، وهى جبالٌ مُجْتمِعةٌ ، وبينهما فُسْحَةٌ من الأرض ، فحقيقةُ الفِئَةِ الفِرْقَةُ التى كانت مُجْتمِعةً مع الأُخرى ، فافترقت(١) .

سرية زيد

ذكر فيها فُرَاتَ بن حَيَّان العِجْلِىّ منسوبٌ إلى عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب ابن عَلِىّ بن بَكْر بن وَائِل . واللُّجَيْمُ : تصغيرُ لُجَم وهى دُوَيْبَةٌ تَطَيَّرُ بها العَرَبُ ، وأنشدوا :

لها ذَنَبٌ مثل ذَيْلِ العَرو س إلى سَبَّةٍ مِثْل جُحْرِ اللُّجَمْ

وكان عينَ قريش ودليل أبى سفيانَ ، أسلم فُرَاتُ وحَسُن إسلامُه ، وقال فيه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن منكم رجالا نكلهم إلى إسلامهم ، منهم فُرَاتُ(٢) ، وأرسله رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم إلى ثُمَامَةَ بن

---

(١) وضع الراغب فئة فى مادة فيأ ، وقال : الفئة : الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم إلى بعض فى التعاضد . ويقول ابن فارس عن مادة فأو : أصل صحيح يدل على انفراج فى شىء يقال : فأوت رأسه بالسيف فأوا . أى : فلقته ، والفأو : فرجة ما بين الجبلين ، ولم تذكر فيها كلمة فئة .

(٢) الذى خرج الحديث هو أبو العباس بن عقدة بسنده عن على : أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بفرات بن حيان يوم الخندق ، وكان عينا للمشركين . أمر بقتله ، فقال : إنى مسلم ، فقال : إن منكم من أتألفهم على الإسلام ، وأكلهم إلى إيمانه ، منهم : فرات بن حيان .

. . . .

أثالٍ في شأنِ مُسَيلِمَة ، وردَّتِه ، ومر به رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ، وهو مع أبي هريرة ، والرَّجَّالُ بن عُنْفُوَة ، فقال : ضِرسُ أحدِكم في النار مثل أُحُدٍ ، فما زال فُرَاتٌ وأبو هُرَيْرَة خائفين حتى بلغتهما رِدَّة الرَّجَّالِ ، وإيمانه بِمُسَيْلِمَة ، فَخَرَّا ساجِدَين ، واسم الرَّجَّال : نَهَارُ بن عُنْفُوَةَ ، والعُنْفُوَةُ ضرب من النَّبْتِ ، يقال له الصِّلِّيَان .

وفيها يقول حسَّانُ :

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّأم قد حال دونها

الفَلَجَاتُ : جمع فَلَج ، وهى العين الجارية ، يقال : ماءٌ فَلَجٌ ، وعين فَلَجٌ ، وذكره أبو حنيفة : فَلَحَات بالحاء المهملة ، وقال : الفَلَحَةُ المزرعة[1] .

حول كلمة المخاصرة والملك :

وقوله : جِلَادٌ كأفواه المَخَاضِ الأَوَارِكِ .

أى : التى أكَلَت الأرَاكَ ، فَدُمِيَتْ أفواهُها ، والمَخَاضُ[2] واحدتُها خَلِفَةٌ من غير لفظها ، وهى الحَامِلُ [من النُّوق] ، وقد قيل فى الواحد مَاخِضٌ ، ومنه قول الطائى :

---

(١) ذكر اللسان من معانى الفلجات : المزارع واستشهد على هذا بنفس بيت حسان ، وقال فى مادة فلح : والفلحة : القراح الذى اشتق للزرع عن أبي حنيفة ، وأنشد لحسان . ثم ذكر البيت .

(٢) الحوامل من النوق أو العشار التى أتى عليها من حملها عشرة أشهر

. . . .

وأخَّرْتَهَا عن وَقْتِها وهى مَا خِضُ

وعندى أن المخاضَ فى الحقيقة ليس بجَمْعٍ ، إنما هو مصدَر ؛ ولذلك وُصِف به الجميعُ ، وفى التنزيل : ﴿ فأجاءها الْمَخَاضُ ﴾ وقولهم . ناقة ما خضٌ ، كقولهم : حامِل ، أى : ذاتُ مَخَاضٍ ، وذَاتُ حَمْلٍ ، وقد يقول الرجُلِ لِنسائه أَنْـتُنَّ الطَّلَاقُ ، فليس الطَّلَاقُ بِجَمْعٍ ، وإنما معناه : ذَوَاتُ طَلاق ، وكذلك معنى الْمَخاضِ ، أى ذَواتُ مَخَاضٍ ، غير أنه قيل للواحدة : ماخِضٌ ، ولم يقل : ناقة مَخَاضٌ ، أى : ذاتُ مَخَاضٍ ، كما يقال : امرأةٌ زَوْرٌ وصَوْمٌ ، لأن المصدرَ إذا وُصِف به فإنما يُراد به الـكثيرُ ولاتـكثيرَ فى حَمْل الواحدةِ ، ألا ترى أنك تقول هى أصْوَمُ الناس ، وما أصْوَمَهَا ، ولا يُقال إذا حبلت : ما أحْبَلَهَا ، لأنه شيء واحد ، كما لايقال فى الموت : ما أمْوَتَها ، فلما عُدِمَ قصدُ التَّـكثير والمبالغة لم تُوصَف به ، كالا تُوصَف بالسَّيْر إذا قلت : ماهى إلَّا سَيْرٌ ، فإذا كانت إبلا كثيرةً حصل معنى الـكثرة ، فوُصِفَتْ بالمخاض ، وهو المصدر لذلك ، فإن قلت : فقد يقول الرجل : أنتِ الطَّلاقُ ، وأنت الفِراقُ قلنا : فيه معنى التـكثير والمبالغة ، ولذلك جاز لأنه شيء يَتَمادَى ويدوم ، لاسيَّما إن أراد بالطلاقِ الطلاقَ كلَّه لا واحدةً ، وليس كذلك الْمَخَاضُ والحَمْل ، فإن مُدَّتَه معلومةٌ ومقدارَهُ مُوَقَّتٌ .

وقوله :

بأيدى الملائك ، هو جَمْعَ ملَك على غير لفظِه ، ولو جمعوه على لفظه لقالوا :

. . . .

أَمْلَاكٌ ، ولكن الميم من مَلَاكٍ زائدة فيما زعموا ، وأصله مَأْلَكٌ من الأَلُوكِ ، وهى الرسالة ، قال لَبيدٌ :

وغُلامٍ أَرْسَلَتْهُ أُمُّه ... بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا ما سَأَلْ

وقال الطائى :

مَنْ مُبْلِغُ الفِتْيَانِ عنى مَأْلَكاً ... أَنِّى متى يَتَثَلَّمُوا أَتَهَدَّمُ

و [أبو تَمَّامٍ حَبِيبُ بن أَوْسٍ] الطَّائىُّ وإن كان مُتَوَلِّداً ، فإنما يُحْتَجُّ به لِاتِّفَاقِ أهل العربية له بالقبول وإجماعهم على أنه لم يَلْحَن ، وإذا كان الأصلُ فيه مَأْلَكاً فإنما قلبوه إرادةَ إلقاء الهمزة ، إذا سهلوا ولو سهَّلوا مَأْلَكاً ، والهمزةُ مقدَّمةٌ لم تسقط ، وإنما تسقط إذا سَكَن قبلها ، فقالوا مَلَكٌ[1] ، فإذا جمعوا عادت الهمزة ، ولم تعد إلى موضعها لئلا تَرْجِع كجَمْعِ مَأْلَكَةٍ ، وهى الرسالة ولو قيل : إن لفظَ مَلَكٍ مأخوذٌ من المَلَكُوتِ ، فلذلك لم يُهْمَز ، لأن أكثرَ الملائكة ليسوا برُسُلٍ ، ولو أريد معنى الرسالة لقالوا مُؤْلَكٌ ، كما تقول : مُرْسَلٌ ، ولَضُمَّت الميمُ فى الواحد ، وتكون الهمزةُ على هذا زائدةً فى الجميع

---

(١) فى اللسان عن اشتقاق الملك من ألك ، والملك مشتق منه وأصله : مألك ، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام ، فقيل ملاك ، ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذى قبلها فقيل : ملك . ويقول القرطبى أيضا : أصله مألك . الهمزة : فاء الفعل ، فإنهم قلبوها إلى عينه ، فقالوا : ملأك ثم سهلوه فقالوا ملك . وقيل أصله ملأك من ملك يملك نحو شمأل من شمل فالهمزة زائدة عن ابن كيسان أيضاً ، وقد تأتى فى الشعر على الأصل ، قال الشاعر ، ثم استشهد بالبيت الذى سنعلق عليه فى الرقم التالى .

. . . .

كما زادوها فى شَمْأَل وهى من شَمَلَت الريحُ ، لكان هذا وَجْهاً حَسَناً ، وسِرُّ زيادة الهمزة فى شمْأَلٍ، وهى من شمات الريح ، فأطلعت الهمزةُ رأسَها لذلك ، إذ قد اجتمع فيها أنها مِنْ جن شمال البيت ، وأنها شامية ، وكذلك الملائكة هم منا مَلَـكُوتِ الله ، وفيهم رُسُلٌ ، و لواحد منهم من مَلَـكُوت الله فقط ، لأنه لا يَتَبَعَّضُ كما تَتَبَعَّضُ الْجُمْلَةُ منهم ، فأما قول الشاعر :

فَلَسْتُ لإنسِيٍّ ولكن لَمأْلَكٍ تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السماء يَصُوبُ

فهمز مأْلكا(١) ، وهو واحد ، والبيت مجهولٌ قائله ، وقد نسبه ابن سيدة إلى عَلْقَمَة ، وأنكر ذلك عليه ، ومع هذا فقد وصف مَأْلَكاً بالرسالة لقوله : تَنَزَّلَ من جَوِّ السَّماءِ يصُوب ، فَحَسُن الهمز لتضمُّنه معنى الألوك ، كما حَسُنَ فى جملة الملائكة ، إذ للجُمْلَةِ بعضُهم إرسالٌ ، والكُلُّ من مَلَـكُوتِ الله سبحانه ، وليس فى الواحد إلا معنى الْمَلَـكُوتِيَّةِ فقط حتى يَتَخَصَّصَ بالرسالة ، كما فى هذا البيت المذكور ، فيتضمن حينئذٍ الْمَعْنَيَيْنِ ، فتطلع الهمزة فى اللفظ ، لما فى ضِمْنه مَعْنى الأَلُوكِ ، وهى الرسالة .

---

(١) فى اللسان والقرطبى وغيرهما : ملاك . ويقول القرطبى : قال النضر بن شميل : لا اشتقاق للملك عند العرب وفى الطبرى أيضاً ، ولكنه يقول : وقد يقال فى واحدهم : مألك فيكون ذلك مثل قولهم : جبذ وجذب ، وشأمل وشمأل وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة غير أن الذى يجب إذا سمى واحدهم مألك أن يجمع إذا جمع على ذلك : مآلك . ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعاً ، ولكنهم قد يجمعون ملائك وملائكة كما يجمع أشعث : أشاعث وأشاعثة ، ومسمع : مسامع ومسامعة

. . . .

مقتل كعب بن الأشرف

ذكر فيه أنه شَبَّبَ بِنساَء المسلمين ، وآذاهم ، وكان قد شَبَّب بأُمِّ الفضل زَوْج العَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِب فقال :

أَرَاحِلُ أنت لم ترحل لمنعبته[1] وتارِكٌ أنتَ أُمَّ الفَضْلِ بالحَرَم

فى أبيات رواها يونس عن ابن إسحاقٍ .

وذكر فيه قولَه عليه السلام : مَنْ لِكَعْبِ [بن الأشْرف] ، فقد آذى الله ورسولَه[2] . فيه من الفقه : وجوبُ قتلِ مَنْ سَبَّ النبىَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان ذا عهدٍ ، خلافاً لأبى حَنيفة رحمه الله فإنه لا يَرَى قَتْلَ الذِّمّىِّ فى مِثل هذا ، ووقع فى كتابِ شرفِ المصطفى أن الذين قتلوا كعبَ بنَ الأشرفِ حملوا رأسه فى مِخْلاةٍ إلى المدينة ، فقيل : إنه أولُ رأس حُمِل فى الإسلام ، وقيل : بل رأسُ أبى عزَّةَ الجُمَحىِّ الذى قال له النبىُّ صلى الله عليه وسلم لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرَّتَيْن ، فقتلَه واحتُمِل رأسُهُ فى رُمْحٍ إلى المدينة فيما ذُكِر ، وأما أول مُسْلِمٍ حُمِل رأسُهُ فى الإسلام ، فعمْرو بن الحَمِقِ ، وله صُحْبَةٌ .

---

(١) لمنعبته خطأ صوابه : منقبة كما جاء فى الطبرى والمواهب الذى ينقل عن السهيلى . واقرأ القصيدة فى ص ٤٨٨ حـ ٢ الطبرى ط دار المعارف وشطرة البيت الأول فى الطبرى :

أراحل أنت لم تحلل بمنقبة

ويثبت الطبرى أنه شبب بعدها بنساء المسلمين.

(٢) هذه رواية البخارى عن جابر . يعنى من ينتدب لقتله .

. . . .

وفيه من قولِ حَسَّانَ فى كَعْبٍ: أبكى كَعْبُ ثم عُلَّ بِعَبْرةٍ[1] فيه دخولُ زِحافٍ على زِحَافٍ ، وذلك أنَّ أول الْجزء سَبَبٌ ثقيلٌ وسَبَبٌ خفيفٌ فإذا دخل فيه الزِّحافُ الذى يُسَمَّى الإضمارَ صارا سَبَبَيْنِ خَفِيفَيْنِ ، فيعود مُتَفَاعِلُن إلى وَزْنِ مُسْتَفْعِلُن ، وَمُسْتَفْعِلُن يدخله الخَبْنُ والطَّيُّ ، وهو حَذْفُ الرابع منه ، فشبه حسان مُتفاعلان فى الكامِلِ بِمُسْتَفْعِلُنْ لما صار إلى وزنه ، فحذف الحرف الساكنَ وهو الرابع من مُتَفَاعِلُنْ إلى وزنِ مُفْتَعِلُن ، وهو غريب فى الزِّحاف فإنه زِحَافٌ سهل زحافاً آخر ، ولولا الزِّحافُ الذى هو الإضمار ، ما جاز البَتَّة حذفُ الرابع من مُتَفَاعلن[2] .

وذكر فى الذين قَتَلوا كَعْباً أبا عَبْس بن جَبْر ، واسْمُه : عَبْدُ الرَّحْمنِ ، وذكر سِلْكَانَ بنَ سَلَامة ، واسمه : سَعْد .

وذكر فى شِعرِ حَسَّان الفَاوِىَّ[3] ، وفيه : بِبِيضٍ ذُفَّفٍ . الذُّفَّفُ : جَمْعُ ذَفِيفٍ وهو الخفيفُ السَّريعُ ، وهو جَمْعٌ على غيرِ قياسٍ ، وإنما فُعَّل جمع فَاعِل ولكنَّ الذَّفِيفَ من السُّيوف فى مَعْنى القاطع والصارم .

---

(١) فى نسخة من السيرة : أبكى لكعب وأخرى أبكاه كعب . وأخرى : أبكى كعب .

(٢) هذه مصطلحات عروضية ، وقد سبق الكلام عنها .

(٣) البيت فى اللسان هكذا

ورب خال لى لو أبصرته ... سبط الكمين فى اليوم الخصر

ومنسوب إلى حسان .

. . . .

وفيه : فى عَرِينٍ مُغْرِفِ . العرينُ : أَجَمَةُ الأَسَدِ ، وهو الغَرِيفُ أيضاً ، والغرِيفُ أيضاً الـكثيرُ ، فيحتمل إنْ أراد بمُغْرِفٍ مُـكْثِراً من الأُسْد ، ويحتمل إنْ أراد توكيدَ معنى الغَرِيفِ ، كما يقال : خَبِيثٌ مُخْبِث .

وذكر قول امرأة كعبٍ :والله إنى لأعرف فى صوته الشَّرَّ ، وفى كتاب البُخَارِيِّ : إنى لأسمع صوتاً يقطُر منه الدَّمَ .

وفيه : ما رأيت عِطْراً كاليوم ، معناه : عند سِيبَوَيْهِ : ما رأيت كَعِطْرٍ أراه اليومَ عِطْراً : كذلك قال فى قول العرب : لم أر كاليوم رَجُلاً ، أىْ : كَرَجُلٍ أراه اليومَ رَجُلاً ، فَحُذِفَ ما دخلت عليه الـكافُ ، وحُذِفَ الفعلُ ، وهو أرى ، وفاعلُه ومفعولُه ، وهذا حذف كثير لاسِيَّما ، وقد يقال : مارأيت كاليوم ، ولا تذكر بعده شَيْئاً إذا تَعَجَّبْتَ ، فدل على أنهم لم يحذِفوا هذا الحذفَ الـكثيرَ ، ولـكنهم أوقعوا التعجُّبَ على اليوم ، لأن الأيام تأتى بالأعاجيب ، والعربُ تَذُمُّها وتمدحها فى نظمها ونثرها ، ويعلم المخاطَبُ أن اليوم لم يُذَمَّ لنفسِه ولا يُعْجَبُ منه لنفسِه ، فيلتمس منكَ البيانَ والتفسيرَ لمـا تعجبْتَ منه ، فتأتى بالتمييز لتُبَيِّن . فعطراً منصوبٌ على التمييز ، والدليل على ذلك أنه يَحْسُن خَفْضُه بِمنْ ، لأنه مُتَعَجَّب منه ، فتقول : لم أر كاليوم مِنْ رَجُلٍ .

ووقع فى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بعد قوله : فمشوا ساعةً ، قال فجعل كَعْبٌ ينشد :

أمر محيصة وحويصة

لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهوديا ثم إسلامه

قال ابن إسحاق: وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ ظَفِرتم به من رجال يهود فاقتُلوه، فوثب مُحيصة بن مَسْعود - قال ابن هشام: ويقال: مُحَيِّصَة بن مَسْعود بن كَعْب بن عامر بن عَدِيّ بن مَجْدَعَة بن حارثة بن الحارث بن الخزْرج بن عَمْرو بن

رُبَّ خالٍ لِيَ لو أبصرْتَه ... سَبِط المِشْيَة أَبَّاء أنِفْ

لَيِّنِ الجانب في أقرَبِه ... وعلى الأعداء كالسُّمِّ الدُّعُفْ

وكِرَام لم يشِنْهُمْ حَسَبٌ ... أهْل عِزٍّ وحِفَاظٍ وشَرَفْ

يَبْذُلون المالَ فيما نابَهم ... لِحُقُوقٍ تَعْتَرِيهم وعُرَفْ

ولُيوثٍ حين يَشْتَدُّ الوَغَى ... غير أنْكَاسٍ ولا مِيلٍ كُشُفْ

فَهُمُ أهْلُ سَمَاحٍ وقِرَى ... وحِفَاظٍ لم يُعَانُوا بِصَلَفْ

سَكَنُوا مِنْ يَثْرِبَ كُلَّ رُبًى ... وسُهُولٍ حَيْثُ حَلُّوا في أُنُفْ

وهُمُ أهْلُ مَشَارِيبَ بها ... وحُصُونٍ ونَخِيلٍ وغُرَفْ

ولها بِئْرٌ رَوَاءٌ جَمَّةٌ ... مَنْ يَرِدْهَا بإناءٍ يَغْتَرِفْ

ونخيلٍ في تِلَاعٍ جَمَّةٍ ... تُخْرِجُ التَّمْرَ كأمثالِ الأُكُفْ

وصَرِيرٍ من مَحَالٍ خِلْته ... آخرَ الليلِ مَهَارِيجَ نُدُفْ(١)

تَدْلُجُ الجُونُ على أكتافها ... بِدِلاءٍ ذاتِ أرْكانٍ صُدُفْ

كُلُّ حاجاتِيَ قد قَضَّيْتُها ... غير حاجاتٍ في بَطْنِ الجُرُفْ

(١) لم أهتد إلى الصواب فيه، ولعله: أهازيج رتف.

مالك بن الأوس ـ على ابن سُنَيْنَة ـ قال ابن هشام : ويقال سُبَيْنة ـ رجلٍ من تجار يهود ، كان يُلابسهم ويُبايعهم فقتله ، وكان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلم ، كان أسنَّ من مُحَيِّصة ، فلما قتله جعل حُوَيِّصة يَضْرِبه ، ويقول : أى عدوّ الله ، أقتلته ، أما والله لرُبَّ شحمٍ فى بطنك من ماله . قال مُحَيِّصة : فقلت : والله لقد أمرنى بقتله مَن لو أمرنى بقَتْلك لضربتُ عنقك ، قال : فوالله إن كان لأوّل إسلام حُوَيِّصة ، قال : آولله لو أمرك محمّد بقتلى لقتلتَنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضَرْب عُنقك لضربتُها ! قال : والله إن دينا بلغ بك هذا لَعجَبٌ ، فأسلم حُوَيِّصة .

قال ابن إسحاق : حدّثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة مُحَيِّصة ، عن أبيها مُحَيِّصة .

فقال مُحَيِّصة فى ذلك .

يَلُومُ ابنُ أُمِّى لو أُمِرْتُ بقَتْله	لطَبَّقتُ ذِفْراه بأبْيضَ قاضبِ
حُسامٍ كَلَوْنِ المِلْحِ أُخْلِص صَقْله	متى ما أُصَوِّبْه فليس بكاذب
وَما سَرّنى أنى قَتلتُكَ طائعاً	وأنّ لنا ما بين بُصْرى ومَأْرِب

رواية أخرى فى إسلام حويصة

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة عن أبى عَمرو المَدنى ، قال : لما ظَفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قُريظة أخذ منهم نحواً من أربع مائة رجلٍ من اليهود ، وكانوا حلفاءَ الأوس على الخزرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه

وسلم بأن تُضرب أعناقُهم ، فجعلت الخزرجُ تضرب أعناقَهم ويسرّهم ذلك ، فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوهُهم مستَبْشرة ، ونظر إلى الأوس فلم يرَ ذلك فيهم ، فظنّ أن ذلك للحلْف الذى بين الأوس وبين بنى قُريظة ولم يكن بقى من بنى قُريظة إلا اثنا عَشر رجلاً ، فدَفعهم إلى الأوس ، فدَفع إلى كلّ رجلين من الأوس رجلاً من بنى قُريظة وقال : ليضربْ فلانٌ وليذفِّف فلان ، فكان ممّن دفع إليهم كعبُ بن يَهوذا ، وكان عظيما فى بنى قُريظة ، فدفعه إلى مُحيِّصة بن مَسْعود ، وإلى أبى بُرْدة بن نَيار — وأبو بُردة الذى رخص له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذبح جَذَعا من المَعْز فى الأضحى — وقال ليضربه مُحيِّصة وليذفِّف عليه أبو بُردة ، فضربه مُحيِّصةُ ضربةً لم تقطع ، وذفّف أبو بُردة فأجْهز عليه . فقال حُويِّصة : وكان كافراً ، لأخيه محيِّصة : أقتلتَ كعب بن يَهوذا ؟ قال : نعم ؛ فقال حُويِّصة : أما والله لرُبَّ شَحْم قد نَبَت فى بَطْنك من ماله ، إنك للئيم يا مُحيِّصة ، فقال له محيِّصة : لقد أمَرنى بقتْله من لو أمَرنى بقتلك لقتلتك ، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجِّباً . فذكروا أنه جعل يتيقّظ من الليل : فيَعجب من قول أخيه مُحيِّصة . حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا الدين . ثم أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيِّصة فى ذلك أبياتاً قد كتبناها .

المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد

قال ابن إسحاق : وكانت إقامةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بعد

قُدُومه من بَحْران ، جمادى الآخرة ورجباً وشَعبان وشهر رمضان ، وغزَتْه قُرَيْشٌ غزوةَ أُحُد فى شوّال سنة ثلاث

غزوة أحد

وكان من حديث أُحُد ، كما حدثنى محمد بن مُسْلم الزُّهْرى ومحمد بن يَحْيى ابن حِبّان وعاصم بن عمر بن قَتادة والحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن مُعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدّث بعضَ الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثُهم كُلّه فيما سقتُ من هذا الحديث عن يوم أُحُد قالوا ، أو من قاله منهم :

التحريض على غزو الرسول

لما أُصيب يوم بدر من كُفّار قُرَيش أصحاب القَليب ، ورَجَع فَلُّهم إلى مكة ، ورَجع أبو سُفيان بن حَرب بِعِيره ، مَشَى عبدُ الله بن أبى ربيعة ، وعِكْرمةُ بن أبى جَهل ، وصَفْوان بن أُمَيّة ، فى رجال من قُرَيش ، ممن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سُفيان بن حَرْب ، ومن كانت له فى تلك العِير من قُرَيش تجارة ، فقالوا : يامَعْشر قُرَيْش ، إن محمداً قد وَتَرَكم ، وقَتَل خِيارَكم ، فأَعِينُونا بهذا المال على حَرْبه ، فلعلّنا نُدْرك منه ثأرنا بمن أصاب منّا ، ففعلوا .

ما نزل فى ذلك من القرآن

قال ابن إسحاق : ففيهم ، كما ذكر لى بعضُ أهلِ العلم ، أنزل الله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ، ثُمَّ يُغْلَبُون ، والَّذين كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُون ﴾ .

اجتماع قريش للحرب

فاجتمعت قريش لحرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حَرْب ، وأصحابُ العير بأحابيشِها ، ومَنْ أطاعها من قبائلِ كِنانة وأهل تِهامة . وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الُجمَحِىّ قد مَنَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عِيال وحاجة ، وكان فى الأسارَى فقال : إنى فقير ذو عِيال وحاجةٍ قد عرفتَها فامْنُنْ علىّ صلى الله عليك وسلم ، فَمَنَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال له صَفْوان بن أُميَّة : يا أبا عَزَّة إنك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعِنَّا بلسانك ، فاخرُج معنا ، فقال : إن محمداً قد مَنَّ علىّ فلا أُريد أن أُظاهِر عليه ، قال : فأعِنَّا بنفسك ، فلك اللهُ علىّ إن رجعتُ أن أُغنِيك ، وإن أُصِبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتى ، يُصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسْر ويُسْر . فخرج أبو عَزَّة فى تِهامة ، ويدعو بنى كِنانة ويقول :

إيهاً بنى عَبْدِ مَناةَ الرُّزَّام أنتُم حُماةٌ وأبوكم حامْ
لا تَعِدُونى نَصرَكُمْ بعدَ العامْ لا تُسْلِمونى لا يَحِلُّ إسلامْ

وخرج مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بنى مالك ابن كنانة ، يحرّضهم ويَدْعوهم إلى حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا مالِ ، مالِ الحَسبِ المُقدَّمِ   أَنْشُدُ ذا القُرْبَى وذا التَّذَمُّمِ
مَن كان ذا رُحْم ومن لم يَرْحَمِ   الحِلْفَ وَسْط البَلدِ المُحَرَّمِ
عند حطيم الكَعْبة المُعَظَّم

ودعا جُبَيْر بن مُطْعِم غلاماً له حَبَشِيًّا يقال له : وَحْشِى ، يَقْذِف بحربة له قَذْف الحَبَشة ، قلَّما يُخطىء بها ، فقال له : اخرُج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزةَ عمّ محمدٍ بعمّى طُعَيْمة بن عَدِىّ ، فأنت عَتِيق .

خروج قريش معهم نساؤهم

فخرجت قُرَيشٌ بحدّها وجَدّها وحَديدِها وأحابيشها ، ومن تابعها من بنى كِنانة ، وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُنِ ، التماسَ الحَفِيظَة ، وألا يفِروا . فخرج أبو سُفيان بنُ حَرْب ، وهو قائدُ الناس ، بهِنْد بنت عتبة ، وخرج عِكْرمة بن أبى جَهل بأمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة وخرج الحارث ابن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوَليد بن المُغيرة ، وخرج صَفْوان بن أُميَّة ببَرْزة بنت مَسْعود بن عمرو بن عُمير الثَّقفيَّة ، وهى أم عبد الله بن صَفْوان ابن أُميَّة .

قال ابن هشام : ويقال : رقَيَّة .

. . . .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص بِرَيْطة بنت مُنَبِّه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طَلْحة بن أبى طَلْحة وأبو طَلْحة عبدُ الله ابن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار ، بسُلافة بنت سَعد بن شُهَيد الأنصارية وهى أمّ بنى طَلْحة : مُسافع والجُلاس وكِلاب ، قُتِلوا يومئذ (هم) وأبوهم ؛ وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عزيز بن عُمَير ، وهى أمّ مُصْعب بن عمير ؛ وخرجت عَمْرة بنت عَلقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة . وكانت هِنْد بنت عُتبة كلَّما مرَّت بوَحْشِيّ أو مرّ بها ، قالت : وَيْهاً أبا دَسْمة اشف واستَشْف ، وكان وَحْشِيّ يُكْنى بأبى دَسْمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين ، بجبل ببطن السَّبْخة من قناة على شَفير الوادى ، مقابل المَدينة .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيثُ نزلوا ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى قد رأيت والله خيراً ، رأيتُ بقراً ، ورأيتُ فى ذُباب سَيْفى ثَلْماً ، ورأيتُ أنى أدْخَلْتُ يدِى فى درْع حَصينة ، فأوّلتُها : المدينة .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العِلم ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقَراً لى تُذْبح ، قال : فأما البقر فهى ناس من أصحابى يُقتلون ، وأما الثَّلم الذى رأيتُ فى ذُباب سَيْفى ، فهو رَجُل من أهل بَيتى يُقتل .

. . . .

مشاورة الرسول القوم فى الخروج أو البقاء

قال ابن إسحاق : فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدعُوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشَرِّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأىُ عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُولَ مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَرَى رأْيَه فى ذلك ، وألاَّ يخرجَ إليهم ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَكْرَه الخروجَ ، فقال رجالٌ من المسلمين ، ممن أكْرم الله بالشَّهادة يوم أُحُدٍ وغيره ، ممَّن كان فاته بدرٌ : يارسول الله ، اخْرُج بنا إلى أعدائنا ، لا يَرَوْن أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلول : يارسول الله ، أقِمْ بالمدينة لا تَخْرُج إليهم ؛ فوالله ما خرَجنا منها إلى عدوّ لنا قطُّ إلا أصاب مِنَّا ، ولا دخَلها علينا إلا أصَبْنا منه ، فدعْهم يارسول الله ، فإن أقامُوا أقامُوا بشرّ مَحْبِس ، وإن دَخلوا قاتلهم الرجالُ فى وجْهِهم ، ورماهم النِّساء والصِّبْيان بالحجارة من فَوْقهم ، وإن رجعُوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يَزَل النَّاسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لِقاء القوم ، حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيته فَلبس لأْمَتَه ، وذلك يومَ الجمعة حينَ فرغ من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رَجلٌ من الأنصار يُقال له : مالك بن عمرو ، أحد بنى النجَّار ، فصلَّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرَهْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يارسول الله : استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئتَ فاقْعُد صلى الله

عليك ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما يَنْبغى لنبىٍّ إذا لَبِس لَأْمَتَه أن يَضَعها حتى يُقاتل ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ألفٍ من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل ابنَ أُمِّ مَكْتوم على الصَّلاة بالناس .

انخذال المنافقين

قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأُحد ، انخزل عنه عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلول بثُلث الناس ، وقال : أطاعهم وعَصانى ، ماندْرى علامَ نَقْتُل أنفسَنا هاهنا أيها الناس ، فرَجع بمن اتَّبعه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيْب ، واتَّبعهم عبدُ الله بن عَمرو بن حَرَام ، أخو بنى سلمة ، يقول : ياقوم ، أذكِّركم الله ألاَّ تخذُلوا قومَكم ونبيَّكم عندما حَضَر من عدوّهم ؛ فقالوا : لو نعلم أنَّكم تُقاتِلون لماَ أَسْلمناكم ، ولكنَّا لانَرى أنه يكون قتالٌ . قال : فلما استَعْصَوْا عليه وأبَوا إلا الإنصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيُغْنى الله عنكم نبيَّه .

قال ابن هشام : وذكر زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزّهرى : أن الأنصار يوم أُحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ألا نَسْتَعين بحلفائنا من يَهود ؟ فقال : لاحاجة لنا فيهم .

حادثة تفاءل بها الرسول

قال زياد : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى سَلَكَ فى حَرّة بنى حارثة ، فذَبَّ فَرَسٌ بذَنَبِه ، فأصاب كُلَّابَ سيفٍ فاستَلّه .

قال ابن هشام : ويقال : كَلَّاب سيف .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكان يحبّ الفأل ولا يَعْتاف لصاحب السيف : شِمْ سَيْفَك ، فإنى أرى السُّيوف سَتُسَلُّ اليوم .

ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَنْ رجلٌ يخرُج بنا على القوم من كَثَب : أى من قرب ، من طريق لا يُمرّ بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثَمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يارسول الله ، فنَفَذ به فى حَرّة بنى حارثة ، وبين أموالهم ، حتى سَلك فى مال لمِرْبَع بن قَيْظىّ ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البَصر ، فلمّا سمع حسَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَنْ معه من المسلمين ، قام يَحثى فى وُجوههم التراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله فإنى لا أحلّ لك أن تدخل حائطى . وقد ذُكر لى أنه أخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يامحمد لضربتُ بها وجهك . فابتدره القومُ ليَقتُلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القَلْب ، أعمى البَصَر . وقد بَدَر إليه سعدُ بن زَيد ، أخو بنى عبد الأشهل ، قَبل نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه ، فشجّه .

قال : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشِّعب من أُحد ، في عُدْوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظَهره وعسكره إلى أُحد ، وقال : لا يقاتلنّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سَرّحت قريش الظَّهر والكُراع في زروع كانت بالصَّمغة ، من قَناة للمُسلمين : فقال رجلٌ من الأنصار حين نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن القِتال : أتُرْعَى زُرُوعُ بني قَيْلَة ولمَّا تضارَب ! وتعبّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقِتال ، وهو في سَبْع مِائَة رجل ، وأمّر على الرُّماة عبدَ الله بن جبير ، أخا بني عَمْرو بن عوف وهو مُعْلَم يومئذ بثياب بِيض ، والرُّماة خَمْسون رجلا ، فقال انضَح الخيلَ عنَّا بالنَّبْل ، لا يأتُونا مِن خَلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبُت مكانك لا نُؤْتَيَنَّ من قِبَلِك . وظاهَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعين ودَفع اللِّواء إلى مُصْعب بن عُمَيْر ، أخي بني عبد الدّار .

من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة

قال ابن هشام : وأجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفَزاريّ ، ورافع بن خَدِيج ، أخا بني حارثة ، وهما ابنا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وكان قد ردّهما ، فقيل له : يارسولَ الله إن رافعاً رَامٍ ، فأجازه ، فلما أجاز رافعاً ، قيل له : يارسول الله ، فإن سَمُرَةَ يَصْرعُ رافعاً ، فأجازه . وردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أُسامَةَ بنَ زَيْد ، وعبدَ الله بن عُمَرَ بن الخطّاب ، وزيدَ بنَ ثابت ، أحدَ بني مالكِ بن النجّار ، والْبَرَاء بن عازِبٍ ، أحدَ بني حارثة ، وعمرَو بنَ حَزْم ، أحدَ بني مالك بن النجّار ، وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، أحد

. . . .

بني حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتَعبَّأتْ قُرَيشٌ ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جَنَبوها ، فجعلوا على مَيْمنة الخيل خالدَ بن الوليد ، وعلى مَيْسرتها عِكرمةَ بن أبي جهل .

أمر أبي دجانة

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيفَ بحقِّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماكُ بن خَرَشة ، أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقُّه يارسولَ الله ؟ قال : أن تَضرب به العدوَّ حتى يَنْحنى ؛ قال : أنا آخذُه يارسول الله بحقِّه ، فأعْطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلا شُجاعا يختال عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أُعْلِم بعصابة له حمْراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفّين .

قال ابن إسحاق : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسْلم ، مولى عمر بن الخطَّاب ، عن رجل من الأنصار من بني سَلِمَة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله ، إلا في مثل هذا الموطن .

أمر أبي عامر الفاسق

قال ابن إسحاق : وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتادة : أنّ أبا عامر ، عبد عمرو

ابن صَيفيّ بن مالك بن النعمان ، أحد بنى ضُبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مُباعداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسةَ عشر رجلا ، وكان يَعِد قريشاً أن لو قد لقى قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فلما التقى الناسُ كان أوّل من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبْدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر ؛ قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق ـ وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية : الرّاهب ، فسمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق ـ فلما سَمع ردَّهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شرّ ، ثم قاتلهم قتالا شديداً ، ثم راضَخهم بالحجارة .

أسلوب أبى سفيان فى تحريض قريش

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سُفيان لأصحاب اللِّواء من بنى عبد الدّار يُحرّضهم بذلك على القتال : يابنى عبد الدّار ، إنكم قد وَليتم لواءَنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قِبَل راياتهم إذا زالت زالُوا ، فإما أن تَكْفُونا لواءنا ، وإمّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنَكْفيكموه ؛ فهمُّوا به وتواعدُوه ، وقالوا : نحن نُسْلم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصْنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

تحريض هند والنسوة معها

فلما التقى الناس ، ودَنا بعضُهم من بعض ، قامت هندُ بنت عُتبة فى

النِّسوة اللاتى معها ، وأخذن الدُّفوف يَضربن بها خلف الرجال، ويُحرّضنهم فقالت هند فيما تقول :

وَيْهاً بَنِى عبد الدَّارْ وَيْهاً حُماةَ الأدبارْ
ضَرْباً بكلّ بَتارِ

وتقول :

إن تُقبِلوا نُعانِقْ وَنَفْرِشِ النَّمارِقْ
أو تُدْبِروا نُفارقْ فِراقَ غَيْرِ وَامِقْ

شعار المسلمين

وكان شِعارُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يوم أُحدٍ: أَمِتْ أَمِتْ، فيما قال ابن هشام .

تمام قصة أبى دجانة

قال ابن إسحاق : فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ ، وقاتل أبو دُجانَة حتى أمعن فى الناس .

قال ابن هشام : حدثنى غير واحد ، من أهل العلم : أن الزُّبير بن العوَّام قال : وَجِدْتُ فى نفسى حين سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّيف فمَنَعنيه وأعطاه أبا دُجانة ، وقُلت : أنا ابنُ صفيَّة عمَّته ، ومن قُريش ، وقد قُمْت إليه فسألته إياه قَبْله ، فأعطاه إياه وتَركنى ، والله لأنظرنّ مايصنع؛

فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عِصابةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهَدنى خليلى ونحنُ بالسَّفح لدَى النَّخيل
ألاَّ أقومَ الدهرَ فى الكَيُّول أضْرب بسيف الله والرَّسول

قال ابن هشام : ويروى فى الكُبُول .

قال ابن إسحاق : فجعل لا يَلْقى أحداً إلا قتله . وكان فى المُشركين رجل لا يَدَع لنا جريحاً إلا ذفَّف عليه ، فجعل كل واحد منهما يَدْنو من صاحبه . فدعوتُ الله أن يَجْمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضَرْبتين ، فضرب المُشرك أبا دُجانة ، فاتَّقاه بدَرَقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقتله . ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مَفْرِق رأس هِند بنت عُتبة ، ثم عدل السيفَ عنها . قال الزبير: فقلتُ : اللهُ ورسولُه أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة : رأيت إنساناً يَخْمش الناس خَمْشاً شديداً ، فصمدتُ له ، فلما حملتُ عليه السَّيف وَلْول فإذا امرأةٌ ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

مقتل حمزة

وقاتل حمزةُ بن عبد المطَّلب حتى قتل أرطاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم

ابن عبد مناف بن عبد الدّار ، وكان أحد النَّفر الذين يَحْملون اللّواء ثم مرّ به سِباعُ بن عبد العُزّى الغُبْشانى ، وكان يُكنى بأبى نِيار ، فقال له حَمْزة : هلمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظور ـ وكانت أمّه أمّ أنمار مولاة شَريق بن عمرو بن وهب الثّقفى .

(قال ابن هشام : شَريق بن الأخْنس بن شَريق) وكانت خَتّانَةً بمكة ـ فلما التقيا ضَربه حمزةُ فقتله .

قال وَحْشِىّ ، غلامُ جُبير بن مُطْعِم : والله إنى لأنظر إلى حَمْزة يَهُدُّ الناس بسيفه ما يُليق به شيئاً ، مثل الجمل الأوْرق إذ تقدّمنى إليه سِباع بن عبد العُزّى ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظور ، فضَربه ضَربة ، فكأنّ ما أخْطأ رأسَه ، وهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضِيتُ منها دفعتُها عليه ، فوقعت فى ثُنّته حتى خرجتْ من بين رِجْليه ، فأقبل نحْوى ، فغُلِب فوقع ، وأمهلتُه حتى إذا مات جِئت فأخذت حَرْبتى ، ثم تنحّيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

وحشى يحدث الضمرى وابن الخيار عن قتله حمزة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفَضْل بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث عن سُليمان بن يَسار عن جَعْفر بن عمرو بن أُمية الضَّمْرى قال : خرجتُ أنا وعُبيد الله بن عدىّ بن الخيار ، أخو بنى نَوْفل بن عبد مناف ، فى زمان مُعاوية بن أبى سُفيان ، فأدْرَبْنا مع الناس ، فلما قَفَلنا مَرَرْنا بحِمْص ـ وكان

وَحْشِىّ ، مولى جُبير بن مُطعم ، قد سَكَنها ، وأقام بها ـ فلمَّا قَدِمْناها ، قال لى عُبَيد الله بن عَدِىّ : هل لك فى أن نأتى وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئتَ . فخرجْنا نسأل عنه بِحِمْص ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحياً تجدَا رجلا عربياً ، وتجدا عنده بعضَ ما تُريدان ، وتُصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض مايكون به ، فانصرفا عنه ودَعاه . قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طُنفسة له ، فإذا شيخٌ كبير مثل البُغاث .

— قال ابن هشام : البُغَاثُ : ضرب من الطير إلى السواد .

فإذا هو صاحٍ لا بأس به . قال : فلما انتهينا إليه سلَّمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عُبيد الله بن عدىّ ، فقال : ابنٌ لعدىّ بن الخيار أنت ؟ قال : نعم ، قال : أما والله ما رأيتُك منذ ناولتُك أمَّك السعديَّة التى أرضعتك بذى طُوَى ، فإنى ناولتُكها وهى على بعيرها ، فأخذَتْك بعُرْضَيْك ، فلمعتْ لى قدماك حين رفعتُك إليها ، فوالله ماهو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتُهما . قال : فجلسنا إليه ، وقلنا له : جئناك لتحدّثنا عن قتْلك حمْزة ، كيف قتلتَه ؟ فقال : أما إنى سأحدّثكما كما حدّثت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك ، كنتُ غلاماً لجبير بن مُطعم ، وكان عمُّه طُعَيْمة بن عدىّ قد أُصيب يومَ بدر ، فلمَّا سارت قُريشٌ إلى أحد ، قال لى جُبير : إن قتلتَ حمزة عمّ محمد بعمِّى فأنت عتيق . قال : فخرجتُ مع الناس ، وكنتُ رجلا حبشياً أقذف

بالحَرْبة قَذْفَ الحبشة ، قلّما أُخطِئ بها شيئاً ؛ فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزة وأتبصّره ، حتى رأيته فى عُرْض الناس مثل الجمل الأَوْرَق ، يَهُدُّ الناس بسيفه هذًّا ، مايقُوم له شىء ، فوالله إنى لأَتهيَّأُ له ، أُريده وأستتر منه بشجرة أو حجَر ليَدْنو منى إذ تقدمنى إليه سباعُ بن عبدالعُزّى ؛ فلمّا رآه حمْزة قال له: هلُمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظور . قال : فضربه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه . قال : وهززتُ حَرْبتى ، حتى إذا رَضيتُ منها ، دفعتُها عليه ، فوقعت فى ثُنّته ، حتى خرجتْ من بين رجْليه ، وَذهب لينُوء نحوى ، فغُلِب ، وتركتُه وإياها حتى مات ، ثم أتيتُه فأخذتُ حَرْبتى ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدتُ فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلتُه لأُعتق . فلما قَدِمتُ مكةَ أُعْتِقتُ ، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ هربتُ إلى الطّائف ، فمكثت بها ، فلما خَرج وفدُ الطّائف إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليُسلِموا تعيَّت علىّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشأم ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنى لفى ذلك من همّى ، إذ قال لى رجل : ويحك ! إنه والله ما يقتُل أحداً من الناس دخَل فى دينه ، وتشهّد شهادته .

وحشىّ بين يدى الرسول يسلم

فلما قال لى ذلك ، خرجتُ حتى قَدِمتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بى قائماً على رأسه أتشهّد بشهادة الحقّ ؛ فلما رآنى قال : أوحشىّ ؟ قلت : نعم يارسول الله . قال : اقعُد فحدثنى كيف قتلتَ حمزة، قال : فحدّثته كما حدثتكما ، فلما فرغتُ من حديثى قال : وَيحك ! غَيِّب عنى

. . . .

وجهك ، فلا أرَيَنَّك . قال: فكنتُ أتنكَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يَرانى ، حتى قَبَضه الله ـ صلى الله عليه وسلم .

قتل وحشيّ لمسيلمة

فلما خرج المُسلمون إلى مُسَيلمة الكذّاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخَذْت حَرْبَتى التى قتلتُ بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مُسيلمة الكذاب قائماً فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأْت له ، وتهيَّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كِلانا يُريده فهززتُ حَرْبَتى حتى إذا رَضيت منها دفعتُها عليه ، فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصارىّ فضربه بالسيف ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله ، فإن كنت قتلتُه ، فقد قتلتُ خيرَ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلتُ شر الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل ، عن سُلَيْمَانِ بن يَسَارٍ ، عن عبدِ الله بن عُمَر بن الخَطَّاب ، وكان قد شَهِد اليمامة ، قال : سمعت يومئذٍ صارخاً يقول : قَتله العبدُ الأسود .

خلع وحشيّ من الديوان

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشياً لم يزل يُحَدُّ فى الخمر حتى خُلِع من الديوان ، فكان عمرُ بن الخطَّاب يقول : قد علمتُ أن الله تعالى لم يكُن ليَدَع قاتل حَمْزَة .

مقتل مصعب بن عمير

قال ابن إسحاق : وقاتل مُصْعَبُ بن عُمَير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِل ، وكان الذى قتله ابن قَمِئَةَ اللَّيثى ، وهو يَظُن أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرَجع إلى قُريش فقال : قتلتُ محمداً . فلما قتِل مُصْعَب ابن عُمير أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللِّواءَ علىَّ بنَ أبى طالب ، وقاتل علىّ بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مَسْلمة بن عَلْقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يومَ أُحد ، جلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحتَ راية الأنصار ، وأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضوان الله عليه : أن قَدّم الرايةَ . فتقدّم علىّ ، فقال : أنا أبو الفُصَم ، ويقال : أبو القُصَم ، فيما قال ابن هشام — فناداه أبو سَعْد بن أبى طَلْحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أنْ هل لك يا أبا القُصَم فى البراز من حاجةٍ ؟ قال : نعم . فبرزَ بين الصَّفَّيْن ، فاختلفا ضَرْبتين فضرَبه علىّ فصرَعه ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهز عليه ؛ فقال له أصحابُه : أفلا أجْهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعَوْرته ، فعَطَفَتْنى عنه الرّحم ، وعرفتُ أن الله عزّ وجلّ قد قتله .

ويقال : إنّ أبا سعد بن أبى طَلْحَةَ خرج بين الصَّفَّين ، فنادى أنا قاصمْ مَنْ يُبارز برازاً ، فلم يخرجْ إليه أحدٌ . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم فى الجنّة ، وأن قتلانا فى النار ، كذبْتم واللات ! لو تعلمون ذلك

حقًّا لخرج إلىّ بعضُكم ، فخرج إليه علىّ بن أبى طالب ، فاختلفا ضَرْبتين . فضربه علىّ فقتله .

قال ابن إسحاق : قتل أبا سَعْد بن أبى طلحة سعدُ بن أبى وقّاص .

شأن عاصم بن ثابت

وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقْلح . فقتل مُسافع بنَ طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة كلاهما يُشْعِره سَهْماً . فيأتى أُمَّه سُلافَة . فيضع رأسه فى حجْرها فتقول : يا بُنىّ . من أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا حين رَمانى وهو يقول : خُذْها وأنا ابن أبى الأقْلح . فنذرتْ إن أمْكنها الله من رأس عاصم أن تَشرب فيه الخمر . وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشْركا أبداً . ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إنّ على أهْلِ اللِّواء حَقّاً ... أن يَخْضِبوا الصَّعْدة أو تَنْدَقّا

فقتله حمزةُ بن عبد المطلب .

حنظلة غسيل الملائكة

والتقى حَنْظلة بن أبى عامر الغَسيل وأبو سفيان ، فلما استَعْلاه حَنْظلةُ ابن أبى عامر رآه شدّاد بن الأسود ، وهو ابن شَعوب ، قد علا أبا سفيان . فضربه شدّاد فقتله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعنى

حنظلة لتُغسّله الملائكة . فسألوا أهلَه ما شأنُه ؟ فسئلت صاحبته عنه . فقالت: خرَج وهو جُنُب حين سَمِع الهاتفة .

— قال ابن هشام : ويقال : الهائعة . وجاء فى الحديث : خيرُ النَّاس رجلٌ مُمسك بعنان فَرسه ، كلما سمع هَيْعة طار إليها . قال الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائى ، والطِّرِمَّاح : الطويل من الرجال :

أنا ابن حُماة المَجْد من آلِ مالك ... إذا جَعلَتْ خُورُ الرّجال تَهِيعُ

(والهَيْعة : الصَّيحة التى فيها الفزع) .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة .

شعر الأسود فى قتلهما حنظلة وأبا سفيان

(قال ابن إسحاق) : وقال شَداد بن الأسود فى قَتْله حنظلة :

لأَحْمِيَنَّ صاحبِي ونَفْسى ... بطَعْنة مثلِ شُعاع الشَّمسِ

وقال أبو سُفيان بن حَرْب ، وهو يذكر صَبْره فى ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شَعُوب إيَّاه على حَنْظَلَةَ :

ولو شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيتٌ طِمِرَّةٌ ... ولم أَحْمِل النَّعْماء لابن شَعُوبِ

وما زال مُهْرِى مَزْجرَ الكلبِ منهمُ ... لدُنْ غُدْوَةً حتى دنَتْ لغُروب

أقاتِلُهُمْ وأَدَّعِى يالَغالِبِ ... وأدْفَعُهمْ عنى برُكْن صَلِيب

. . . .

فبكّى ولا تَرْعَى مَقَالَةَ عاذِلٍ ولا تَسْأمِى من عَبْرة ونحِيب

أباكِ وإخواناً له قد تَتابَعوا وحُقَّ لهم من عَبْرة بنَصِيب

وسَلَّى الذى قد كان فى النَّفس أنَّنِى قَتَلْتُ من النَّجّار كُلَّ نَجيب

ومن هاشمٍ قَرْماً كريماً ومُصْعَباً وكان لَدَى الهَيْجاء غير هَيُوب

ولو أننى لم أشْفِ نفسىَ منهمُ لكانت شجاً فى القَلب ذات نُدُوب

فآبوا وقد أوْدى الجلابيبُ منهمُ بهم خَدَبٌ من مُعْطِبٍ وكَئيب

أصابهم مَن لَمْ يكُن لدمائهم كِفاء ولا فى خُطَّة بضَرِيب

شعر حسان فى الرد على أبى سفيان

فأجابه حسَّان بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ذَكَرْتَ القُرومَ الصِّيدَ من آل هاشمٍ ولَسْتَ لزُورٍ قُلْتَه بمُصِيبِ

أتعجَب أن أقصَدْتَ حمزةَ منهمُ نجيباً وقد سَمَّيْتَه بنَجيب

ألم يقتُلوا عَمراً وعُتْبة وابنَه وشَيْبة والحجَّاج وابنَ حَبيب

غداةَ دَعا العاصِى علياًّ فَراعَه بضَرْبة عَضْب بَلَّه بخَضِيبِ

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شَعُوب يذكُر يدَه عند أبى سُفيان فيما دفع عنه ، فقال :

ولولا دِفاعى يا ابن حَرْب ومَشْهَدِى لأُلْفيت يوم النَّعف غيرَ مُجيبِ

ولولا مَكَرِّى المُهْرَ بالنَّعف قَرْقرت ضِباعٌ عليه أو ضِراء كَلِيب

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق .

شعر الحارث في الرد على أبي سفيان أيضاً

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سُفيان :

جَزَيتهم يوماً ببَدْر كِمثْله ... على سابح ذى مَيْعَةٍ وشَبِيبِ
لَدَى صَحْن بَدْرٍ أو أقمت نوائحاً ... عليك ولم تَحْفِل مُصاب حَبِيب
وإنَّك لو عاينتَ ما كان منهمُ ... لأبْتَ بقَلْب ما بقيتُ نَخِيب

قال ابن هشام : وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظنّ أنه عرّض به فى قوله :

وما زال مُهرى مَزْجَرَ الكَلْب منهم

لِفرار الحارث يوم بدر .

حديث الزبير عن سبب الهزيمة

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نَصرَه على المسلمين وصدَقهم وَعْدَه ، فحسُّوهم بالسيوف حتى كَشَفوهم عن العَسْكر ، وكانت الهزيمة لاشكّ فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيتنى أنظرُ إلى خَدَم هِنْد بنت عُتبة وصَواحبها مشمَّرات هوارب ، ما دون أخْذهن

قليلٌ ولا كثيرٌ إذ مالت الرّماةُ إلى العسكر ، حين كَشَفنا القومَ عنه وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا مِن خَلْفنا ، وصَرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصَبْنا أصحابَ اللِّواء حتى ما يَدْنو منه أحدٌ من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ : أزبّ العقبة ، يعنى الشيطان .

شجاعة صؤاب وشعر حسان فى ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن اللِّواء لم يزل صَريعاً حتى أخَذَتْه عَمْرة بنت عَلْقمة الحارثيَّة ، فرفعته لقُريش ، فلاثُوا به . وكان اللِّواء مع صؤاب ، غلامٌ لبنى أبى طَلْحة ، حبشىٌّ وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قُطِعت يداه ، ثم بَرك عليه ، فأخذ اللواء بصَدْره وعُنقه حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهمّ هل أعْزرت — يقول : أعذرت — فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

فَخَرتُم باللِّواء وشَرُّ فَخْرٍ ... لواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤابِ

جعلتم فَخرَكم فيه بعَبْدٍ ... وألأم مَنْ يَطا عَفَر التراب

ظننتم ، والسَّفيه له ظُنونٌ ... وما إن ذاك من أمر الصَّوابِ

بأنّ جِلادنا يومَ التقَيْنا ... بمكّةَ بَيْعُكم حُمْر العِيابِ

أقرّ العينَ أن عُصِبت يدَاه ... وما إن تُعْصَبان على خِضابِ

قال ابن هشام : آخرُها بيتاً يُروى لأبى خراش الهُذلىّ ، وأنشدنيه له خَلَفٌ الأحمر :

أقرّ العينَ أن عُصبت يدَاها وما إن تُعصبان على خِضاب

فى أبيات له . يعنى امرأته . فى غير حديث أُحد . وتروى الأبيات أيضاً لمَعْقل بن خُوَيلد الهُذلىّ .

شعر حسان فى عمرة الحارثية

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت فى شأنَ عَمْرة بنت عَلقمة الحارثيَّة ورَفْعها اللِّواء :

إذا عَضَلٌ سِيقَتْ إلَيْنا كأنها جِدَايةُ شِرْكٍ مُعْلَمَاتِ الحواجبِ

أقَمْنا لهم طَعْناً مُبِيراً مَنَكِّلا وحُزْناهم بالضَّرْب من كلّ جانب

فلَوْلا لِواء الحارثيَّة أصبَحُوا يُباعون فى الأسواق بيع الجلائب

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له .

ما لقيه الرسول يوم أُحد

قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصابَ فيهم العدوّ ، وكان يومَ بلاء وتَمْحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لِشقِّه ، فأُصيبت رَباعِيَتُه ، وشُجّ فى وجهه ، وكُلمت شَفته ، وكان الذى أصابه عُتْبة ابن أبى وقَّاص .

قال ابن إسحاق : فحدّثني حُميد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

كُسِرَتَ رَبَاعِيَةُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ، وشُجَّ في وجهه ، فجعل الدمُ يَسيل على وجهه ، وجعل يَمْسح الدم وهو يقول : كيف يُفلح قَوْم خَضَبوا وجه نبيِّهم ، وهو يدْعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾.

قال ابن هشام : وذكر رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبي سَعيد الخُدْريّ عن أبيه ، عن أبي سَعيد الخُدْريّ : أن عُتبة بن أبي وقَّاص رمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكَسَر رَباعيته اليُمْنى السُّفلى ، وجرح شفته السُّفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجَّه في جَبْهته ، وأن ابن قَمِئَة جَرح وَجْنته فدخلت حَلقتان من حَلَق المغفر في وَجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حُفْرة من الحُفَر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المُسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ عليّ بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورَفعه طَلحة ابن عُبيد الله حتى استوَى قائماً ، ومصَّ مالك بن سِنَان ، أبو أبي سعيد الخُدري ، الدمّ : عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدرده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مَسّ دمي دمَه لم تُصبه النار .

قال ابن هشام : وذكر عبدُ العزيز بن محمد الدَّراوردي : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : من أحبَّ أن يَنظُر إلى شهيد يَمْشي على وجه الأرض فلينْظر إلى طَلْحة بن عُبيد الله .

وذكر ، يعني عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِي ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن أبي بكر الصدّيق : أن أبا عُبيدة بن الجرّاح نَزَع إحدى الحَلْقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثَنِيَّتُه ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيّته الأخرى ، فكان ساقطَ الثَّنِيَّتين .

شعر حسان في عتبة وما أصاب به الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت لعُتبة بن أبي وقّاص :

إذَا اللهُ جازَى مَعْشَراً بفِعالِهم ... وَضَرَّهم الرَّحمَن ربّ المَشارِقِ

فأخْزاكَ ربي يا عُتَيْبَ بن مالكٍ ... ولقَّاك قَبْل الموت إحدى الصَّوَاعق

بَسَطْتَ يميناً للنَّبيّ تَعَمُّداً ... فأدْميت فاهُ ، قُطِّعَت بالبَوارق

فهلاّ ذكرتَ اللهَ والمَنْزِل الذي ... تَصِير إليه عند إحدى البوائق

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقْذع فيهما .

ابن السكن وبلاؤه يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين غَشِيَه القومُ : مَن رجلٌ يَشْري لنا نفسه ؟ كما حدثني الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد بن السَّكَن في نفر خمسة من الأنصار — وبعضُ الناس يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن — فقاتلوا دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، رجلا ثم رجلا ، يُقتَلون دونه ،

حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فِئةٌ من المُسلمين ، فأجهَضُوهم عنه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أدنُوه منى ، فأدنَوْه منه ، فوسَّده قدَمه ، فمات وخدُّه على قَدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث أم سعد عن نصيبها فى الجهاد يوم أحد

قال ابن هشام : وقاتلت أمّ عُمارة ، نُسيبة بنت كعب المازنيَّة يوم أُحد .

فذكر سَعيد بن أبى زيد الأنصارىّ : أن أم سعد بنت سَعْد بن الرَّبيع كانت تقول : دخلتُ على أم عُمارة ، فقلت لها : ياخالة ، أخْبرينى خَبرك ، فقالت :خرجتُ أوّل النهار وأنا أنظرُ ما يَصْنع الناس ، ومعى سِقاء فيه ماء ، فانتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى أصحابه ، والدولةُ والريح للمُسلمين . فلما انهزم المُسلمون ، انحزتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقُمْت أُباشر القِتال ، وأذبّ عنه بالسّيف ، وأرْمى عن القَوْس ، حتى خَلَصت الجراحُ إلىّ . قالت : فرأيتُ على عاتقها جُرحًا أجْوَفَ له غَوْر ، فقلت : من أصابك بهذا؟ قالت : ابن قَمِئَة ، أقمأه الله ! لما ولى الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلونى على محمد ، فلا نَجَوْتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ومُصْعَبُ بن عُمَيْر ، وأناسٌ ممّن ثَبَت مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضَّربةَ ، ولكن فلقد ضَربته على ذلك ضَربات ، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرْعان .

أبو دجانة وابن أبي وقاص يدفعان عن الرسول

قال ابن إسحاق : وتَرّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَانَةَ بنفسه ، يقع النَّبلُ فى ظهره ، وهو مُنحنٍ عليه ، حتى كُثر فيه النَّبلُ . ورمى سعدُ بن أبى وقَّاص دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد: فلقد رأيتُه يُناولنى النَّبل وهو يقول : ارمِ ، فِداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السَّهم ماله نَصْل . فيقول : ارمِ به .

بلاء قتادة وحديث عينه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَمى عن قَوْسه حتى اندقَّت سِيَتُها ، فأخَذها قَتَادة بن النُّعْمَانِ ، فكانت عنده ، وأُصيبت يومئذ عينُ قَتادة بن النُّعمان ، حتى وقعت على وَجنْته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَدَّها بيده ، فكانَتْ أَحْسَنَ عَيْنيه وأَحدَّهما .

شأن أنس بن النضر

قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدىّ ابن النجَّار ، قال : انتهى أنسُ بن النَّضر ، عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطَّاب ، وطلحة بن عبيد الله ، فى رجال من المُهاجرين والأنصار ، وقد ألقَوْا

بأيديهم ، فقال : ما يُجاسكم ؟ قالوا : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فماذا تَصْنعون بالحياة بعده ؟ (قوموا) فمُوتوا على ما مات عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القومَ ، فقاتل حتى قُتل ؛ وبه سمّى أنس بن مالك

قال ابن إسحاق : فحدثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذ سَبعين ضربة ، فما عَرفه إلا أختُه ، عرفته ببَنانه .

ما أصاب ابن عوف من الجراحات

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أُصيب فُوه يومئذ فهُتِم ، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضُها فى رِجله فعَرج.

أول من عرف الرسول بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وكان أوّل من عَرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقولِ الناس : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لى ابنُ شهاب الزهرىّ كعبُ بن مالك ، قال : عرفت عينيه تَزْهران من تحت المِغْفر ، فناديتُ بأعلى صَوتى : يامعشَر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصِت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المُسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهضوا به ، ونَهض معهم نحو الشِّعب ، معه أبو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطَّاب ، وعلىّ بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوّام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصِّمة ، ورهْط من المسلمين .

. . . .

قتل محيصة اليهودى

مُحَيِّصَةُ بن مسعود كان أصغر من أخيه حُوَيِّصة، لكن سبقه إلى الإسلام، كما ذكر ابن إسحاق، وشهد أُحُداً والخَنْدَق، وأرسله النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى أهلِ فَدَك يدعوهم إلى الإسلام، وهو الذى استَفْتَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ـ فى أُجْرةِ الحَجَّام، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: بعد ما ألح عليه فى المَسْأَلَة: اعْلِفه نَاضِحَكَ واجْعَلْه فى كَرِشِكَ، وذلك أن أبا طِيبَةَ الحَجَّامَ[1]، كان عَبْداً له، وقد تقدم اسمُ أبى طِيبَة.

وقوله: مابين بُصرَى ومَأْرب. بُصْرَى بالشام، ومأرِبُ باليَمَن، حيث كان السَّدُّ، ومأرِب: اسم قَصْرٍ كان لسَبَأ. وقال المسعودى: مأرِبُ اسمٌ كُلِّ مَلكَ وَلِىَ أَمْرَ سَبَأ، كَخَاقَان فى التُّرك، وكِسْرى فى الفُرْس وقَيْصر فى الرُّومَ، والنَّجاشِيِّ فى الحَبَشة.

وحُوَيِّصَةُ[2]: تَصغير حَوْصَة من حُصْتُ الثَّوْبَ إذا خِطْتَه.

وفى حديثهما ذكر سُنَينَةَ المقتولِ، كأنه تَصغير سِنٍّ. وقال ابن هشام فى اسمه: سُبَيْنَة بالباء كأنه مصغر تصغير الترخيم من سَبَنِيَّة، قال صاحب العين: السَّبَنِيَّة ضَرْبٌ من النبات، وأما شُنَيْنَةُ بالشين المنقوطة. فوالد

---

(١) فى الصحيحين أنه حجم رسول الله «ص».

(٢) ضبط القاموس الإسمين بقوله: وحويصة ومحيصه ابنا مسعود مشددتى الصاد صحابيان. وضبطا بفتح الصاد.

. . . .

صِقْلَابِ بن شُنْبَيْنَة[١] قرأ على نافِعِ بن أبي نعيم ، وقال : قال لي نافعٌ : ياصِقْلَابُ بين النون عند الحاء والخاء والعَيْنِ والغَيْنِ والهاء والألِف .

غزوة أحد

فضل أحد :

وَأُحُدٌ الجبلَ المعروفُ بالمدينة ، سُمِّي بهذا الاسم لتوحُّدِه وانقطاعِه عن جِبَالٍ أُخَرَ هُنَالِكَ ، وقال فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه[٢] ، وللعلماء في معنى هذا الحديث أقوالٌ . قيل أراد أهلَه ، وهم الأنصَارُ ، وقيل أرَادَ أنه كانَ يُبشِّره إذا رآه عند القُدوم من أسفاره بالقُرْب من أهله ولقائهم ، وذلك فعل المُحِبِّ ، وقيل : بل حُبُّه حَقِيقَةٌ ، وُضع الحبُّ فيه كما وُضع التسبيحُ في الجِبَالِ المُسَبِّحَة مع دَاود ، وكما وُضِعَتْ الخَشْيَةُ في الحِجارة التي قال الله فيها : ﴿ وإنَّ مِنْها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله ﴾ وفي الآثار المُسْنَدة أن أُحُداً يوم القيامة عند باب الجنة مِنْ داخِلها ، وفي بعضها أنه رُكْنٌ لبَابِ الجَنَّةِ[٣] ، ذكره ابن سَلّام في تفسيره ، وفي المُسْنَد من طريق

---

(١) هو في القاموس : سقلاب — بالسين — القارىء المصري .

(٢) رواه الشيخان والترمذي وأحمد والطبراني ، وفي رواية للبخاري بيان أن ذلك كان عند القدوم من خيبر ولفظ رواية ابن شبة أنه — أي أنس — أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فلما بدا لهم أحد قال الحديث . ولكن في رواية أخرى البخاري أن ذلك كان في رجوعه « ص » من الحج ، وقيل : وهو عائد من غزوة تبوك .

(٣) رواه أبو يعلى والطبراني ، وبلغ من ضعفه أن يقول السيوطي عنه إنه ضعيف

. . . .

أبي عبس بن جَبْر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أُحُدٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه ، وهو على باب الجنة ، قال : وعَيْرٌ يُبْغِضُنا ونُبْغِضُه ، وهو على باب من أبواب النار[١] ، ويُقَوِّيه قوله صلى الله عليه وسلم : المرء مع مَنْ أَحَبَّ[٢] ، مع قوله : يُحِبُّنَا ونُحِبُّه ، فتناسبت هذه الآثارُ ، وشدَّ بعضُها بعضاً .

مشاكلة اسم الجبل لأغراضه التوحيد :

وقد كان عليه السلام يحب الاسمَ الحَسَنَ ولا أحْسَنَ من اسمٍ مُشْتَقَّ من الأَحَدِّية ، وقد سَمَّى اللهُ هذا الجبل بهذا الاسم ، تَقْدِمَةً لما أرادهُ سُبْحَانه من مُشَاكَلَةِ اسمِه ، ومعناه ، إذ أهلُه وهم الأنصارُ نَصَرُوا التوحيدَ والمبعوثَ بدين التَّوحيد ، عنده استقر حَيًّا ومَيِّتاً ، وكان من عادته عليه السلام أن يَسْتَعْمِلَ الْوِتْرَ ويُحِبُّه في شأنه كلِّه اسْتِشْعَاراً للأَحَدِّية[٣] ، فقد وافق اسم هذا الجبل لأغراضِه عليه السلام ومقاصدِه في الأسماء ، فقد بَدَّل كثيراً من الأسماء استقباحاً لها من أسماءِ البِقاع وأسماء الناس ، وذلك لا يُحْصَى كَثْرَةً ؛ فاسمُ هذا الجبلِ من أوْفَقِ الأسماءِ له ، ومع أنه مُشْتَقٌّ من الأحَدِّيةِ ، فحركاتُ حُروفِه

---

(١) رواه الطبرى فى الأوسط ، وكذلك قال عنه السيوطى إنه ضعيف .

(٢) متفق عليه .

(٣) أظنه يقصد المصدر الصناعى من أحد ، لا الأحدية التى يتكلم عنها الصوفية ، وهى الوجود الإلهى المجرد عن الأسماء والصفات . وقد وفيته بحثا فى كتابى « هذه هى الصوفية » ، وفيه أن الأحدية الصوفية لا تنتسب إلى الحق من دين الله .

. . . .

الرَّفْعِ ، وذلك يُشْعِر بارتفاع دينِ الأَحَدِ ، وعلوِّه ، فتعلَّق الحبُّ من النبي صلى الله عليه وسلم به اسماً ومُسمًّى ، فَخُصَّ من بين الجبال بأن يكون معه في الجنة ، إذا بُسَّتِ الجبالُ بَسًّا ، فكانت هَبَاءً مُنْبَثًّا(١) وفي أُحُدٍ قبرُ هارون أخي موسى عليهما السلام ، وفيه قُبِضَ ، وثَمَّ واراه موسى عليه السلامُ ، وكانا قد مَرَّا بأحُدٍ حاجَّين ، أو مُعْتَمِرين ، روى هذا المعنى في حديث أسنده الزُّبَيرُ عن رسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — في كتاب فضائل المدينة(٢) .

وذكر ابن إسحاق مَسِيرَ قُرَيْشٍ بالظُّعُنِ النَّاسَ الحفِيظة ، والحَفِيظَة . الغَضَبُ لِلحُرَمِ ، ويقال أحْفِظَ الرَّجلُ إذا أُغْضِب .

---

(١) رواية أنه معه في الجنة رواية واهية ساقطة .

(٢) رواه ابن أبي شبة وابن زبالة ، وفي متنه دليل سقوطه . فقد روى أن موسى وهارون خرجا حاجين أو معتمرين ، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهود ، فنزلا أحد وهارون مريض ، فحفر له موسى قبرا بأحد ، وقال : يا أخي أدخل فيه ، فإنك ميت ، فدخل فيه فلما دخل قبضه الله ، فحثا موسى عليه التراب . . كيف يجرؤ موسى على الحكم بموت أخيه ؟ لا يجوز إسناد هذا البغي على الله إلى نبي . ويقول السمهودي : بأحد شعب عرف بشعب هارون يزعمون أن قبر هارون عليه السلام في أعلاه ، وهو بعيد حساً ومعنى ، وليس ثم ما يصلح للحفر وإخراج التراب . وقال في الفتح عن سند الزبير للحديث وسند الزبير في ذلك ضعيف جدا من جهة شيخه ابن زبالة ، ومنقطع ، وليس بمرفوع وفي النور عن ابن دحية أنه باطل بيقين إنما مات في موضع على ساعة من مدينة جبلة من مدن الشام . وقيل إن قبر هارون بجبل مشرف قبلي بيت المقدس كما ذكر ياقوت في كتابه المشترك . وفي الأنوار أنه مات في التيه .

. . . .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فصلٌ : وذكر رُؤْيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بَقَراً تُنْحَر حوله ، وثَلْمَةً فى سَيْفه وفى غير السيرة قال رأيت بقراً تُنْحَر والله خَيْرٌ ، فأَوَّلْتُ الخير ماجاء الله به من الخير يَوْمَ بَدْر ، وقد كانت بَدْرٌ قَبْل أُحُدٍ ، ولكن نفع اللهُ بذلك الخير الذى كان فى يوم بدرٍ ، وكان فيه تَأْسِيَةٌ وتَعْزِيةٌ لهم ، فلذلك تَضَمَّنَتْه الرؤيا بقول الله تعالى ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قد أَصَبْتُم مِثْلَيْها﴾ وفى البخارى : ما جاء الله به من الخير بعد بَدْرٍ . وفى مُسْلِمٍ : وإذا الخيرُ ماجاء الله به بعدُ وثوابُ الصِّدْق الذى أتانا اللهُ به يوم بَدْرٍ ، وهذه أَقَلُّ الرِّوايات إِشْكَالا .

« قال المؤلف » أبو القاسم [السهيلى] : أمَّا البقرُ فعبارة عن رجال مُسَلَّحِينَ يَتَنَاطَحُون وقد رأت عائشةُ ـ رضى الله عنها ـ مثلَ هذا ، فكان تأويلُه قتلَ مَن قُتِل معها يوم الجَمَلِ .

وقوله : واللهِ خَيْرٌ ، أى : رأيت بقراً تُنْحَر ، ورأيت هذا الكلامَ ، لأن الرَّائىَ قد يُمَثَّل له كلامٌ فى خَلَدِه ، فيراه بوَهْمِه ، كما يرى صورة الأشياء ، ومَنْ خَبَرَ أحوال الرُّؤيا عَرَف هذا من نفسه ، ومِنْ غيرِه ، لكنَّ الصُّوَرَ المَرْئِيَّةَ فى النوم تكون فى الغالب أمثالا مَضْروبةً ، وقد تكون على ظاهرِها ، وأما الكلام الذى يسمعه بسَمْعِ الوَهْم مُمَثَّلاً فى الخَلَد ، فلا يكون إلا على ظاهرِه ، مثل أنْ يَسْمَعَ : أنْتَ سالمٌ أو اللهُ خَيْرٌ لك ، أو ما أَشْبَهَ هذا من الكلام ، فليس له معنىً سوى ظاهره .

وذكر أن فَرَساً ذَبَّ بَذَنَبِه ، فأصاب كُلَّابَ سَيْفٍ فاسْتَلَّه . قال

. . . .

ابن هشام: كُلَّاب السَّيْفِ هى الحديدةُ المَعْقُوفَةُ ،وهى التى تلى الغِمْدَ ، وفى كتاب العين : الكَلْب مِسْمار فى قائم السيف .

الفأل والطيرة :

قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ الفَأْلَ ، ولا يَعْتافُ ، يفتالُ يَفْتَعِلُ من العِيافَةِ . وظاهر كلامِه أن العِيافَةَ فى المَكْرُوه خاصَّةً ، والفأل فى المحبوب، وقد يكون فى المكروه ،والطِّيَرة تكون فى المحبوب والمَكْرُوه ، وفى الحديث أنه نَهَى عن الطِّيَرَة ، وقال : خَيْرُها الفَأْلُ ، فَدلَّ على أنها تكون على وُجُوهٍ والفألُ خَيْرُها[1] . ولفظُها يُعْطِى أنها تكون فى الخَيْرِ والشَّرِّ ، لأنها من الطَّيْر ، تقول العرب : جرى له الطائرُ بخَيْر، وَجَرى له بِشَرٍّ ، وفى التنزيل : ﴿ وكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فى عُنُقِهِ ﴾ [2].

وقوله فى هذا الحديث : فإنى أرى السُّيوفَ سَتُسَلُّ اليومِ ، يقوِّى ماقَدَّمناه من التَّوَسُّمِ والزَّجْرِ المصيب ، وأنه غير مكْرُوهٍ[3] لكنه غـــير

---

(١) يقول ابن الأثير « وإنما أحب الفأل . لان الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير ، ولو غلطوا فى جهة الرجاء ، فان الرجاء لهم خير ،وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر ، وأما الطيرة ، فان فيها سوء الظن بالله ، وتوقع البلاء .

(٢) من حديث البخارى ومسلم قوله : « لا طيرة ويعجبنى الفأل الحسن ، قالوا وما الفأل ؟ قال الكلمة الطيبة » .

(٣) يقول الامام ابن الأثير فى مفرداته: والزجر للطير هو التيمن والتشؤم بها والتفؤل بطيرانها كالسانح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة ، والكهانة =

. . . .

مَقطوعٍ به إلّا أنْ يكونَ من كَلام النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وقد قدمنا فيه قولا مُقْنِعاً فى حديث زَمْزَمَ و نُقْرَة الغُرابِ الأَعْصَمِ ، و لِلّهِ فى كُلّ شىء حِكْمَةٌ ، و إِعمَالُ الفكرِ فى الوقوفِ على حِكْمَةِ اللهِ عِبادَةٌ .

المستصغرون يوم أحد :

وذكر الْمُسْتَصْغَرِينَ يومَ أُحُدٍ الذين أرادوا الخروجَ مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فردّ أصغرهم ، منهم الْبَرَاء بن عازِبٍ وَأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْر وزَيْدُ بن ثَابِتٍ إلى آخرهم ، ولم يذكر فيهم عَرَابَةَ بن أوْسِ بن قَيْظِى ، وقد ذكرته طائفةٌ فيهم ، وممن ذكره فيهم الْقُتَبىُّ فى كِتابِ المعارف ، وهو الذى يقول فيه الشَّمَّاخُ :

إذا مارَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ   تَلقّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ [1]

═ كفر . ولست أدرى كيف يربط الإنسان قدره ومصيره بطائر تحركه صدفة نحو اليمين ، وأخرى نحو الشمال ؟ ، وكيف نجعل هذه الصدفة من حياة الإنسان بسمة سعادة وأنة شقاء ؟! وقد أخرج أحمد بسند جيد «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت » وأخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان

(١) ص ١١٢ المعارف لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينورى ط ١٣٠٠ هـ وقد استشهد القتبى ببيت آخر للشماخ هو

رأيت عرابة الأوسى يسمو   إلى الغايات منقطع القرين

وكذلك ذكره الطبرى ، وقد ذكر بيتى الشعر بوضع الخيرات مكان الغايات ص ٥٠٥ ح ٢ ط دار المعارف .

وقد ذكره ابن حبيب فى المحبر من أجواد الإسلام ، وأشراف العميان ص ١٥٥ ، ٢٩٨ . وهو فى الإصابة ابن قيظى .

. . . .

وعَرَابَةَ أخٌ اسمه : كَبَاثَةُ ، له صُحْبَةٌ . ومن الْمُسْتَصْغَرِين يوم أُحُدٍ سَعْدُ بن حَبْتَةَ ، عُرِف بأمّه ، وهى حَبْتَةُ بنت مالكٍ أنصارِيةٌ ، وهو سعد ابن بُجَيْر من بَجِيلَةَ ، ردّه النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — يوم أُحُدٍ لِصِغَرِ سِنِّه ، فلما كان يوم الخَنْدَقِ رآه يقاتل قِتالا شديداً ، فدعاهُ ومَسَحَ على رأسِه ، ودعا له بالبَرَكةِ فى ولده ونَسْله ، فكان عَمَّا لأربعين ، وخالاً لأربعين ، وأباً لعِشْرين ، ومن ولده أبو يُوسُفَ القاضِى يَعْقُوبُ بن إبراهِيمَ بن حَبِيب بن حُبَيْشِ بن سَعْد بن حَبْتَةَ .

حول شعر هند بنت عتبة :

وذكر قول هِنْدٍ بنت عُتْبَةَ :

وَيْهاً بنى عَبْدِ الدَّار

وَيْهاً كلمةٌ معناها الإغراء .

قال الراجز :

وهو إذَا قِيلَ له وَيْهاً فُلُ فإنه مُواشِكٌ مُسْتَعْجِلُ[1]

---

(١) هو فى اللسان غير منسوب هكذا :

وهو إذا قيـل له ويهاً كل فانه مواشك مستعجـل
وهو إذا قيـل له ويهاً فل فانه أحج به أن ينكل

وفل أصلها : يافلان . أى إذا دعى لدفع عظيمة ، فقيل له يافلان نكل ، ولم يجب . وإن قيل له : كل أسرع . ومن العرب من يقول فى التفجع : واهاً وواه أيضاً ووبه ، كلمة تقال فى الاستحثاث .

. . . .

وأمَّا وَاهاً ، فإن معناها التَّعجُّبُ ، وإيهاً معناها : الأَمْرُ بالكَفِّ .

وقولها : إن تُقْبِلوا نُعانِقْ ، فيقال : إنها تَمثَّلَتْ بهذا الرَّجَزِ ، وإنه لهندٍ بنتِ طارِق بن بَياضَة الإيادِيَّة ، قالته في حَرْبِ الفُرْسِ لإياد ، فعلى هذا يكونُ إنشادُه : بناتِ طارِقْ[1] ، بالنصب على الاختصاصِ ، كما قال :

نَحنُ بَنِي ضَبَّةَ أصحابُ الجَمَلْ[2]

وإن كانت أرادَتْ النَّجْم فبناتُ مَرْفُوعٌ ، لأنه خبرُ مبتدأ أي : نحن شَرِيفاتٌ رَفِيعاتٌ كالنجوم ، وهذا التأويلُ عِندى بعيد ، لأن طارقاً وَصْفٌ للنجم لطُرُوقه ، فلو أرادته لقالت : بنات الطارقِ إلاَّ أنى وجدت للزُّبَيْرِ بن أبى بَكْرٍ أنه قال فى كتاب أنسابِ قُرَيْشٍ له أول هذا الرجز الذى قالته هند يوم أحد :

نَحنُ بناتُ طارِقْ نَمْشى على النَّمارِقْ مَشْىَ القَطَا النَّوَاتِقْ

---

(١) فى الرجز : كما ورد فى اللسان :

نحن بنــات طارق نمشــى على النمارق

وقد ضبطت بنات بالرفع باعتبارها خبرا ، وكذلك ضبطت فى الطبرى . ولكنه روى الأبيات هكذا :

نحن بنات طارق إن تقبلوا نعانق
ونبسط النمارق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

ورواه مرة أخرى كما هو فى السيرة غير أنه أخر وقدم .

(٢) البيت فى اللسان فى مادة جمل وفيه بنو بالرفع .

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل الموت أحلى عندنا من العسل

. . . .

إلى آخر الرَّجزِ ، قال : وحدثنى يحيى بن عبد الملك الْهُدَيْرِىّ ، قال : جَلَسْتُ ليلةً وَرَاء الضَّحَّاك بن عُثْمان الْجُذَامِى فى مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وأنا مُتَقَنِّعٌ فذكر الضَّحَّاكُ وأصحابُه قولَ هِنْدٍ يَوْمَ أُحُدٍ : نَحْنُ بناتُ طَارِقٍ ، فقالوا : ماطَارِقٌ ؟ فقلت : النَّجْمُ ، فالتفتَ الضَّحَّاكُ ، فقال : أبا زَكَرِيَّا ، وكيف بذلك ؟ فقلت : قال الله تبارك وتعـــالى : ﴿ والسَّماءِ والطَّارِقِ . وما أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ : فإنها قالت : نحنُ بَنَاتُ النَّجْم ، فقال : أحسنت .

أبودجانة :

وذكر أبا دُجَانَةَ ، ولُبْسَهُ المُشَهَّرَة[1] ، وأبو دُجَانَةَ السَّاعِدى مِمَّن دافع عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحنا عليه يوم أُحُدٍ وتَرَّس عليه بنفسِهِ ، حتى كَثُرَتْ النَّبْلُ فى ظَهْرِه ، واستشهد يوم اليَمَامَةِ ، بعد أن شارك فى قَتْل مُسَيْلِمَةَ ، اشترك فى قتله هو وَوَحْشِيٌّ وعَبْدُ الله بن زَيْد ، وسنذكر ما قاله سَيْف بن عُمَرَ فى قاتل مُسَيْلِمَةَ فى آخرِ الباب إنْ شاء الله .

وذكَرَ قولَ أبى دُجَانَة :

إنِّى امْرُؤٌ عَاهَدَنِى خَلِيلى

---

(١) فى القاموس : « وذو المشهرة أبودجانة سماك بن أوس صحابى كانت له مشاهرة إذا خرج بها يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر » . وقد روى أحمد ومسلم عن أنس قصة السيف وأبى دجانة .

. . . .

يَعْنِي رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك كان أبو هُرَيْرَةَ يقول حدثني خَلِيلي ، وأنكره عليه بعضُ الصَّحَابَةِ ، وقال له : متى كان خليلَك ، وإنما أنكر عليه المُنكِر هذا لقوله عليه السلام : لو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتخذتُ أبا بَكْر خليلا ، ولكن أُخُوة الإسلام وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابيُّ حَدَّثني خليلي ، لأنهم يريدون به معنى الحبيب ، وإنما فيه عليه أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لم يكُن يقولها لأَحدٍ من أصحابه ، ولاخَصَّ بها أحداً دون أن يمنع غيرَه من أصحابه أن يقولها له ، وما كان في قلوبهم من المَحَبَّةِ له يقتضي هذا ، وأكْثَرَ منه ، مالم يكن الغُلُوُّ والقولُ المكروه ، فقد قال عليه السلام : لاتُطْرُوني ، كما أَطْرَتِ النصارى المسيحَ ، فإنما أنا عَبْدُ الله ورسولُه . وقال لرجل قال له : أنت سَيِّدُنا وأَطْوَلنا طَوْلاً[١] ، وأنت الجَفْنَةُ الغَرَّاء ، فقال : « قولوا بقولِكم ، ولايَسْتَجرِيَنَّكُمُ الشَّيطَانُ » . أي : قولوا بقول أهل دينِكم وأهلِ مِلَّتِكُمْ ، كذا فسره الخَطَّابِيُّ ، ومعناه عندي : قولوا بقولِكم ، لابقول الشيطان ، لأنه قد جعلهم جَرِيًّاله[٢] ، أي : وكيلا وَرَسُولا ، وإذا كانوا جَرِيًّاله ، وقالوا : ما يُرْضِيه من الغُلُوِّ في المَنْطِقِ ، فقد قالوابقوله . ويَسْتَجْرِيَنَّكم من قولهم جَرَيْتُ جَرْيًا ، أي : وكَّلت وكيلا . وقال له رجل آخر : أنت أشرفُنا حَسَبًا وأكرمنا أمّا وأبًا ، فقال : كَمْ دُون .

---

(١) حديث لاتطروني رواه الترمذي وغيره ، وحديث أنت سيدنا روى النسائي وأبو داود قريبا منه بسند جيد .

(٢) جرى كغنى الوكيل والرسول والأجير والضامن للواحد والجمع والمؤنث .

. . . .

لسانك من طَبَق ؟ فقال : أربعة أطباق ، فقال : أما كان فيها ما يَرَعُ عنى غَربَ لِسانِك. رواه ابن وَهْب فى جامعه .

وقول أبى دجانة :

ألاَّ أقوم الدهر فى الْـكَيُّول

قال أبو عبيد : الـكَيُّول آخرُ الصفوف، قال: ولم يسمع إلا فى هذا الحديث، وقال الْهَرَوِىُّ مثل ما قال أبو عبيد ، وزاد فى الشّرح ، وقال سُمِّى بكَيُّول الزَّنْد ، وهى سَوَادٌ ودُخان يخرج منه آخراً ، بعد القَدْح إذا لم يُورِ ناراً ، وذلك شىء لاغناء فيه ، يقال منه كال الزَّنْدُ يكُول ، فالْـكَيُّول فَيْعُول من هذا ، وكذلك كَيُّول الصُّفُوفِ لايوقد نارَ الحرب ، ولا يُزْكِيها ، هذا معنى كلامه لا لفظه . وقال أبو حنيفة نحواً من هذا إلا أنه قال : كال الزندَ يكيل بالياء لاغير[1] .

وقوله : رأيت رجلا يَحْمِشُ الناسَ حَمْشاً شديداً ، يروى بالشين وبالسين، فالمعنى بالسين غير مُعْجَمة فى هذا المكان الشِّدّة ، كأنه قال : يشدهم ويُشَجِّعُهم ، لأنه يقال : رجل أحْمَسُ ، أى : شجاع شَدِيد ، والمعنى فيه بالشِّين مُعْجَمَةً ألاَّ يقَادَ والإغضاب ، لأنه يقال أَحْمَشْتُ النارَ أوْقدتُها وحَمَشْتُ الرجلَ ،

---

(١) فى النهاية لابن الأثير . : وقيل : الكيول : الجبان ، والكيول : ما أشرف من الأرض يريد : تقوم فوقه . فتنظر ما يصنع غيرك .

. . . .

وأَحْمَشْتُه : أغضبته ، فيكون أَفْعَلْت من ذلك للإيقاد والاغضاب ، وفَعَلْتُ للإغضاب .

حديث وحشى

قال فيه : فإذا شَيْخٌ كبير ، كالبُغَاثِ ، قال أبو عبيد :البُغَاثُ الطَّيْرُ الذى لا يُصَاد به مثل الرَّخَم ، والحِدَاء ،واحدتُها بِغَاثَة . ويقال: بغاثى وجمعه بَغَاثٌ وبِغْثَانٌ. وقال ابن إسحاق فى رواية يونُسَ عند ذكر البُغَاثُ البُغَاثُ هو ذَكَر الرَّخَم إذا هَرِمَ اسْوَدَّ .

وقول وَحْشِيٍّ لعُبَيْدِ الله : ما رأيتكَ مُنْذُ نَاوَلْتُك أُمَّكَ السَّعْدِيَّة ، ولم يَذْكُرْ اسمها ، وأمّ عُبَيْدِ اللهِ بن عَدِيٍّ هى أم قِتَالٍ بنتُ أبى العِيص بن أُمَيَّة ذكرها البخَارِيُّ فى هذا الخبر ، ولم يقل السَّعْدِيَّةَ فهى إذاً قُرَشِيَّة أُمَوِيَّة لاسَعْدِيَّةَ إلَّا أنْ يريد بها مُرْضِعَتَه إنْ كانت سَعْدِيَّةً ، وأما عُبَيْدُ الله بن عَدِيٍّ ، فُولِدَ فى حياةِ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومات فى خلافة الوليدِ ابن عبدِ الملك ، وله دار بالمدينة عند دار علىٍّ بن أبى طالبٍ ـ رضى الله عنه ـ يَرْوِى عن عُثمان بنِ عفَّانَ ـ رضى الله عنه ـ وغيره ، وله حديثٌ فى المُوَطَّأ فى كتابِ الصلاة .

وقوله : بذى طُوَى : مَوْضعٌ بمَكَّة ، وقد قدمنا الفرق بينه وبين ذى طَوَاء بالهمز والمد ، وبين طُوى بالضَّمِّ والقصر فأغنى عن إعادته هاهنا .

وقول وَحْشِيٍّ : يَهُذُّ الناسَ بسَيْفه ، ما يُلِيقُ شَيْئاً ، مثل الجملِ الأَوْرَق ،

. . . .

يريد - والله أعلم - وُرْقَةَ الغُبَارِ ، وأنه قد نافع[1] به إذ الأَوْرَقُ من الإبل ليس بأقواها ، ولكنه أطيبُها لحماً فيما ذكروا .

وقوله: يَهُذُّ الناسَ، هو بالذال المنقوطة ، ذكره صاحب الدلائل، وفسره من الهَذِّ وهى السُّرْعَةُ[2] وأما الهَذْمُ بالميم ، فسُرْعَةُ القَطْع ، يقال : سَيْفٌ مِهْذَمٌ،والهَيْذَامُ : الكثيرُ الأَكْلِ ، وهو الشُّجَاعُ أيضاً ، وفى الحديث : أكثِروا من ذِكر هاذِمِ اللّذَّات ، يُروى بالذال المنقوطة أى قاطِعِها ، ومما ذكر غير ابن إسحاق فى خَبَرِ وحْشِي ، قال:فخرجت حين قال لى سيدى ماقال، فنظرت فإذا رَجُلٌ عَبْعَبٌ عليه دِرْع قَضَّاءُ وإذا هُو عَلِيٌّ ، فقلت : ليس هذا من شَأْنِى ، وإذا رَجُلٌ حُلَابِسٌ ، أَيْهَمُ غَشَمْشَمٌ يَهُذُّ الناسَ ،كأنه جَمَلٌ أوْرَقُ ، فَكَمَنْتُ له إلى صَخْرَةٍ كأنها فُسْطَاطٌ ، وقلت : هذا الذى أريد ، وهَزَزْتُ حَرْبَةً لى عرَّاصَةً ، فرَمَيْتُه بها ، فأصبتُ ثُنَّتَه ، وذكر باقى الحديث .العَبْعَبُ: الشاب ، والدِّرْع القَضَّاء :المُحْكَمَةُ النَّسج ، والأَيْهَمُ : الذى لايرُدُّه شىء . وفى الحديث : أعوذ بالله من شر الأَيْهَمَيْنِ ، يعنى السَّيْلَ والحَرِيقَ . والعَرَّاصَةُ : التى تَضْطَرِبُ من اللِّين .

وقوله فى قتل مُسَيْلِمَةَ : سبقنى إليه رجل من الأنصار ، وسيأتى ذكر

---

(١) هكذا بالأصل ، والأورق من الجمال هو الذى لونه بين الغبرة والسواد . ويليق شيئا : لا يبقى شيئا ، وهى فى السيرة : ما يقوم له شىء .

(٢) يقول الخشنى : من رواه بالذال فمعناه يسرع فى قطع لحوم الناس بسيفه ،ومن رواه بالدال فمعناه : يهدم ويهلكهم .

. . . .

مُسَيْلِمَةَ ونسبُه ، وَطَرَفٌ من حديثه فى آخر الكتاب . وأما الرَّجُلُ الذى من الأنصار الذى ذكره وَحْشِىٌّ ، ولم يُسَمِّه ابن إسحاق ، فذكر محمد بن عُمَرَ الواقدى - رحمه الله - فى كتاب الرِّدَّةِ ، أن الرجلَ الذى شارك وَحْشِيًّا ، فى قتل مُسَيْلَمَةَ هو عَبْدُ الله بن زَيْدِ بن عَاصِمٍ الْمَازِنِىُّ من الأنصار ، وذكر سَيْفُ بن عُمَرَ فى كتابِ الفتوح أنه عَدِىُّ بن سَهْلٍ ، وأنشد له :

أَلَمْ تَرَ أنى وَوَحْشِيَّهُمْ قَتَلْتُ مُسَيْلِمَةَ الْمُفْتَتَنْ

وَيَسْأَلنِى النَّاسُ عن قتلِه فقلت : ضَرَبْتُ ، وهذا طَعَنْ (١)

فى أبيات له ، وقد ذكرنا قُبَيْلَ هذا الحديث . أن أبا دُجَانَةَ أيضاً شارك فى قتل مُسَيْلَمَةَ ، وذكره أبو عُمَرَ النَّمَرِىّ ، والله أعلم أىَّ هؤلاء الثلاثة أرادَ وَحْشِىّ . وفى رواية يونسَ عن ابن إسحاق زيادةٌ فى إسلام وَحْشِىٍّ ، قال : لما قدم المدينةَ ، قال الناسُ : يارسول الله هذا وَحْشِىٌّ ، فقال : دعوه فَلَإِسْلامُ رجلٍ واحدٍ أحبُّ إلىَّ من قَتْلِ ألفِ رجلٍ كافرٍ .

وذكر قول أبى سعْدِ بن أبى طَلْحَةَ : أنا قاصِمٌ مَنْ يُبَارِزُنى ، فَبَرَزَ إليه عَلِىٌّ ، فقال أبو القُصَم بالقاف ، قاله ابن هِشامٍ ، وهو أصَحُّ ، وإنما قال عَلِىٌّ

---

(١) يقول الحافظ فى الفتح « وأغرب وثيمة فى كتاب الردة . فزعم أن الذى ضرب مسيلمة شن — بفتح الشين وتضعيف النون — بن عبد الله ، وأنشد له . . ثم ذكر البيتين وزاد .

فلست بصاحبه دونه وليس بصاحبه دون شن

ص ٢٩٧ ح ٧ فتح البارى

. . . .

ـ عليه السلام أنا أبو القُصَم ، لقول أبي سَعْدٍ أنا قاصِمٌ مَنْ يُبارِزُني . فالقُصَم : جَمْعُ قَصْمَةٍ ، وهي العَضْلَةُ المُهلِكَةُ ، ويجوز أن يكون جمع القُصْمَى ، أى : الدَّاهية التي تَقْصِم . والدَّواهي القُصَم على وزن الكُبَر ، وهذا المعنى أصح ، لأنه لا يعرف قُصْمَة ، ولكنه لما قال أبو سعد أنا قاصم ، قال علي : أنا أقصم منك ، بل أنا أبو القُصَم ، أى أبو المُعْضِلات القُصَم[1] والدواهي العُظَم ، والقَصْم كسر بِبَيْنُونَةٍ ، والفَصْمُ : كَسْرٌ بغير بَيْنُونَةٍ كَكَسْرِ القضيب الرَّطْبِ ونحوه ، وفي التنزيل : ﴿وكم قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وفيه (لا انْفِصَامَ لها) وقولُ ابن إسحاقٍ : قَتَلَ أبا سَعْدِ بن أبي طَلْحَةَ سعدُ بن أبي وقاص ، كذلك رواه الكَشِّي في تفسيره عن سَعْدٍ ، قال لما كَفَّ عنه عَلِيٌّ طَعَنْتُه في حَنْجَرَتِه ، فَدَلَعَ لِسانَه إلَيَّ ، كما يصنع الكلبُ ثم مات .

وذكر ابن إسحاق أيضاً هذا في غير رواية ابن هشام ، وقول عليٍّ إنه اتَّقَانِي بعَوْرَتِه ، فأذْكَرَني الرَّحِمَ ، فعطَفَتْنِي عليه الرَّحِمُ ، وقد فعلها عَلِيٌّ مرة أخرى يوم صِفِّين ، حَمَل على بِشْر بن أَرْطَاةَ ، فلما رأى أنه مقتول كشف عن عَوْرَتِهِ ، فانصرف عنه ، وَيُرْوَى أيضاً مثلُ ذلك عن عَمْرِو بن العاصِي ، مع عَلِيٍّ ـ رضى الله عنه ـ يوم صِفِّينَ ، وفي ذلك يقول الحارث بن النَّضْرِ السَّهْمِي ، رواه ابن الكلبي وغيره :

---

(١) في اللسان : « قصم بغير تنوين مثل قثم يحطم ما لقى ، قال ابن برى : صوابه : قصم ـ أى بالتنوين ـ مثل قثم في تصرفهما لأنهما صفتان ، وإنما العدل يكون في الأسماء لا غير » .

. . . .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارِسٌ غيرُ مُنْتَهٍ ... وَعَوْرَتُه وَسْطَ العَجَاجَةِ بَادِيَهْ
يَكُفُّ لهَـا عنه عَلِيٌّ سِنَانَه ... وَيَضْحَكُ منه فى الخَلاءِ مُعَاوِيَهْ

عن مقتل حنظلة :

فصل : وذكر مَقْتَلَ حَنْظَلَةَ بن أبى عامرٍ الغَسِيل ، واسم أبى عامر : عَمْرو ، وقيل عَبْد عَمْرو بن صَيْفِي ،وذكر شَدَّادبن الأسْود بن شَعُوب حين قتله ، بعد ما كان علا حَنْظَلَةُ أبا سفيان ليقتلَه ، وذكر الْحُمَيْدِيُّ فى التفسير مكان شَدَّادٍ جَعْوَنَة بن شَعُوب اللَّيْثِيّ ، وهو مولى نافع بن أبى نعيم القارى .

وذكر قولَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ـ إن صاحبَكم لتغسله الملائـكةُ يعنى : حَنْظَلَةَ ، وفى غير السيرة ، قال : رأيتُ الملائـكةَ تغسله فى صِحَافِ الفِضَّةِ بمـاء الْمُزْنِ بين السَّماء والأرْضِ ، قال ابن إسحاقِ ، فسُئِلَتْ صاحبتُه ، فقالت : خَرَجَ وهو جُنُبٌ حين سمع الهاتِفَةَ(١) . صاحبتُه يعنى امرأتَه ، وهى جَمِيلَةُ بنت أبيٍّ بن سَلُولَ أختُ عبدِ الله بن أُبَيٍّ ، وكان ابْتَنَى بها تلك الليلة ، فـكانت عَرُوساً عنده ، فرأت فى النوم تلك الليلة كأن باباً فى السماء فُتِح له فدخله ، ثم أُغْلِق دونَه ، فعلمتْ أنَّه مَيِّتٌ من غدِه ، فدعت رِجَالًا من قومها حين أصبحتْ فأشْهَدَتْهُم على الدُّخُول بها خَشْيَةَ أن يكون فى ذلكِ نِزَاعٌ ، ذكره الواقدى فيما ذُكِر لى ، وذَكَر غيرُه أنه الْتُمِسَ فى القَتْلى ، فوجدوه

---

(١) يقول الخشنى : الهاتفة : يعنى الصيحة ،ويروى الهائعة مأخوذ من الهياع وهو الصياح ، وفى الإصابة الهامعة ولعله خطأ .

. . . .

يَقْطُرُ رأسُه ماءً ، وليس بِقُرْبِه ماءٌ تَصْدِيقاً لما قاله الرسولُ الله صلى الله عليه وسلم[1] ، وفى هذا الخبر مُتَعَلَّقٌ لِمَنْ قال من الفُقهاء إن الشَّهِيدَ يُغَسَّل إذا كان جُنُباً ، ومن الفقهاء مَنْ يقول لا يُغَسَّل كسائر الشهداء ، لأن التكليف ساقطٌ عنه بالموت .

شعر أبى سفيان :

وقول أبى سفيان :

وَمَازال مُهْرِى مَزْجَر الكَلْبِ مِنْهُمُ
لَدُنْ غُـــدْوَةٍ حتى دَنَت لِغُرُوبِ

يُروى بخفض غُدْوَةٍ ، ونصبها ، فمن خفضه فإعرابُه بَيِّنٌ ، لأن لَدُنْ بمنزلة : عِنْد ، لايكون مابعده إلَّا مَخْفُوضاً ، وأمَّا نصبُه فَغَرِيبٌ،وشَىْءٌ خَصَّت العربُ به غُدْوَةً ، ولا يُقاس عليها ، وكثيراً ما يذكرها سِيبَوَيْه ، ويُمْنَعُ من القياسِ عليها ، وذلك أن لَدُنْ يقال فيها : لَدُنْ وَلَدُ ، فلما كانت تارةً تُنوَّنُ ، ولا تُنوَّنُ أُخْرَى ، شَبَّهُوها إذا نُوِّنَتْ باسم الفاعل فنَصَبُوا غُدْوَةً بعدها، تَشْبِيهاً بالمفعولِ ، ولولا أنَّ غُدْوَةً تُنوَّنُ إذا نُكِّرتْ ، وتُنوَّنُ ضَرُورةً

---

(١) لم يرو حديث تغسيل الملائكة لحنظلة - سوى ابن إسحاق فى مغازيه وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وفى إسناده معلى بن عبد الرحمن وهو متروك والطبرانى ، وفى إسناده حجاج وهـــو مدلس والبيهقى وفى إسناده أبو شيبة الواسطى وهو ضعيف جدا ، والسرقطى فى غريبه من طريق الزهرى مرسلا

. . . .

إذا كانت مَعْرِفَةً ماعُرِف نَصْبُها ، لأنها اسمٌ غير مُنْصَرِفٍ لِلْعَلَمِيَّةِ والتأنيث ، فَخَفْضُها ونَصْبُها سواء ، فإذا نُوِّنَتْ للضَّرُورةِ ، كما فى بيت أبى سفيان أوْ أردت غُدْوةً من الغُـدُوات تبيَّن حينئذٍ أنهم قصدوا النَّصْبَ والتشبيه بالمفعول ، ووجهٌ آخرُ من البيانِ ، وهو أنهم قد رفعوها ، فقالوا : لَدُنْ غُدْوَةُ غيرَ مَصْروفةٍ ، كما يرفع الاسمُ بعد اسم الفاعِل إذا كان فاعلاً ويُنْصَبُ إذا كانَ مفعُولًا إذا نُوِّنَ اسمُ الفاعِل ، كذلك غُدْوَة بعد لَدُنْ ، لا يكون هذا فيها إلا إذا نُوِّنَتْ لَدُن ، فإن قُلت : لَد غُدْوةٍ ، لم يكن إلا الخفْضُ إن نوَّنتها ، وإن تركت صَرْفَها للتعريف ، فالفتحة علامةُ خَفْضِها ، ولا تـكون غُدْوَة عَلَماً إلا إذا أردْتَها ليومٍ بعينِه ، وبُكْرة مثلُها فى العَلَمِيَّة ، وليست مثلَها مَعَ لَدُنْ وضَحْوَةٌ وعَشِيَّةٌ مَصْروفَتانَ ، وإن أردتَهما ليوم بعينه . وقد فَرَغنا من كشفِ أسرارِ هذا البابِ فى « نتائج الفِـكَرِ » وأوضحنا هنالك بدائع وعجائبَ لم يُبَيِّنها أحدٌ إلا أنَّها مُنْتَزَعَةٌ من فَحْوَى كلام سِيبَوَيْهِ ، ومن قوَاعِدِه التى أصَّل ، والحمد لله[1] .

---

(١) يقول أحمد بن يحيى والمبرد : العرب تقول لدن غدوة بالرفع وبالنصب وبالخفض ، فمن رفع أراد لدن كانت غدوة ، ومن نصب أراد لدن كان الوقت غدوة ، ومن خفض أراد من عند غدوة . ويرى البصريون أنها تنصب غدوة خاصة من بين الـكلام ، واستشهدوا بالبيت السابق ، ويجيز الفراء فى غدوة الرفع والنصب والخفض . قال ابن كيسان : من خفض بها أجراها مجرى من وعن ، ومن رفع أجراها مجرى مذ ، ومن نصب جعلها وقتا ، وجعل ما بعدها ترجمة عنها ، وإن شئت أضمرت كان كما قال :

. . . .

وقولُ أبى سُفْيَانَ فى هذا الشعر : بِهِمْ خَدَبٌ . الخَدَبُ الهَوَجُ.[1] وفى الجَمْهَرَةِ طَعْنَةٌ خَدْبَاء إذا هَجَمَتْ على الجَوْفِ ، وهــذا هو الذى أراد أبو سفيان بالخَدَبِ .

وأمّا قولُ حَسَّان :

إذا عَضَلٌ سِيقَتْ إلينا كأنّها جِدَايَةُ شُرْكٍ مُعْلَمَاتِ الحَوَاجِبِ

شُرْكٌ : جَمْع شِرَاكٍ .

والجِدَايةُ : جِدايةُ السَّرْجِ ، على أن المعروفَ جَدِيَّةُ السَّرْجِ ، لاجديته فى أقربَ من هذا المعنى أن يريد الجِدَاية من الوحْشِ ، وبالشُّرُكِ الأشراكُ التى تُنصَب لها ، ولذلك قال دَامِيَات الحواجب ، وهذا أَصَحُّ فى معناه ، فقد ذكر أبو عُبَيْدٍ أن الجِدَايَةَ يقال للواحِد والجميع والذكر والأنثى من أوْلَاد الظِّبَاء ، ويبعد أن تــكون الجِدَاية جمع جَدِيَّة ، وهى جَدِيَّة السَّرْج والرَّحْل ، وإن كان قد يقال فى الجَمْع فِعال وفِعَالَة نحو جِمَال وجِمَالَة ، ولــكنه هاهنا بعيدٌ

= مذ لد شولا وإلى إتلائها

أراد أن كانت شولاء . وانظر بقية القول فى لدن فى اللسان .

وقد فرق أبو هلال العسكرى بينهما فى المعنى ، « تقول هذا القول عندى صواب ، ولا تقول : لدنى صواب ، وتقول : عندى مال ، ولا تقول : لدنى مال ولكن تقول : لدنى مال إلا أنك تقول ذلك فى المال الحاضر عندك . ويجوز أن تقول : عندى مال ، وإن كان غائبا عنك ، لأن لدنى هو مايليك .

(١) طيش وتسرع ، أو طول فى حمق .

. . . .

من طريق المعنى والله أعلم[1] .

ويروى شِرْكُ بكسر الشين ، وأقرب مايقال فى معنى هذا البيت : أنه أراد الجِدَاية من الوَحْشِ ، وهى أولادُ الظِّباء ونحوها ، وقد ذكر أبو عُبَيْدٍ أنه يقال جِدَايةٌ للواحدِ والجَمْعِ والذَّكَرِ والأُنثى ، فيكون الشِّرْكُ على هذا فى معنى الأشْرَاكِ التى يُصَادُ بها ، وقد قيل : إن شُرْكاً اسمُ مَوْضِعٍ ، والله أعلم ، وعَضَلٌ قبيلةٌ من خُزَيْمَةَ غادِرَةٌ ، وسيأتى ذكر غدر عَضَلٍ والقَارة . وقوله : مُعْلَماتِ الحواجِب ، يعنى بالدماء ، ويجوز أن يريدَ سَوادَها ما بَيْن أعْيُنِها ، كما أنشد سيبويه [للأعشى] .

وكأنه لَهِقُ السَّرَاةِ كأنَّه ما حَاجِبَيْهِ مُعَيَّنٌ بِسَوَادِ[2]

---

(١) جاء فى طبعته الاولى . عمابين قوسين من أول : والجداية جداية المرج إلى قوله : من طريق المعنى والله أعلم : هذه الجمله التى بين الدائرتين لم تثبت فى النسخة الثانية ، فأثبتناها كما هى ، فليحرر . هذا وقد ذكر أبو ذر الخشنى : الجداية بفتح الجيم وكسرها : الصغير من أولاد الظباء ، وفى إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٢٥ : الجداية بفتح الجيم وكسرها ـ الغزال الشادن ، وهى القفوز والأبوز التى تأبز ، وهى التى تعدو عدوا شديدا . وشرك هنا : اسم موضع ، وهو بضم الشين ، وكسرها والذى فى السيرة : معلمات الحواجب لا داميات الحواجب كما ذكر فى الفقرة التى بين قوسين والتى أظن أنها دسيسة على الكتاب .

(٢) انظر ص ٨٠ حـ ١ ط بولاق الكتاب لسيبويه . وقال سيبوية : يريد كأن حاجبيه ، فأبدل حاجبيه من الهاء التى فى كأنه وما زائدة ، وقد جعله شاهدا لإبدال الحاجبين من الضمير المتصل بكأن ، ورد قوله معين بسواد على الضمير لا على الحاجبين ، وهو فى المعنى خبر عنهما والبيت فى وصف ثور وحشى شبه به بعيره فى حذقه ونشاطه فيقول : كأنه ثور الخ . ولهق السراة أبيض أعلى الظهر

. . . .

الصارخ يوم أحد :

فصل وذكر الصارخَ يوم أُحُدٍ بقتل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقولُ ابن هشام : الصارِخُ إزبُ الْعَقَبَةِ ، هكذا قيد فى هذا الموضع بكسر الهمزه وسكون الزاى ، وذكرنا فى بيعـــة العقبة ما قاله ابن ماكولا فى أم كُرْز بنْتِ الأَزَبِّ بن عَمْرو بن بَكِيل ، وأنه قال : لا يُعْرَفُ الأَزَبّ فى العرب إلا هذا ، وأَزَبُّ العَقَبَةِ ، وذكرنا حديثَ ابن الزبير الذى ذكره القُتَبِىُّ إذ رأى رجلا طوله شبران على بَرْذَعَةِ رَحْلِه ، فنفضها منه ، ثم عاد إليه ، فقال : ما أنت ؟ قال : أنا أَزَبُّ ، قال وما أَزَبُّ قال: رَجُلٌ من الجنّ[1] وذكر باقى الحديث ، فى هذا الحديث ما يدل على أنه أَزَبُّ مع قول

---

(١) هو كما ذكره ابن الأثير فى النهاية « خرج فبات فى القفر ، فلما قام ليرحل ، وجد رجلا طوله شبران عظيم اللحية على الولية يعنى : البرذعة ، فنفضها ، فوقع ، ثم وضعها على الراحلة ، وجاء ، وهو على القطع ، يعنى الطنفسه فنفضه فوقع ، فوضعه على الراحلة ، فجاء وهو بين الشرخين ، أى : جانبى الرحل فنفضه ، ثم شده ، وأخذ السوط ، ثم أتاه ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا أزب ، قال : وما أزب ؟ قال : رجل من الجن ، قال : افتح فاك أنظر ، ففتح فاه ، فقال : أهكذا حلوقكم ؟ ثم قلب السوط فوضعه فى رأس أزب ، حتى باص ، أى فاته واستتر . أقول : لا ريب فى أحد أمرين ، إما ضعف الحديث وسقوطه ، وإما أن يكون شيطان إنس أراد بابن الزبير شيئا ويكون فى التعبير مبالغة عن طوله وفمه ! وقد ذكره ابن الأثير فى مادة : أزب ، وفسره بأنه الكثير الشعر .

وفى القاموس الإزب ـــ بكسر الهمزة وسكون الزاى وتخفيف الباء ـــ القصير والغليظ والداهية واللئيم والدميم الخ ، ثم ذكر أزب العقبة فى زبب . وفيه =

. . . .

يعقوب في الألفاظ : الإِزْبُ : الرجُل القَصير ، والله أعلم هل الإِزْبُ : والأَزَبُ شيطانٌ واحدٌ أو اثنان ، ويقال : الموضع الذى صرخ منه الشيطان جَبَلُ عينين ، ولذلك قيل لعثمان رضى الله عنه : أفررْتَ يوم عَيْنَيْن (١) ، وعِيْنَانِ أيضاً: بَلَدٌ عند الحِيرة ، وبه عُرف خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ الشاعر .

حال من رموا النبي :

فصل : وذَكَرَ ابن قَمِئَة ، واسمُهُ عبدُ الله ، وهو الذى قتل مُصْعَبَ بن عُمَيْرٍ ، وجَرحَ وَجْهَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وعُتْبَةُ بن أبى وَقّاصٍ أخو

= قال : الأزب — بفتح الهمزة والزاى وتضعيف الباء — من أسماء الشياطين ، ومنه حديث ابن الزبير مختصرا . ثم ذكر الحديث كما قال ، كذلك ذكر أزب العقبة بنفس ضبطه لأزب فى حديث ابن الزبير . ويقول الزرقانى فى شرح المواهب ص ٣٢ ح ٢ بعد أن ذكر كلام السهيلى ، وأن حديث ابن الزبير يشهد الأول أى كسر الهمزة وسكون الزاى : وظاهره سكون الزاى . وخفة الباء مع كسر الهمزة وفتحها ، ثم رد على هذا بما نقلناه عن القاموس . ثم قال : وبعض المتأخرين جعلهما قولين . أما اللسان فذكر حديث ابن الزبير كما فعل ابن الأثير فى مادة أزب ، وهو ينقل عنه .

وكثرة الشعر ذكرها اللسان فى مادة زبب ، أما القصير ففى مادة أزب فى القاموس وفى اللسان . وكذلك ذكر ابن دريد فى الاشتقاق : الأزب : البعير الذى على أخفانه وبر ، فهو يذعر من كل شيء ، ورجل أزب : كثير الشعر وضبطها فى المرتين بفتح الهمزة والزاى وتضعيف الباء ص ١١٧ ، ٢٠٥ .

(١) فى القاموس . وعينين بكسر العين وفتحها مثنى : جبل بأحد قام عليه إبليس عليه لعنة الله تعالى ، فنادى إن محمداً ص ، قد قتل ، وبفتح العين بلدة بالبحرين منه خليد عينين وعينان موضع .

. . . .

سعْدٍ ، هو الذى كَسَرَ رَباعِيَتَه ـ عليه السلام ـ ثم لم يولد من نسْلِه وَلَدٌ ، فَبَلَغَ الحُلُمَ إلّا وهو أبخرُ أو أهْتَمُ يُعْرَف ذلك فى عقبه .

وممن رماه يومئذ عبدُ الله بن شِهاب جَدُّ شيخ مالكٍ مُحَمّدِ بن مُسْلِم ابن عبدِ الله بنِ شهابٍ ، وقد قيل لابن شهابَ أكان جَدُّك عبد الله بن شهاب ممّن شَهِد بدراً ؟ قال : نعم ، ولكن من ذلك الجانب يعنى مع الكُفّار ، وعبدُ الله هذا هو عبدُ الله الأصغر ، وأما عبد الله ابن شِهابٍ ، وهو عبد الله الأكبرُ ، فهو من مُهاجِرَةِ الحَبَشَةِ ، تُوُفِّى بمكةَ قبل الهجرة ، وقد اختلف فيهما أيهما كان المهاجرُ إلى أرضِ الحبشةِ ، فقيل: الأكبر ، وقيل الأصغرُ ، وكان أحدهما جَدَّ الزُّهْرِىِّ لأبيه ، والآخرُ لأُمّه ، وقد أسلم الذى شَهِد أُحُداً مع الكُفّار ، وجَرَحَ رسولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالله ينفعه بإسلامه .

أسماء أجزاء الليل :

وذكر مالكَ بن سِنَانٍ والدَ أبى سَعِيدٍ الخُدْرِىِّ مِنْ بَنِى خُدْرَةَ ، وهو الحارثُ بن الخَزْرَج ، والخُدْرَةُ فى اللغة : نحو من خُمْسِ اللَّيْلِ ، وبعده اليَعْفُور ، وهو خُمْسٌ آخر من الليل ، وبعده الجُهْمَةُ والسُّدْقَةُ[1] ، والذى قبل الخُدْرةِ يقال له الهَزِيعُ ، كل هذا من كتابِ كُرَاع[2] .

---

(١) تستعمل للضوء والظلمة .

(٢) أنظر المخصص لابن سيده ففيه تفصيل لليل وأجزائه .

. . . .

عن الدم والبول :

وذكر أن بن مالك سِنَان مَصَّ دمَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وازدَرَدَه ، وقد فعل مثلَ ذلك ابنُ الزُّبَيْرِ ، وهو غُلَامٌ حَزَوَّرٌ حين أعطاه رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دمَ مَحَاجِمِهِ لِيدْفِنَه فَشَرِبَه ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم ـ كما قال لمالكٍ حين ازدَرَدَ دَم جُرْحِهِ : مَنْ مَسَّ دَمُه دَمِي ، لم تُصِبْه النَّارُ . لكنه قال لابن الزُّبَيْر وَيْلٌ لَكَ من الناسِ وَوَيْلٌ للناسِ منك . ذكره الدَّارَقُطْنِي فى السُّنَن ، وفى هذا من الفقه أن دَمَ رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخالف دَمَ غيره فى التَّحْرِيم[1] وكذلك بَوْلُه قد شَرِبَتْهُ أمُّ أَيْمَنَ حين وجدته فى إناء من عِيدانٍ تحت سَرِيرِه ، فلم يُنْكِر ذلك عليها[2] ، وذلك والله أعلم للمعنى الذى بَيَّنَّاه فى حديث نزول الملكين

---

(١) كيف يقام فقه على نص كهذا لم يخرجه أحد من أصحاب الكتاب الستة ، هو والذى قبله ؟

(٢) لست أدرى من أين جاء بهذا ؟ وهل يظن أن مكانة النبى لا يتحقق وجودها الأعظم فوق قمة الكمال والجمال الإنسانى النبوى إلا بمثل هذا الذى يؤكد الحق أنه باطل ؟ . كيف يمنع البخارى ومسلم وأبو داد والنسائى والترمذى وابن ماجة وأحمد عن روايتهما ؟ !

وحديث البول لم يخرجه واحد منهم أيضاً ، فما أخرجه سوى الحسن بن سفيان فى مسنده وأبى يعلى والحاكم والدارقطنى وأبى نعيم ، وهى أسماء لا ترتبط بالصحيح إلا حين يكون صحيحا فى الكتب الأخرى ، وكيف يظن برسول الله — وهو الطاهر المطهر الداعى إلى الطهارة والتطهر أن يقول لأم أيمن : إنك لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا ؟ . يجب أن نمجد — رسول الله

. . . .

عليه حين غسلا جوفه بالثَّلج فى طَسْتِ الذَّهبِ ، فصار بذلك من المتطهرين ، وبَيَّنا أيضاً هنالك أنه من الْمُتطَهِّرين كأُمَّتِه لتطهُّرِه من الأحداث، والحمد لله،[1] إلا أن أبا عُمَر النَّمَرِىَّ ذكر فى الاستيعابِ أن رجلا من الصَّحابة اسمه : سالمٌ حَجَمَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ازْدَرَدَ دَمَه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما عَلِمْتَ أن الدَّمَ كُلَّه حَرامٌ؟ غير أنه حديث لا يُعْرَفُ له إسنادٌ والله أعلم[2] وحديث ابنُ الزُّبَيْر الذى تقدم ذكرُه روى الزُّبَيْر بن أبى بَكْرٍ ما يَشُدُّه ويُتَمِّمُ معناه . قال فى حديث أسنده : لما وُلد عبدُ الله بن الزُّبَيْر نظر إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو هو ، فلما سمعت بذلك أسماء أمُّه ، أمسكت عن إرضاعه ، فقال لها ـ عليه السلام ـ : أرْضِعيه ، ولو بماء عينيك ، كَبْشٌ بين ذِئَابٍ ، وذِئابٌ عليها ثِيابٌ لَيَمْنَعُنَّ البيتَ ، أو لَيُقْتَلُنَّ دونه[3] .

= صلى الله عليه وسلم فى نبوته ، وإنسانيته التى سمت بها النبوة ، لا فى بوله وغائطه .

(١) إذاً كيف قال له الله : (ووجدك ضالا ، فهدى)؟ وكيف أخرج البخارى ما أخرج عن السفرة التى قدمها — رسول الله « ص » قبل بعثته إلى زيد ابن عمرو بن نفيل ، وكان عليها ماذبح على النصب ؟ !

(٢) ولكن هذا الذى لا يعرف له إسناد من القرآن الكريم أعظم إسناد .

(٣) كل قوم أعجبوا برجل أخرجوا له مثل هذا ! ! وفى ألفاظه دليل أنه زور

تم بحمد الله

الجزء الخامس ويليه الجزء السادس

ان شاء الله

وأوله : ﴿ قتل الرسول لأبيّ بن خلف ﴾

فهرس

الجزء الخامس من الروض الأنف

(١) «س» رمز عن السيرة . و« ن . ل» رمز عن النحو واللغة . و «ش» رمز عن الشرح . أما الروض فبدون رمز